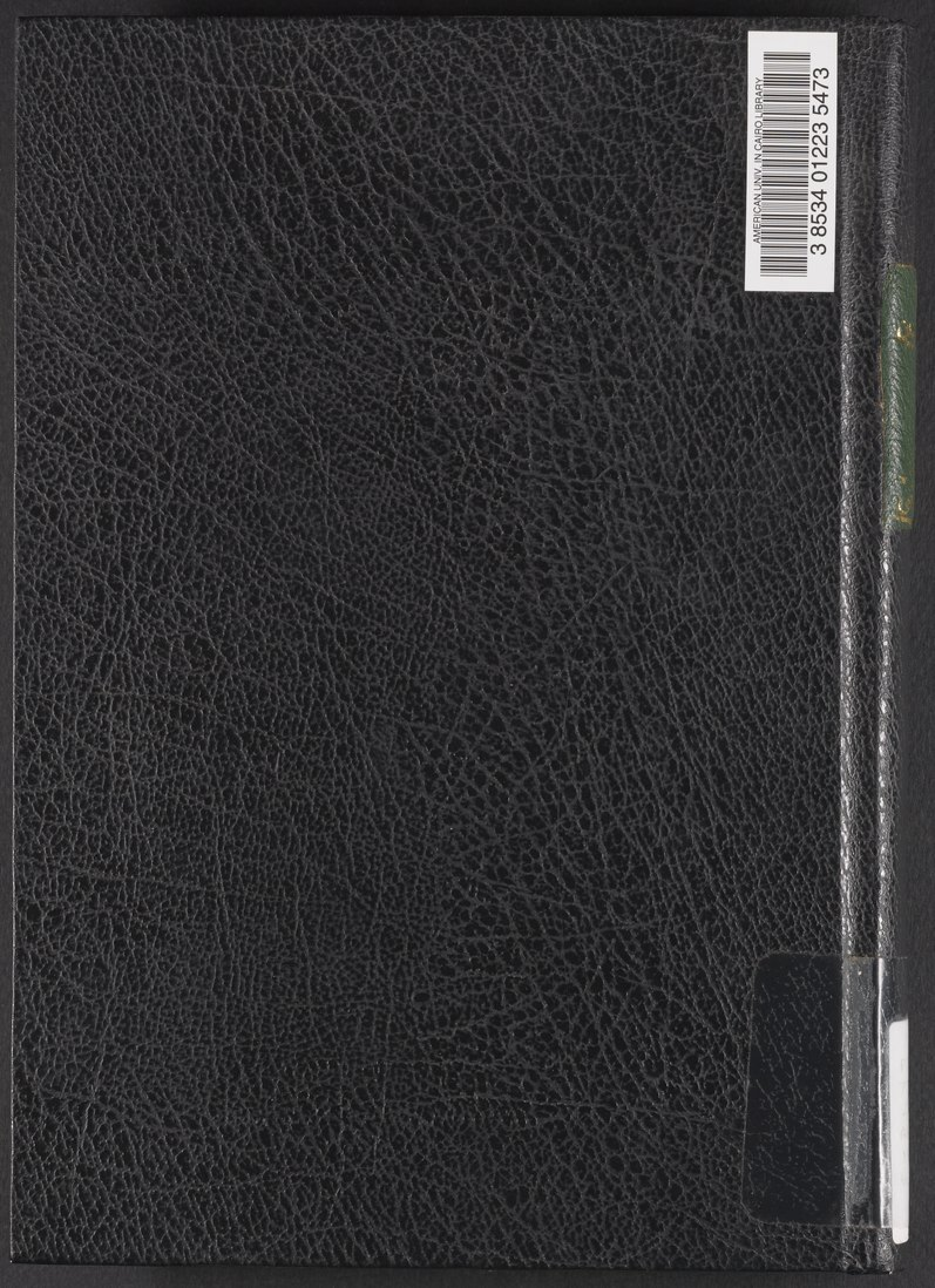


مكتبة الجاحظ
أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ
١٥٠ - ٢٥٥

بتحقيق وشرح
عبد السلام محمد هارون

الكتاب الثاني

البيان والتبيين

الجزء الثاني

القاهرة
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
١٣٦٧هـ — ١٩٤٨م

الطبعة الأولى

البيان والتبيين

تأليف

أبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

الجزء الثانى

بتحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

المدرس بكلية الآداب بجامعة فاروق الأول

وهذا أول الجزء الثانى من تجزئة المصنف(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، ولا حولَ ولا قوّة إلا بالله ، وصلى الله على محمد خاصّة وعلى أنبيائه عامّة .

أردْنا — أبقاكَ اللهُ — أن نبتدئَ صدرَ هذا الجزء الثانى من البيان والتبيين ، بالردِّ على الشعوبيّة فى طعنهم على خطباء العرب وملوكهم ؛ إذ وصلوا أيمانَهم بالمخاصر واعتمدوا على وجه الأرض بأطراف القسىّ والعصىّ ، وأشاروا عند ذلك بالقُضبان والقُنِىّ(٢) . وفى كلٍّ ذلك قد روينا الشاهدَ الصادق ، والمثلَ السّائر . ولكنّا أحببْنا أن نُصيِّر صدرَ هذا البابِ كلاماً(٣) من كلام رسول ربِّ العالمين ، والسّلَفَ المتقدِّمين ، والجِلّةِ من التابعين ، الذين كانوا مصابيحَ الظلام ، وقادة [هذا] الأنام ، ومِلْحَ الأرض(٤) ، وحُلِيَّ الدُّنيا ، والنّجومَ التى لا يضلُّ معها السّارى ، والمَنارَ الذى يرجع إليه الباغى ، والحِزْبَ الذى كثّر الله به القليل ، وأعزّ به الذليل ، وزاد الكثيرَ فى عدده ، والعزيزَ فى ارتفاع قدره . وهم الذين جَلَوْا بكلامهم الأبصارَ الكليلة(٥) ، وشَحذوا بمنطقهم الأذهانَ العليلة(٦) ، فنبّهوا القلوبَ من رَقدتها ، ونقلوها عن سوء عادتها ، وشفَوها(٧) من داء القسوة ،

---

(١) بدل هذه العبارة فى ب ، حـ : « أول الثلث الثانى » ، كما أن بعدها فى ب ، حـ : « قال أبو عثمان الجاحظ » .

(٢) القنى : جمع قناة ، وهو الرمح . ل : « والقسى » .

(٣) فيما عدا ل : « أن نصدر هذا الجزء بكلام » .

(٤) الملح ، بالكسر : البركة .

(٥) فيما عدا ل : « العليلة » .

(٦) فيما عدا ل : « الكليلة » .

(٧) ل : « وشفوا » .

وغباوة الغفلة ، وداوَوْا من العيّ الفاضح ، ونهَجوا لنا الطّريقَ الواضح . ولولا الذى أمّلتُ مِن تقديم ذلك وتعجيله ، من العملِ بالصواب ، وجزيلِ الثّواب ، ٢٣٩ لقد كنتُ بدأتُ بالردِّ عليهم ، و بكشف قِناع دعواهم[1] . على أنّا سنقول فى ذلك بعد الفراغ ممّا هو أولى بنا وأوجبُ علينا . والله الموفق ، وهو المستعان .

وعلى أنّ خطباءَ السّلَف الطيّب ، وأهلَ البيان من التابعين بإحسان ، ما زالوا يسمُّون الخطبةَ التى لم تبتدَأ بالتحميد ، وتُستفتَح بالتمجيد[2] : البتراء . و يسمُّون التى لم توشَّح بالقرآن ، وتزيَّنْ بالصّلاة على النبي صلى الله عليه وسلم : الشَّوْهاء .

قال عِمران بن حِطّان : خطَبتُ عند زيادٍ خطبةً ظننتُ أنّى لم أقصِّرْ فيها عن غاية ، ولم أدَعْ لطاعنٍ علّة ، فمررتُ ببعض المجالس فسمعتُ شيخاً يقول : هذا الفتى أخطَبُ العربِ لو كان فى خطبته شىءٌ من القرآن .

وخطب أعرابىٌّ فلما أعجله بعضُ الأمر عن التّصدير بالتحميد ، والاستفتاح بالتمجيد ، قال : « أما بعد ، بغير ملالةٍ[4] لذكر الله ولا إيثار غيره عليه ، فإنّا نقول كذا ، ونسأل كذا » ؛ فِرارًا من أن تكون خطبتُه بتراء أو شوهاء .

وقال شَبيب بن شيبة : « الحمد لله ، وصلى الله علي رسول الله . أمّا بعد ، فإنّا نسأل كذا ، ونبذل كذا » .

و بنا — حفِظكَ اللهُ — أعظمُ الحاجة إلى أن يَسلم كتابنا هذا من النَّبْز القبيح[5]

---

(١) فيما عدا ل : « دعاويهم » .
(٢) فيما عدا ل : « لم يبتدئ صاحبها بالتحميد ، ويستفتح كلامه بالتمجيد » .
(٣) ترجم فى (١ : ٤٠٤) .
(٤) فيما عدا ل : « ملالة » . وقد سبق الخبر فى اللسان (١ : ٤٠٤) .
(٥) النبز بالفتح : اللمز والعيب . فيما عدا ل : « البتر » .

والشَّوَه المَشِين(١) ، واللقَب المَعِيب(٢) ، بل قد يجب(٣) أن نزيدَ فى بهائه ، ونستميلَ القلوبَ إلى اجتبائه ، إذْ كان الأملُ فيه بعيداً ، وكان معناه شريفاً ثمينا .

ثم اعلم بعـدَ ذلك أنّ جميع خُطَبِ العرب ، من أهل المدَر والوبر ، والبدْو والحضَر ، على ضربين : منها الطِّوال ، ومنها القِصار ، ولـكلٍّ ذلك مكانٌ يليق به ، وموضعٌ يحسُن فيه . ومن الطِّوال ما يكون مستوِياً فى الجودة ، ومتشاكلاً فى استواء الصَّنعة ، ومنها ذوات الفِقَر الحسان ، والنُّتَف الجياد . وليس فيها بعدَ ذلك شىءٌ يستحق الحفظَ ، وإنما حظُّه(٤) التخليد فى بطون الصُّحفِ ، ووجَدنا عددَ القِصار أكثر ، ورواةَ العلم إلى حفظها أسرع . وقد أعطينا كلَّ شكل من ذلك قِسطه من الاختيار ، ووفَّيناه حظَّه من التمييز ، ونرجو ألاّ نكون قصَّرْنا فى ذلك . والله الموفق .

٢٤٠ هذا سوى ما رسمنا(٥) فى كتابنا هذا من مقطّعات كلام العرب الفصحاء وجُملِ كلام الأعراب الخُلَّص ، وأهل اللَّسَن من رجالات قريش والعرب ، وأهل الخطابة من أهـل الحجاز ، ونُتفٍ من كلام النُّسّاك ، ومواعظَ من كلام الزّهاد ، مع قلّة كلامِهم ، وشِدّة توقّيهم ، وربَّ قليلٍ يُغنى عن كثير ، كما أنْ رُبَّ كثيرٍ لا يتعلّق به صاحب القليل . بل ربَّ كلمةٍ تُغْنِى عن خطبة ، وتنوب عن رسالة . بل ربَّ كنايةٍ تُرْبى على إفصاح ، ولحظٍ يدلُّ على ضمير ، وإن كان ذلك الضمير بعيدَ الغاية ، قائماً على النِّهاية . ومتى شاكل أبقاك الله ذلك اللفظُ معناه ، وأعرب عن فَحواه ، وكان لتلك الحال وَفْقا ، ولذلك القدر لِفْقا ، وخَرَج

---

(١) الشوه : القبح . وهاتان الـكلمتان من ل فقط .

(٢) فيما عدا ل : « السميج » . والسمج والسميج : القبيح .

(٣) فيما عدا ل : « نحب » .

(٤) فيما عدا ل : « حظها » .

(٥) فيما عدا ل : « رسمناه » .

من سماجة الاستكراه ، وسلِم من فساد التكلّف ، كان قمِيناً بحُسن الموقع ، وبانتفاع المستمِع ، وأجدَرَ أن يمنع جانبَه من تناوُل الطّاعنين ، ويحمىَ عِرضه من اعتراض العائبين ، وألاّ تزالَ القلوبُ به معمورةً ، والصّدورُ مأهولة . ومتى كان اللفظ أيضاً كريماً فى نفسه ، متخيَّراً مِن جنسه[1] ، وكان سليماً من الفُضول ، وبريئاً من التعقيد ، حُبِّب إلى النُّفوس ، واتَّصل بالأذهان ، والتحم بالعقول ، وهشَّت إليه الأسماع ، وارتاحت له القلوب ، وخفَّ على ألسُن الرُّواة ، وشاع فى الآفاقِ ذِكرُه ، وعظُم فى الناسِ خطَره ، وصار ذلك مادّةً للعالِم الرئيس ، ورياضةً للمتعلّم الريِّض . فإن أراد صاحبُ الكلام صلاحَ شأنِ العامّة ، ومصلحةَ حال الخاصّة ، وكان ممَّن يعمّ ولا يخُصّ ، وينصح ولا يغُشّ ، وكان مشغوفاً بأهل الجماعة ، شَنِفا لأهل الاختلاف والفرقة[2] ، جُمعت له الحظوظُ من أقطارها ، وسِيقت إليه القلوبُ بأزِمّتها ، وجُمعت النفوسُ المختلفةُ الأهواءِ على محبّته ، وجُبِلت على تصويب إرادته . ومَن أعاره الله من معُونته[3] نصيبا ، وأفرغ عليه من محبّته ذَنوبا[4] ، جُلبت[5] إليه المعانى ، وسَلِسَ له النّظام[6] ، فكان قد أغنَى المستمعَ من كدّ التكلُّف ، وأراح قارىءَ الكتاب من عِلاج التفهُّم . ولم أجدْ فى خُطب السلف الطيِّبِ والأعراب الاقحاحِ ، ألفاظًا مسخوطة ، ٢٤١ ولا معانىَ مدخولة ، ولا طبعاً رديئا ، ولا قولاً مستكرها ، وأكثرُ

(١) فيما عدا ل : « فى جنسه » .
(٢) يقال شنفه ، أبغضه ، فهو شنف .
(٣) فيما عدا ل : « معرفته » .
(٤) الذنوب ، بالفتح : الدلو الملأى .
(٥) فيما عدا ل : « حنت » بدل « جلبت » .
(٦) فيما عدا ل : « نظام اللفظ » .

ما تَجد[١] ذلك فى خطب المُوَلَّدين ، وفى خطب البلديِّين المتكلِّفين[٢] ، ومن أهل الصنعة المتأدِّبين ، وسواء كان ذلك منهم على جهة الارتجال والاقتضاب ، أمْ كان من نِتاج التحْبير والتفكير[٣] .

ومِن شعراء العرب مَن كان يدع القصيدةَ تمكث عنده حولاً كَريتا[٤] ، وزمناً طويلا ، يردِّد فيها نظرَه ، ويُجيل فيها عقله[٥] ، ويقلِّب فيها رأيَه ، اتهاماً لعقله ، وتتبُّعا على نفسه . فيجعل عقلَه[٦] زماماً على رأيه ، ورأيَه عِياراً على شعره ؛ إشفاقاً على أدبه ، وإحرازاً لما خوَّله الله تعالى من نِعمته . وكانوا يسمون تلك القصائدَ : الحوليّاتِ ، والمقلّداتِ ، والمنقَّحات ، والمحكَمات ؛ ليصير قائلُها فحلاً خِنذيذا ، وشاعراً مُفْلِقا .

وفى بيوت الشِّعر الأمثال والأوابد ، ومنها الشَّواهد ، ومنها الشوارد .

والشعراء عندهم أربع طبقات . فأوّلهم : الفحل الخنذيذ . والخِنذيذ هو التامّ . قال الأصمعى : قال رؤبة : الفُحولَةُ هم الرواة[٧] ، ودون الفحل الخِنذيذِ الشَّاعرُ المُفْلِقُ ، ودونَ ذلك الشاعرُ فقط ، والرَّابع الشُّعْرُور . ولذلك قال الأوّل فى هجاء بعض الشعراء :

يا رابعَ الشعراءِ كيف هجوتَنى ... وزعمتَ أنِّى مُفْحَمٌ لا أنطِقُ[٨]

فجعله سُكَيَّتا مُخلَّفًا[٩] ، ومسبوقا مؤخَّرا .

---

(١) فيما عدا ل : « نجد » بالنون .
(٢) كلمة « وفى » من ل فقط .
(٣) التحبير : التحسين . فيما عدا ل : « التخير والتفكر » .
(٤) حول كريت : كامل تام .
(٥) هذه الجملة من ل فقط .
(٦) ل : « فجعل » .
(٧) فيما عدا ل : « هم الفحولة الرواة » .
(٨) وكذا رواية العمدة (١ : ٧٣) . فيما عدا ل : « فيم هجوتنى » .
(٩) السكيت : آخر خيل الحلبة ؛ وقد تخفف الكاف . ل : « خلفا » .

وسمعتُ بعض العلماء يقول : طبقات الشّعراء ثلاث : شاعر ، وشُوَيْعر ، وشُعْرُور . [قال] : والشُّويعر مثل محمّد بن حُمران بن أبي حُمران (١) ، سمّاه بذلك امرؤ القيس بن حُجْرٍ .

ومنهم من بنى ضَبَّة (٢) المفوّف ، شاعر بنى حُمَيس (٣) ، وهو الشُّوَيعر .

ولذلك قال العبدىّ (٤) :

ألا تَنهى سَرَاةُ بني حُمَيسٍ شُوَيعِرَها فُوَيْلِيَةَ الأفاعى

قُبَيِّلَةٌ تَرَدَّدُ حيث شاءت كزائدةِ النّعامَةِ فى الكُراعِ ٢٤٢

فُوَيليَة الأفاعى : دويْبةٌ سوداء فوق الخُنفَساء .

والشويعر أيضاً صفوان بن عبد (٥) ياليلَ ، من بنى سَعد بن ليث ، ويقال إنّ اسمَه ربيعة بن عثمان (٦) . وهو الذى يقول :

فسائِلْ جعفراً وبنى أبيها بنى البَزَرَى بطِخْفة والمِلاحِ (٧)

---

(١) ذكره الآمدى فى المؤتلف ١٤١ وقال : « وهو ابن أخى الأسعر الجعفى ، وممن سمى محمدا فى الجاهلية ، وهو قديم . وكان امرؤ القيس بن حجر أرسل إليه فى فرس يبتاعها منه فمنعه ، فقال امرؤ القيس :

أبلغا عنى الشويعر أنى عمد عين نكبتهن حزيا

فسمى بهذا البيت الشويعر » . وانظر لمن سمى بمحمد فى الجاهلية الخزانة (٢ : ٢٣ — ٢٥) .

(٢) فيما عدا ل : « ومنهم ثم من بنى ضبة » وكلمة « ثم » مقحمة .

(٣) بنو حميس ، بضم الحاء ، من قبائل جهينة . الاشتقاق ٣٢١ .

(٤) انظر العمدة (١ : ٧٤) .

(٥) هنا ينتهى سقط التيمورية ، الذى سبق التنبيه عليه فى الجزء الأول ص ٣٩١ س ٢٣ .

(٦) نقل هذا النص فى العمدة (١ : ٧٤) عن الجاحظ . أما ياقوت فى معجم البلدان (٨ : ١٤٤) فقال : « قال الشويعر الكنانى ، واسمه ربيعة بن عثمان » .

(٧) البزرى ، كجمزى : لقب لبنى بكر بن كلاب . وتبزر الرجل ، إذا انتمى إليهم . ل : « البرزى » صوابه بتقديم الزاى كما صحح فى ح . وفى ب والتيمورية : « البراز » تحريف . وطخفة ، بالكسر ويروى بالفتح : جبل لبنى كلاب ، ولهم عنده يوم . والملاح ، بالكسر : موضع .

وأفلتَنا أبو ليــــلى طُفَيلٌ　　صحيحَ الجلد من أثَر السّلاحِ[١]

وقد زعم ناسٌ أنّ الخنذيذ من الخيل [هو] الخصىّ . وكيف يكون ذلك كذلك مع قول الشاعر :

يا ليلتى بالخَبْتِ لم أر مثلها　　أمَرَّ قِرًى منها وأ كثَرَ باكيا[٢]

وأ كثَرَ خِنذيذًا يجرُّ عِنانَهُ　　إلى الماء لم يترُكْ له السّيفُ ساقيا[٣]

وقال بشر بن أبى خازم[٤] :

وخنذيذٍ تَرى الغُرمُولَ منهُ　　كطَىّ الزِّقّ علّقهُ التِّجارُ[٥]

وأبين من ذلك قول البُرجُمىّ[٦] :

* وخناذيذ خصيةً وفُحُولَا[٧] *

ويدلُّ على ما قلنا قول القيسىّ[٨] :

---

(١) أفلته الشيء : انفلت منه . وأنشد ياقوت بين هذا البيت وسابقه :

غداة أتتهم حمر المنايا　　يسقن الموت بالأجل المتاح

(٢) الخبت : بلد دون الجزيرة . فيما عدا ل : « يا ليلتى يا ليت » تحريف .

(٣) يشبه هذا بيت مالك بن الريب فى الخزانة (١ : ٣١٨) والأمالى (٣ : ١٣٧) :

وأشقر محبوكا يجر عنانه　　إلى الماء لم يترك له الموت ساقيا

(٤) هو بشر بن أبى خازم الأسدى ، شاعر فارس فحل جاهلى قديم . الخزانة (٢ : ٢٦٢ — ٢٦٤) والشعر والشعراء .

(٥) البيت من قصيدة فى المفضليات (٢ : ١٣٨ — ١٤٥) .

(٦) نسب فى الحيوان (١ : ١٣٣) إلى خفاف بن ندبة ، وندبة أمه ، واسم أبيه عمير بن الحارث . وهو شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، وشهد حنينا والطائف ، وبقى إلى زمان عمر . الخزانة (٢ : ٤٧٢ — ٤٧٣) والإصابة ٣٢٦٩ ، والمؤتلف ١٠٨ . والصواب أن ينسب إلى خفاف بن عبد قيس البرجمى ، كما فى اللسان (خنذ) . ونسب فيه أيضا إلى النابغة الذبيانى ، وليس فى ديوانه .

(٧) صدره فى اللسان : * وبراذين كابيات وأتنا *

(٨) فيما عدا ل : « العبسى » تحريف . وفى الحيوان (١ : ١٣٤) : « قول بعض القيسيين من قيس بن ثعلبة » .

دعوتُ بنى سعدٍ إلىّ فشمّرتْ   خناذيذُ من سعدٍ طِوالُ السّواعدِ

وكان زُهير بن أبى سُلمَى يسمّى كبارَ قصائده : الحوليّات .

وقد فسّر سُويد بن كُراعٍ العُكلىُّ[١] ما قلنا ، فى قوله :

أَبيتُ بأبوابِ القوافى كأنّما   أُصادِى بها سِرْبًا من الوَحشِ نُزَّعَا[٢]

أُكالئُها حتى أُعرِّسَ بعد ما   يكون سُحَيرًا أو بُعيدًا فأهجعا[٣] ٢٤٣

عَواصِىَ إلّا ما جعلتُ أمامَها   عصا مِرْبَدٍ تغشى نحورًا وأذرُعا[٤]

أهبْتُ بغُرِّ الآبِدات فراجعت   طريقًا أَمَلَّتْه القصائدُ مَهْيَعا[٥]

بعيـــدةُ شأوٍ ، لا يكاد يرُدُّها   لها طالبٌ حتّى يَكِلَّ ويَظْلَعا[٦]

إذا خِفْتُ أن تُروَى علَىَّ رددتُها   وراءَ التّراقِى خشيةً أن تَطَلّعا[٧]

وجشّمنى خوفُ ابنِ عَفّان رَدَّها   فثقّفتُها حَوْلاً حَريدًا ومَرْبعا[٨]

---

(١) سويد بن كراع العكلى ، شاعر فارس من شعراء الدولة الأموية ، وكان فى آخر أيام جرير والفرزدق . الأغانى (١١ : ١٢١ — ١٢٥) والشعر والشعراء .

(٢) كان من سبب هذا الشعر أنه هجا بنى عبد الله بن دارم ، فاستعدوا عليه سعيد بن عثمان بن عفان ، فطلبه ليضربه ويحبسه ، فهرب ولم يزل متواريا حتى كلم فيه ، فآمنه على ألا يعاود . الأغانى (١١ : ١٢٣) . والمصاداة : المداجاة والمخاتلة . والنزع ، كركع : جمع نازع ، وهو الغريب .

(٣) أكالئها : أراقبها . والتعريس : النزول فى وجه السحر .

(٤) المربد ، كمنبر : محبس الإبل . أراد عصا معترضـة على باب المربد . وانظر اللسان والمقاييس (ربد) وقد ورد فى الأول بدون نسبة . وفيهما وكذين فى الشـعر والشعراء : « جعلت وراءها » . وما هنا أوثق وأليق .

(٥) أهاب بها : دعاها . الآبدات : المتوحشات ، عنى بها القوافى الشرد . أملته : سلـكته ؛ طريق ممل : مسلوك معلوم . والمهيع : الواسع المنبسط .

(٦) أى لا يكاد يردها طالب لها . يقول : هى منطلقة لا يستطاع ردها إلا بالجهد .

(٧) تروى على : أى تروى عنى . فيما عدا ل : « تردى جلى » . وقد صححت فى ـ لجعلت « تروى على » . والترقوة : مقدم الحلق فى أعلى الصدر حيثما يترقّى النفس .

(٨) فى الأغانى : « خوف ابن عثمان » . الحريد : التام الـكامل .

وقد كان فى نفسى عليها زيادةٌ   فلم أرَ إلا أنْ أطيع وأَسْمَعَا

***

ولا حاجةَ بنا مع هذه الفِقْرَة إلى زيادةٍ[١] فى الدّليل على ما قلنا . ولذلك قال الحطيئة : « خير الشعر الحولىُّ المُحكَّك » . وقال الأصمعىّ[٢] : « زهير بن أبى سُلْمَى ، والحطيئةُ وأشباههما ، عبيدُ الشِّعر » . وكذلك كلُّ من جوّد فى جميع شعره ، ووقَف[٣] عند كلِّ بيت قاله ، وأعاد فيه النّظَر حتى يُخرِجَ أبياتَ القصيدة كلَّها مستويةً فى الجودة . وكان يُقال[٤] : لولا أنّ الشّعرَ قد كان استعبَدَهم واستفرغ مجهودَهم حتّى أدخلَهم فى باب التكلُّف وأصحاب الصنعة ، ومَن يلتمِسُ قَهْرَ الكلام[٥] ، واغتصابَ الألفاظ ، لذهبوا مذهبَ المطبوعين ، الذين تأتيهم المعاني سَهْواً رَهوا[٦] ، وتنثال عليهم الألفاظ انثيالا[٧] . وإنّما الشّعر المحمود كشعر النابغة الجَعْدىّ ورُؤْبة . ولذلك قالوا فى شعره : مِطْرَفٌ بآلاف ، وخمارٌ بوافٍ[٨] . وقد كان يخالف فى ذلك جميع الرُّواة والشعراء . وكان أبو عبيدة يقولُ ويَحكِي ذلك عن يونس[٩] .

ومَن تكسَّبَ بشعره والتمس به صِلات الأشراف والقادة ، وجوائزَ الملوك والسادة ، فى قصائد السِّماطَين ، وبالطِّوال التى تُنشَد يوم الحَفْل ، لم يجِدْ بُدًّا من صَنيع زُهير والحطيئة وأشباههما ، فإذا قالوا فى غير ذلك أخذوا عفوَ الكلام ٢٤٤

(١) فيما عدا ل : « الزيادة » .
(٢) فيما عدا ل : « وكان الأصمعى يقول » .
(٣) فيما عدا ل : « كل من يجود فى جميع شعره ويقف » .
(٤) ل : « يقول » .
(٥) فيما عدا ل : « قعر الكلام » تحريف .
(٦) السهو : السهل اللين . والرهو : السهل الدمث .
(٧) انثالت : اجتمعت وانصبت من كل وجه .
(٨) انظر ما سبق فى (١ : ٢٠٦) .
(٩) مضت ترجمته فى (١ : ١٧٤) . فيما عدا ل : « يقوله » بدل : « يقول » .

وتركوا المجهود ، ولم نرهم مع ذلك يستعملون مثلَ تدبيرهم فى طِوال القصائد فى صنعة طِوَال الخُطب ، بل كان الكلام البائت عندهم كالمقتضب [(١)] ، اقتداراً عليه ، وثقةً بحُسْن عادة الله عندهم فيه . وكانوا مع ذلك إذا احتاجوا إلى الرّأى فى معاظم التّدبير ومُهِمّات الأمور ، ميّثوه فى صدورهم [(٢)] ، وقيّدوه على أنفسهم ، فإذا قوّمه الثّقاف وأُدخِلَ الكِير ، وقامَ على الخَلاص ، أبرزوه مُحَكَّكاً منقّحاً ، ومُصَفًّى من الأدناس مُهذَّبا . قال الربيع بن أبى الحُقَيق [(٣)] لأبى ياسرٍ النَّضِيرى [(٤)] :

فلا تُكثِرِ النَّجوَى وأنت محاربٌ ... تؤامِرُ فيهـا كل نِكسٍ مُقصِّرِ

وقال عبد الله بن وهب الراسبى [(٥)] : « إياى والرأىَ الفَطيرَ » .

وكان يَستعيذ بالله من الرأى الدَّبَرىّ [(٦)] ، الذى يكون من غير رويّةٍ ، وكذلك الجواب الدَّبَرىّ .

وقال سحبانُ وائلٍ : « شرُّ خليطيكَ السَّؤُوم المحزَّم » لأنّ السّؤوم لا يصبر ، وإنما التفاضل فى الصبر . والمحزَّم صَعبٌ لا يَعرفُ ما يُرَاد منه ، وليس الحزم إلّا بالتجارب ، وبأن يكون عقلُ الغريزة سُلَّماً [(٧)] إلى عقل التجربة . ولذلك قال على ابن أبى طالب رضى الله عنه : « رأىُ الشّيخ أحبُّ إلينا من جَلَدِ الشّاب [(٨)] » .

(١) اقتضاب الكلام : ارتجاله ؛ اقتضب : تكلم من غير تهيئة أو إعداد .

(٢) ميثه : ذلله ولينه . فيما عدا ل : « بينوه » صواب هذه « بيتوه » . وما أثبت من ل أعلى .

(٣) ترجم فى (١ : ٢١٣) .

(٤) هو أبو ياسر بن أخطب ، أخو حيىّ بن أخطب ، كلاهما كان يهوديا من أعداء المسلمين ، وكان من العلماء بالتوراة . وفيه وفى عبدالله بن صوريا ووهب بن يهودا ، نزل قوله تعالى : (ومن الذين هادوا سماعون للكذب) . انظر السيرة ٣٥١ ، ٣٥٤ ، ٣٧٧ ، ٣٩٤

(٥) سبقت ترجمته فى (١ : ٢٠٥) ، فيما عدا ل : « وكان عبدالله بن وهب الراسبي يقول » والكلمة هناك برواية أخرى .

(٦) سائر هذه الفقرة من ل فقط .

(٧) فيما عدا ل : « ولأن عقل الغريزة مسلم » .

(٨) فيما عدا ل : « أحب إلى » . وفى أمثال الميدانى : « رأى الشيخ خير من مشهد الغلام » . والجلد ، بالتحريك : القوة والشدة .

ولذلك كرِهوا ركوبَ الصَّعب حتى يَذِلّ ، والمُهرَ الأرِنَ إلا بعد رياضة[١] . ولم يحوِّلُوا المَعانيق هماليجَ إلا بعد [طول] التَّخليع[٢] ، ولم يَحلبوا الزَّبون إلا بعدَ الإبساس[٣] .

* * *

وسنذكر من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مما لم يسبقْه إليه عربيٌّ ، ولا شاركه فيه أعجمى[٤] ، ولم يُدَّعَ لأحدٍ ولا ادّعاه أحد ، مما صار مستعملاً ومثلا سائراً .

فمن ذلك قوله : « ياخيلَ الله اركبى » ، وقوله : « ماتَ حتْفَ أنفه » ، وقوله : « لا تنتطِح فيه عَنْزَان » ، وقوله : « الآنَ حَمِيَ الوَطيس » .

ولمّا قال عدىُّ بنُ حاتمٍ[٥] فى قتل عثمانَ رحمه الله : « لاتَحبِقُ فيه عَنَاقٌ[٦] »

٢٤٥ قال معاوية بن أبى سفيان بعد أن فُقِئت عينه وقُتِل ابنه : يا أبا طريف ، هل حبقتْ فى قتل عثمانَ عَنَاقٌ ؟ قال : إى والله ، والتَّيس الأكبر[٧] ! فلم يصِرْ

---

(١) الأرن والأرون : النشيط . فيما عدا ل : « بعد طول الرياضة » .

(٢) المعانيق : جمع معناق ، وهى السريعة السير . والهملاج : الحسن السير فى سرعة وبخترة . والتخليع : مشى فيه تفكك .

(٣) الزبون : التى تضرب حالبها وتدفعه . والإبساس : صويت للراعى تسكن به الناقة عند الحلب .

(٤) فيما عدا ل : « ولم يشاركه فيه عجمى » .

(٥) هو أبو طريف عدى بن حاتم الطائى الجواد المشهور ، أسلم سنة تسع أو عشر ، وكان نصرانيا قبل ذلك ، وشهد فتوح العراق وسكن الكوفة ، وشهد صفين مع على . ومات بعد الستين بعد أن بلغ ١٢٠ سنة . وذكر أبو حاتم السجستانى أنه عمر ١٨٠ سنة . الإصابة ٥٤٦٧ والمعمرين ٣٦ . وفى المعارف ١٣٦ أنه شهد الجمل ففقئت عينه وقتل ابنه محمد .

(٦) حبق من باب ضرب : ضرط . والعناق ، كسحاب : الأنثى من أولاد المعز . يضرب المثل فى الأمر لا يعبأ به ، والثأر لا يدرك . ولفظه عند الميدانى : « لاتحبق فى هذا الأمر عناق حولية » . والحولية : التى أتى عليها الحول .

(٧) فيما عدا ل : « الأضخم » . وعند الميدانى : « الأعظم » .

كلامُه مَثَلاً ، وصار كلامُ رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا[١] .

ومن ذلك قوله لأبى سفيانَ بن حرب : « كلُّ الصَّيد فى جَوْف الفرَا[٢] » .

ومن ذلك قوله : « هُدْنةٌ على دَخَنٍ ، وجماعةٌ على أقذاء[٣] » ، ومن ذلك قوله : « لا يُلسع المؤمن من جُحْر مرّتين[٤] » .

ألا ترى أن الحارث بن حُدَّان[٥] ، حين أُمِر بالـكلام عند مقتل يزيد بن المهلب ، قال : « أيها الناس ، اتقوا الفِتنة ؛ فإنها تُقْبِل بشُبْهةٍ ، وتُدْبِر ببيان ، وإنّ المؤمن لا يُلسَع من جُحرٍ مرتين » ، فضرب بكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم المثلَ ، ثم قال : «اتقوا عُصَباً تأتيكم من الشّام ، كأنها دِلاءٌ قد انقطع وَذَمُها[٦] »

وقال ابن الأشعث[٧] لأصحابه ، وهو على المنبر : « قد علمنا إن كُنَّا نَعْلم ، وفهِمنا إن كنَّا نفهم ، أنّ المؤمن لا يُلسَع من جُحر مرتين ، وقد والله لُسِعت بكم من جُحرٍ ثلاثَ مرّات ، وأنا أستغفِر الله من كلّ ما خالف الإيمان ، وأعتصِمُ به من كل ما قاربَ الـكُفر »

***

وأنا ذاكرٌ بعد هذا فنًّا آخرَ من كلامه صلّى الله عليه وسلم ، وهو الـكلام

---

(١) يعنى قوله : « لا تنتطح فيه عنزان » .

(٢) قاله حين استأذن أبو سفيان عليه فحجب قليلا ثم أذن له ، فلما دخل عليـه قال : « ما كدت تأذن لى حتى تأذن لحجارة الجلهتين » . فقال صلى الله عليه وسلم هذا القول يتألفه على الإسلام . والجلهة : ناحية الوادى .

(٣) يضرب لمن يضمر أذى ويظهر صفاء . والدخن ، بالتحريك : الحقد .

(٤) ويروى : « لايلدغ » . قاله لأبى عزة الشـاعر ، كان قد أسره يوم بدر ثم من عليه ، وأتاه يوم أحد فأسره ، فقال : من على . فقال عليه السلام هذا القول .

(٥) فيما عدا ل : « بن خذان » تحريف .

(٦) الوذم : جمع وذمة ، وهو السير الذي بين آذان الدلو وعراقيها .

(٧) هو عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، المترجم فى (١ : ٣٢٩) .

الذى قلّ عدد حروفه وكثرتْ معانيه[1]، وجَلّ عن الصَّنعة، ونُزّه عن التكلف، وكان كما قال الله تبارك وتعالى : قل يا محمد : ﴿وماأنا مِنَ المتكلِّفين[2]﴾. فكيف وقد عابَ التشديق، وجانب أصحاب التقعيب[3]، واستعمل المبسوطَ فى موضع البسط، والمقصور فى موضع القصر، وهَجَر الغريبَ الوحشىَّ، ورغِب عن الهجين السُّوقى، فلم ينطِقْ إلا عن ميراثِ حكمةٍ، ولم يتكلَّمْ إلا بكلامٍ قد حُفَّ بالعصمة، وشُيِّد بالتأييد، ويُسِّر بالتوفيق. وهو[4] الكلامُ الذى ألقى اللهُ عليه المحبّةَ، وغشّاهُ بالقبول، وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبَيْن حُسن الإفهام، وقلّة عدد الكلام، مع استغنائه عن إعادته، وقِلّةِ حاجة السامع إلى معاوَدته. لم تسقط له كلمة، ولا زَلّت به قَدَم[5]، ولا بارَتْ له حُجَّة، ولم يَقُم له

٢٤٦ خَصم، ولا أفحمه خطيب، بل يبذُّ الخُطَبَ الطِّوال بالكَلِمِ القِصار[6]، ولا يَلتمِس إسكاتَ الخَصم إلا بما يعرفه الخصم، ولا يحتجُّ إلا بالصِّدق، ولا يطلب الفَلْجَ إلا بالحق[7]، ولا يستعين بالخِلابة، ولا يستعمل المواربة، ولا يهمِز ولا يَلمِز[8]، ولا يُبطِئُ ولا يَعجَل، ولا يُسْهِب ولا يَحْصَر[9]. ثم لم يَسمع الناسُ بكلامٍ قطُّ أعمَّ نفعاً، ولا أقصدَ لفظا، ولا أعدلَ وزناً، ولا أجملَ

---

(١) فيما عدا ل : « وكثر عدد معانيه ».

(٢) الآية ٨٦ من سورة ص، وتلاوتها : « قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين ».

(٣) التقعيب كالتقعير، وهو أن يتكلم بأقصى قعر فمه. انظر ماسبق فى (١ : ١٣). ح : « التقعير » وبذلك بدلت فى ب.

(٤) فيما عدا ل : « وهذا ».

(٥) فيما عدا ل : « له قدم ».

(٦) فيما عدا ل : « بالكلام القصير »

(٧) الفلج، بالفتح وبالتحريك أيضا : الفوز والظفر، كما فى اللسان.

(٨) الهمز : العيب فى الغيبة ؛ واللمز : العيب فى الحضرة.

(٩) حصر يحصر حصرا، من باب تعب : عى فى كلامه.

مذهباً ، ولا أكرمَ مطلباً ، ولا أحسنَ موقعاً ، ولا أسهل مخرجاً ، ولا أفصح معنًى ، ولا أبين فى فحوى(١) ، من كلامه صلى الله عليه وسلم .

قال : ولم أرَهم يذمُّون المتكلِّف للبلاغة فقطْ ، بل كذلك يرَون المتظرِّف والمتكلِّف للغِناء . ولا يكادون يضَعون اسمَ المتكلّف إلا فى المواضع التى يذمُّونها .

قال قيس بن الخطيم :

فما المالُ والأخلاقُ إلا مُعارةٌ   فما اسْطعْتَ من معروفِها فتزوَّدِ(٢)
وإنِّى لَأَغْنَى النّاسِ عن متكلِّفٍ   يرى الناسَ ضُلّالاً وليس بمهتدِ

وقال ابن قَمِيئة(٣) :

وحمّال أثقالٍ إذا هى أعرضت   عن الأصْلِ لا يَسْطِيعُها المتكلِّفُ

***

قال محمّد بن سلام : قال يونس بن حبيب : « ما جاءنا عن أحدٍ من روائع الكلام ما جاءنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

وقد جمعتُ لك فى هذا الكتاب(٤) جُملاً التقطناها من أفواه أصحاب الأخبار . ولعلَّ بعضَ من لم يتّسِع فى العلم ، ولم يعرفْ مقاديرَ الكَلِم ، يظُنُّ أنّا قد تكلّفنا له من الامتداح والتشريف ، ومن التزيين والتجويدما ليس عنده ، ولا يبلغُه قدرُه . كلّا والذى حرَّمَ التزيُّد على العلماء ، وقبّح التكلُّف عند الحكماء ، وبهرَج الكذّابِين عند الفقهاء ، ما يظنُّ هذا إلا من ضلَّ سعيُه !

(١) فيما عدا ل : « أفصح من معناه ولا أبين فى فحواه » . والفحوى : المعنى .

(٢) البيتان من قصيدة لقيس فى ديوانه ٢٠ — ٢٢ .

(٣) هو عمرو بن قميئة بن ذريح بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة ، أحد شعراء الجاهلية ، دخل مع امرئ القيس بلاد الروم فهلك فقيل له « عمرو الضائع » . المؤتلف ١٦٨ والخزانة (٢ : ٢٤٩ — ٢٥٠) والأغانى (١٦ : ١٥٨ — ١٦٠) والمعمرين ٨٩ . وفيه يقول امرؤ القيس (ابن سلام ٥٩) :

بكى صاحبى لما رأى الدرب دونه   وأيقن أنا لاحقان بقيصرا

(٤) فيما عدا ل : « وقد جمعنا فى هذا الكتاب » .

فمن كلامه صلى الله عليه وسلم حين ذكر الأنصار فقال : « أَمَا والله
٢٤٧ ماعَلِمْتُكم إلا لَتَقِلُّون عند الطمع ، وتَكْثُرون عند الفزَع » . وقال : « الناس كلُّهم سواءٌ كأسنان المُشْط » ، و « المرءُ كثيرٌ بأخيه » ، و « لا خيرَ فى صحبة من لا يرى لك مِثلَ ما ترى له(١) » . وقال الشاعر(٢) :

سـواءٌ كأسنانِ الحمار فلا ترى لِذِى شَيْبةٍ منهم على ناشئٍ فَضْلا(٣)

وقال آخر :

شبابهمُ وشِيبهمُ سـواءٌ فهمْ فى اللُّوم أسنانُ الحمارِ(٤)

وإذا حصَّلت تشبيهَ الشاعر وحقيقتَه ، وتشبيهَ النبى صلى الله عليه وسلم وحقيقتَه ، عرفت فضلَ ما بين الكلامين .

وقال صلى الله عليه وسلم : « المسلمون تتكافأ دماؤُهم ، ويَسعَى بذِمّتهم أدناهم(٥) ، [ويردُّ عليهم أقصاهم] ، وهم يدٌ على مَن سواهم(٦) » .

فتفهَّمْ رحمك الله ، قلّة حروفه ، وكثرةَ معانيه .

وقال عليه السلام : « اليدُ العليا خيرٌ من اليد السُّفلى ، وابدأْ بمن تعول » . وقال : « لا تجنِ يمينُك على شِمالك » . وذكَر الخيل فقال : « بطونُها كنز ، وظُهورُها حِرْز » ، وقال : « خير المال سِكّة مأبورة ، وفرسٌ مأمورة(٧) » .

---

(١) فيما عدا ل : « من لا يرى لك ما يرى لنفسه » .

(٢) هو كثير عزة ، كما فى تهذيب الألفاظ ١٩٨ واللسان (سوى) والميدانى (١ : ٣٠١) . ونسب فى ثمار القلوب ٢٩٧ إلى ابن أحمر .

(٣) الرواية المشهورة ، وهى رواية الحيوان (٦ : ١٥٧) : « سواس » ، وهما بمعنى .

(٤) أنشد البيت فى اللسان (سوى) وثمار القلوب ٢٩٧ .

(٥) فى اللسان : « أبو عبيد : الذمة الأمان فى قوله عليه السلام : ويسعى بذمتهم أدناهم » .

(٦) أى كلمتهم واحدة وأمرهم مجتمع لا يسعهم التخاذل » .

(٧) فيما عدا ل : « مهرة مأمورة وسكة مأبورة » . السكة : السطر المصطف من النخل . المأبورة : المصلحة الملقحة . والمأمورة : الكثيرة النتاج والنسل ؛ من قولهم : أمر الله ماله وآمره ، أى كثره وبارك فيه . انظر مقاييس اللغة (١ : ١٣٨) .

وقال : « خير المال عينٌ ساهرة ، لعين نائمة[١] » . وقال : « نِعمت العمّةُ لكم النّخلة ، تغرُس فى أرض خوّارة ، وتشرب من عين خرّارة[٢] » . وقال : «المطعمات فى المَحْل ، الراسخات فى الوَحْلِ » . وقال : « الحُمّى فى أصول النّخل» . وذكر الخيل فقال : «أعرافُها دِفاؤها[٣] ، وأذنابها مَذابُّها» ، و «الخيلُ معقودٌ فى نواصيها الخيرُ إلى يوم القيامة» . وقال : « ليس مِنا مَن حلَق أوصلَق[٤] أو شَقّ » . وقال : « نهيتكم عن عُقوق الأمهات ، ووأد البنات ، ومنعٍ وهاتِ[٥] » . وقال : «الناس كالإبل المائةِ لا تجدُ فيها راحلة[٦] » . وقال : « ما أمْلق تاجرٌ صَدوق » . وجاء فى الحديث : « ما قَلَّ وكَفَى خيرٌ مما كثُرَ وألهى » . وقال : « يحمِل هذا العِلْمَ من كُلِّ خَلَفٍ عُدولُه ، ينفُون عنه تحريفَ الغالينَ ، وانتحالَ المُبْطِلين ، ٢٤٨ وتأويلَ الجاهلين » .

وقال علىُّ بنُ أبى طالبٍ رضى الله عنه : قال رسول الله صلى الله وسلم : « الخَير فى السّيف ، والخيرُ مع السّيف ، والخير بالسيف » . وقال « لا يُورِدنّ مُجْرِبٌ على مُصِحّ[٧] » . وقال : « لا تزالُ أُمّتى صالحاً أمرُها مالم تر الأمانةَ مَغنما والصَّدقة مَغْرَما » . وقال : « رأسُ العقل بعد الإيمان بالله مُداراة الناس[٨] » ، و «لن يهلِكَ امرؤٌ بعد مَشورة » . وقال : «المستشار مُؤتمن » . وقال : «المستشار

---

(١) عين ساهرة ، أى عين ماء تجرى ليلا ونهارا وصاحبها نائم .

(٢) أرض خوارة : لينة سهلة . عين خرارة : جارية لمائها خرير .

(٣) الدفاء ، بالكسر : ما يدفأ به . فيما عدا ل : « أدفاؤها » جمع دفء .

(٤) يعنى حلق الشعر عندالمصيبة . والصلق : رفع الصوت فى المصائب . وسلق ، بالسين لغة فيه . والشق : شق الثياب لذلك .

(٥) فسره فى اللسان (منع) بقوله : « أي منع ماعليه إعطاؤه ، وطلب ماليس له » .

(٦) المائة صفة للإبل . ويروى : « كالإبل مائة » . والراحلة من الإبل : البعير النجيب القوى على الأسفار التام الخلق الحسن المنظر .

(٧) المجرب : صاحب الإبل الجربى . والمصح : من إبله صحيحة .

(٨) مداراة الناس : ملاينتهم وحسن صحبتهم واحتمالهم لئلا ينفروا .

بالخيار ، إن شاء قال و إن شاء أمْسَكَ » ، وقال : « رحم الله عبداً قال خيراً فغنِم أو سكت فسلِم » . وقال : «افصلوا بين حديثكم بالاستغفار» . وقال : «استعينوا على طُول المشْى بالسَّعى » .

وقال للخاتنة[١] : « يا أمّ عطيّة ، أشِمِّيه ولا تنهَكيه ؛ فإنه أسْرَى للوجه ، وأحظَى عند الزَّوج[٢] » ، وقال : « لا تَجْلِسوا على ظَهر الطَّريق ، فإنْ أَبَيْتم فغضُّوا الأبصارَ ورُدُّوا السلام ، واهْدُوا الضَّالَّ، وأعينوا الضعيف » . وقال : « إنّ الله يرضَى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً : يرضى لكم أن تعبدوه ولاتشركوا به شيئاً ، وأن تعتصموا بحبْله جميعاً ولا تفرَّقوا ، وأن تُناصِحُوا من وَلاّه الله أمْرَكم . ويكره لكم قِيلَ وقالَ ، وكثرةَ السُّؤال ، و إضاعةَ المال » . وقال : « يقولُ ابنُ آدمَ : مالى مالى . و إنما لك مِن مالك ما أكلت فأفنَيت ، أولبِست فأبليت ، أو وَهبْتَ فأمضيت » . وقال : « لو أنَّ لابن آدم واديَيْنِ مِن ذهبٍ لسألَ إليهما ثالثاً » . و « لايملأ جوفَ ابنِ آدمَ إلا التُّراب ، و يتوبُ الله على من تاب » . وقال : « إنّ الدُّنيا حُلوة خَضِرة ، و إنّ الله مستعملكم فيها ، فناظرٌ كيف تعملون » . وقال : « إنّ أحبَّكم إلىَّ وأقربَكم منى مجلساً[٣] يومَ القيامة ، أحاسِنُكم أخلاقاً ، الموطَّئُون أكنافاً ، الذين يَألفون ويُؤلَفون . و إنّ أبغضكم إلىَّ وأبعدَكم منِّى مجلساً يومَ القيامة ، الثَّرثارونَ المتشدِّقون المتفيْهِقون » . وقال : « إيَّاىَ والتَّشادُق » . ٢٤٩
وقال : « إيَّاكُم وَالفرُجَ فى الصَّلاة » ، وقال : « لايُؤَمَّنَّ ذو سلطان فى سلطانه ولا يُجْلَس على فراش تكرِمَتِه إلا بإذنه[٤] » . وقال : « إياكم والمُشارَّة ، فإنها

---

(١) فيما عدا ل : « للختانة » . والحديث فى الحيوان (٧ : ٢٨) .

(٢) الإشمام : أن تأخذ منه قليلا . أسرى : أجلى .

(٣) يروى « مجالس » فى الموضعين .

(٤) لايؤمن ، أى لايجعلن مأموما ؛ من قولهم أمّ الإمام الناس فى الصلاة : كان إمامهم . فيما عدا ل : « يأمن » تحريف . وعنى بفراش التكرمة ما يعد من الفرش والسرر لإكرام الرجل .

تميت الغُرَّة، وتحيي العُرَّة[١] » . وقال : « لا ينبغى لِصدِّيق أن يكون لعَّانا » . وكان يقول : « أعوذُ بالله من الأيهمَيْن ، وبَوَار الأيِّم[٢] » . وكان يقول : « أعوذ بالله من دعاء لا يُسْمَع ، ومن قلب لا يخشع ، ومِن علم لا ينفع[٣] » .

وقال له رجل : يا رسولَ الله ، أوصِنى بشىء ينفعنى الله به . قال : « أكثِرْ ذِكْرَ الموْت يُسْلِكَ عن الدُّنيا ، وعليك بالشكر ؛ فإنه يزيد فى النعمة[٤] ، وأكْثر الدُّعاء ؛ فإنّك لا تدرِى متى يُستجاب لك ، وإيَّاك والبَغْى ؛ فإنّ الله قد قضَى أنّه مَن بُغى عليه لينصُرنَّه الله[٥] ، وقال : يَأيُّها النّاسُ إنما بَغْيُكم على أنفسكم . وإيَّاك والمَكر ؛ فإنّ الله قد قضَى ألّا يَحيق المكرُ السَّيِّئ إلا بأهله » .

وقيل : يا رسول الله ، أىُّ الأعمالِ أفضل ؟ فقال : « اجتنابُ المحارمُ ، وألاّ يزَالَ فوكَ رَطْباً من ذِكر الله » .

وقيل [له] : أىُّ الأصحاب أفضل ؟ قال : « الذى إذا ذُكِرْتَ أعانَك ، وإذا نُسِيت ذَكَّرك » .

وقيل : أىُّ الناس شرٌّ ؟ قال : « العلماء إذا فسدوا » .

وقال : « دَبَّ إليكم داء الأمم مِن قَبْلِكم : الحسد والبَغْضاء . والبَغْضاء هى الحالقة ، حالقة الدِّين لا أقول حالقة الشعر . والذى نَفْسُ محمّدٍ بيده لا تُؤمنون حتى تَحَابُّوا . ألا أُنبّئكم بأمرٍ إذا فعلتموه تحابَبْتم ؟ » فقالوا : بلى يا رسول الله

---

(١) المشارة : المعاداة والمخاصمة ، مفاعلة من الشر . والعُرة : القذر ، استعيرت الغرة والعرة للمحاسن والمثالب .

(٢) الأيهمان : الأعميان ، وهما السيل والحريق ، أو البعير المغتلم الهائج والسيل ؛ لأنه لا يهتدى فيهما كيف العمل . والأيم : التى لا زوج لها بكرا كانت أو ثيبا ، أو هى التى مات عنها الزوج .

(٣) فيما عدا ل : « وقلب لا يخشع وعلم لا ينفع » .

(٤) فيما عدا ل : « فإن الشكر » .

(٥) موضع الكلام من « وإياك » إلى هنا ، فيما عدا ل ، بعد كلمة « أنفسكم » التالية ، وبذا يضطرب الكلام .

قال(١) : « أَفْشُوا السَّلام(٢) ، وصِلُوا الأرحام » .

وقال : « تَهادَوْا تَحابُّوا » .

وعن الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أوصانِى ربِّى بتسع: أوصانِي بالإخلاص فى السِّرِّ والعَلانية ، و بالعَدْل فى الرِّضَى والغضَب ، و بالقَصد فى الغنى والفقر ، وأن أعفُوَ عمّن ظلمنى ، وأُعطِيَ مَن حرمنى ، وأَصِلَ مَن قطعنى وأن يكون صَمْتى فِكْراً ، ونطقى ذِكْراً ، ونَظَرِى عِبَرا » .

وثلاثُ كلماتٍ رُوِيت مُرسلةً ، وقد رُوِيت لأقوامٍ شتّى ، وقد يجوز أن

٢٥٠ يكونوا حكوها ولم يُسْنِدُوها(٣) . منها قوله : « لو تكاشَفْتم لَمَا تدافَنْتم(٤) » . ومنها قوله : « النّاس بأزمانهم ، أشبَهُ منهم بآبائهم » . ومنها قوله : « ما هلكَ امرؤٌ عرَفَ قدره » .

وقد ذكر إسماعيل بن عَيّاش(٥) ، عن عبد الله بن دينار(٦) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنّ الله كَرِه لكم العَبَث فى الصَّلاة ، والرَّفَث فى

---

(١) الكلام بعد « تحابوا » إلى هنا من ل فقط .

(٢) فيما عدا ل : « السلام بينكم » .

(٣) فيما عدا ل : « أن يكون إنما حكوها ولم يبتدوها » .

(٤) رواه فى اللسان (دفن) وفسر التدافن بالتكاتم . وقال : « أى لو تكشف عيب بعضكم لبعض » . ورواه فى (كشف) وقال : « ابن الأثير : أى لو علم بعضكم سريرة بعض لاستثقل تشييع جنازته ودفنه »

(٥) فيما عدا ل : « وقال إسماعيل بن عياش » . وهو أبو عتبة إسماعيل بن عياش بن سلم العنسى الحمصى ، حافظ ثقة . قيل كان أهل حمص يتنقصون على بن أبى طالب ، حتى نشأ فيهم إسماعيل بن عياش ، فحدثهم بفضائله فكفوا ، وكان قد وفد على المنصور ، فولاه خزانة الثياب . تذكرة الحفاظ (١ : ٢٣٣) وتهذيب التهذيب ، وتاريخ بغداد ٣٢٧٦ .

(٦) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن دينار العدوى المدنى ، كان من صالحى التابعين كثير الحديث . توفى سنة ١٢٧ . تهذيب التهذيب وتذكرة الحفاظ (١ : ١١٨) .

الصِّيام ، والضَّحِكَ عند المقابر » . وقال : « إذا أذَّنْتَ فترسَّلْ ، و إذا أقمْتَ فأَجْذِمْ(١) » .

وحدَّثنا إسماعيل بن عَيَّاش [الحمصى] ، عن الحسن بن دينار(٢) عن الخصيب ابن جحدر(٣) ، عن رجلٍ ، عن مُعاذ بن جَبَل(٤) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس مِن أخلاق المؤمن الملَقُ إلا فى طَلَب العلم » .

ومن حديث أنس بن مالك أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « قيِّدوا العلمَ بالكتاب » . وقال : « يقول الله : لولا رجالٌ خُشَّع ، وصبيانٌ رُضَّع ، وبهائمُ رُتَّع ، لصببتُ عليكم العذابَ صبًّا » .

ومن حديث [عبد الله] بن المبارك(٥) يرفعه قال : « إذا سادَ القَبيلَ فاسِقُهُمْ ، وكان زعيمَ القومِ أرذلَهم ، وأُكْرِمَ الرَّجلُ اتِّقاءَ شرِّه ، فلينتظروا البلاء » .

---

(١) الإجذام : الإسراع . ل : « فأخذم » تحريف .

(٢) هو أبو سعيد الحسن بن دينار البصرى . نسب إلى زوج أمه دينار ، واسم أبيه واصل . روى عن الحسن وابن سيرين وعبد الله بن دينار ، وروى عنه الثورى وأبو يوسف القاضى ، وكان يرى رأى القدرية . لسان الميزان (٢ : ٢٠٣) وتهذيب التهذيب .

(٣) الخصيب بن جحدر ، ترجم له فى لسان الميزان (٢ : ٣٩٨) وذكر أنه يروى عن عمرو بن دينار وأبى صالح السمان . توفى سنة ١٤٦ .

(٤) فيما عدا ل : « وهو من حديث معاذ بن جبل » . ومعاذ بن جبل صحابي جليل ، وهو أحد من جمع القرآن على عهد الرسول ، شهد بدرا وهو ابن إحدى وعشرين ، وأمره الرسول على اليمن وكتب إلى أهل اليمن : « إنى بعثت لكم خير أهلى » . وقدم من اليمن فى خلافة أبى بكر . وتوفي بالطاعون فى الشام سنة ١٧ .

(٥) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك الحنظلى التميمى المروزى مولاهم ، كان أبوه تركيا وأمه خوارزمية ، كان من كبار الحفاظ ، بلغت كتبه التى حدث بها نحو عشرين ألفاً . جمع العلم والفقه والأدب والنحو واللغة والشعر والفصاحة والزهد والورع والإنصات وقيام الليل والعبادة والحج والغزو والفروسية والشجاعة والشدة فى بدنه ، وترك الكلام فيما لا يعنيه ، وقلة الخلاف على أصحابه . ولد سنة ١١٨ وتوفى سنة ١٨١ . تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٤ : ١٠٩) وتذكرة الحفاظ (١ : ٢٥٣) وتاريخ بغداد ٥٣٠٦ .

ومن أحاديث ابن أبي ذئب [١] عن المَقْبُرى [٢]، عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ستَحرِصون على الإمارة ، فنعمتِ المُرْضِعُ ، و بئست الفاطمة [٣] » .

ومن حديث عبد الملك بن عمير [٤] ، عن عبد الرحمن بن أبى بكرة [٥]، عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يحكم الحاكم بين اثنين وهو غضبان » .

ومن حديث عبد الله بن المبارك ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنّ قوماً ركبوا سفينةً فى البحر فاقتسموا ، فصار لكلِّ رجلٍ موضعٌ ، فنَقَر رجلٌ موضعَه بفأس فقالوا : ما تصنع ؟ قال : هو مكانى أصنَعُ به ماشئت . فإنْ أخَذوا على يديه نجا ونجوا ، و إنْ تركوه هلك وهلكوا » .

---

(١) ابن أبى ذئب ، هو محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبى ذئب — واسمه هشام — بن شعبة بن عبد الله بن أبى قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى القرشى المدنى . كان من أوثق المحدثين وأورعهم وأقومهم بالحق . وهو الذى قال للمنصور : « الظلم فاش ببابك » . وقيل إن المهدى حج فدخل المسجد فلم يبق إلا من قام ، إلا ابن ذئب ، فقيل له : قم فهذا أمير المؤمنين ! فقال : إنما يقوم الناس لرب العالمين ! وكان يرى القدر ومالك يهجره من أجله . ولدعام الجحاف سنة ٨٠ وتوفى سنة ١٥٨ . تهذيب التهذيب ، وتذكرة الحفاظ (١ : ١٧٩) وتاريخ بغداد ٧٨٧ وصفة الصفوة (٢: ٩٨) والمعارف ٢١٢ .

(٢) فيما عدا ل : « عن المغيرة » تحريف . والمقبرى ، هو أبو سعد سعيد بن أبى سعيد — واسمه كيسان — المقبرى . نسبه إلى مقبرة بالمدينة كان مجاوراً لها . روى عن أبى هريرة وعائشة ومعاوية وأنس ، وعنه مالك وابن أبى ذئب والليث بن سعد ، وقال ابن معين : أثبت الناس فى سعيد ابن أبى ذئب . توفى سنة ١٢٣ . السمعانى ٥٣٩ ، وتذكرة الحفاظ (١ : ١١) وتاريخ دمشق لابن عساكر ، وتهذيب التهذيب .

(٣) فيما عدا ل — وهو يطابق مافى اللسان (رضع) — : «فنعمت المرضعة » . فمن أدخل الهاء جعله نعتاً ، أى المرضعة ، ومن حذفها أراد الاسم .

(٤) ترجمة عبد الملك بن عمير فى (١ : ٥٧) .

(٥) هو أبو بحر عبد الرحمن بن أبى بكرة نفيع بن الحارث الثقفى البصرى ، وهو أول مولود ولد فى الإسلام بالبصرة فأطعم أبوه أهل البصرة جزوراً فكفتهم ، تابعى ثقة ، ولاه على بيت المال ، ثم ولاه ذاك زياد . ولد سنة ١٤ وتوفى سنة ٩٦ . تهذيب التهذيب . وقد سبقت ترجمة أبيه نفيع فى (١ : ١٧٣ ، ٣٢٧) .

وقال : « عَلّق سوطَك حيثُ يراه أهلُك » .

ودخل السَّائب بن صَيفيّ[١] ، على النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، أتعرفنى ؟ فقال : « كيف لا أعرف شريكى الذى [كان] لا يُشارِينى ولا يُمارِينى[٢] » . ٢٥١

وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلم : « يُؤتَى بالوالى الذى يَجْلِدُ فوق ما أمرَهُ الله تعالى[٣] فيقول له الربُّ تعالى : أىْ عبدِى ، لِمَ جَلدتَ فوقَ ما أمرتُكَ به؟ فيقول : ربِّ غضبتُ لغضبك . فيقول : أكان ينبغى لغضَبك أن يكون أشدَّ من غضَبى ؟ ! ثم يؤتى بالمقصِّر فيقول : عبدى ، لمَ قصَّرت عمّا أمرتُك به ؟ فيقول : ربِّ ، رحِمْته . فيقول : أكان ينبغى لرحمتك أن تكون أوسَعَ من رحمتى ؟ ! قال : فيأمر فيهما بشىء قد ذَكره لا أعرفه ، إلاّ أنه قال : صيِّرهما إلى النار » .

وكيع[٤] قال : حدثنا عبد العزيز بن عمر[٥] ، عن قَزَعَة[٦] قال : قال لى ابنُ عمر[٧] : أودِّعك كما ودّعنى رسول الله صلَّى الله عليه وسلم : « أستودِع

---

(١) السائب بن صيفى بن عائذ بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، من جلة الصحابة ، كان شريك النبي صلى الله عليه وسلم فى الجاهلية ، وكان فى قتال أهل الردة ، وأدرك زمان معاوية . الإصابة ٣٠٥٩ .

(٢) لا يشارى ، من الشر ، على إبدال إحدى الراءين ياء . لا يمارى : لا يخاصم فى شىء ليست له منفعة .

(٣) فيا عدا ل : « ما أمر الله به » .

(٤) هو أبو سفيان وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسى الكوفى الحافظ العابد . أراد الرشيد أن يوليه قضاء الكوفة فامتنع . ولد سنة ١٢٨ وتوفى سنة ١٩٦ . تذكرة الحفاظ (١ : ٢٨٢) وتهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ١٠٢) .

(٥) هو عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، المترجم فى (١ : ٢٧٧) .

(٦) هو أبو الغادية قزعة بن يحيي البصري ، مولى زياد بن أبى سفيان ، روى عن ابن عمر وابن عمرو بن العاص وأبى هريرة ، وعنه قتادة ومجاهد وعمرو بن دينار وغيرهم . تابعى ثقة . تهذيب التهذيب .

(٧) هو الصحابى الجليل عبد الله بن عمر بن الخطاب . كان كثير الحديث شديد الورع . ولد سنة ثلاث من البعثة ، وتوفى سنة ٧٣ من الهجرة . ويقال إن الحجاج دس له السم . الإصابة ٤٨٢٥ وصفة الصفوة (١ : ٢٢٨) ووفيات الأعيان والمعارف ٨٠ .

اللهَ دينَك وأمانتَك وخواتِمَ عملك[١] » .

وقال : « كلُّ أرضٍ بسَمائِها » .

وروى سعيد بن عُفَير[٢] عن ابن لَهِيعَة[٣] ، عن أشياخه ، أنّ النبى صلى الله عليه وسلم كتب إلى وائل بن حُجْر الحضرمىّ ولقومه : « مِن محمّد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الأقيال العباهلة من [أهل] حضرَموت ، باقامِ الصلاة وإيتاء الزكاة ، على التِّيعة شاةٌ ، والتِّيمة لصاحبها[٤] ، وفى السُّيوب الُخمس[٥] . لاخلاط ، ولا وِراط[٦] ، ولا شِناق ؛ ولا شِغَار[٧] ، ومن أجْبَى فقد أربى[٨] . وكلُّ مُسْكرٍ حرام » .

ومن حديث راشد بن سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تغالُوا بالنّساء[٩] فإنما هُنّ سُقْيا الله » . وقال : « خير نساء رَكِبْن الإبلَ صوالح

---

(١) فيما عدا ل : « خواتم » ، وكلاهما صحيح .

(٢) هو سعيد بن كثير بن عفير الأنصاري المصري ، قال فى تهذيب التهذيب : « وقد ينسب إلى جده » ، روى عن الليث ومالك وابن لهيعة ، وعنه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائي . وكان من أعلم الناس بالأنساب والأخبار والمناقب والمثالب . وقال الحاكم : يقال إن مصر لم تخرج أجمع للعلوم منه ، ولد سنة ١٤٧ وتوفى سنة ٢٢٦ . انظر التهذيب وتذكرة الحفاظ (٢ : ١٥) .

(٣) هو عبد الله بن لهيعة المترجم فى (١ : ٣٦٢) .

(٤) التيعة ، بالكسر : الأربعون من الغنم . والتيمة ، بالكسر : الشاة الزائدة على الأربعين .

(٥) السيوب : جمع سيب ، يراد به المال المدفون فى الجاهلية .

(٦) الخلاط : أن يخلط رجل إبله بإبل غيره أو بقره أو غنمه ، ليمنع حق الله منها . والوراط : الخديعة والغش .

(٧) الشناق : ما بين الفريضتين من الإبل والغنم ، فما زاد على الفريضة لا يؤخذ منه شيء حتى تتم الفريضة الثانية . والشغار : أن يزوج الرجل الرجل حريمته على أن يزوجه الآخر حريمته ، ويكون مهر كل واحدة منهما بضع الأخرى ، وقد كان ذلك فى الجاهلية .

(٨) الإجباء : بيع الزرع قبل إدراكه . والإرباء من الربا .

(٩) فيما عدا ل : « فى النساء » . وفى اللسان : « لا تغالوا صدقات النساء . وفى رواية لا تغالوا صدق النساء » .

نساءِ قريش ، أحناهُ على ولدٍ فى صغره ، وأرعَاه على بعلٍ فى ذات يده[١] » .

مُجالِد عن الشَّعبى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهمَّ أذهِبْ مُلك غسّان ، وضَعْ مهور كِنْدةَ » .

والذى يدلُّك على أنّ الله عزّ وجلَّ قد خصّه بالإيجاز وقلة عدد اللفظ ، مع كثرة المعانى ، قولُه صلى الله عليه وسلم : « نُصِرتُ بالصَّبَا وأُعطيتُ جوامعَ الكلم » . ومما روَوا عنه صلى الله عليه وسلم من استعمالِهِ الأخلاقَ الجميلة ، والأفعال الشريفة وكثرة الأَمْر بها ، والنّهى عما خالف عنها ، قولُه : « مَن لم يقبَلْ من ٢٥٢
من متنصِّل عُذراً صادقاً كان أو كاذباً ، لم يَرِدْ على الحوض[٢] » . وقال فى آخر وصِيَّته : « اتقوا الله فى الضعيفين » .

وكلّمته جاريةٌ مِن السَّبْى[٣] فقال لها : مَن أنتِ ؟ فقالت : أنا بنت حاتم الجوّاد[٤] . فقال صلى الله عليه وسلم : « ارحموا عزيزاً ذلّ ، ارحموا عالِماً ضاع بين جُهّال » .

وقال : « سُرعة المشى تذهَب ببهاء المؤمن » .

وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الأحاديث ستكثُرُ بعدى كما كثُرَت على الأنبياء[٥] مِن قَبْلى ، فما جاءكم عنّى فاعرِضُوه على كتاب الله ، فما وافقَ كِتاب الله ، فهو عنّى ، قلتُه أو لم أَقُلْه » .

وسُئلت عائشةُ رضى الله عنها عن خُلُق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: «خُلُقُ القرآن» ، وتلَتْ قولَ الله تبارك وتعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ .

---

(١) قال ابن الأثير : إنما وحد الضمير ذهابا إلى المعنى ، تقديره أحنى من وجد أو خلق .
(٢) المتنصل : المعتذر المتبرئ من ذنبه .
(٣) فيما عدا ل : « فى السبى » .
(٤) فيما عدا ل : « بنت الرجل الجواد حاتم » .
(٥) فيما عدا ل : « ستكثر عنى بعدى كما كثرت عن الأنبياء » .

قال محمد بن عليّ[١] : أدَّبَ الله عليه وسلم بأحسن الآداب ، فقال : ﴿ خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بِالعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ ﴾ فلما وعى قال : ﴿ مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ ﴾ .

حدثنا عليُّ بن مجاهد ، عَن هِشام بن عُروة[٢] ، قال : سَمِع عمر بن الخطاب رحمه الله رجلاً ينشد :

متى تأتِهِ تعشُو إلى ضوءِ نارِه تجدْ خيرَ نارٍ عندها خيرُ مُوقِدِ[٣]

فقال عمر : ذاكَ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد كان الناس يستحسنون قولَ الأعشى :

تُشَبُّ لِمقْرورَينِ يصطليانِها وباتَ على النار النّدى والمُحلِّق[٤]

فلما قال الحطيئة البيتَ الذى كتبنا قبلَ هذا سقط بيتُ الأعشى .

٢٥٣ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يزال المسروقُ منه فى تُهَمَةِ مَن هو برىء ، حتى يكونَ أعظمَ جُرْماً من السَّارق » .

وقال أبو الحسن : أجْرَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الخيلَ وسَبّق بينها[٥] ، فجاء فرسٌ له أدْهَمُ سابقاً ، فجثا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ركبتيه وقال : « ما هو إلاّ بَحْرٌ » . فقال[٦] عمر بن الخطاب : كَذَبَ الحُطيئةُ حيث يقول :

وإنَّ جيادَ الخيل لا تستفزُّنا ولا جاعلاتُ العاج فوقَ المعاصِمِ

---

(١) هو محمد بن على بن عبد الله بن عباس ، والد السفاح والمنصور ، وأول من نطق بالدعوة بالعباسية . توفى سنة ١٢٥ . تهذيب التهذيب .

(٢) ترجم على فى (١ : ٣٠١) وهشام فى (١ : ٢٥٢) .

(٣) البيت للحطيئة فى ديوانه ٢٥ .

(٤) المحلق هذا ، هذا رجل من بنى بكر بن كلاب . ضبط فى اللسان بكسر اللام .

(٥) فيما عدا ل : « وسابق بينها » . (٦) فيما عدا ل : « وقال » .

وقد زعم ناسٌ من العلماء أنه لم يستفزَّه سَبْق فرسِه ، ولـكنَّه أراد إظهارَ حُبِّ الخيل وتعظيمِ شأنها .

وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يأكلُ على الأرض ، ويجلس على الأرض (١) ويلبَس العَباء ، ويُجالِس المساكين ، ويمشى فى الأسواق ، ويتوسَّدُ يدَه (٢) ، ويُقِصُّ مِن نفسه ، ويَلطَعُ أصابعَه ، ولا يأكل متّكئا ، ولم يُرَ قطُّ ضاحكاً مِلءَ فيه . وكان يقول : « إنّما أنا عبدٌ آكُل كما يأكل العبد ، وأشرب كما يشرب العبد ، ولو دُعيت إلى ذِراعٍ لأَجبت ، ولو أُهْدِىَ إلىَّ كُرَاعٌ لقبلت » . ولم يأكُلْ قطُّ وحدَه ، ولا ضَرب عبدَه ، ولا ضرب أحداً بيده إلاَّ فى سبيل ربِّه . ولو لم يكُن مِن كرم عَفوه وثَخَانة حِلْمه (٣) ، إلاّ ما كان منه يومَ فتحِ مكة ، لقد كان ذلك مِن أكمل الـكمال وأوضح البرهان (٤) . وذلك أنَّه حين دخل مكة عَنْوةً وقد قَتلوا أعمامَه وبنى أعمامه ، وأولياءَه وأنصاره (٥) ، بعد أن حَصَروه فى الشِّعَاب ، وعذَّبوا أصحابه بأنواع العذاب ، وجرحوه فى بدَنِه (٦) ، وآذَوه فى نفسه ، وسفُهوا عليه ، وأجمعوا على كيده . فلمّا دخلها بغير حمدهم ، وظَهَر عليها على صُغْرٍ منهم (٧) ، قام خطيباً فيهم ، فحمِد الله وأثنى عليه ثم قال : « أقُول كما قال أخى يوسفُ : لَا تَثْرِيبَ عَلَيْـكُمْ اليَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَـكُمْ وهُوَ أرْحَمُ الرَّاحِمِينَ » .

وإنما نقول فى كل باب بالجملة من ذلك المذهب ، وإذا عرفتم أولَ كلِّ بابٍ كنتم خُلقاء أن تعرِفوا الأَواخر بالأوائل ، والمصادر بالموارد . ٢٥٤

(١) فيما عدا ل : « يجلس على الأرض ويأكل على الأرض » .

(٢) فيما عدا ل : « يده الشريفة » .

(٣) قالوا : رجل ثخين : حليم رزين ثقيل فى مجلسه . فيما عدا ل : « رجاحة » .

(٤) وأوضح البرهان ، من ل فقط .

(٥) فيما عدا ل : « وقادة أنصاره » .

(٦) ل : « يديه » والصواب ما أثبت من سائر النسخ .

(٧) أى غلب على مكة وهم فى ذلة . فيما عدا ل : « وظهر عليهم » .

خطبة النبي صلى الله عليه وسلم في الوداع (١)

قال صلى الله عليه وسلم (٢) : الحمدُ لله ، نَحْمَده ونَستعِينه ، ونستغفرُه ونتوبُ إليه ، ونعوذُ بالله مِن شُرور أنفسِنا ، ومِن سيِّئات أعمالنا . مَن يَهْدِ الله فلا مُضِلّ له ، ومن يُضْلِلْ فلا هادِيَ له . وأشهَدُ أن لا إله إلاّ اللهُ وحْدَه لا شريك له ، وأنَّ محمّدًا عبدُه ورسولُه . أُوصيكم عِبادَ الله بتقوى الله ، وأحُثّكُمْ على طاعته ، وأستفتِحُ بالذى هو خير . أمّا بعد ، أيُّها الناس اسمعُوا منِّى أبيِّنْ لكم ، فإنِّى لا أدرِى ، لعَلِّى لا ألقاكم بعدَ عامى هذا فى موقِفى هذا . أيُّها الناس : إنّ دماءَكم وأموالَكم عليكم حرام (٣) إلى أنْ تلقَوْا ربَّكم ، كحُرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا .

ألا هل بَلَّغت ؟ اللّهم اشهَدْ (٤) !

فمَنْ كانت عِنده أمانةٌ فليؤدِّها إلى الذى ائتمنَه عليها . وإنَّ رِبا الجاهليّة موضوع (٥) ، وإنّ أوّل رِبًا أبدأُ به رِبَا عمِّى العباسِ بنِ عبد المطّلب . وإنّ دماءَ الجاهليـة موضوعة ، وأوّلُ دمٍ نبدأ به دمُ عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطّلب . وإنّ مآثِرَ الجاهلية موضوعة ، غير السَّدانة (٦) والسِّقاية .

---

(١) فيما عدا ل : « ومن خطبه صلى الله تعالى عليه وسلم خطبة الوداع وهى » .

(٢) هذه العبارة من ل فقط . والخطبة فى الطبرى (٣ : ١٦٨) وابن الأثير (٢ : ١٤٦) وابن أبى الحديد (١ : ٤١) والعقد وإعجاز القرآن وسيرة ابن هشام ٩٦٨ وسائر كتب السير .

(٣) فيما عدا ل : « حرام عليكم » .

(٤) فيما عدا ل : « فاشهد » فى هذا الموضع وسائر المواضع .

(٥) يقال وضعت عنه الدين والجزية ونحوهما ، إذا أسقطته .

(٦) السدانة : خدمة الكعبة . وهى بفتح السين وكسرها ، كما فى اللسان . وضبطت فى القاموس بالفتح ، وفى المصباح بالكسر . وكانت السدانة واللواء لبنى عبد الدار فى الجاهلية ، فأقرها الرسول لهم فى الإسلام . والسقاية : ما كانت قريش تسقيه الحجاج من الزبيب المنبوذ فى الماء .

والعَمْد قوَد(١) ، وشِبْه العمد ما قُتل بالعصا والحجَر ، وفيه مائةُ بعير ، فمن زاد فهو من أهل الجاهليّة .

أيُّها الناس ، إنّ الشيطان قد يَئس أن يُعبدَ فى أرضكم هذه ، ولكنّه قد رضى أن يُطاعَ فيما سوى ذلك ممّا تَحْقِرون من أعمالكم .

أيُّها النّاس : إنّ النّسىء(٢) زيادةٌ فى الكُفْر يُضَلُّ به الّذِينَ كَفَرُوا يُحِلّونَهُ عاماً وَيُحَرِّمُونَهُ عاماً لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ ما حَرَّمَ اللهُ(٣) فَيُحِلّوا ما حَرَّمَ الله . إنَّ الزّمانَ قد استدار كهيئته يومَ خلق اللهُ السَّمٰوات والأرض . وإنّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ الله اثْنَى عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السّموات والأَرْض ، مِنْها أَرْبَعَةُ حُرُمٌ : ثلاثةٌ متواليات ، وواحدٌ فرد . ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، **٢٥٥**
ورجَبٌ الذى بين جُمادى وشعبان .

ألا هَلْ بلّغْت ؟ اللّهم أشهد !

أيُّها النّاس إنّ لنسائكم عليكمْ حَقّا ، ولكم عليهنّ حق ، لكم عليهنّ ألاّ يُوطِئْن فُرُشَكم غيرَكم ، ولا يُدخِلْن أحداً تكرهونه بيوتَكم إلاّ بإذنكم ، ولا يأتِين بفاحشةٍ مبيِّنةٍ ، فإنْ فعلْنَ فإنّ الله قد أذِن لكم أن تعضُلوهن وتهجروهنّ فى المضاجع ، وتضرِبُوهنّ ضرباً غير مبرِّح ، فإن انتهين وأطعنَكم فعليكم رِزقُهنّ وكُسوتُهُنّ بالمعروف . وإنّما النساء عندكم عَوَانٍ لا يملكن لأنفسهنّ شيئا(٤) ، أخذتُموهنّ بأمانة الله ، واستحللتم فروجَهُنّ بكلمة الله . فاتّقوا الله فى النِّساء فاستوصوا بهنّ خيراً .

ألا هل بلّغتُ ؟ اللهم اشهد !

---

(١) أى فى القتل المتعمد القود . وهو بالتحريك : قتل القاتل بالقتيل .
(٢) كذا ورد فى جميع النسخ . ونص الآية : (إنما النسىء) .
(٣) سائر الآية من ل فقط .
(٤) **العوانى** : جمع عانية ، وهى الأسيرة ، أى هن عندكم بمنزلة الأسرى .

أيُّها الناس ، إنّما المُؤْمنُونَ إخْوَةٌ ، ولا يحلُّ لامرِئٍ مُسْلِمٍ (١) مالُ أخيه إلاّ عن طيب نفْسٍ منه .

ألاَ هل بلّغت ؟ اللهم اشهد !

فلا ترجِعُنّ بعدى كُفّارا يضربُ بعضُكم رقابَ بعض ، فإنِّى قد تركتُ فيكم ما إنْ أخذتُم به لن تَضلّوا [بعدَه] ، كتابَ الله .

ألا هل بلّغت ؟ اللهم اشهد !

أيُّها الناس ، إنّ ربَّكم واحد ، وإنّ أباكم واحد . كلُّكم لآدمَ وآدمُ مِن تراب . أكرمُكم عِندَ الله أتقْاكُم ، إنَّ الله عليم خبيرٌ . وليس لعربىٍّ على عجَمىٍّ فضلٌ إلاّ بالتّقوى .

ألاَ هل بلّغت ؟ اللهمّ اشهد !

قالوا : نعم . قال : فليبلِّغ الشّاهدُ الغائب .

أيُّها الناس ، إنّ الله قَسَم لكلِّ وارث نصيبَه من الميراث ، فلا تجوزُ وصيّةٌ لوارث ، ولا تجوز وصيّةٌ فى أكثَرَ من الثّلُث . والوَلدُ للفِراش ، وللعاهرِ الحجَرُ . من ادّعى إلى غير أبيه ، أو تولّى غير مُواليه فعليه لعنةُ الله والملائكة والنّاس أجمعين ، لا يُقبل مِنه صَرفٌ ولا عَدْلٌ (٢) . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

***

وعن الحسن قال : جاء قيسُ بن عاصم إلى النبى صلى الله عليه وسلم فلما رآه (٣) قال : هذا سيِّد أهلِ الوبر . فقال : يا رسول الله ، خبِّرنى عن المال الذى لا يكون

---

(١) هذه الكلمة من ل فقط .

(٢) أى لا يقبل منهم شىء . وأصل العدل أن يقتل الرجل بالرجل ، والصرف : أن ينصرف عن الدم إلى أخذ الدية .

(٣) فيما عدا ل : « نظر إليه » .

علىَّ فيه تَبِعة(١) من ضيف ضافنى ، أو عيالٍ كَثُرُوا علىَّ . قال : « نعم المال الأربعون ، والأكثرُ الستّون ، وويلٌ لأصحاب الثمانين(٢) إلاّ مَن أعطى ٢٥٦ فى رِسْلها ونَجْدتها(٣) ، وأطرَقَ فَحْلها(٤) ، وأفْقَرَ ظَهرها(٥) ، ونَحر سمينَها ، وأطعم القانع والمُعترَّ(٦) » . قال : يا رسول الله ، ما أكرمَ هذه الأخلاقَ وأحسنها ، وما يَحُلُّ بالوادى الذى أكونُ فيه أكثَرُ من إبلى . قال : فكيف تصنع بالطَّرُوقة ؟ قال : تغدو الإبل ويغدو الناس ، فمن شاء أخذ برأسِ بعيرٍ فذهب به . قال : فكيف تصنع بالإفقار(٧) ؟ قال إنى لأُفقِرُ البَكْرَ الضَّرَعَ(٨) ، والنّابَ المسنّة . قال : فكيف تصنعُ بالمَنيحة(٩) ؟ قال : إنّى لأمنَحُ فى كلِّ سنةٍ مائة . قال : فأىُّ المالِ أحبُّ إليك ، أمالُك أم مالُ مولاك ؟ قال : بل مالى . قال : « فمالَكَ من مالك إلا ما أكلتَ فأفنيت ، أو لبِستَ فأبلَيْتَ ، أو أعطيْتَ فأمضيت ، وما سِوى ذلك للوارث » .

وذكر أبو المقدام هشام بن زياد(١٠) ، عن محمّد بن كعب القُرَظىّ(١١) قال :

---

(١) التبعة : ما يتبع المال من نوائب الحقوق . ل : « تبع » .

(٢) فيما عدا ل : « المئين » .

(٣) فى رسلها ، أى بطيب نفس منه ، وفى نجدتها : ألا تطيب نفسه بإعطائها ويشتد عليه . وقيل الرسل الخصب ، والنجدة والشدة .

(٤) أطرق فحله : أعاره غيره ليضرب فى إبله .

(٥) أفقر ظهرها : أعاره للركوب .

(٦) القانع : الذى يسأل . والمعتر : الذى يطيف بك يطلب ما عندك ، سألك أو سكت عن السؤال .

(٧) الإفقار فسر قريبا ، فيما عدا ل : « فى الإفقار » .

(٨) البكر : الفتى من الإبل بمنزلة الشاب من الناس . والضرع ، بالتحريك : الضعيف .

(٩) المنيحة : أن يجعل الرجل لبن شاته أو ناقته لآخر ، سنة .

(١٠) أبو المقدام هشام بن زياد بن أبى يزيد القرشى المدنى ، ضعيف لا يحتج بحديثه . تهذيب التهذيب .

(١١) هو أبو حمزة محمد بن كعب بن سليم بن أسد القرظى المدنى ، كان أبوه من سبى قريظة ، كان محمد ثقة عالما كثير الحديث ورعا . توفى سنة ١١٧ . تهذيب التهذيب والسمعانى ٤٤٨ وصفة الصفوة (٢ : ٧٥)

دخلتُ على عمرَ بنِ عبد العزيز فى مرضه الذى مات فيـه ، فجعلت أُحِدُّ النظرَ إليه ، فقال لى : يا ابنَ كعبٍ ، ما لكَ تُحِدُّ النَّظرَ إلىّ ؟ قلت : لِمَا نَحَلَ مِن جسمك ، وتغَيَّر مِن لونك . قال : فـكيف لو رأيتنى بعد ثالثةٍ فى قبرى ، وقد سالَتْ حدَقتاىَ على وَجنتى ، وابتَدَر فمى وأنفِى صـديداً ودُودا ؛ كنتَ والله أشدَّ نَـكَرَةً لى[١] . أعِدْ عَلَىَّ حديثاً[٢] كنتَ حدَّثْتنيه عن عبد الله بن عباس . قال : سمعتُ ابنَ عبّاسٍ يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إنّ لـكلّ شيء شرفاً ، و إنّ أشرفَ المجالس ما استُقْبِل به القِبلة ، ومَن أحبَّ أن يكون أعزَّ الناس فليتَّق الله . ومَن أحبَّ أن يكونَ أقوى الناس فليتوكَّل على الله . ومن أحبَّ أن يكونَ أغنى النّاسِ فليكُنْ بمـا فى يَدَيِ الله أوثقَ منه بمـا فى يديه[٣] » . ثم قال : « ألا أُنبّئـكم بشِرار الناس ؟ » قالوا : بَلَى يا رسول الله . قال : « مَن نزل وَحْدَه ، ومنع رِفدَه ، وجَلَد عبده » . ثم قال : « ألا أُنبّئكم بشرٍّ من ذلك ؟ » . قالوا : بلى يا رسول الله . قال : « مَن لا يُقِيل عَثْرةً ، ولا يَقبل مَعذِرةً ، ولا يَغفِر ذنباً » . ثم قال : « ألا أنبئكم بشرٍّ من ذلك ؟ » قالوا : بلى ٢٥٧ يا رسول الله . قال : « مَن يُبغِض النّاسَ و يُبغِضونه . إنّ عيسى بنَ مريمَ عليه السلامُ قام خطيباً فى بنى إسرائيلَ فقال : يا بنى إسرائيل ، لا تَـكلَّموا بالحِـكمة عند الجُهّال فتَظلِموها ، ولا تمنعوها أهلَها فتظلموهم ، ولا تـكافئوا ظالماً فيَبطُل فضلُـكم . يا بنى اسرائيل ، الأمور ثلاثة : أمرٌ تبيَّنَ رُشدُه فاتبعوه ، وأمرٌ تبيَّنَ غيّه فاجتنِبوه ، وأمرٌ اختُلِف فيه فإلى الله فردُّوه »[٤] .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « كلُّ قومٍ على زِينةٍ من أمرِهم ، ومَفْلَحَة

---

(١) النـكرة ، بالتحريك : اسم من الإنـكار ، كالنفقة من الإنفاق .

(٢) فيما عدا ل : « أعده على حديثا » مع سقوط كلمة « لى » قبلها .

(٣) فيما عدا ل : « فى يد الله » و « فى يده » .

(٤) ل : « فردوه إلى الله » .

فى أنفسهم [١]، يُزْرُون على مَن سواهم . ويُبَيِّن [٢] الحقُّ فى ذلك بالمقايَسة بالعَدل عند أُولِى الألباب من النّاس » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « مَن رضِى رقيقَه فليُمْسكه ، ومن لم يرضَ فليَبِعْه ، فلا تعذِّبوا خَلْق الله » .

وقال فى آخرِ ما أوصى به : « اتَّقوا الله فى الضعيفين [٣] » .

قال : ابن ثَوْبان [٤] عن أبيه ، عن مكحول [٥] ، عن جُبَير بن نُفَير [٦] ، عن مالك بن يَخامِر [٧] ، عن مُعاذ بن جَبَل ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عُمْران بيت المقدس خرابُ يثرب ، وخرابُ يثربَ خروجُ الملحمة [٨] ، وخروجُ الملحمة فتح القسطنطينية ، وفتحُ القسطنطينية خروجُ الدجّال [٩] » . ثم ضرَب

---

(١) مفلحة : مفعلة من الفلاح . قال الخطابى : معناه أنهم راضون بعلمهم يغتبطون به عند أنفسهم » .

(٢) فيما عدا ل : « ويتبين » .

(٣) الحديث بتمامه : « اتقوا الله فى الضعيفين : المملوك والمرأة » . وذكر السيوطى فى الجامع الصغير (١ : ٢١) أنه حديث ضعيف .

(٤) هو أبو عبد الله عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان العنسى الدمشقى الزاهد ، روى عن أبيه وعن الزهرى وعمرو بن دينار وطائفة ، وعنه الوليد بن مسلم ، وعلى بن ثابت الجزرى ، وعلى بن الجعد وآخرون . ولد سنة ٧٥ وتوفى سنة ١٦٥ . تاريخ بغداد ٥٣٥٦ وتهذيب التهذيب .

(٥) هو مكحول الشامى الفقيه ، أعجمى ، يقال كان اسم أبيه سهراب . تابعى ثقة ، كان يرى القدر . توفى سنة ١١٣ . تهذيب التهذيب .

(٦) جبير بن نفير ، بالتصغير فيهما ، بن مالك بن عامر الحضرمى الحمصى ، أدرك الجاهلية وزمان الرسول ، وأسلم فى خلافة أبى بكر ، ومات سنة ٧٠ . الإصابة ١٢٧١ وتهذيب التهذيب .

(٧) مالك بن يخامر السكسكى الألهانى الحمصى ، يقال له صحبة . وذكره ابن حبان فى ثقات التابعين . توفى سنة ٧٢ . الإصابة ٧٦٩٥ وتهذيب التهذيب . ويخامر بفتح التحتانية والمعجمة وكسر الميم ، كما فى تقريب التهذيب . وفى الإصابة أن الياء قد تبدل همزة .

(٨) الملحمة : الوقعة العظيمة فى الفتنة .

(٩) فيما عدا ل : « قسطنطينية » بإسقاط اللام .

بيده على فخذ الذى حدَّثه أومَنكِبه ، ثم قال : « إنّ هذا لحقٌّ كما أنك هاهنا » . أو « كما أنك قاعد » يعنى مُعاذاً .

صالح المُرّىّ عن الحسن البصرى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حَصّنوا أموالكم بالزّكاة ، وداوُوا مَرضاكم بالصَّدقة ، واستقبلوا البلاء بالدُّعاء » .

كُثَيِّر بن هشام[1] ، عن عيسى بن إبراهيم[2] ، عن الضحّاك[3] ، عن ابن عبّاس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . « الجُمعةُ حجُّ المساكين » .

قال عَوف[4] ، عن الحسن ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اتقوا الله
فى النِّساء فإنّهن عندكم عوانٍ[5] ، وإنما أخذتموهُنّ بأمانة الله ، واستحللتم ٢٥٨
فروجَهُنّ بكلمة الله » .

الواقدىّ[6] ، عن موسى بن محمد بن إبراهيم التيمى[7] عن أبيه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « إنّ الله يحبُّ الجَوادَ مِن خَلْقِهِ » .

أبو عبد الرحمن الأشجعىّ[8] ، عن يحيى بن عُبَيد الله[9] ، عن أبيه عن

---

(١) هو أبوسهل كثير بن هشام الكلابى الرقى ، من ثقات المحدثين ، خرج إلى الحسن ابن سهل وهو بفم الصلح ، فمات هناك سنة ٢٠٧ . تهذيب التهذيب ، وتاريخ بغداد ٦٩٥٥

(٢) هو عيسى بن إبراهيم بن سيار الشعيرى البركى البصرى ، روى عنه أبو داود والبخارى . توفى ٢٢٨ . تهذيب التهذيب .

(٣) هو أبو القاسم الضحاك بن مزاحم الهلالى . وقد سبقت ترجمته فى (١ : ٢٥١) .

(٤) هو عوف بن أبى جميلة العبدى الهجرى البصرى . واسم أبى جميلة بندويه ، ويقال بل بندويه اسم أمه واسم أبيه رزينة ، ثقة ثبت ، وكان شيعيا قدريا . توفى سنة ١٤٧ . تهذيب التهذيب .

(٥) انظر ما سبق فى ص ٣٦ س ٥

(٦) هو محمد بن عمر بن واقد المترجم فى (١ : ٣٧) .

(٧) هو أبو محمد موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى المدنى ، كان فقيها محدثا ، وكان الأئمة ينكرون عليه حديثه . توفى سنة ١٥١ . تهذيب التهذيب .

(٨) هو أبو عبدالرحمن عبيدالله بن عبدالرحمن الكوفى ، الحافظ الثبت ، لزم سفيان الثورى مدة فكان يقول : سمعت من سفيان ثلاثين ألف حديث . ولما مات الثورى جلس موضعه ، ثم تحول بعد ذلك إلى بغداد . توفى سنة ١٨٢ . تذكرة الحفاظ (١ : ٢٨٦) وتاريخ بغداد ٥٤٥٩ والسمعانى ٣٩ .

(٩) هو يحيى بن عبيد الله بن عبد الله بن موهب التيمى المدنى ، روى عن أبيه ، وعنه =

أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما خلا يَهوديٌّ بمسلمٍ قطُّ إلاّ همَّ بقتْله » ، ويقال « حدّثَ نفْسَه بقتْله » .

أبو عاصم النَّبيل (١) ، قال : حدثنا عبد الله بن أبى زياد (٢) ، عن شَهْر ابن حَوْشَب (٣) ، عن أسماءَ بنتِ يزيد (٤) قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَن ذَبَّ عن لحم أخيه بظَهْر الغيب كان حقًّا على الله أن يحرِّم لحمَه على النار » .

إسماعيل بن عيّاش ، عن الحسن بن دينار ، عن الخصيب بن جحدر ، عن رجل ، عن معاذ (٥) بن [جبل ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ليس مِن أخلاق المؤمنِ الملَقُ إلاّ فى طلب العلم »] .

= عبد الله بن المبارك ، والفضيل بن عياض ، ويحيى القطان وآخرون ، ولم يكن بثقة فى الحديث . تهذيب التهذيب . فيما عدا ل : « يحيى بن عبد الله » .

(١) أبو عاصم النبيل ، هو الضحاك بن مخلد الشيبانى البصرى ، كان فقيها ثقة ، كثير الحديث ، وكان فيه مزاح . ولد سنة ١٢٢ وتوفى سنة ٢١٣ . تهذيب التهذيب وتذكرة الحفاظ (١ : ٣٣٣) .

(٢) هو عبيد الله بن أبى زياد القداح ، أبو الحصين المكى . اختلف فى توثيقه . توفى سنة ١٥٠ . تهذيب التهذيب .

(٣) هو أبو سعيد شهر بن حوشب الأشعرى الشامى ، مولى أسماء بنت يزيد بن السكن ، روى عنها وعن جمع من الصحابة ، وكان من القراء . وكان على بيت المال فيزعمون أنه أخذ منه خريطة فيها دراهم ، فقال فيه القطامى الكلبى ، أو سنان بن مكمل النميرى . كما فى تاريخ الطبري (٨ : ١٢٢) :

لقد باع شهر دينه بخريطة ‏ ‏ ‏ فمن يأمن القراء بعدك ياشهر

وقيل إن نحو هذا الخبر لا يصح . توفى سنة ١١٢ . تهذيب التهذيب وثمار القلوب للثعالبى ١٣٣ .

(٤) هى الصحابية الجليلة أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية الأوسية ، وهى بنت عم معاذ بن جبل ، وكان يقال لها « خطيبة النساء » . شهدت اليرموك وقتلت يومئذ تسعة من الروم بعمود فسطاطها ، وعاشت بعد ذلك دهراً . الإصابة ٥٩ من قسم النساء وتهذيب التهذيب .

(٥) إسماعيل بن عياش سبقت ترجمته فى ص ٢٣ . كما سبقت ترجمة الحسن بن دينار والخصيب بن جحدر فى ص ٢٤ . والإسناد إلى هذه الكلمة ثابت فى ل أيضا ، مع قرنه بلفظ مكرر . أما باقى الإسناد والحديث فهو مما عدا ل .

وعن عبدِ ربِّه بن أعْيَنَ ، عن عبد الله بن ثُمَامة بن أنس[١] ، عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «قيِّدوا العِلْمَ بالكِتاب» . وقال : « فَضْلُ جاهِكَ تعودُ به على أخيك الذى لا جاهَ له صدقةٌ منك عليه ، وفضلُ لسانِك تعبِّرُ به عن أخيك الذى لالسان له صدقةٌ منك عليه ، وفضلُ علمِك تعود به على أخيك الذى لا علمَ عنده صدقةٌ منك عليه[٢] ، وفَضل قوّتك تردُّه[٣] على أخيك الذى لا قوّةَ له صدقةٌ منك عليه ، و إماطتُك الأذَى عن الطّريق صدقةٌ منك على أهله » .

و إنّما مَدار الأمور والغاية التى يُجرى إليها ، الفهمُ ثم الإفهام ، والطّلب ثم التثبُّت .

قال عمرو بن العاص : « ثلاثةٌ لا أمَلُّهم : جليسِى ما فَهِمَ عنّى ، وثوبى ما سَتَرنى[٤] ، ودابّتى ما حملَتْ رجلى » .

وذكر الشّعبىُّ ناساً فقال : «ما رأيتُ مثلَهم أشدَّ تنابُذاً فى مجلس[٥] ، ولا أحسَنَ تفهُّما عن مُحدِّث» .

ووصف سهل بن هارون رجلا فقال : « لم أر أحسَنَ منه فهماً لجليل ، ولا أحسن تفهُّماً لدقيق » .

---

(١) سبقت ترجمة والده ثمامة فى (١ : ٢٥٨) . والوجه فى السند السابق فيما اتضح لنا بعد : « عبد الله بن ثمامة بن عبد الله بن أنس » ، ويبدو أنه دأب على نسبة ثمامة إلى جده أنس .

(٢) جاءت هذه الجملة فيما عدا ل بعد الجملة التالية .

(٣) فيما عدا ل : « تعود بها » .

(٤) جاءت عبارة « وثوبى ماسترنى » فيما عدا ل آخر الكلام . والخبر فى عيون الأخبار (١ : ٣٠٧) .

(٥) وكذا ورد النص فى أصل عيون الأخبار (١ : ٣٠٨) . ولم أجد هذا اللفظ إلا فى أساس البلاغة : « ونبذ إلى العدو : رمى إليه بالعهد ونقضه ، ونابذه منابذة وتنابذوا » . يصفهم بانعدام الوفاء . وفي العقد (١ : ٢٥٩) : « أشد تناوبا » .

وقال سعيد بن سَلْمٍ [١] لأمير المؤمنين : « لو لم أشكر اللهَ إلاّ على حُسن ما أبلانى فى أمير المؤمنين ، مِن قصدِه إلىّ بحديثه ، * وإشارتِه إلىّ بطرفه ، لقد ٢٥٩ كان ذلك مِن أعظم ما تفرضُه الشريعة ، وتوجيه الحُرّيّة » . فقال المأمون : « لأنّ أميرَ المؤمنين يجدُ عندَكَ من حسن الإفهام إذا حدّثت ، وحسن التفهُّم إذا حُدِّثتَ ، مالم يجِدْه عند أحدٍ فيمن مضى ، ولا يظنُّ أنه يجده فيمن بقى » .

وقال له مرّةً أخرى : « والله إنك لتستقفِى حديثى [٢] ، وتقِفُ عند مقاطِع كلامى ، وتُخبِر عنه بما كنت [قد] أغفلتُه » .

وقال أبو الحسن : قالت امرأةٌ لزوجها [٣] : مالك إذا خرجتَ إلى أصحابك تطلَّقْتَ وتحدَّثْتَ ، وإذا كنتَ عندى تعقّدت وأطرقت ؟ قال : « لأنّنى أدِقّ عن جَليلِك ، وتَجِلّين عن دقيقى [٤] » .

وقال أبو مسهر [٥] : « ما حدّثْتُ رجلاً [قطّ] إلاّ أعجبَنى حُسن إصغائه ، حفِظَ عنّى أم ضيّع » .

وقال أبو عقيل بن دُرُسْتَ : « نَشاط القائل على قدر فَهم المستمع » .

وقال أبو عبّادٍ كاتب أحمد بن أبى خالد : « للقائل على السامع ثلاث : جَمْع البال ، والكتمان ، وبسطُ العُذر » .

---

(١) هو سعيد بن سلم بن قتيبة بن مسلم الباهلى ، ولاه السلطان بعض الأعمال بمرو ، وقدم بغداد وحدث بها ، فروى عنه محمد بن زياد بن الأعرابى . وكان سعيد عالما بالحديث والعربية ، لكنه كان لا يبذل نفسه للناس . انظر تاريخ بغداد ٨ : ٤٦٨ .

(٢) الاستقفاء : أن يقفو أثر الشىء .

(٣) هو نوفل بن مساحق وامرأته . وقد سبق الخبر فى (١ : ٣٠٥) .

(٤) ما أثبت من ل يطابق ما مضى فى (١ : ٣٠٥) . وفيما عدا ل : « أجل عن دقيقك ، وتدقين عن جليلى » .

(٥) أبو مسهر هو عبد الأعلى بن مسهر ، وقد ترجم فى (١ : ٢٦٤) . وفيما عدا ل « أبو مسهر بن المبارك » وفيه إقحام .

وقال أبوعبّاد : « إذا أنكرَ القائلُ عَيْنِيَ المستمع[١] فليستفهمْه عن مُنتهى حديثه ، وعن السبب الذى أجرى ذلك القولَ له ، فإنْ وجدَه قد أخلص له الاستماعَ أتمَّ له الحديث ، و إن كان لاهياً عنــه حرَمه حُسنَ الحديث ونفعَ المؤانسة ، وعرَّفه بفسولة الاستماع[٢] ، والتقصير فى حقِّ المحدِّث » .

وأبو عبّاد هذا هو الذى قال : « ماجلس بين يدىَّ رجلٌ قطُّ إلا تمثَّل لى أنّى سأجلس بين يديه[٣] » .

وذكر رجلٌ من القرشيِّين عبدَ الملك بن مَرْوان ، وعبد الملكِ يومئذ غلام ، فقال : « إنَّه لآخِذٌ بأربع ، وتاركٌ لأربع : آخذٌ بأحسن الحديث إذا حَدَّث ، و بأحسن الاستماع إذا حُدِّث ، و بأيسر المئُونة إذا خُولف ، و بأحسن البِشْر إذا لَقِيَ . وتاركٌ لمحادثة اللئيم ، ومُنازَعَة اللَّجوج ، ومُماراة السَّفيه ، ومصاحَبة المأفون » .

وذمَّ بعضُ الحكماء رجُلاً فقال : « يجْزِم قبل أن يَعلم ، و يغضَب قبل أن يَفهم » .

وقال عمر بن الخطاب رحمه الله فى بعض رسائله إلى قُضاته[٤] : « الفَهْمَ الفهمَ فيما يتلجلج فى صدرك » .

٢٦٠ ولا يمكنُ تمامُ الفهم إلا مع تمام فراغ البال .

وقال مجنون بنى عامر :

---

(١) ل : « على عى السامع » صوابه فى سائر النسخ .

(٢) الفسولة : الضعف والحمق . فيما عدا ل : « بنسولة » تحريف .

(٣) ل : « إلا مثل لى أني جالس بين يديه » . وما أثبت من سائر النسخ يطابق ما سلف فى (١ : ٨ ٤ س ١٣) .

(٤) هى رسالته إلى أبى موسى الأشعرى . وسيذكر الجاحظ نصها فى الجزء الثانى . انظر (١ : ٢٦٥) من أرقام الأصل .

أتانى هواها قبل أن أعرِفَ الهوَى فصادَفَ قلبى فارغاً فتمكّنا (١)

وكتب مالك بن أسماء بن خارجةَ إلى أخيه عيينةَ بن أسماء بن خارجة :

أعُيَينَ هلاَّ إذْ شُغِفْتَ بها كنتَ استعنتَ بفارغ العقْلِ
أقبلْتَ ترجو الغَوثَ من قِبَلى والمستغاثُ إليـه فى شُغُلِ

وقال صالح المُرِّيّ : « سوء الاستماع نفاق » . وقد لا يَفهم المستمع إلا بالتفهُّم ، وقد يتفهَّم أيضا مَن لايفهم . وقال الحارث بن حِلِّزة :

وحَبَسْت فيها الرّكبَ أحدِس فى كلِّ الأمورِ وكنتُ ذا حَدْسِ (٢)

وقال النابغة الجعديّ :

أبَى لِى البلاءُ وأنِّى امرؤٌ إذا ما تبيَّنْتُ لم أرْتَبِ (٣)

وقال آخر (٤) :

تَحلَّمْ عن الأدنَيْن واستَبْقِ وُدَّهمْ ولن تستطيعَ الحِلم حتى تحلَّما

والمَثَلُ السائرُ على وجه الدهر : « العِلْمُ بالتعلُّم » .

وإذا كانت البهيمة إذا أحسّت شيئاً (٥) من أسباب القانص ، أحَدَّتْ نظرَها ، واستَفرغتْ قواها فى الاسترواح ، وجمعَتْ بالها للتسمُّع — كان الإنسانُ العاقلُ أولى بالتثبت ، وأحقَّ بالتعرُّف .

ولما اتّهم قُتيبة بن مسلم (٦) ، أبا مِجْلَز لاحق بن حُميد ، ببعض الأمر ، قال له

(١) روايته فى الحيوان (١ : ١٦٩ / ٤ : ١٦٧) : « قلباً خالياً » .
(٢) الحدس : الظن ، وروايته فى المفضليات (١ : ١٣١) : « حبست » .
(٣) سبق البيت والكلام عليه فى (١ : ١٠٠) .
(٤) هو حاتم الطائى . انظر ديوانه ١٠٨ من مجموع خمسة دواوين . وهو فى اللسان (حلم) بدون نسبة . (٥) فيما عدال : « أحست بشىء » .
(٦) هو قتيبة بن مسلم بن عمرو بن الحصين الباهلى ، أمير خراسان زمن عبد الملك بن مروان من قبل الحجاج بن يوسف . وابنه سلم بن قتيبة بن مسلم المترجم فى (١ : ١٧٤) . وحفيده سعيد بن سلم بن قتيبة . ولد قتيبة سنة ٤٩ وقتل سنة ٩٧ . وفيات الأعيان .

أبو مِجلَز[١] : « أيُّها الأمير تثبَّتْ ، فإنَّ التثبُّتَ نِصفُ العفو » .

وقال الأحنف : « تعلَّمتُ الحِلمَ من قيس بن عاصم[٢] » .

وقال فيروزُ حُصينٍ[٣] : « كنت أختلف إلى دار الاستخراج أتعلَّم الصبر » .

٢٦١ وقالَ سهل بن هارون : « بلاغة اللسان رِفْقٌ ، والعِيُّ خُرْق » . وكان كثيراً ما ينشد قول شُتَيم بن خُوَيْلد[٤] :

ولا يشعَبُون الصَّدعَ بعدَ تفاقُمٍ وفى رِفقِ أيديكم لِذِى الصَّدْعِ شاعِبُ[٥]

وقال إبراهيم الأنصارىّ ، وهو إبراهيم بن محمد المفلوج ، من ولد أبى زيدٍ القارىء : الخلفاء والأئمة وأمراء المؤمنين ملوكٌ ، وليس كلُّ ملكٍ يكون خليفة و إماماً ، ولذلك فصَل بينهم أبو بكر رحمه الله فى خطبته ، فإنه لما فرغ من الحمد والصلاة على النبى قال : « ألا إنّ أشقى الناس فى الدنيا والآخرة الملوكُ ! » . فرفَع الناس رءوسهم ، فقال : « مالكم أيُّها الناس ، إنكم لطعَّانون عَجِلون » . إن مِن الملوك مَن إذا مَلَكَ[٦] زهَّده الله فيما فى يديه[٧] ، ورغَّبه فيما فى يدَىْ غيره ، وانتقصَه شِطْرَ أجله ، وأشرَبَ قلبُه الإشفاق ، فهو يَحْسُد على القليل ، و يتسخَّط

(١) هو أبو مجلز لاحق بن حميد بن سعيد السدوسى البصرى وكان ممن قدم خراسان ، وولى بعض الأمر . وكان عمر بن عبد العزيز يستشيره فيمن يتولى خراسان . توفى سنة ١٠٩ (٨ : ١٣٤ ، ١٣٥) .

(٢) انظر بقية الخبر مع تفصيل فى عيون الأخبار (٣ : ٢٨٦) .

(٣) فيروز حصين بالإضافة ، مولى حصين بن مالك بن الخشخاش العنبرى . قال ابن قتيبة فى المعارف ١٤٧ : « ومن موالى آل الخشخاش فيروز ، أعظم مولى بالعراق قدراً . وقد ولى الولايات ، وخرج مع ابن الأشعث ، فقال الحجاج : من جاءنى برأس فيروز فله عشرة آلاف درهم ! فقال فيروز : من جاءنى برأس الحجاج فله مائة ألف درهم ! فلما هزم ابن الأشعث هرب إلى خراسان ، فأخذه يزيد بن المهلب فبعث به إلى الحجاج » . وقد نكل به الحجاج تنكيلا شديداً وقتله .

(٤) سبقت ترجمته فى (١ : ٤ ، ١٨١) . وقد أنشد البيت فى الموضع الأول .

(٥) ل : « ألا تشعبون الصدع قبل تفاقم » محرف .

(٦) ل : « إن الملك إذا مات » صوابه من سائر النسخ

(٨) فيما عدا ل : « فيما عنده »

الكثير، ويسأم الرَّخاء، وتنقطع عنه لذَّةُ الباءة[١]، ولا يستعمل العِبْرة، ولا يسكن إلى الثِّقة. وهو كالدِّرهم القَسِّيِّ[٢]، والسَّراب الخادع، جَذِلُ الظاهر، حزينُ الباطن. فإذا وجبَتْ نفسُه، ونضب عُمره، وضَحَا ظِلُّه[٣]، حاسبَه اللهُ فأشدَّ حِسَابَه، وأقلَّ عفوه، إلاَّ مَنْ آمَنَ بالله، وحكَمَ بكتابه، وسُنَّة نبيه صلى الله عليه وسلم. ألاَ إن الفقراء هم المرحومون[٤] ألاَ وإنكم اليومَ على خلافةِ النبوَّة، ومَفْرِق المَحَجَّة[٥]. وإنكم سترون بعدى مُلْكا عضُوضاً، ومُلْكا عَنُوداً[٦]، وأمَّةً شَعاعاً، ودماً مُفاحاً[٧] فإن كانت للباطل نزوةٌ، ولأهل الحقِّ جولةٌ، يعفو لها الأثرُ، ويموت لها البَشَرُ، وتحيا بها الفِتَنُ، وتموت لها السُّنَن[٨]، فالزموا المساجدَ، واستشيروا القُرآن، واعتصموا بالطّاعة[٩]، ولا تفارِقُوا الجماعة. وليكن الإبرام بعد المشاوَرة[١٠] والصَّفْقة بعد طول التناظر. أىُّ بلادِكمْ خَرْشَنَة[١١]؟ فإنكم ٢٦٢

(١) الباءة: النكاح. ل والتيمورية: «البهاء» صوابه ما أثبت من حـ، وبه صحح ما فى ب؛ إذ بها أثر تغيير.

(٢) فى القاموس (قسس): «ودرهم قسى وتخفف سينه: ردىء». وفى اللسان (قسا): «ودرهم قسى: ردىء، والجمع قسيان، مثل صبى وصبيان ... قال الأصمعى: كأنه إعراب قاشى. وقيل درهم قسى: ضرب من الزيوف أى فضته صلبة رديئة ليست بلينة». وانظر المعرب ٢٥٧. وأنشد لمزرد بن ضرار:

وما زودونى غير سحق عمامة … وخمس مىء منها قسى وزائف

(٣) ضحا ظله: برز للشمس، أراد أن ظله قد تقلص، عبارة عن الموت.

(٤) جاءت هذه الجملة فيما عدا ل بعد كلمة «عفوه» السابقة.

(٥) المحجة: الطريق.

(٦) عضوض: شديد فيه عسف وعنف. والعنود: الطاغى. العاتى: المتجبر. يقال: عنود وعنيد وعاند.

(٧) الشعاع، كسحاب: المتفرقة والمفاح: السائل المهراق.

(٨) ما بعد كلمة «البشر» من ل فقط.

(٩) فيما عدا ل: «والزموا الطاعة».

(١٠) فيما عدا ل: «التشاور».

(١١) خرشنة: بلد قرب ملطية من بلاد الروم. والمراد بها بلاد الروم. وفي الأصول: «خرسة» تحريف.

سيُفتح عليكم أقصاها كما فُتح عليكم أدناها[١] .

كلام أبى بكر الصديق رضى الله عنه لعمر رحمه الله حين استخلفه عند موته

إنى مستخلفُك مِن بعدى ، ومُوصِيكَ بتقوى الله . إنّ لله عملاً بالليل لا يقبله بالنهار ، وعملاً بالنّهار لا يقبلُه باللَّيل ، و إنّه لا يَقْبَلُ نافلةً[٢] حتّى تُؤَدَّى الفريضة . و إنّما ثقُلت موازينُ مَن ثقلت موازينهُ يومَ القيامة باتباعهم الحقّ فى الدنيا ، وثِقَلِه عليهم ، وحُقّ لميزانٍ لا يوضَع فيه إلاّ الحقّ أن يكون ثقيلا . و إنّما خَفّت موازينُ مَن خفت موازينُه يوم القيامة باتّباعهم الباطل وخِفّته عليهم فى الدنيا[٣] وحُقّ لميزان لا يوضَع فيه إلا الباطل أن يكون خفيفا . إنّ الله ذَكَرَ أهلَ الجنّة فذَكَرهم بأحسنِ أعمالهم ، والتجاوُزِ[٤] عن سيّئاتهم ، فإذا ذكرتُهم قلتُ : إنِّى أخافُ ألاّ أكون من هؤلاء . وذَكَر أهل النار فذكرهم بأسوإ أعمالهم ، ولم يذكرحسناتِهم ، فإذا ذكرتُهم قلتُ : إنِّى لأرجو ألا أكون من هؤلاء . وذكَرَ آية الرحمة مع آية العذاب ، ليكون العبدُ راغباً راهبا ، ولا يتمنَّى على الله إلا الحق ، ولا يُلقِى بيده إلى التَّهْلُكة . فإذا حفظتَ وصيّتى[٥] فلا يكوننّ غائب أحبَّ إليك من الموت ، وهو آتِيك . و إن ضيّعتَ وصيّتى ، فلا يكوننّ غائب أبغض إليك من الموت . ولَسْتَ بمعجزِ الله[٦] .

---

(١) انظر الخطبة أو بعضها فى عيون الأخبار (٢ : ٢٣٣) وصبح الأعشى (١ : ٢١٣) وزهر الآداب (١ : ٣١) والعقد فى سرد خطب أبى بكر .

(٢) فيما عدا ل : « تقبل نافلة » .

(٣) كلمة « فى الدنيا » من ل ، وهى ساقطة من سائر النسخ .

(٤) فيما عدا ل : « وتجاوز » .

(٥) ل : « أحببت وصينى » ، صوابه فى سائر النسخ .

(٦) انظر الوصية فى كامل ابن الأثير عند ذكر استخلاف عمر .

وأوصى عمر الخليفة من بعده فقال

أُوصِيك بتقوى الله لا شريك له، وأوصيك بالمهاجرين الأوَّلين خيراً: أن
تعرِف لهم سابقتهم. وأُوصيك بالأنصار خيراً؛ فاقبَلْ من مُحسِنهم، وتجاوَزْ عن
مُسيئهم. وأُوصيك بأهل الأمصار خيراً؛ فإنّهم رِدْء العدوّ[١]، وجُبَاة الأموال
والفَىْء[٢]، لا تحمِلْ فيئَهم إلاّ عن فضل منهم. وأوصيكْ بأهل البادية خيراً؛ ٢٦٣
فإنّهم أصلُ العرب، ومادَّة الإسلام: أَنْ تأخُذَ من حواشى أموال أغنيائهم[٣]،
فتُردَّ على فقرائهم. وأوصيك بأهل الذمّة خيراً: أن تُقاتِلَ مِن ورائهم، ولا تكلِّفَهم
فوق طاقتهم، إذا أدَّوْا ما عليهم للمؤمنين طوْعا أو عن يد وهم صاغِرون[٤].
وأُوصِيك بتقوى الله وشدّة الحذَرِ منه، ومخافةِ مَقْتِه؛ أنْ يطَّلِع منك على رِيبة.
وأُوصيك أن تخشى الله فى الناس ولا تخشى الناس فى الله. وأوصِيك بالعدل فى
الرّعية، والتفرُّغ لِحوائجهم وثغورهم[٥]. ولا تُؤْثِر غنيَّهم على فقيرهم، فإنّ ذلك
— بإذنِ الله — سلامةٌ لقلبك، وحَطٌّ لوِزْرك، وخيرٌ فى عاقبة أمرك، حتّى
يفضِىَ من ذلك إلى مَن يعرف سريرتَك، ويحول بينك وبين قلبك. وآمُرُك
أن تشتدَّ فى أمور الله، وفى حُدودِه ومعاصيه، على قريب الناس وبعيدِهم، ثم
لا تأخُذَك فى أحدٍ الرأفة حتّى تنتهكَ منه مثل [ما انتهكَ من] حُرَمِه[٦]،
واجعل النّاس سواء عندك، لا تبالى على مَن وجب الحق، ولا تأخُذْكَ[٧] فى الله لومةَ

---

(١) الردء: المعين، أراد أنهم يعينون على العدو. وفى اللسان (ردأ): « فإنهم ردء الإسلام وجباة المال ».

(٢) الفىء: الغنيمة والخراج. فيما عدا ل: « وجباة الفىء ».

(٣) الحواشى: صغار الإبل كابن المخاض وابن اللبون، واحدها حاشية.

(٤) عن يد: عن ذل واعتراف للمسلمين بأن أيديهم فوق أيديهم.

(٥) الثغور: جمع ثغر، وهو الفرجة، والمراد بها الخلة والحاجة.

(٦) فيما عدا ل: « من حرم الله ».

(٧) فيما عدا ل: « ثم لا تأخذك ».

لأثم ، وإياك والأَثَرَة والمحاباة ، فيما وَلّاك الله مما أفاء الله على المؤمنين ، فتجُورَ
وتظلِمَ ، وتَحرِمَ نفسك من ذلك ما قد وسَّعه الله عليك .

وقد أصبحتَ بمنزلةٍ من منازل الدُّنيا والآخرة ، فإن اقترفت(١) لدُنياك عدلا
وعِفّة عمّا بسط اللهُ لك ، اقترفت به إيماناً ورضوانا ، وإن غلبك عليه الهوى ومالت
بك شهوةٌ(٢) ، اقترفْتَ به سُخط الله ومعاصِيه(٣) . وأُوصِيك ألاّ ترخِّص لنفسك
ولا لغيرك فى ظُلم أهل الذمّة . وقد أوصيتُك وحَضضتك(٤) ، ونصحت لك(٥) ،
أبتغى بذلك(٦) وجهَ الله والدارَ الآخرة . واخترتُ من دِلالتك ما كنتُ دالاًّ عليه
نفسى وولَدى ، فإن عملتَ بالذى وعظتُك ، وانتهيتَ إلى الذى أمرتُك ، أَخذتَ
به نصيباً وافياً ؛ وحظًّا وافرا(٧) . وإنْ لم تقبَل ذلك ولم يهُمَّك ، ولم تترُكْ مُعظِمات
الأمور(٨) عند الذى يرضى الله به عنك ، يكن ذلك بك انتقاصاً ، ورأيُك فيه
مدخولاً(٩) ، لأنّ الأهواء مشتركة . ورأسُ كلِّ خطيئة ، والدَّاعى إلى كل ٢٦٤
هَلَكة إبليس(١٠) ؛ وقد أضلَّ القرونَ السالفةَ قبلكَ فأوردَهم النّار ، ولبئس الثَّمنُ
أن يكونَ حظُّ امرئٍ موالاةً لعدوّ الله(١١) ، والدّاعى إلى معاصِيه ! ثم اركَب
الحقَّ وخُضْ إليه الغمَرات ، وكنْ واعظاً لنفسك ، وأَنشُدُك الله لَمَا ترحّمتَ على

---

(١) الاقتراف : الاكتساب والاقتناء .
(٢) بدلها فيما عدا ل : « وإن غلبك الهوى » بسقوط الجملة الأخيرة .
(٣) هذه الكلمة من ل فقط .
(٤) ل : « وخصصتك » . وأثبت ما فى سائر النسخ .
(٥) فيما عدا ل : « ونصحتك » .
(٦) فيما عدا ل : « فابتغ » تحريف .
(٧) فيما عدا ل : « نصيبا وافرا وحظا وافيا » .
(٨) أعظم الأمر : صار عظيما ، فهو معظم . فيما عدا ل : « ولم تنزل معاظم الأمور » .
(٩) المدخول : ذو الدخل ، وهو العيب والفساد .
(١٠) فيما عدا ل : « ورأس كل خطيئة إبليس ، وهو داع إلى كل هلكة » .
(١١) فيما عدا ل : « موالاة عدو الله » .

جماعة المسلمين[1] فأجللت كبيرَهم، ورحِمت صغيرَهم، ووقَّرت عالمهم. ولا تضرِبهم فيذِلُّوا، ولا تستأثِرْ عليهم بالفَىء فتُغضِبَهم، ولا تحرِمْهم عطاياهم عند مَحِلّها فتُفْقِرهم[2]، ولا تجمِّرْهم فى البُعوث فتقطعَ نسلَهم[3]، ولا تجعل المالَ دُولةً بين الأغنياء منهم[4]، ولا تغلِقْ بابَك دونهم فيأ كُلَ قويُّهم ضعيفَهم.

هذه وصيّتى إيّاك، وأُشْهِدُ اللهَ عليك، وأقرأُ عليك السلام.

رسالة عمر رضى الله عنه الى أبى موسى الأشعرى رحمه الله

رواها ابن عُيينة[5]، وأبو بكر الهذلىّ[6] ومَسلمة بن مُحارب[7]، رووها عن قَتادة[8].

ورواها أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم[9]، عن عبيد الله بن [أبى] حُميد الهذلىّ[10] عن أبى المليح أسامة الهُذلىّ[11]. أنَّ عمر بن الخطاب كتب إلى أبى موسى الأشعرىّ:

---

(١) يقال نشدتك الله وبالله، وناشدتك الله وبالله، أى سألتك وأقسمت عليك. و «لما» هنا بمعنى إلا فى لغة هذيل. وفى الكتاب: «إن كل نفس لما عليها حافظ».

(٢) أى عند حلول وقتها.

(٣) تجمير الجند: أن يحبسهم فى أرض العدو ويحبسهم عن العود إلى أهلهم.

(٤) دولة بين الأغنياء، أى متداولا بينهم، لهذا مرة ولذاك أخرى.

(٥) ابن عيينة هو أبو محمد سفيان بن عيينة بن أبى عمران ميمون الهلالى الكوفى. كان من الحفاظ المتقنين وأهل الورع والدين. ولد سنة ١٠٧ وتوفى سنة ١٩٨ بمكة. تهذيب التهذيب وتاريخ بغداد ٤٧٦٤ وتذكرة الحفاظ (١: ٢٤٢) وصفة الصفوة (٢: ١٣٠).

(٦) سبقت ترجمته فى (١: ٣٥٧).

(٧) هو مسلمة بن عبد الله بن محارب الفهرى البصرى النحوي المقرى، ترجم له فى لسان الميزان (٦: ٣٤) وقال: «كان صاحب فصاحة».

(٨) هو قتادة بن دعامة المترجم فى (١: ٤٢).

(٩) هو أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى المدنى، نزيل بغداد. محدث ثقة كثير الرواية لحديث الزهرى. توفى سنة ٢٠٨. تهذيب التهذيب وتاريخ بغداد ٧٥٦٢.

(١٠) فى الأصل: «بن حميد» صوابه من تهذيب التهذيب، وهو أبو الخطاب عبد الله ابن أبى حميد غالب الهذلى البصرى، روى عن أبى المليح الهذلى، وعنه عيسى بن يونس ووكيع. وذكر أنه كان ضعيف الحديث منكره.

(١١) كلمة «الهذلى» من ل فقط. وقد سبقت ترجمة أسامة فى (١: ٣٥٧).

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد فإنَّ القضاء فريضةٌ محكمَة ، وسُنّة متّبعة ، فافهَمْ إذا أُدْلِيَ إليك[١] ، فإنه لا ينفع تكلُّمٌ بحقٍّ لا نفاذَ له . آس بين الناس فى مجلسك ووجهك[٢] ، حتّى لا يطمعَ شريفٌ فى حَيْفك ، ولا يَخافَ ضعيفٌ من جَورك . البيِّنةُ على من ادَّعى واليمينُ على من أنـكر ، والصُّلْحُ جائزٌ بين المسلمينَ إلّا صلحاً حَرَّم حلالاً أو أحلَّ حراما . ولا يمنعنَّـك قضاءٌ قضيتَه بالأمس فراجعتَ فيه نفسَك ، وهُدِيت فيه لرُشْدك ، أن تَرجِعَ عنه إلى الحقّ[٣] ٢٦٥ فإنَّ الحق قديمٌ ، ومراجعةُ الحق خيرٌ من التَّمادِى فى الباطل . الفَهْم الفهمَ عند ما يتلجلج فى صدرك ، ممّا لم يبلغْك فى كتاب الله ولا فى سنَّة النبىّ صلى الله عليه وسلم . اعرفِ الأمثالَ والأشباه ، وقِسِ الأمورَ عند ذلك ، ثم اعمِدْ إلى أحبِّها إلى الله ، وأشبهِها بالحقّ فيما ترى . واجعلْ للمدَّعى حقًّا غائبا أو بيِّنة ، أمداً ينتهى إليه ، فإنْ أحضر بيِّنته أخذتَ له بحقّه ، وإلّا وجّهتَ عليه القضاء ، فإنَّ ذلك أنْفَى للشكّ ، وأجلى للعَمَى ، وأبلغُ فى العُذر . المسلمون عُدولٌ بعضُهم على بعض ، إلا مجلوداً فى حدٍّ ، أو مجرَّبا عليه شهادةُ زورٍ ، أو ظنيناً فى وَلاء أو قرابة ، فإنّ الله قد تولّى منكم السرائر ، ودَرأ عنكم بالبيّنات والأَيْمان . ثمّ إياك والقلقَ والضَّجر ، والتأذِّىَ بالناس ، والتنكُّرَ للخصوم فى مواطن الحقّ ، التى يُوجب اللهُ بها الأجر ، ويُحسِن بها الذُّخر ؛ فإنّه من يُخلِصْ نيّتَه فيما بينه وبين الله تبارك وتعالى ، ولو على نفسه ، يَكفِهِ الله مابينه وبين الناس ، ومَن تزيَّنَ للناس بما يعلم الله منه خلاف ذلك[٤] هتكَ اللهُ سِتْره ، وأبدى فعله . فما ظنُّك بثواب

---

(١) أدلى فلان بحجته ، إذا أرسلها وأتى بها على صحة .

(٢) آس بينهم ، أي سو بينهم ، واجعل كل واحد منهم إسوة خصمه .

(٣) كلمة « إلى الحق » من ل والـكامل ٩ ليبسك .

(٤) فيما عدا ل : « بما يعلم الله خلافه منه » .

غير الله فى عاجل رزقه ، وخزائن رحمته[١] . والسلام [عليك] .

خطبة لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه[٢]

قال أبو عبيْدة [مَعمر بن المثنى] : أول خطبة خطبها على بن أبى طالب رحمه الله[٣] أنه قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلَّى على نبيّه[٤] :

أما بعد فلا يُرْعِيَنَّ مُرعٍ إلا على نفسه[٥] ؛ فإنَّ مَن أرْعَى على غير نفسه شُغِل عن الجنة والنار أمامه[٦] . ساعٍ مجتهد ينجو[٧] ، وطالبٌ يرجو ، ومقصِّرٌ فى النار . ثلاثة ، واثنان : ملَكٌ طارَ بجناحيه ، ونبىٌّ أخذَ الله بيديه ، لاسادس[٨] . هَلَكَ من ادَّعى ، ورَدِىَ مَن اقتحم ؛ فإنَّ اليمين والشِّمال مضلَّة ، والوسطَى الجادَّةُ[٩] ، منهجٌ عليه باقِى الكتاب والسنّة ، وآثارُ النبوة . إنّ الله ٢٦٦
داوَى هذه الأمة بدواءين : السَّيف والسوط[١٠] ، فلا هوادةَ عند الإمام فيهما ، استتروا ببيوتكم وأصلِحوا فيما بينكم[١١] ، والتَّوبة[١٢] من ورائكم . مَن أبدى صفحتَهُ للحق هلَك . قد كانت لكم أمورٌ ملتُم علىّ فيها مَيلةً لم تكونوا

---

(١) الكلام بعد كلمة « فعله » إلى هنا من ل فقط .

(٢) هذا العنوان فى ل فقط .

(٣) فى العقد : « أول خطبة خطبها فى المدينة » . وفى شرح ابن أبى الحديد (١ : ٩٠) : «ومن خطبة له عليه السلام لما بويع بالمدينة » . وانظر عيون الأخبار (٢ : ٢٣٦)

(٤) بدل هذه العبارة فيما عدا ل : « حمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال » .

(٥) الإرعاء : المراعاة والملاحظة والإبقاء والمحافظة .

(٦) الكلام قبل « شغل » فى البيان فقط . ورواية ابن أبى الحديد وابن قتيبة : « شغل من الجنة والنار أمامه » . وانظر تفسير ابن أبى الحديد .

(٧) كلمة « ينجو » من ل فقط . وعند ابن أبى الحديد : «ساع سريع نجا ، وطالب بطىء رجا ، ومقصر فى النار هوى » .

(٨) فيما عدا ل : « بيده ولا سادس » .

(٩) جادة الطريق : مسلكه وما وضح منه .

(١٠) فى العقد وما عدا ل : « السوط والسيف » .

(١١) فيما عدا ل : « واصطلحوا » . ابن أبى الحديد (١ : ٩٢) حيث صرح بنقله عن البيان للجاحظ : « وأصلحوا ذات بينكم » .

(١٢) العقد : « فالموت » .

عندى فيها بمحمودين[١] ولا مصيبين[٢] . أمَا إنّى لو أشاء لقلت عَفا الله عمّا سلف . سَبَق الرجلان وقامَ الثالث[٣] ، كالغُراب همّته بطنه[٤] ، يا وَيْحَه ، لو قُصَّ جناحاه وقُطِع رأسه لكان خيراً له[٥] . انظروا فإن أنكرتم فأنكروا ، وإنْ عَرَفْتم فآزروا[٦] . حقٌّ وباطل ، ولكلٍّ أهل ؛ ولئن أمِرَ الباطل لقديماً فعَلَ[٧] ، ولئن قَلَّ الحق لرُبّما ولعلَّ[٨] . ما أدبرَ شىءٌ فأقبل[٩] . ولئن رجعَتْ عليكم أمورُكم إنّكم لسُعَداء[١٠] ، وإنِّى لأخشى أن تكونوا فى فترةٍ[١١] . وما علينا إلا الاجتهاد .

قال أبو عبيدة : وروى فيها جعفر بن محمد :

---

(١) عند ابن أبى الحديد وما عدا ل : « قد كانت أمور لم تكونوا عندى فيها محمودين » . قال ابن أبى الحديد : « مراده أمر عثمان وتقديمه فى الخلافة عليه » .

(٢) هاتان الكلمتان فى ل فقط .

(٣) يعنى عثمان ، وورد فى بعض خطب على : « إلى أن قام ثالث القوم نافجا حضنيه » . انظر ابن أبى الحديد (١ : ٦٦) .

(٤) ل فقط : « همه بطنه » .

(٥) ابن أبى الحديد : « يريد لو كان قتل أو مات قبل أن يتلبس بالخلافة لكان خيراً له من أن يعيش ويدخل فيها » .

(٦) المؤازرة : المعاونة . أى إن كان منكراً فأنكروه ، وإن كان حقاً فأعينوا عليه . فيما عدا ل : « بارزوا » تحريف .

(٧) ابن أبى الحديد : « أمر الباطل : كثر . وقوله لقديما فعل ، اى لقديما فعل الباطل ذلك . ونسب الفعل إلى الباطل مجازا . ويجوز أن يكون فعل بمعنى انفعل ، كقوله :

* قد جبر الدين الإله فجبر *

أى انجبر » .

(٨) أى لئن كان الحق قليلا فربما كثر ، ولعله ينتصر أهله . عن ابن أبى الحديد .

(٩) عند ابن أبى الحديد : « وقلما أدبر شىء فأقبل . استبعد أن تقوم دولة قوم بعد زوالها عنهم » .

(١٠) ابن أبى الحديد : « أى إن ساعدنى الوقت وتمكنت من أن أحكم فيكم بحكم الله ورسوله ، وعادت ليكم أيام شبيهة بأيام رسول الله صلى الله عليه وآله ، وسيرة مماثلة لسيرته فى أصحابه إنكم لسعداء » .

(١١) المراد بالفترة : الأزمنة التى بين الأنبياء ، كأنه توقع أن يطرأ عليهم ما طرأ على تلك الأمم من الاضطراب وفقدان الرشد .

ألاَ إنّ أبرارَ عِترتى ، وأطايبَ أرومتى ، أحلم الناس صِغارا ، وأعلم الناس كبارا[١] . ألاَ وإنّا أهلُ بيت مِن علم الله عَلِمْنا ، وبحُكم الله حَكَمْنا ، ومِن قولِ صادقٍ سَمِعنا . وإن تتّبِعوا آثارَنا تهتدوا ببصائرنا ، وإن لم تفعلوا يُهلِكْكم الله بأيدينا . معنا رايةُ الحق ، مَن تبعها لحِق ، ومَن تأخّر عنها غَرِق ، ألاَ وإنّ بنا تُردُّ دَبْرَة كلِّ مؤمن[٢] ، وبنا تُخلَع رِبقة الذلّ من أعناقكم[٣] ، وبنا غُنِم[٤] ، وبنا فتَح الله لا بكم[٥] ، وبنا يُختَم لا بكم[٦] .

وخطبة لعلى بن أبى طالب أيضا رضى الله عنه[٧]

أمّا بعدُ فإنّ الدنيا قد أدبرَت وآذنت بوَداع ، وإنّ الآخرةَ قد أقبلت وأشرفت باطّلاع . وإنّ المضمار [اليومَ] والسِّباق غداً[٨] . ألاَ وإنكم فى أيامِ أملٍ من ورائه أجل ، فمَن أخلَصَ فى أيام أمله قبل حضور أجله [فقد] نفعه عمله[٩] ، ولم يضرُرْه أمله[١٠] ، ومن قصّر فى أيام أمَله قبل حضور أجَله ، فقد

---

(١) وكذا عند ابن أبي الحديد . وفيما عدا ل : « وأعلمهم كبارا » .

(٢) الدبرة ، بالفتح : الهزيمة . ابن أبي الحديد : « تدرك ترة كل مؤمن » ، والترة : الثأر والوتر .

(٣) الربقة ، بالكسر : الحبل يجعل فى عنق الشاة .

(٤) هذه الجملة فى ل فقط .

(٥) فيما عدا ل . « وبنا فتح » فقط . ابن أبي الحديد : « فتح لا بكم » .

(٦) فيما عدا ل : « وبنا ختم لا بكم » . قال ابن أبي الحديد : « إشارة إلى المهدى الذى يظهر فى آخر الزمان . وأكثر المحدثين على أنه من ولد فاطمة عليها السلام . وأصحابنا المعتزلة لا ينكرونه . وقد صرحوا بذكره فى كتبهم » .

(٧) موضع هذه الخطبة فيما عدا ل ، فى ص ٥٦ قبل خطبة ابن مسعود .

(٨) المضمار : الزمان الذى تضمر فيه الخيل للسباق ، والموضع مضمار كذلك . وكلمة « اليوم » تكملة من نهج البلاغة وإعجاز القرآن للباقلانى ١٢١ وعيون الأخبار (٢ : ٢٣٥).

(٩) التكملة من نهج البلاغة وماعدا ل .

(١٠) وكذا فى نهج البلاغة . وفيما عدا ل : « ولم يضره أمله » ، وهما وجهان جائزان فى العربية : الفك والإدغام .

خسِر عملُه ، وضَرّه أملُه . ألاَ فاعمَلوا لله فى الرَّغبة ، كما تعملون له فى الرَّهبة . ألاَ وإنّى لم أرَ كالجنّة نام طالبُها ، ولا كالنّار نامَ هاربها[١] . ألا وإنّه من لم ينفعه الحقّ يضرّه الباطل ، ومن لم يستقم به الهُدَى يَجُرْ بِهِ الضَّلالُ[٢] . ألاَ وإنّكم قد أُمِرتم بالظَّعْن ، ودُلِلتم على الزّادِ ، وإنّ أخوفَ ما أخاف عليكم اتّباعُ الهوى وطُولُ الأمل . ٢٦٧

ومن خطب على أيضا رضى الله عنه

قال : أغار سُفيان بن عوف الأزدىّ ثم الغامدىّ على الأنبار ، زمن على بن أبى طالب رضي الله عنه ، وعليها حسّان — أو ابن حسّان — البكرى[٣] فقتلَه ، وأزال تلك الخيلَ عن مَسالِحِها ، فخرج على بن أبى طالب رضى الله عنه حتّى جلس على باب السُّدَّة[٤] ، فحمِد الله وأثنى عليه وصلّى على نبيه ثم قال :

أمّا بعدُ ، فإنّ الجهادَ بابٌ من أبواب الجنة[٥] . فمن تركه رغبةً عنه ألبسه الله ثوبَ الذُّلّ ، وشمِله البلاء ، ولَزِمه الصَّغار ، وسِيمَ الخَسفَ ، ومُنِعَ النَّصَف[٦] . ألاَ وإنّى قد دعوتُكم إلى قتال هؤلاءِ القومِ ليلاً ونهارا ، وسِرًّا وإعلانا ، وقلت لكم : اغزُوهم قبل أن يَغزوكم ؛ فوالله ما غُزِىَ قومٌ قطُّ فى

---

(١) ابن أبى الحديد (١ : ١٤٧) : « يقول : إن من أعجب العجائب من يوقن بالنار كيف لا يهرب منها وينام . أى لا ينبغى أن ينام طالب هذه ولا الهارب من هذه » .

(٢) يجر ، من الجور ، وهو الميل عن القصد . ل : « يجزيه » محرف .

(٣) فى كامل المبرد ١٤ ليبسك وابن أبى الحديد (١ : ١٤١) حيث نقل عن الكامل « حسان بن حسان » . وفيما عدا ل « وعليها ابن حسان أو حسان البكري » . وذكر ابن أبى الحديد (١ : ١٤٥) أن ابن حسان هو أشرس بن حسان البكرى .

(٤) السدة : كالصفة تكون بين يدى البيت . وسدة المسجد : ما حوله من الرواق . الكامل وابن أبى الحديد : « حتى أتى النخيلة واتبعه الناس فرقى رباوة من الأرض » .

(٥) بعده فى نهج البلاغة : « فتحه الله لخاصة أوليائه ، وهو لباس التقوى ، ودرع الله الحصينة ، وجنته الوثيقة » .

(٦) النصف ، بالتحريك ، وكذا النصفة : الإنصاف . ويقال النصف أيضاً مثلث النون .

عُقْرِ دارهم إلا ذَلُّوا[1] فتواكلتم وتخاذلتم ، وثقُل عليكم قولى واتّخذتموه وراءكم ظِهريًّا ، حتى شُنّت عليكم الغارات . هـذا أخو غامدٍ قد وردَتْ خيلُهُ الأنبار ، وقتَل حسّان — أو ابن حسّان — البكرى[2] ، وأزال خيلكم عن مَسالحها[3] ، وقتَل منكم رجالا صالحين[4] . ولقد بلغنى أنّ الرّجلَ منهم كان يدخل على المسلِمة والأُخرى المعاهَدة ، فينزع حِجْلها وقُلْبَها ورعاثها[5] ثم انصرفوا وافِرِين ، ما كُلِم رَجلٌ منهم كَلْماً ، فلو أنّ امرأً مسلما مات من بعد هذا[6] أسفاً ، ما كان عندى به ملوما ، بل كان به عندى جديراً . فيا عجبا من جِدِّ هؤلاء القوم فى باطلهم ، وفَشَلِكم عن حَقِّكم . فقُبْحاً لكم وتَرَحاً[7] ، حين صِرتم هدفاً يُرمَى[8] ، وفَيْئاً يُنْتَهَب ، يُغارُ عليكم ولا تُغيرون ، وتُغْزَوْن ولا تَغزُون ، ويُعصَى اللهُ وترضَون ؛ فإذا أمرتُكم بالسَّير إليهم فى أيام الحرّ ٢٦٨
قلتم : حَمارّةُ القيظ[9] ، أمهِلْنا يَنسلخ عنّا الحرّ[10] وإذا أمرتُكم بالسَّير فى البَرد قلتم : أمهلْنا ينسلخ عنا القُرّ . كلّ ذا فِراراً من الحَرّ والقُرّ . فإذا كنتم من الحرّ والقُرّ تفِرُّون ، فأنتم والله من السيف أفرّ ، يا أشباهَ الرِّجال ولا رجال ، ويا أحلامَ الأطفالِ وعقولَ ربّاتِ الحِجال ، وددتُ أنّ الله قد أخرجني من بين ظَهرانَيْكم

---

(١) عقر القوم ، بالضم والفتح : محلتهم بين الدار والحوض .

(٢) نهج البلاغة والكامل : « حسان بن حسان » .

(٣) ل فقط : « خيلهم » .

(٤) هذه الجملة لم ترد فى غير البيان .

(٥) الحجل : الخلخال . والقلب ، بالضم : السوار . والرعاث : جمع رعث ، بالفتح ، ورعثة بالضم والتحريك ، وهو القرط . فيما عدا ل : « فينتزع أحجالها وقلبها ورعثها » .

(٦) فيما عدا ل : « من بعدها » .

(٧) قبحه الله قبحاً : أقصاه وباعده من كل خير . يقولون قبحاً له وشقحا ، بفتح أولهما وضمه .

(٨) الكامل ونهج البلاغة وعيون الأخبار (٢ : ٢٣٦) وما عدا ل : «غرضاً يرمى» .

(٩) حمارة القيظ بتخفيف الميم وتشديد الراء : شدة حره .

(١٠) وكذا فى نهج البلاغة . فيما عدا ل : « حتى ينسلخ عنا الحر » . الكامل : « أنظرنا ينصرم عنا الحر » .

وقبضَني إلى رحمته من بينكم . والله لَوَدِدْتُ أنّي لم أرَكم ، ولم أعرِفكم . معرفة والله جرَّتْ ندماً . قد وَرَيْتم صدري غيظاً[١] ، وجرّعتموني الموت أنفاساً[٢] ، وأفسدتُمْ عليّ رأيي بالعصيان والخِذْلان ، حتى قالت قريش : ابنُ أبي طالب شجاعٌ ولكن لا علمَ له بالحرب . لله أبوهم ، وهل منهم أحدٌ أشدُّ لها مِراساً أوْ أطولُ لها تجربةً منّي ؟ لقد مارستها وما بلغتُ العشرين[٣] ، فهأنذا قد نيّفت على السّتين[٤] ولكن لا رأيَ لمن لا يُطاع .

قال : فقام له رجلٌ من الأزْد يقال له فلان بن عفيف ، ثم أخذ بيد ابن أخٍ له فقال : هأنذا يا أمير المؤمنين لا أملك إلا نفسي وابن أخي[٥] فأْمُرْنا بأمرك[٦] فوالله لنَمْضينَّ له ولو حال دون أمرك شوكُ[٧] الهَرَاس[٨] وجمرُ الغَضى . فقال لهما عليّ . وأين تبلغان ما أريد ، رحمكما الله .

وخطبة له أخرى بهذا الإسناد في شبيه بهذا المعنى

قام فيهم خطيبا فقال[٩] :

---

(١) يقال ورى القيح جوفه يريه وريا : أكله . فيما عدا ل : « وورثتم صدري غيظاً » . نهج البلاغة : « وشحنتم صدري غيظاً » .

(٢) أنفاساً : جمع نفس ، بالتحريك ، وهو الجرعة من الماء ونحوه .

(٣) فيما عدا ل : « العشرين فيها » .

(٤) نهج البلاغة : « قد ذرفت على الستين » .

(٥) فيما عدا ل . « أنا وأخي كما قال الله : رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي » .

(٦) فيما عدا ل : « فمرنا بأمرك » .

(٧) فيما عدا ل : « لنضربن دونك وإن حال دونك جمر الغضى » .

(٨) الهراس ، بالفتح : شجر كثير الشوك . ب ، ح : « وشوك القتاد » . وبعد هذه الكلمة فيما عدا ل : « قال : فأثنى عليهما وقال لهما خيراً وقال : أين تقعان مما أريد . ثم نزل » .

(٩) ابن أبي الحديد (١ : ١٥٢) : « وهذه الخطبة خطب بها أمير المؤمنين في غارة الضحاك بن قيس » ، وذلك بعد الحكمين ، وقبل قتال النهروان .

أيها الناسُ المجتمعة أبدانهم ، المختلفة أهواؤكم[١] . كلامكم يُوهِى الصُّمَّ الصِّلَاب ، وفعلكم يُطمع فيكم عَدُوَّكم . تقولون فى المجالس كَيتَ وكَيتَ ، فإذا جاء القتال قلتم حِيدِى حَيادِ[٢] . ما عَزَّت دعوةُ مَن دعاكم ، ولا استراح قلبُ من قاساكم ، أعاليلُ بأضاليل[٣] . سألتمونى التأخيرَ دِفاعَ ذى الدَّين المطولِ[٤] .

٢٦٩ هيهات لا يمنع الضَّيمَ الذَّليلُ ، ولا يُدرَكُ الحقُّ إلا بالجِدّ . أىَّ دارٍ بعد داركم تَمنعون ؟ أم مع أىِّ إمامٍ بعدى تقاتلون . المغرورُ وَاللهِ مَن غَرَرتموه ، ومَن فاز بكم فاز بالسهم الأخْيَب ، أصبحتُ والله لا أصدِّق قولكم ، ولا أطمَع فى نصركم فَرَّقَ الله بينى و بينكم ، وأعقبَنِى بكم مَن هو خيرٌ لى منكم . لَوَددتُ أنَّ لى بكلِّ عشرة منكم رجلاً من بنى فِرَاسِ بن غَنْمٍ ، صَرْفَ الدِّينار بالدِّرهم .

خطبة عبد الله بن مسعود رحمه الله

أصدقُ الحديث كتاب الله ، وأوثق العُرى كلمة التَّقوى ، وخير المِلل مِلّة إبراهيم صلى الله عليه وسلم ، وأحسن السَّنَن سنّة محمد صلى الله عليه وسلم[٥] ، وشرُّ الأمور مُحْدَثاتها ، وخير الأمور عزائمها . ما قلَّ وكفى خيرٌ مما كثر وألهى . نفسٌ تُنْجِيها خيرٌ من إمارة لا تُحْصِيها[٦] . خيرُ الغِنى غنى النَّفس . خَيرُ ما أُلقِىَ فى

---

(١) هذا على الالتفات . نهج البلاغة : « أهواؤهم » .

(٢) حيدى حياد : كلمة يقولها الهارب الفار . من حاد عن الشىء ، أى انحرف . وحياد كقطام .

(٣) ابن أبى الحديد : « الباء فى قوله بأضاليل متعلقة بأعاليل نفسها ، أى يتعللون بالأضاليل التى لا جدوى لها .

(٤) المطول من المطل ، وهو التسويف والمدافعة بالوعد.

(٥) بعدها فى إعجاز القرآن للباقلانى ١٢٢ : « خير الأمور أوساطها » .

(٦) فى هامش التيمورية : « معناه أن يحكم الإنسان نفسه فيردها عن الشهوة والظلم فينجيها بذلك ، خير له من أن يكون أميراً على جماعة لا يقدر أن يعدل فيهم فيوبق نفسه » .

القلب اليقين . الخمر جُمَّاع الآثام(١) . النساء حُبالةُ الشَّيطان . الشباب شُعبة من الجنون . حبُّ الكفاية مِفتاح المَعْجَزة(٢) . من الناس من لا يأتى الجماعة إلا دَبْراً(٣) . ولا يذكر الله إلا نزراً(٤) . أعظمُ الخطايا اللّسان الكذوب . سِباب المؤمن فِسق(٥) ، وقتاله كفر ، وأكل لحمِه معصية . من يَتألَّ على الله يكذِبْه(٦) ومن يَغفر يُغفَرْ له . مكتوبٌ فى ديوان المحسنين : مَن عفا عُفِى عنه ، الشقى من شَقى فى بطن أمه . السَّعيد مَن وُعِظ بغيره . الأمور بعواقبها . مِلاكُ الأمر خواتمه(٧) . أحسن الهَدْى هَدْىُ الأنبياء . أقبح الضَّلالة الضلالةُ بعدَ الهدى . أشرف الموتِ الشهادة ، مَن يعرِفِ البلاء يصبرْ عليه . من لا يعرف البلاء يُنكره .

خطبة عتبة بن غزوان السلمى بعد فتح الأبلة

٢٧٠ حَمِدَ الله وأثنى عليه وصلَّى على النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال :

أمَّا بعد فإن الدنيا قد تولت حَذَّاءَ مُدْبِرة(٨) ، وقد آذنت أهلها بصَرْمٍ ، وإنَّما بقى منها صُبَابةٌ كصُبابة الإناء يصطبُّها صاحبها(٩) . ألا وإنكم منقولون

---

(١) جماع كل شيء : مجتمع خلقه . وجماع جسد الإنسان رأسه . وهو بضم الجيم وتشديد الميم . والآثام : جمع إثم . وفى إعجاز القرآن : « جماع الإثم » .

(٢) المعجزة ، بالفتح : مصدر ميمي من عجز ، وفى هامش التيمورية « يريد الكفاية من العبادة : أن يستغنى الإنسان بالقليل منها عن الكثير فيؤدى ذلك إلى العجز » .

(٣) الدبر ، بالفتح والضم ، أى آخر الوقت . وفى الحديث فى علامة المنافقين : « ولا يأتون الصلاة إلا دبرا » . اللسان (٥ : ٣٥٤) .

(٤) فيما عدا ل وكذا فى إعجاز القرآن ، والعقد : (٤ : ١٣٩) طبع لجنة التأليف : « إلا هجرا » وفى هامش التيمورية : « أى لا يذكره إلا إذا حلف بيمين حانث » .

(٥) وكذا فى إعجاز القرآن . فيما عدا ل : « فسوق » .

(٦) أى من حكم عليه وحلف ، كقولك : والله ليدخلن الله فلانا النار ، ولينجحن الله سعى فلان . انظر اللسان (١٨ : ٤٣) .

(٧) فيما عدا ل وكذا إعجاز القرآن : « ملاك العمل خواتيمه » .

(٨) حذاء : سريعة الإدبار . والحذذ : السرعة والخفة . وكلمة « حذاء مدبرة » ليست فى العقد (٤ : ١٣٠) .

(٩) يقال : اصطب الصبابة وتصببها وتصابها ، أى شربها . والصبابة ، بالضم : بقية الماء واللبن ونحوهما فى الإناء والسقاء .

منها إلى دارٍ لا زوال لها ، فانتقِلوا منها بخير ما يحضُركم[١] فإنه قد ذُكِرَ لنا[٢] أن الحجَرَ يُلقَى فى النار من شَفيرها[٣] فيهوى فيها سبعين عاما[٤] لا يُدرِكُ لها قَعرا . والله لتُملأَنّ . أفعجبتم ولقد ذكر لنا أن ما بين مصراعين من الجنّة مسيرة أربعين سنة[٥] ، وليأتين عليه وقت[٦] وهو كظيظٌ بالزِّحام . ولقد رأيتنى سابعَ سبعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم[٧] وما لنا طعامٌ إلا ورق الشجر[٨] حتى قَرِحت أشداقنا ، فالتقطتُ بُردةً فشققتها بينى و بين سعد بن مالك[٩] فاتّزرتُ بنصفها واتّزر بنصفها ، فما أصبح اليومَ أحدٌ منا حيًّا إلا أصبح أميراً على مصر من الإمصار.[١٠] وإنى أعوذ بالله من أن أكون فى نفسى عظيما ، وعند الله صغيرا . وإنها لم تكن نبوّة قطّ إلا تناسخَتْ حتى يكون عاقبتُها مُلْكا[١١] . وستَخْبُرُون الأمراءَ بعدى فتعرفون وتُنكِرون[١٢] .

---

(١) فى العقد وما عدا ل : «ألا وإنكم مفارقوها لا محالة ففارقوها بأحسن مايحضركم» .

(٢) بدله فى العقد وما عدا ل : « ألا وإن من العجب أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول » .

(٣) فيما عدا ل : « إن الحجر الضخم يلقى فى النار » العقد : « إن الحجر الضخم يرمى به فى شفير جهنم » .

(٤) فى العقد وما عدا ل « خريفاً » . والكلام بعدها إلى «أفعجبتم» من ل فقط .

(٥) بدل هذه العبارة فيما عدا ل والعقد : « ولجهنم سبعة أبواب ما بين البابين مسيرة خمسمائة سنة » لكن فى العقد : « بين كل بابين منها مسيرة خمسمائة عام» .

(٦) فيما عدا ل : « ولتأتين عليه ساعة » العقد : « ولتأتين عليها ساعة ولها كظيظ بالزحام » .

(٧) فى العقد وما عدا ل : « ولقد كنت مع رسول الله سابع سبعة » .

(٨) في العقد وما عدا ل : «البشام» وهو كسحاب : شجر عطرى الرائحة يستاك به .

(٩) فى العقد وما عدا ل : « فوجدت أنا وسعد بن مالك نمرة فشققتها بينى وبينه » .

(١٠) العقد وما عدا ل : « وما منا أحد اليوم إلا وهو أمير على مصر » .

(١١) بدل هذه العبارة فيما عدا ل : «وإنه لم تكن نبوة قط إلا تناسختها جبرية » .

(١٢) هذه العبارة ساقطة من العقد . وفيما عدا ل : «وستجربون» بدل «وستخبرون» .

خطبة من خطب معاوية رحمه الله[(١)]

رواها شُعيب بن صفوان[(٢)] ، وزاد فيها البقطرى[(٣)] وغيره . قالوا : لما حضرَتْ معاويةَ الوفاةُ قال لمولًى له : من بالباب ؟ قال[(٤)] : نفرٌ من قريش يتباشرون بموتك . فقال : ويْحَك ، ولِمَ ؟ قال : لا أدرى . قال : فوالله ما لهمْ بعدى إلاّ الذى يسوؤهم . وأذِنَ للنّاس فدخلوا ، فحمِد الله وأثنى عليه وأوجَزَ ثم قال :

أيها النّاس ، إنّا قد أصبحنا فى دهرٍ عَنُود[(٥)] ، وزمن شديد ، يُعَدُّ فيه المحسنُ مسيئا ، ويزداد فيه الظالمُ عُتُوًّا ، ولا نَنتفِع بما علِمْناه ، ولا نسأل عمّا جهلناه ، ولا نتخوّف قارعةً حتى تحلَّ بنا . فالناس على أربعة أصناف : مِنْهم من لا يمنعه الفسادَ فى الأرض إلاّ مهانةُ نفسه ، وكَلالُ حَدِّه ، ونضيض وَفْره[(٦)] . ومنهم المُصلِت لسيفه ، المُجْلِب بخيله ورَجْله ، والمُعلِن بسرِّه ؛ قد أشْرَطَ لذلك نفسَه[(٧)] ، وأوبَقَ دينَه ، لحُطام ينتهزُه ، أو مِقْنَبٍ يقودُه ، أو منبرٍ يَفْرَعُه[(٨)] ، ولَبِئْس المتجرُ أن تَراها[(٩)] لنفسك ثمنا ، ومِمّا لكَ عند الله عوضا . ومنهم مَن ٢٧١

---

(١) فيما عدا ل : « معاوية بن أبى سفيان رضى الله تعالى عنهما » .

(٢) هو أبو يحيى شعيب بن صفوان بن الربيع الثقفى الكوفى الكاتب ، ذكره ابن حبان فى الثقات . سكن بغداد ومات بها أيام الرشيد . تاريخ بغداد ٤٨١٣ وتهذيب التهذيب .

(٣) كذا فى ل مع ضبط الطاء بالفتح . وفيما عدا ل : « اليقطرى » .

(٤) ل : « قل لموال له من بالباب ؟ قالوا » وسائر العبارة فى ل بجمع الضمائر للموالى . وأثبت ما فى سائر النسخ والعقد (٤ : ٨٨) وإعجاز القرآن ١٢٣ وعيون الأخبار (٢ : ٢٣٧) وابن أبى الحديد (١ : ١٧٢) حيث نسبت الخطبة فى الأخير إلى على بن أبى طالب .

(٥) العنود : الجائر الطاغى . ل : « عتود » تحريف .

(٦) النضيض : القليل . والوفر : المال .

(٧) أشرط نفسه للأمر : أعدها وهيأها . والإشراط : الإعلام بعلامة .

(٨) يفرعه : يعلوه .

(٩) فى الأصول والعقد وعيون الأخبار : « تراها » صوابها من إعجاز القرآن . وفى نهج البلاغة : « أن ترى الدنيا لنفسك » .

يطلب الدنيا بعملِ الآخرة ، ولا يطلب الآخرةَ بعمل الدنيا ، قد طامَنَ [مِن] شخصه ، وقارب مِن خطوه[١] وشمَّر من ثوبه ، وزخرف نَفْسَه الأمانة[٢] ، واتَّخذ سِترَ الله ذريعةً إلى المعصية[٣] . ومنهم مَن أقعدَه عن طلَب الملك ضُؤُولة نفْسه ، وانقطاعٌ من سببه[٤] ، فقصَّرت به الحالُ عن أمَله ، فتحلَّى باسم القناعة ، وتزيَّنَ بلباس الزَّهادة[٥] وليس من ذلك في مَرَاحٍ ولامَغْدًى . وبَقِىَ رِجالٌ غَضَّ أبصارَهم ذِكرُ المرجِع ، وأراق دموعَهم خوفُ المحشَر[٦] ، فهم بين شريد نادٍّ[٧] ، وخائفٍ منقمِع ، وساكت مكعوم[٨] ، وداعٍ مخْلص ، وموجَع ثَكْلان ، قد أخملتهم التَّقِيَّةُ ، وشمِلتهم الذِّلّة ، فهم فِي بحرٍ أُجَاج ، أفواههم ضامزة[٩] ، وقلوبهم قَرِحَة ، قد وُعِظوا حتّى ملُّوا ، وقُهِروا حتّى ذَلُّوا ، وقتلوا حتى قلُّوا . فلتكن الدنيا فى عيونكم[١٠] أصغرمن حُثالة القَرَظ[١١] ، وقُرَاضة الجَلَمَين[١٢] . واتَّعظوا

---

(١) ل : « فى خطوه » . وأثبت ما فى سائر النسخ والمصادر المتقدمة .

(٢) فى العقد : « بالأمانة » . (٣) فيما عدا ل : « للمعصية » .

(٤) إعجاز القرآن والعقد وما عدا ل : « وانقطاع سببه » .

(٥) العقد : « وتزيا » العيون والإعجاز وما عدا ل : « الزهاد » . وفى نهج البلاغة « بلباس أهل الزهادة » .

(٦) العقد : « خوف المضجع » .

(٧) الناد : النافر الذاهب على وجهه . فيما عدا ل : « نافر » .

(٨) المكعوم : المشدود بالكعام ، وهو ككتاب : شىء يجعل على فم البعير . ل فقط : « معكوم » تحريف .

(٩) ضامزة : ساكنة . من قولهم ضمز البعير : أمسك جرته فى فيه . العقد والعيون : « ضامرة » بالراء تحريف صوابه فى نهج البلاغة . وفى إعجاز القرآن « دامية » .

(١٠) وكذا فى الإعجاز . وفى العقد والعيون وماعدا ل : « أعينكم » .

(١١) ل : « القرط » محرف ، صوابه فى العقد والعيون والإعجاز والنهج . وفيما عدا ل : « القرظة » . والقرظة : واحدة القرظ .

(١٢) الجلمان : المقص يجز به أوبار الأبل . والقراضة : ما يقع من القرض والقطع . العقد : « قرادة الحلم » تحريف . وفى سائر المصادر : « قراضة الجلم » .

بمَن كان قبلكم ، قبلَ أن يتعظ بكم مَن يأتى بعدكم . فارفُضوها ذَميمةً ؛ فإنّها رَفضت مَن كان أشغَفَ بها منكم .

* * *

وفى هذه الخطبة أبقاكَ الله ضروبٌ من العجب : منها أنّ الكلام لا يشبه السبَبَ الذى من أجله دعاهم معاوية ، ومنها أنّ هذا المذهبَ فى تصنيف الناس ، وفى الإخبار عَمّا هم عليه من القهر والإذلال ، ومن التَّقيّة والخوف ، أشبه بكلام على رضى الله عنه ومعانيه وحالِه منه[1] بِحال معاوية . ومنها أنّا لم نَجِدْ معاويةَ فى حالٍ من الحالات يسلُك فى كلامه مَسلكَ الزُّهّاد ، ولا يذهبُ مذاهبَ العُبّاد . وإنما نكتب لكم ونخبِرُ بما سمِعناه ، والله أعلمُ بأصحاب الأخبار ، وبكثيرٍ منهم[2] .

٢٧٢ خُطبة زياد بالبصرة

وهى التى تدعى البتراء[3]

قال أبو الحسن المدائنى[4] ، وغيره ، ذكر ذلك عن مَسلمة بن محارب ، وعن أبى بكر الهذلى قالا : قدم زيادٌ البَصرة واليا لمعاوية بن أبى سفيان [وضم إليه

(١) فيما عدا ل : « وبمعانيه وبحاله منه » .

(٢) وكذا قال الرضى فى نهج البلاغة معقبا على هذه الخطبة وقد نسبها إلى على ، قال : « وهذه الخطبة ربما نسبها من لا علم له إلى معاوية ، وهى من كلام أمير المؤمنين عليه السلام الذى لا يشك فيه ، وأين الذهب من الرغام ، والعذب من الأجاج ، وقد دل على ذلك الدليل الخريت ، ونقده الناقد البصير عمرو بن بحر الجاحظ ، فإنه ذكر هذه الخطبة فى كتاب البيان والتبيين ، وذكر من نسبها إلى معاوية ثم قال : هى بكلام على أشبه .. » إلى آخر كلامه .

(٣) انظر سبب تسميتها بالبتراء فى أوائل هذا الجزء ٦ س ٦ . وأوردها ابن قتيبة فى عيون الأخبار (٢ : ٢٤١ ، ٢٤٣) برواية أخرى وجعلها خطبتين . ونحو رواية ابن قتيبة فى نوادر القالى ١٨٥ . أما صاحب العقد فقد أوردها من رواية المدائنى موافقة ما فى البيان ، وجاء بها الطبرى فى حوادث سنة ٤٥ مقاربة لذلك .

(٤) بعدها فى ل : « وغيره » . وهى مقحمة فيما أرى وليست فى العقد .

خراسان وسجستان ، والفسقُ بالبصرة كثير فاشٍ ظاهر[(١)]] . فالا : فخطب خطبة بتراء ، لم يَحمَد الله فيها ، ولم يصلِّ على النبي .

وقال غيره : بل قال :

الحمد لله على إفضاله وإحسانه ، ونسأله المزيدَ من نِعَمه وإكرامه . اللهُمّ كما زدتنا نِعمًا فألهِمْنا شُكرًا .

أما بعد فإنّ الجهالةَ الجهلاء ، والضّلالةَ العمياء، والغيَّ الموفى بأهله على النار ، ما فيه سفهاؤكم ويشتمل عليه حلماؤكم ، من الأمور العظام ينْبُتُ فيها الصغير ، ولا ينْحاشُ عنها الكبير[(٢)] ، كأنّكم لم تقرءوا كتاب الله ، ولم تسمعوا ما أعَدّ الله مِن الثّواب الكريم لأهل طاعته ، والعذابِ الأليم لأهل معصيته ، فى الزمن السَّرمَدِ[(٣)] الذى لا يزول ، أتكونون كمن طرفت عينيه الدُّنيا ، وسَدّت مسامعَه الشهواتُ ، واختار الفانيةَ على الباقية ، ولا تذكرون أنّكم أحدثتم فى الإسلام الحَدَثَ الذى لم تُسبَقوا إليه : مِن ترْكِكم[(٤)] الضعيفَ يُقهر ويؤخذُ مالُه ، وهذه المواخيرِ المنصوبة[(٤)] ، والضعيفةِ المسلوبة فى النّهار المُبْصِر ، والعددُ غير قليل . ألم تكن منهم نُهاةٌ تَمنع الغُواة عن دَلَجِ الليل وغارة النهار ؟! قرّبتُم القرابة ، وباعدتم الدِّين ، تعتذرون بغير العُذر ، وتُغْضُون على المختلس[(٥)] . أليس[(٦)] كلُّ امرئٍ منكم يذُبُّ عن سفيهه ، صُنْعَ[(٧)] مَن لا يخافُ عاقبةً ولا يرجو مَعاداً . ما أنتم بالحلماء ،

---

(١) التكملة من العقد ومما عدال .

(٢) انحاش عن الأمر : نفر منه . العقد والطبرى : « ولا يتحاشى » ولست أحقها.

(٣) العقد : « السرمدى » .

(٤ — ٤) العقد والطبرى : « من ترككم هذه المواخير المنصوبة » .

(٥) ل : « على الذم » وأثبت ما فى سائر النسخ والعقد . وفى الطبرى : « و تغطون على المختلس » .

(٦) كلمة « أليس » فى ل فقط .

(٧) فى الطبرى والعقد وما عدا ل : « صنيع »

ولقد اتبعتم السُّفهاء ، فلم يزَلْ بهم ما يرون[١] مَن قيامكم دُونَهم حتَّى انتهكوا حُرَم الإسلام ، ثم أطرقوا وراءكم كُنُوسا فى مَكَانِسِ الرِّيَب . حَرامٌ علىَّ الطَّعامُ والشرابُ حتى أسوِّيَها بالأرض ، هَدْمًا و إحراقا . إنِّى رأيتُ آخِرَ هذا الأمرِ
٢٧٣ لا يصلُح إلاّ بما صَلَح به أوّلُه : لينٌ فى غيرِ ضَعف ، وشدةٌ فى غيرْ عُنف[٢] . و إنِّى أُقسِم بالله ، لآخُذَن الولىَّ بالولىِّ[٣] ، والمقيم بالظّاعن ، والمقبلَ بالمدْبر ، والمطيع بالعاصى ، والصَّحيحَ منكم فى نفسه بالسقيم ، حتَّى يَلقَى الرَّجُل منكم أخاه فيقول : انجُ سعدُ فقد هلكَ سُعَيْدٌ ، أو تستقيمَ لى قناتُكم . إنَّ كِذْبَةَ المِنبر بلقاء مَشْهُورةٌ[٤] ، فإذا تعلقتم علىّ بكذبةٍ فقدحلّت لكم معصيتى ، و إذا سمعتموها مِنِّى فاغتمزُوها فىَّ[٥] واعلموا أنّ عندي أمثالَها . من نُقِب منكم عَلَيْه فأنا ضامنٌ لما ذهبَ له[٦] . فإيّاىَ ودَلَجَ اللَّيل ؛ فإنِّى لا أُوتَى بمُدلِج إلا سفكتُ دمَه . وقد أجّلْتُكم فى ذلك بقدرِ[٧] ما يأتى الخبرُ الكُوفَةَ و يرجعُ إليكم . و إياىَ ودعْوةَ الجاهليّة[٨] ؛ فإنى لا آخُذ داعياً بها إلا قطعتُ لسانه . وقد أحدَثْتم أحداثا لم تكُن ، وقد أحدثْنا لكلٍّ ذنبٍ عُقوبة : فمَنْ غرَّق قوما غرقناه ، ومَن أحرق قوما أحرقناه ، ومَن نقبَ بيتا نقبنا عن قلبه ، ومَن نبش قبراً دفناه فيه حَيًّا . فكُفُّوا عنى أيديكم وألسنتكم ، أكْفُفْ عنكم يدى ولسانى . ولا تَظْهَرُ على

---

(١) العقد وما عدال : « فلم يزل بكم ما ترون »

(٢) الطبرى : « فى غير جبرية وعنف » .

(٣) العقد فقط : « الولى بالمولى » .

(٤) الطبرى : « تبقى مشهورة » .

(٥) اغتمز الشىء : استضعفه . ل : « فاعتبروها فى » . النوادر : « فاختبروها فى » .

(٦) العقد وما عدال : « منه » (٧) فيما عدال : « بمقدار » .

(٨) العقد والطبرى والعيون : « ودعوى الجاهلية » . وفى اللسان : « وفى الحديث مابال دعوى الجاهلية . هو قولهم يالفلان . كانوا يدعون بعضهم بعضا عند الأمر الحادث الشديد . ومنه حديث زيد بن أرقم : فقال قوم : ياللأنصار . وقال قوم : ياللمهاجرين ! فقال عليه السلام : دعوها فإنها منتنة » .

أحدٍ منكم ريبةٌ بخلاف ما عليه عامّتكُم إلاّ ضربتُ عنقه . وقد كانت بيني
و بين أقوامٍ إحَنٌ جعلْتها دَبْرَ أُذْني وتحتَ قدَمِي ، فمَنْ كان منكم مُسيئا فلينزِعْ
عن إساءته . إنّي والله لو علمتُ أنّ أحدكم قد قتله السِّلُّ مِن بُغضى لم أكشِف له
قِناعا ، ولم أهتِكْ له سِتراً ، حتى يُبدِيَ لى صفحته ، فإذا فعلَ ذلك لم أناظِرْه .
فاستأنِفُوا أموركم ، وأرْعُوا على أنفسكم(١) ؛ فربَّ مَسُوءٍ بقدومنا سنسُرُّه(٢)
ومسرور بقدومنا سنسُؤوه(٣) .

أيُّها الناس ، إنّا أصبحنا لكم سَادة ، وعنكم ذَادةً ، نَسوسُكم بسلطان الله
الذى أعطانا ، ونذودُ عنكم بفَيْء الله الذى خوّلَنا . فلنا عليكم السّمعُ والطاعة فيما
أحبَبْنا ، ولـكم علينا العـدل والإنصاف فيما وُلّينا . فاستوجِبُوا عدْلنا وفيئَنا
بمناصَحتِكم لنا ، وأعلموا أنّى مهما قصّرتُ عنه فلن أقصِّر عن ثلاثٍ : لستُ
٢٧٤ محتجباً عن طالبِ حاجةٍ منكم ولو أتانى طارقاً بليل ، ولا حابسًا عطاءً ورزقا
عن إبّانه ، ولا مجمّراً لـكم بعثا(٤) . فادعُوا الله بالصَّلاح لأئمّتكم ؛ فإنهم
ساساتكم المؤدِّبون(٥) ، وكهفُـكم الذى إليه تأوُون ، ومتى يصلُحوا تَصلُحوا .
ولا تُشْرِبوا قلوبَكم بُغضَهم فيشتدَّ لذلك غيظُـكم ، و يطولَ له حُزنُـكم ،
ولا تُدْركوا بِهِ حاجتكم ، مع أنّه لو استُجيب لـكم فيهم لـكان شراً لـكم .
أسأل الله أن يُعينَ كُلاًّ على كلٍّ . و إذا رأيتمونى أُنفِذ فيكم الأمرَ فأَنفِذوه على

---

(١) الإرعاء : الإبقاء والرفق . الطبرى والعقد وما عدال : « وأعينوا على أنفسكم » .
(٢) الطبرى والعقد وما عدال : « فرب مبتئس بقدومنا سيسر » .
(٣) الطبرى والعقد وما عدا ل : « سيبتئس » .
(٤) انظر ما سبق فى ص ٤٨ س ٣ .
(٥) فيما عدا ل وكذا فى سائر المصادر : « ساستكم » . وساسات : جمع ساسة ، كسادات جمع سادة .

أذلاله[١] وأيمُ الله إنَّ لى فيكم لَصَرعى كثيرةً ، فليحذرْ كلُّ امرئٍ منكم أنْ يكون من صَرْعاى .

قال : فقام إليه عبدُ الله بن الأهتم[٢] فقال : أشهد أيُّها الأمير ، لقد أُوتيتَ الحكمةَ وفَصل الخطاب . فقال له : كذبتَ ، ذلك نبيُّ الله داود .

فقام الأحنفُ بن قيس فقال[٣] : أيُّها الأمير ، إنما المرء بجدِّه ، والجوادُ بَشدِّه وقد بلَّغك جدُّك أيُّها الأميرُ ما ترى ، و إنما[٤] الثناء بعد البلاء ، والحمدُ بعد العَطاء و إنا لن نُثنِيَ حتى نَبتلي . فقال له زياد : صدقت .

فقام إليه أبو بلال مِرداس بن أُدَيَّة[٥] ، وهو يهمس و يقول : أنبأنا الله بغير ما قلت ، فقال[٦] : ﴿ و إبراهيمَ الذى وَفَّى . ألاَّ تزرُ وازرةٌ وِزرَ أُخْرَى . وَأَنْ لَيسَ لِلإنْسَانِ إلاَّ مَا سَعَى ﴾ . وأنتَ تزعُم أنك تأخذ البرىءَ بالسقيم ، والمطيعَ بالعاصى ، والمقبلَ بالمدبر . فسمعه زيادٌ[٧] فقال : إنا لا نبلغُ ما نُريد فيك وفى أصحابك حَتَّى نخوض إليكمُ الباطلَ خَوْضا .

وقال الشعبي[٨] : ماسمعتُ متكلِّماً على مِنبرٍ قطُّ تكلَّمَ فأحسَنَ إلاَّ أحببتُ

---

(١) على أذلاله : على طرقه ووجوهه ، واحده ذل ، بكسر الذال ، وهو ما مهد وذلل من الطريق .

(٢) فى نوادر القالى ١٨٥ : « صفوان بن الأهتم » .

(٣) الكلام بعده إلى نهاية « ما ترى » من ل فقط . وفى النوادر : « إن الجواد بشده ، وإن السيف بحده ، وإن المرء بجده » . ونحوه فى عيون الأخبار . ولم يذكر فى العقد والطبرى .

(٤) الواو ساقطة مما عدا ل لأنها فيها أول كلام الأحنف .

(٥) هو أبو بلال مرداس بن أدية — بهيئة التصغير — أحد الخوارج . خرج فى أيام يزيد بن معاوية بناحية البصرة على عبيد الله بن زياد ، فبعث إليه زرعة بن مسلم العامرى ، فهزم زرعة ، ثم وجه إليه عباد بن علقمة فهزمه وقتله سنة ٦١ ، وهى سنة مقتل الحسين . وقد أنشد الجاحظ له شعرا فى الحيوان (٥ : ٢٥) . وانظر الطبرى (٦ : ٢٧١) .

(٦) فيما عدا ل : « قال الله » . (٧) فيما عدا ل : « فسمعها زياد » .

(٨) بدله فيما عدا ل : « خلاد بن يزيد الأرقط قال : سمعت من يخبر أن الشعبي قال » .

أن يسكُتَ خوفاً أن يسيء ، إلاّ زيادًا ؛ فإنه كلّما أكثَرَ كان أجودَ كلاما .

أبو الحسن المدائنيّ قال : قال الحسن : أَوْعَدَ عمرُ فعَفَى ، وأَوْعَدَ زيادٌ فابتُلِيَ(١) .

قال : وقال الحسن : تشبّهَ زيادٌ بعُمَرَ فأفرط ، وتشبّهَ الحجّاج بزيادٍ فأهلك الناس .

* * *

٢٧٥ [قال أبو عثمان] : قد ذكرنا من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وخُطَبه صدراً ، وذكرنا مِن خُطَب السلف رحمهم الله جُمَلا ، وسنذكرُ من مقطَّعات الكلام ، وتجارِب البُلغاء ، ومَواعظِ النُّسّاك ، ونقصِدُ من ذلك إلى القصار دون الطِّوال ؛ ليكون ذلك أخفَّ على القارئ ، وأبعَدَ من السآمة والمَلَل(٢) . ثم نعودُ بعد ذلك إلى الخطب المنسوبة إلى أهلها إن شاء الله . ولا قُوّةَ إلا بالله .

قال أبو الحسن المدائنيّ : قدِم عبد الرحمن بن سليم الكلبيّ ، على المهلَّب ابن أبي صُفرة ، فى بعض أيّامه مع الأزارقة ، فرأى بنيه قد ركبوا عن آخرهم فقال : « شَدَّ اللهُ الإسلامَ بتلاحُقِكم(٣) ، فوالله لئن لم تكونوا أسباطَ نُبُوّةٍ إنّكم لأسباط مَلْحَمة » .

وقال أبو الحسن : دخل الهُذيل بن زُفَرَ الكلابيّ ، على يزيد بن المهلب فى حَمالات لزِمَتْه(٤) ، ونوائبَ نابتَه ، فقال له : «أصلحك الله ، إنّه قد عظُم شأنُك ،

---

(١) ذاك أنه أصيب بالطاعون فقضى عليه . وقال عبد الله بن عمر حين بلغه مصرعه : اذهب إليك ابن سمية ، فلا الدنيا بقيت لك ، ولا الآخرة أدركت . انظر الطبرى (٦ : ١٦٢) فى حوادث سنة ٥٣ .

(٢) فيما عدا ل : « والملال » .

(٣) فيما عدا ل : « أنس الله » .

(٤) الحمالة ، كسحابة : الدية يحملها قوم عن قوم .

وارتفَعَ قَدرُكَ أن يُستعان بك ، أو يستعانَ عليك[١] . ولست تفعل شيئاً من المعروف إلاّ وأنتَ أكبر منه[٢] . وليس العَجب من أن تفعل ، ولكن العجبَ من أن لا تفعل » . قال يزيد : حاجَتَك . فذكرها ، فأمَرَ له بها ، وأمر له بمائة ألف ، فقال : أمّا الحَمالات فقد قبلتُها ، وأمّا المال فليس هذا موضعَه .

عيسى بن يزيد بن دأب[٣] ، عمّن حدّثه عن رجلٍ كان يجالس ابنَ عبّاس قال : قال عثمان بن أبي العاصي [الثّقفي] لبنيه : « يا بَنِيّ ، إنّي قد أمجَدْتُكم في أمّهاتكم[٤] ، وأحسنت مهنة أموالكم[٥] ، وإنّي ما جلستُ في ظِلّ رجلٍ من ثقيفٍ أشتُمُ عِرضَه . والنّاكح مُغترِسٌ ، فلينظرِ امرؤٌ منكم حيثُ يضع غرسَه . والعِرق السَّوْء قلّما يُنجِب ولو بعد حِين » . قال : فقال ابنُ عباس : ياغلامُ ، اكتبْ لنا هذا الحديث » .

قال : ولما همّت ثقيف بالارتداد قال لهم عثمان : « معاشِرَ ثقيف ، لا تكونوا آخرَ العرب إسلاما ، وأوّلَهم ارتداداً » .

قال : وسمعتُ أعرابيّاً ذكر يوما قُريشا . فقال : « كَفَى بقريشٍ شرَفاً أنّهم أقربُ النّاسِ نسباً برسول الله[٦] صلى الله عليه وسلم ، وأقربُهم بيتًا من بيت الله » .

---

(١) فيما عدا ل : « قد عظم شأنك عن أن يستعان عليك » .

(٢) فيما عدا ل : « ولست تصنع » .

(٣) سبقت ترجمته في (١ : ٣٢٤) .

(٤) هو من قولهم أمجد فلانا ، إذا أعطاه ما كفى وفضل . أراد قد اخترت لكم نسباً كريماً .

(٥) المهنة ، بالفتح ، والكسر ، والتحريك ، وبفتح فكسر : الخدمة . فيما عدا ل : « وأحسنت في مهنة أموالكم » .

(٦) ل : « من رسول الله » .

٢٧٦ الأصمعيّ قال : قيل لعقيل بن عُلّفة : أتهجوْ قومك[١] ؟ قال : الغَنم إذا لم يُصْفَرَ لها لم تَشْرب[٢] .

قال : وقيل لعَقِيل : لم لا تُطيل الهجاء ؟ قال : « يكفيك من القِلادة ما أحاط بالعُنق » .

قال : وسأل عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه عَمرَو بن مَعدِيكرب ، عن سَعد[٣] قال : كيف أميركم ؟ قال : « خيرُ أمير . نبطيٌّ فى حُبْوَته ، عربيٌّ فى نَمِرته[٤] ، أسدٌ فى تامُورته[٥] ، يعدِل فى القضيّة ؛ ويَقسِم بالسّوِيّة ، ويَنْفِر فى السَّرِيَّة[٦] ، وينقل إلينا حقنا كما تَنقُل الذَّرَّةُ » . فقال عمر : لَشَدَّ ما تقارضتما الثَّناء .

قال : ولمَّا تورَّد الحارثُ بن قيس الجَهْضَميّ بعبيد الله بن زياد[٧] ، منزلَ مسعود بن عمرو العَتَكىّ[٨] ، عَن غير إذْن ، فأراد مسعودٌ إخراجه من منزله . فقال عُبيد الله : قد أجارَتْنى ابنةُ عمِّك عليك[٩] ، وعَقدُها العَقدُ الذى يلزمُك ،

---

(١) فيما عدا ل : « لم تهجو قومك » . (٢) ل : « لم يصفر بها »

(٣) هو سعد بن أبى وقاص . مضت ترجمته فى (١ : ٢٦١) . ولى الكوفة لعمر ، وهو الذى بناها .

(٤) فى اللسان (٧ : ٩٤) : « أعرابى فى نمرته » . والنمرة : بردة من صوف يلبسها الأعراب .

(٥) التامورة : العرين ، وهو بيت الأسد .

(٦) كذا . وفى اللسان (١٩ : ١٠٥) : « وفى حديث سعد : لا يسير بالسرية . أي لايخرج مع السرية فى الغزو » . والسرية : قطعة من الجيش نحو الأربعمائة ، سميت بذلك لأنها تسرى ليلا فى خفية لئلا ينذر بهم العدو فيحذروا ويمتنعوا .

(٧) أى مع عبيد الله بن زياد . وتورد بمعنى ورد . وفى الاشتقاق ٢٩٤ : « والحارث ابن قيس بن صهبان هذا ، هو الذى ذهب بعبيد الله بن زياد إلى مسعود حتى أجاره » .

(٨) فى الاشتقاق ٢٩٤ : « ومن رجالهم مسعود بن عمرو بن عدي بن محارب بن صنيم ابن مليح بن شرطان بن معن بن مالك ، الذى يقال له : قمر العراق . قتلته بنو تميم . كان سيد الأزد ، وهو الذى أجار عبيد الله بن زياد أيام الفتنة . أخو المهلب بن أبى صفرة لأمه » .

(٩) هى أم بسطام امرأة مسعود ، وهى بنت عمه . الطبرى (٧ : ٢٣) . وكان قد استجار بها فى فتنة البصرة وأعطاها مائة ألف درهم .

وهذا ثوبُها علىَّ ، وطعامُها فى مذاخيرى[(١)] ، وقد التفَّ علىَّ منزِلُك . وشهد له الحارث بذلك .

قال : مَرَّ الشَّعبى بناسٍ من الموالى يتذاكرون النَّحو فقال : لئن أصلحتموه إنّكم لَأَوّلُ مَن أفسده .

قال : وتكلَّم عبدُ الملك بن عُمير[(٢)] ، وأعرابىٌّ حاضر ، فقيل له : كيف ترى هذا الكلام ؟ فقال : لو كان كلامٌ يُؤتَدَم به لكان هذا الكلام ممّا يؤتدم به[(٣)] .

وقال جريرٌ[(٤)] : « العِذرة طَرَفٌ من البُخْل[(٥)] » .

وقال جريرٌ[(٦)] : « الخَرَس خير من الخِلَابَة » .

وقال أبو عمرو الضرير[(٧)] : « البَكَمُ خير من البَذَاء » .

[قال : وقدم الهيثم بن الأسود بن العُريان على عبد الملك بن مروانَ فقال : كيف تجدك ؟ قال : أجدُنى قد ابيضَّ منى ما كنت أحِبُّ أن يسودَّ ، واسودَّ منى ما كنتُ أحبُّ أن يبيضَّ ، واشتدَّ منِّى ما كنت أحبُّ أن يَلين ، ولانَ منِّى ما كنتُ أحبُّ أن يشتدَّ . ثم أنشد :

اسمَعْ أنبِّئْكَ بآياتِ الكِبَرْ ... نومُ العَشاء وسُعالٌ بالسَّحَرْ
وقِلّةُ النوم إذا الليلُ اعتكَرْ ... وقِلّةُ الطُّعْمِ إذا الزّادُ حضَرْ
وسُرعةُ الطّرف وتحميجُ النَّظَرْ ... وتركىَ الحَسْناء فى قُبْل الطُّهُرْ

---

(١) الطبرى : « وهذا ثوبك على ، وطعامك فى بطنى » . والمذاخير : الأعفاج والمصارين ، جمع مذخر ، والكوفيون يزيدون الياء فى مثل هذا الجمع . فيما عدا ل . « مذاخرى » .

(٢) سبقت ترجمته فى (١ : ٥٦) .

(٣) فيما عدا ل : « لو كان الكلام يؤتدم به لكان هذا » ، فقط .

(٤) فيما عدا ل : « وقال » ، فقط .

(٥) العذرة ، بالكسر : الاعتذار . (٦) فيما عدا ل : « وقال أيضاً » .

(٧) فيما عدا ل : « أبو عمر الضرير » .

وحـــذراً أزداده إلى حذرْ   والناسُ يَبلَوْنَ كما يَبْلَى الشَّجرْ[1]]

وقال أكثم بن صَيفيّ : الـكَرم حُسن الفِطنة وحُسْنُ التغافل ، واللُّؤم سوء الفِطنة وسُوء التغافل[2] .

وقال أكثمُ بن صَيفيّ : تباعَدُوا فى الدِّيار تقارَبُوا فى المَودّة .

وقال آخر لبنيه : تباذَلُوا تحابُّوا .

قال : ودخل عيسى بن طلحة بن عُبيد الله ، على عُروة بن الزبير وقد قُطِعَت رجله ، فقال له عيسى : والله ما كنا نُعِدّكَ للصِّراع ، ولقد أبْقَى الله لنا أكثَرَكَ : أبقى لنا سَمعكَ و بصرَكَ ، ولسانك وعقلك ، و يدَيك و إحدى رجلَيك . فقال له عروة : والله يا عيسى ما عزّانى أحدٌ بمثل ما عزَّيتنى [به] .

وكتب الحسنُ إلى عمرَ بن عبد العزيز رحمه الله : « أمّا بعد فـكأنّك ٢٧٧ بالدُّنيا لم تكن ، و بالآخرة لم تزَلْ » .

قال : وقال عمر بن الخطاب رحمه الله : « اقرءوا القرآن تُعرَفوا به ، واعملوا به تكونوا من أهله ، ولن يبلغ حق ذى حقٍّ أن يُطاعَ فى معصـية الله ، ولن يقرِّبَ مِن أجلٍ ، ولن يُباعِدَ من رزقٍ ، أن يقوم رجلٌ بحقّ ، أو يُذكِّرَ بعظيم » .

وقال أعرابىٌّ لهشام بن عبد الملك : أتت علينا ثلاثةُ أعوامٍ : فعامٌ أكَلَ الشّحم ، وعامٌ أكَلَ اللحم ، وعامٌ انتقى العَظْم[3] . وعندكم أموالٌ ، فإنْ كانت لله فادفعوها إلى عِباد الله ، و إن كانت لعبـاد الله فادفعوها إليهم ، و إن كانت لـكم فتصدَّقوا ؛ فإن الله يَجزِى المتصدِّقين . فقال : هل[4] مِن حاجة غيرِ ذلك ؟

---

(١) هذه التكملة التى أثبتها مما عدا ل قد سبقت فى (١ : ٣٩٩) .

(٢) حسن التغافل ، وسوء التغافل ، ساقطتان مما عدا ل .

(٣) انتقى العظم : استخرج نقيه . والنق ، بالـكسر والتحريك : المخ . وأنشد :

ولا يسرق الـكلب السرو نعالنا   ولا ينتقى المخ الذى فى الجماجم

(٤) فيما عدا ل : « قال فهل » .

قال : ما ضَرَبْتُ إليك أكبادَ الإبل أدَرِعُ الهجير ، وأخُوضُ الدُّجى لخاصٍّ دونَ عام .

قال شَدّاد الحارثيّ ، ويكنى أبا عبد الله(١) : قلت لأَمَة سوداء بالبادية : لِمَنْ أنتِ يا سوداء ؟ قالت : لسيِّد الحضَر يا أصلع . قال : قلت لها : أوَلستِ بسوداء ؟ قالت : أولستَ بأصلع ؟ قلتُ : ما أغضبَكِ من الحق ؟ قالت : الحقُّ أغضبك ! لا تسبُبْ حتى تُرْهَب ، ولَأَنْ تتركَه أمثَل .

وقال الأصمعيّ : قال عيسى بن عمر : قال ذو الرُّمّة : قاتل الله أَمَةَ فلانٍ ما [كان] أفصحَها(٢) ! سألتها كيف المطر عندكم ؟ فقالت : غِثنا ماشئنا .

وأنا رأيتُ عبداً أسودَ لبنى أسد(٣) ، قدِم عليهم من شقّ اليمامة ، فبعثوه ناطُورا ، وكان وحشيًّا محرَّما(٤) ؛ لطول تعزُّبه كان فى الإبل(٥) ، وكان لا يَلقى إلاّ الأكَرَة ، فكان لا يفهم عنهم ، ولا يستطيع إفهامَهم . فلمّا رآنى سكَنَ إلى ، وسمعتُه يقول : لعَنَ الله بلاداً ليس فيها عَربٌ . قاتل الله الشّاعر حيث يقول :

* حُرُّ الثرى مُستَعرِبُ التراب *

٢٧٨ أبا عثمان ، إنّ هذا العُرَيب فى جميع الناس كمقدار القُرْحة فى جميع جِلدِ الفرس(٦) ، فلولا أنّ الله رَقّ عليهم فجعلهم فى حاشيةٍ لَطَمست هذه العُجمانُ آثارَهم(٧) . أتُرَى الأعيارَ إذا رأت العِتاق ، لا تَرَى لها فضلا . واللهِ ما أمر

---

(١) فيما عدا ل : « أبا عبيد الله » . وقد ذكر الجاحظ « شدادا » هذا فى كتاب فخر السودان ٥٤ ساسى وقال : « وكان خطيباً عالما » . ثم ساق الخبر التالى .

(٢) فى فخر السودان : « ما كان أفصحها وأبلغها » .

(٣) فيما عدا ل : « لبنى أسيد » .

(٤) محرم ، من قولهم ناقة محرمة : لم ترض ولم تذلل .

(٥) التعزب : أن يبعد بإبله فى المرعى بعيدا عن الأهل .

(٦) القرحة ، بالضم : الغرة الصغيرة فى وجه الفرس .

(٧) لم أر كلمة « العجمان » بمعنى الأعاجم فى مرجع لغوى .

اللهُ نبيَّه بقتلهم إلا لِضَنِّه بهم [١] ، ولا تَرْكَ قبول الجِزية منهم إلاّ تنزيها لهم .

وقال الأحنف بن قيس : أسرعُ النّاس إلى الفتنة أقلُّهم حياء من الفِرَار .

قال : ولما مات أسماء بن خارجةَ [٢] ، فبلغ الحجاجَ موتُه ، قال : هل سمعتُم بالذى عاش ما شاء ، ثم مات حِين شاء .

وقال سَلْمُ بن قُتيبة : رَبُّ المعروف أشدُّ من ابتدائه [٣] .

أبو هلال [٤] ، عن قَتادة قال : قال أبو الأسود : إذا أردت أن تكذب صاحِبَك فلقّنْه .

وقال أبو الأسود : إذا أردتَ أن تعْظَمَ فمُتْ ، وإذا أردت أن تُفْحِمَ عالماً فأحضِرْهُ جاهلا .

قال : وقيل لأعرابيّ : ما يدعُوك إلى نَوْمة الضُّحَى ؛ فقال : مَبْرَدَةٌ فى الصيف ، مَسخنة فى الشّتاء .

وقال أعرابىٌّ آخر : نَومة الضحى مَجْعَرَةٌ مَجْفرَةٌ مَبْخَرَةٌ [٥] .

وجاء فى الحديث : « الولد مَبخَلَةٌ مَجْبنةٌ » .

---

(١) فيما عدا ل : « لضنة بهم » .

(٢) هو أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة الفزارى ، وكان من سادات العرب وأشراف أهل الكوفة ، فارساً شجاعا كريماً . مدحه أعشى همدان وعبد الله بن الزبير الأسدى . وكانت الشيعة تعده فى قتلة الحسين ، وخطب المختار بن أبى عبيد فقال : لتنزلن من السماء ، تسوقها ريح حالكة دهماء ، حتى تحرق دار أسماء وآل أسماء . فبلغ أسماء قول المختار فيه فقال : أوقد سجع بى أبو إسحاق ؟ لا قرار على زأر من الأسد . وهرب إلى الشام ، فأمر المختار بطلبه ففاته ، فأمر بهدم داره فما أقدم عليها مضرى ؛ لموضع أسماء وجلالة قدره فى قيس ، فتولت ربيعة واليمن هدمها . أنظر الأغانى (١٣ : ٣٥) .

(٣) رب المعروف : نماه وزاده وأتمه وأصلحه .

(٤) هو أبو هلال محمد بن سليم الراسبي البصري . روى عن الحسن وابن سيرين وقتادة وعنه ابن مهدى ووكيع وغيرهما . توفى فى خلافة المهدى سنة تسع وستين . تهذيب التهذيب .

(٥) مجعرة ، يريد يبس الطبيعة ، والجعر : ما خرج يابساً . مجفرة : مقطعة للنكاح منقصة للماء . مبخرة : من بخر الفم وتغير رائحته . والحديث روى فى اللسان (بخر ، جعر ، جفر) منسوباً إلى عمر أو على .

قال : ونظر أعرابىٌّ إلى قوم يلتمسون هلال رمضان ، فقال : أمَا والله لئن أثَرْتموه لتمسكُنَّ منه بذُنابَى عيشٍ أغبر .

وقال أسماء بنُ خارجة : إذا قدُمت المصيبة تُركت التعزية .

وقال : إذا قدُم الإخاء سَمُجَ الثَّناء(١) .

وقال إسحاق بن حسّان : لا تُشمِّت(٢) الأمراءَ ولا الأصحابَ القدماء .

وسُئل أعرابىّ عن راعٍ له فقال : هو السّارح الآخِر ، والرّائح الباكر ، والحالب العاصر ، والحاذِف الكاسر(٣) .

قال : وقال عُتبة بن أبى سفيان لعبد الصَّمد مؤدِّب ولدِه :

ليكن أوّلَ ما تبدأُ به من إصلاحك بَنِيَّ إصْلاحُك نفسَك ؛ فإنّ أعينَهم معقودة بعينك ، فالحسَنُ عِندهم ما استحسنتَ ، والقبيحُ عندهم ما استقبحت . علِّمْهم كتابَ الله ، ولا تُكرِهْهم عليه فيمَلوه ، ولا تترُكْهم منه فيهجُروه . ثم روِّهم من الشِّعر أعَفَّه(٤) ، ومن الحديث أشرَفه ، ولا تُخْرِجْهم من عِلْمٍ إلى غيره حتى ٢٧٩ يُحْكموه ؛ فإنّ ازدحامَ الكلام فى السَّمع مَضَلّةٌ للفهم(٥) . وعلِّمْهم سِيَرَ الحكماء وأخلاقَ الأدباء ، وجنِّبْهم محادثةَ النساء ، وتهدّدْهم بي ، وأدِّبْهم دُونى ، وكنْ لهم كالطَّبيب الذى لا يَعجَل بالدّواء حتى يعرف الداء ، ولا تتّكل على عُذرى ؛

(١) فيما عدا ل : « قبح الثناء » .

(٢) تشميت العاطس : الدعاء له بالخير . وخرجه ابن سيده بقوله : « دعا له أن لا يكون فى حال يشمت به فيها » .

(٣) سقطت الواوات مما عدا ل . والحاذف : الذى يحذف بالعصا يرمى بها . وفى اللسان « الأزهرى : وقد رأيت رعيان العرب يحذفون الأرانب بعصيهم إذا عدت ودرمت بين أيديهم فربما أصابت العصا قوائمها فيصيدونها ويذبحونها » . فيما عدا ل : الحاذق » تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « عفه » .

(٥) بعد هذه الكلمة فيما عدا ل : « وتهددهم بى ، وأدبهم دونى ، وكن لهم كالطبيب الذى لايعجل بالدواء قبل معرفة الداء ، وجنبهم محادثة النساء ، وروهم سير الحكماء ، واستزدنى بزيادتهم إياك أزدك ، وإياك أن تتكل على عذر منى لك فقد اتكلت على كفاية منك » .

فإني قد اتَّـكلتُ على كفايتِك[١] ، وزد في تأديبهم أزدك في برّى إن شاء الله .

***

محمد بن حرب الهلاليّ قال : كتب إبراهيم بن أبي يحيى الأسلميّ ، إلى المهديّ يعزّيه على ابنته[٢] : أما بعد فإنّ أحقَّ مَن عرَف حقّ الله عليه فيما أخذ منه ، مَن عَظَّم حقّ الله عليه فيما أبقى له . واعلم أنّ الماضيَ قبلك هو الباقي لك ، وأنّ الباقيَ بعدك هو المأجورُ فيك ، وأنَّ أجر الصابرين فيما يصابون به ، أعظمُ من النِّعمة عليهم فيما يُعافَوْن منه[٣] .

***

قال : وقال سهل بن هارون : التهنئة على آجِلِ الثَّواب أَولى من التعزية على عاجل المصيبة[٤] .

وقال صالح بن عبد القدوس :

إنْ يكن ما به أُصبتَ جليلا فذَهاب العزاء فيـه أجَلّ[٥]
كل آتٍ لاشك آتٍ وذو الجهْـ ـلِ مُعَنًّى والهمُّ والحُزن فَضْلُ[٦]

وقال لقمان لابنه : يا بُنيّ إياك والكسل والضَّجَر ؛ فإنك إذا كَسِلتَ لم تؤدِّ حقاً ، وإذا ضجِرت لم تصبر على حقّ .

قال وكان يقال : أربع لا ينبغي لأحدٍ أن يأنف منهنّ وإن كان شريفا

---

(١) إلى هنا ينتهي تخالف العبارات .

(٢) ل : «عن ابنه» ، تحريف . وابنة المهدى هذه هي «البانوقة» . «وكانت سمراء حسنة فلما ماتت وذلك ببغداد ، أظهر عليها المهدى جزعا لم يسمع بمثله ، فجلس للناس يعزونه وأمر ألا يحجب عنه أحد ، فأكثر الناس في التعازى واجتهدوا في البلاغة» . انظر الطبرى (١٠ : ٢١) في حوادث ١٦٩ . وقد سبق في (١ : ٦٥) لنحو هذا التعبير :

هل معين على البكا والعويل أم معز (على) المصاب الجليل

(٣) انظر هذا الخبر أيضاً في عيون الأخبار (٣ : ٥٢) .

(٤) هذا الخبر في عيون الأخبار (٣ : ٥٢) .

(٥) في عيون الأخبار : « فلفقد العزاء » . وانظر الحيوان (٥ : ٥٠٥) .

(٦) فضل ، فاضل زائد .

أو أميراً : قيامُه عَن محله لأبيه ، وخدمتُه لضيفه ، وقيامُه على فَرَسه ، وخدمتُه العالِم[١] .

وقال بعض الحكماء : إذا رغِبت فى المكارم ، فاجتنِب المَحَارم .

وكان يقال : لا تغترَّ بمودَّة الأمير ، إذا غشَّك الوزير .

وكتب بعضهم : أما بعدُ فقد كنتَ لنا كلَّك ، فاجعلْ لنا بعضَك ، ولا تَرضَ إلا بالكل مِنّا لك .

وصف بعض البلغاء اللسان فقال : اللسانُ أداةٌ يظهر بها حُسْن البيان ،
٢٨٠ وظاهرٌ يُخبِر عن ضميرٍ ، وشاهدٌ ينبئُك عن غائب ، وحاكمٌ يُفصَل به الخطابْ وناطقٌ يُرَدُّ به الجواب ، وشافعٌ تُدرَك به الحاجة ، وواصفٌ تُعرف به الحقائق ، ومُعَزٍّ يُنفَى به الحزن ، ومؤنس يذهَب بالوَحْشة[٢] ، وواعظٌ يَنهى عن القبيح ، ومُزَيِّنٌ يدعو إلى الحَسَن ، وزارعٌ يحرث المودَّة ، وحاصدٌ يستأصل الضَّغينة ، ومُلْهٍ[٣] يُونِقُ الأسماع .

وقال بعض الأوائل : إنّما الناسُ أحاديث ، فإنِ استطعتَ أن تكونَ أحسنَهم[٤] حديثاً فافعَلْ .

ولما وصل عبد العزيز بن زُرَارة[٥] إلى معاوية قال : يا أمير المؤمنين ، لم أزلْ

---

(١) فيما عدا ل : « للعالم » .

(٢) فيما عدا ل : « تذهب به الوحشة » .

(٣) فيما عدا ل : « وملهم » تحريف .

(٤) ل : « أحسن الأحاديث » صوابه فى سائر النسخ .

(٥) ل : « عمر بن عبد العزيز بن زرارة » تحريف . وعبد العزيز هذا أحد أشراف العرب وشعرائهم ، روى له الجاحظ شعراً فى الجزء الثالث وكذا فى الحيوان (٣ : ٨٤) ومدحه بعض الشعراء . الحيوان (٦ : ٣٢٩) . وذكر أبو الفرج فى الأغاني (١ : ٦٨) أنه هو الذى تكفل بدفن توبة بن الحمير فى أيام مروان بن الحكم . والخبر رواه فى عيون الأخبار (١ : ٨٢) .

أستدلُّ بالمعروف عليك ، وأمتطى النَّهار إليك[١] ؛ فإذا ألْوَى بى الليل[٢] ، فقُبِض البَصَر وعُفِّى الأثَر ، أقام بدنى وسافر أملى . والنَّفس تلوَّمُ[٣] ، والاجتهاد يَعذِر[٤] فإذْ قد بلغْتُك فقَطْنِى .

قال : وقال لقمان لابنه : ثلاثة لا يُعرفون إلا فى ثلاثة مواطن : لا يُعرَف الحليم إلا عند الغضب ، ولا الشُّجاع إلا فى الحرب ، ولا تعرِفُ أخاك إلاّ عند الحاجة إليه[٥] .

وقال أبو العتاهية :

أنتَ ما استغنيتَ عن صا حبِـــكَ الدَّهرَ أخوه
فإذا احتجت إليــــه ساعةً مَجَّـــك فُوه

وقال علىُّ بن الحسين لابنه : يا بنىّ ، اصبر على النائبة ، ولا تتعرَّض للحقوق ، ولا تُجِبْ أخاك إلى شىء مَضرّته[٦] عليك أعظم من منفعته له .

وقال الأحنف : مَن لم يصبر على كلمةٍ سمع كلمات .

وقال : رُبَّ غيظٍ قد تجرّعتُه مخافةَ ماهو أشدُّ منه .

وقالوا : من كثُر كلامه كَثُر سَقَطه ، ومن طال صمتُه كَثُرت سلامته .

قال : وقال عمر بن عبد العزيز : من جعل دِينَه غَرَضاً للخصومات أكثر التنقُّل[٧] .

---

(١) فى عيون الأخبار : « أمتطى الليل بعد النهار ، وأسم المجاهل بالآثار » .
(٢) يقال ألوى بالشىء : ذهب به ؛ عبارة عن شدة الليل .
(٣) تلوم ، أى تتلوم بحذف إحدى التاءين . والتلوم : الانتظار والتلبث . وفى عيون الأخبار : « والنفس مستبطئة » .
(٤) عيون الأخبار : « والاجتهاد عاذر » .
(٥) فيما عدا ل : « عند حاجتك إليه » .
(٦) المضرة : الضرر . فيما عدا ل : « ضرره » .
(٧) فيما عدا ل : « النقل » : جمع نقلة .

محمد بن حرب الهلالىّ ، عن أبى الوليد اللَّيثى قال : خطب صعصعةَ بن معاوية
٢٨١ إلى عامر بن الظَّرِبِ العَدْوانى ابنته « عَمْرة » ، وهى أمّ عامر بن صعصعة فقال عامرُ بن الظَّرِب : يا صعصعة ، إنك قد أتيتنى تشترى منى كَبِدى ، وأَرْحمَ ولدى عندى ، غيرَ أنّى ، أطْلَبْتُك أو رَددتك[١] ، فالحسيب كُفءُ الحسيب ، والزَّوج الصالح أبٌ بعد أب[٢] . قد أنكحتُك مخافة[٣] ألاّ أجدَ مثلَك أفرّ من السّر إلى العلانية . أنصحُ ابناً ، وأُودِعُ ضعيفاً قويّا . يا معشر عَدوان : أُخرجتْ من بين أظهركم كريمتُكم من غير رَغْبة ولا رَهبة . أُقْسِم لولا قَسْمُ الحظوظ على قدر المجْدود ، لما ترك الأوّلُ للآخر شيئاً يعيش به[٤] .

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه : « أوصيكم بأربع[٥] لو ضربتم إليها آباط الإبل كُنَّ لها أهلاً : لا يرجونّ أحدٌ منكم إلا ربّه ؛ ولا يخافَنّ إلا ذنبه ؛ ولا يستحْيِ أحدٌ إذا سُئل عمّا لا يعلم أن يقول : لا أعلم ، ولا إذا لم يَعلم الشىء أن يتعلَّمه . وإنّ الصّبر[٦] من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، فإذا قُطع الرأسُ ذهب الجسَد ، وكذلك إذا ذهب الصَّبر ذهبَ الإيمان .

قال : ومدح علىَّ بن أبى طالب رجلٌ فأفرط[٧] فقال علىّ — وكان يتّهمه — : أنا دُونَ ما تقول ، وفوقَ ما فى نفسك » .

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه : قيمة كلّ امرئٍ ما يحسن[٨] .

---

(١) « غير أنى » من ل فقط . وفيما عدا ل : « أبغيتك أو زودتك » والكلمة الأخيرة فى هذه محرفة .
(٢) أي أب ثان . (٣) فيما عدا ل : « خشية » .
(٤) انظر الحديث فى المعمرين للسجستانى ٤٩ — ٥٠ .
(٥) فيما عدا ل : « بخمس » تحريف .
(٦) فيما عدا ل : « واعلموا أن الصبر » .
(٧) فيما عدا ل : « وقال الأصمعى : أثنى رجل على على بن أبى طالب فأفرط » .
(٨) فيما عدا ل : « كل إنسان » .

وقال له مالكٌ الأشتر[١] : كيف وجَدَ أميرُ المؤمنين أهله[٢] ؟ فقال : كخير امرأة[٣] ، قَبّاء جَبّاء[٤] ! [قال] : وهل يريد الرِّجال من النساء غير ذلك . قال : لا ، حتى تُدفئ الضَّجيع ، وتروِىَ الرَّضيع .

وقف رجل على عامرٍ الشعبي فلم يدَعْ قبيحاً إلاّ رماه به ، فقال له عامر : إن كنت كاذبا فغفر الله لك ، و إنْ كنت صادقا فغفر الله لى .

وقال إبراهيم النَّخَعى لسُليمانَ الأعمشَ — وأراد أن يماشيه — : إنّ الناس إذا رأونا معا قالوا : أعمشُ وأعور ! قال : وما عليك أن يأثموا ونؤْجر ؟ قال : وما علينا أن يسلموا ونسلم !

قال أبو الحسن : كان هشام بن حسّان إذا ذكر يزيد بن المهلّب[٥] ، قال : إن كانت السفن لتَجرِى فى جُوده .

وقال : مكتوبٌ فى الحكمة : التوفيق خير قائد ، وحسن الخُلُق خير قرين ، والوُحْدة خير من ْ جَليس السَّوء[٦] . ٢٨٢

---

(١) هو المعروف بالأشتر النخعى ، واسمه مالك بن الحارث بن عبد يغوث بن مسلمة بن ربيعة النخعى الكوفى . أدرك الجاهلية ، وكان من أصحاب على ، شهد معه الجمل وصفين وغيرهما وكان ممن ألب على عثمان وشهد حصره . وولاه على مصر بعد صرف قيس بن عبادة عنها ، فلما وصل إلى القلزم شرب شربة عسل فمات سنة ٣٨ . ولقب بالأشتر لأن رجلا ضربه فى يوم اليرموك على رأسه فسالت الجراحة قيحا إلى عينه فشترتها . الإصابة ٨٣٣٥ ، وتهذيب التهذيب ، ومعجم المرزبانى ٣٦٢ .

(٢) فيما عدا ل : « امرأته »

(٣) ب والتيمورية واللسان (٢ : ٢٤٢) : « كالخير من إمرأة » ح : « كالخير من النساء إلا أنها » .

(٤) فى الأصل ، وهو ل : « خبا جباء » والكلمة الأولى محرفة ، صوابها من سائر النسخ واللسان ، كما أن الكلمة الأخيرة من ل واللسان فقط ، أما القباء فهى الدقيقة الخصر وقد ورد فى التيمورية بعد كلمة « قباء » : « دقيقة الخصر » . والجباء : الصغيرة الثديين .

(٥) ترجمة هشام فى (١ : ٢٩١) ويزيد فى (١ : ٣٨٧ ، ٤١٠) .

(٦) فيما عدا ل : « قرين السوء » .

وقال : وكان مالك بن دينار يقول : ما أشدَّ فِطام الكبير . وكان(١) ينشد قولَ الشاعر :

وتَرُوض عِرسَك بعد ما هرِمْتَ ومن العنـاء رياضـة الهَرِمِ(٢)

قال صالحٌ المرّىّ : كنْ إلى الاستماع أسرعُ منك إلى القول ، ومن خطإ الكلام أشدّ حذراً من خطإ السكوت .

وقال الحسنُ بن هانى :

خلِّ جنبيك لرامٍ وامضِ عنه بسلامِ
مُتْ بداء الصمت خيرٌ لكَ من داء الكلام
[إنّما السالم مَن ألْـجَمَ فاهُ بلجـامِ
ربَّما استفتحتَ بالمزْح مغـاليقَ الحِمام]

أبو عبيدة وأبو الحسن : تكلَّم جماعةٌ من الخطباء عند مَسلمة بنِ عبد الملك ، فأسهبوا فى القَول ، ثم اقترح المنطق منهم(٣) رجل من أخريات الناس ، فجعل لا يخرُج من حسنٍ إلاّ إلى أحسَنَ منه . فقال مَسلمة : ما شبّهتُ كلامَ هذا بعقِب كلامِ هؤلاء إلاّ بسحابة لبَدّت عَجاجةً(٤) .

وقال أبو الحسن : علَّم أعرابىٌّ بنيه الخِراءة فقال : ابتَغُوا الخَلا ، وابْعُدوا عن المَلاَ(٥) ، واعلُوا الضَّرا(٦) ، واستقبِلُوا الرِّيح ، وأَفِجُّوا إفجاجَ النَّعامة(٧) ، وامتسحوا بأشْمُلِكم .

وقال أبو الحسن : لما حضرت قيسَ بن عاصمٍ الوفاةُ دعا بَنيه فقال : يا بَنىّ

(١) هذه الكلمة فى ل فقط . (٢) سبق الشعر والخبر فى (١ : ١٢٠) .
(٣) هذه الكلمة من ل فقط . اقترح الكلام : ارتجله ، فيما عدا ل « اقترع » تحريف .
(٤) العجاجة : واحدة العجاج ، وهو الغبار .
(٥) الخلا : مقصور الخلاء وهو المتوضأ ، والملا : الفلاة .
(٦) الضراء ، كسحاب : الأرض المستوية ، والفضاء .
(٧) الإفجاج : أن يفتح رجليه ويباعد ما بينهما ، والنعامة تفج إذا ذرقت .

احفظوا عنّى ، فلا أحَدَ أنصحُ لكم منّى . إذا متُّ فسوِّدوا كبارَكم ، ولا تسوِّدوا صغارَكم فيسفَهَ الناسُ كبارَكم وتهونوا عليهم ، وعليكم بإصلاح المال[١] ؛ فإنّه مَنْبهة للكريم ، ويُستغنَى به عن اللئيم . وإياكم ومسألة الناس ، فإنها شرُّ كسب المرء[٢] .

سئل دَغفل النَّسّابة عن بنى عامر بن صعصعة ، فقال : أعناق ظِباء ، وأعجاز نساء . قيل : فتميم ؟ قال : حجرٌ أخشَنُ ، إن دنوتَ منه آذاك ، وإن تركته خلاّك[٣] قيل : فاليمن ؟ قال : سَيِّدٌ وأنوَكُ .

وكانوا يقولون : لا تستشيروا معلما ، ولا راعىَ غنمٍ ، ولا كثيرَ القُعود مع النِّساء[٤] .

عِقال بن شَبَّة[٥] قال : كنتُ رديفاً لأبى[٦] ، فلقيه جريرٌ على بغْل ، فحيّاه أبى وألطفه ، فقلت له : أبَعدَ ما قال ؟ قال : يا بُنَىّ أفأوسِّعُ جُرحى ؟ ٢٨٣

قال : ودعا جريرٌ رجلا من شعراء بنى كلاب إلى مهاجاته ، فقال الكلابىّ : إن نسائى بإمّتِهِنّ ، ولم تدَع الشُّعراء فى نسائك مترقَّعاً[٧] .

وقال جرير : أنا لا أبتدِى ولكنْ أعتدى .

وكان الحسنُ فى جِنازة فيها نوائح ومعه رجل ، فهَمَّ الرجل بالرجوع فقال الحسن : إن كنت كلما رأيتَ قبيحاً تركت له حَسَناً ، أسْرَعَ ذلك فى دينك .

---

(١) فيما عدا ل : « باستصلاح المال » .

(٢) ب : « آخرة كسب المرء » التيمورية : « أخرى » حـ : « أخرد » محرفة .

(٣) فيما عدا ل : « أعفاك » .

(٤) تقدم الخبر فى (١ : ٢٤٨) .

(٥) فيما عدا ل : « عفان بن شبة » محرف .

(٦) فيما عدا ل : كنت رديف أبى » .

(٧) الإمة ، بالكسر : الحال والشأن والطريقة . والمترقع : موضع الشتم ، قال :

وماترك الهاجون لى فى أديمكم مصحا ولكنى أرى مترقعا

قال أبو عبيدة : لقى المخبَّل القُرَيعى[١] الزِّبرقان بن بدر فقال : كيف كنت بعدى أبا شَذْرة ؟ فقال : كما يَسُرُّك مُحيلا مجرِباً[٢] .

قال : وكان عبد الملك بن مروان يقول : جمع أبو زُرعة — يعنى رَوح بن زِنباع — طاعةَ أهل الشام ، ودَهاء أهل العراق ، وفقهَ أهل الحجاز .

وذُكر لعمر بن الخطاب إتلافُ شبابٍ من قريش أموالَهم فقال : حِرفةُ أحدِهم أشدُّ علىَّ من عَيْلته[٣] .

وقال عمر بن الخطاب : حِرفةٌ يُعَاشُ فيها[٤] خير من مَسألة الناس .

وقال زياد : لو أنّ لى ألفَ ألفِ درهم ولى بعيرٌ أجرب لقمتُ عليه قيام مَن لا يملك غيره . ولو أنّ عندى عشرةَ دراهمَ لا أملك غيرها ولزِمنى حقٌّ لوضعتُها فيه .

وقال عمرو بن العاص : البِطنةُ تذُهِب الفطنة .

وقال معاوية : ما رأيت رجلا يُستَهتر بالباءة[٥] إلا تبيّنتُ ذلك فى مُنّته[٦] .

قال الأصمعى : وقال أبو سليمان الفقعسى لأعرابىّ من طَيِّء[٧] : أبا مرأتك

---

(١) المخبل لقب له ، واسمه ربيع بن ربيعة بن عوف بن قتال بن أنف الناقة القريعى السعدى ، شاعر فحل مخضرم ، وكان بينه وبين الزبرقان مهاجاة ، مات فى خلافة عمر أو عثمان وهو شيخ كبير ، الأغانى (١٢ : ٣٨ — ٤٣) والخزانة (٢ : ٥٣٥) والإصابة ٢٥٧٢ والمؤتلف ١٧٧ .

(٢) أحال الرجل : حالت إبله فلم تحمل ، وأجرب : جربت إبله .

(٣) العيلة ، بالفتح : الفقر ، أراد لعدم حرفة أحدهم والاغتمام لذلك أشد على من فقره . انظر اللسان (١٠ : ٣٨٩) .

(٤) فيما عدا ل : « بها » .

(٥) الباءة : شهوة النكاح ، يستهتر : يولع ، فيما عدا ل ، « مستهتراً » .

(٦) المنة ، بالضم : القوة .

(٧) موضع كلمة « من طيء » بياض بالأصل ، وإثباتها مما عدا ل .

حَملٌ : قال : لا وذُو بيتُه فى السَّماء ، ما أدرى ، والله ما لها ذَنَبٌ تشتال به ، وما آتيها إلاّ وهى ضَبِعَةٌ[١] .

قال أبو الحسن المدائنىّ : اتخذ يزيد بن المهلّب بستانًا فى دارِهِ بخراسان ، فلما وَلِى قُتيبة بن مسلمٍ [خراسانَ] جعلهُ لإبله ؛ فقال له مَرزُبان مَروان : هذا كان بستانًا ليزيد ، وقد اتّخذتَه لإبلك ! فقال قتيبة : إنّ أبى كان أُشتُرْبان[٢] (يريد جمّالا)، وأبو يزيد كان بُستان بان[٣] .

وقال الحجّاج بن يوسف لعبد الملك بن مروان : لو كان رجلٌ من ذهب لـكنتُه . قال : وكيف ذلك ؟ قال لم تلدنى أمَةٌ بينى و بين آدمَ ما خلا هاجَر . ٢٨٤
قال : لولا هاجَرُ لـكنتَ كلبا من الـكلاب .

قال : ومات ابنٌ لعبيد الله بن الحسن[٤] ، فعزّاه صالحٌ المرّىّ فقال : إنّ كانت مصيبتُك فى ابنك أحدثَتْ لك عظةً فى نفسك ، فنعم المصيبة مصيبتُك . وإن لم تكنْ أحدثَتْ لك عظةً فى نفسك فمصيبتك فى نفسك أعظمُ من مصيبتك فى ابنك[٥] .

قال : وعزّى عمرُو بن عبيدٍ أخاه فى ابنٍ مات له[٦] ، فقال : ذهب أبوك

(١) ذو ، بمعنى الذى فى لغة طيّ ، وتشتال به ، أراد ترفعه ، يقال شالت الناقة بذنبها واشالته ، واستشالته ، أى رفعته ليعلم أنها لاقح ، وسمع «اشتال» بمعنى شال فى قول الراجز :

* حتى إذا اشتال سهيل فى السحر *

فى اللسان (١٣ : ٣٩٩) : « اشتالَ هنا بمعنى شال » . على أن النص روى فى اللسان (١٠ : ٨٥) : « فتشول به » ، والضبعة : الشديدة الشهوة .

(٢) أشتربان : كلمة فارسية مكونة من كلمتين : « أشتر» بمعنى الجمل ، ومثله «شتر» بضمتين ، و « بان » بمعنى القائد والضابط والحارس . فيما عدا ل « يعنى رئيس الجمالين » وهو خطأ .

(٣) بستان بان ، أى بستانى ، بالفارسية .

(٤) سبقت ترجمته فى (١ : ١٢٠) ، فيما عدا ل : « الحسين » محرف .

(٥) فيما عدا ل : « ميتك » .

(٦) فيما عدا ل : «على ابن» ، وانظر ما سبق فى ص ٧٤ س ٧،٣ .

وهو أصلُك ، وذهب ابنُك وهو فرعُك ، فما حال الباقى بعد ذَهاب أصله وفرعه .

قال : وكان يزيد بن عمر بن هبيرة يقول : احذِفُوا الحديثَ كما يحذفه سَلْم بن قُتيبة[١] .

قال : وقال رجلٌ من بنى تميم لصاحب له : اصحَبْ مَن يتناسى معروفَه عندك ، ويتذكّر إحسانَك إليه ، وحقوقَك عليه[٢] .

وعذَلَ عاذِلٌ شُعيبَ بن زيادٍ على شُرب النبيذ ، فقال : لا أتركُه حتَّى يكونَ شرَّ عملى .

وقال المأمون : اشربْه ما استبشَعْتَه ، فإذا سهُل عليك فاتركْه[٣] .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا كتب أحدُكم كتابًا فليترِّبْه[٤] فإن الترابَ مباركٌ ، وهو أنجحُ للحاجة » .

ونظر صلى الله عليه وسلم إلى رجلٍ فى الشمس ، فقال : « تحوّلْ إلى الظلّ فإنه مباركٌ » .

وقال المغيرة بن شعبة : لا يزالُ النّاس بخير ما تعجَّبوا من العجب .

وكان يقال : تَركُ الضّحك من العجَب ، أعجبُ من الضّحِك بغير عجب .

قال : قدم سعيد بن العاصى على معاوية فقال : كيف تركت أبا عبد الملك[٥] ؟

---

(١) مضى الخبر وترجمة سلم فى (١ : ١٧٤) . وفى جميع النسخ : « مسلم بن قتيبة » تحريف .

(٢) فيما عدا ل : « ويتذكر حقوقك عليه » .

(٣) فيما عدا ل : « حتى إذا سهل » .

(٤) فيما عدا ل : « إذا كتب أحدكم فليترب كتابه » .

(٥) أبو عبد الملك ، هو مروان بن الحكم بن أبى العاص القرشى الأموى ، وهو ابن عمّ عثمان وكاتبه فى خلافته ، وقد كان من أسباب قتل عثمان ، وشهد الجمل مع عائشة ، وصفين مع معاوية ثم ولى إمرة المدينة لمعاوية ، ولم يزل بها إلى أن أخرجهم ابن الزبير فى أوائل إمرة يزيد بن معاوية وكان ذلك من أسباب وقعة الحرة ، وبقى بالشام إلى أن مات معاوية بن يزيد بن معاوية ، فبايعه أهل الشام ، ثم كانت الوقعة بينه وبين الضحاك بن قيس أحد أمراء ابن الزبير ، فانتصر مروان وقتل الضحاك واستوثق له ملك الشام ، انظر الإصابة ٨٣١٢ والتواريخ .

فقال : منفِّذاً لأمرك ، ضابطاً لعملك . فقال له معاوية : إنَّما هو كصاحب الخُبزة كُفِىَ إنضاجَها فأ كَلَها . فقال سعيد : كلا إنّه بينَ قومٍ يتهادَون فيما بينهم كلاماً كوقع النَّبْل ، سهمًا لك وسهمًا عليك . قال : فما باعَدَ بينه و بينك ؟ فقال : خِفْتُه على شرَفى ، وخافنى على مثله . قال : فأىُّ شىء كان له عندك فى ذلك ؟ فقال : أسوءه حاضراً وأسُرُّه غائباً . قال : يا أبا عثمان : تركْتَنا فى هذه الحروب ٢٨٥ قال : نعم : تحملتُ الثِّقل وكُفِيتُ الحزمَ ، وكنتُ قريباً لو دُعيتُ لأجبت ، ولو أُمِرْتُ لأطعت . قال معاوية : يا أهل الشام : هؤلاء قومى وهذا كلامهم .

قال . وكان الحجاج يستثقل زيادَ بن عمرو العَتَكىّ[(١)] ، فلما أثنى الوفدُ على الحجَّاج عند عبد الملك[(٢)] ، والحجاجُ حاضِرٌ ، قال زيادٌ : «يا أميرَ المؤمنين ، إنّ الحجَّاج سيفُك الذى لا ينبو ، وسهمُك الذى لا يَطيش ، وخادمُك الذى لا تأخذُه لومةُ لائم » . فلم يكن بعد ذلك أحدٌ أخفَّ عليه منه[(٣)] .

وقال شَبيب بن شيبة لسَلْم بن قتيبة[(٤)] : والله ما أدرى أىُّ يوميك أشرفُ : أيومُ ظفرِك أم يوم عفوك .

قال : وقال غلامٌ لأبيه — وقد قال له : لست لى ابنا — : والله لَأَنا أشبه بك منك بأبيك ، ولأنت أشدُّ تحصيناً لأمِّى من أبيك لأمِّك .

وكتب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفرٍ ذى الجَناحين إلى رجل من إخوانه :

---

(١) هو زياد بن عمرو بن الأشرف العتكى الأزدى ، قال ابن دريد فى الاشتقاق ٢٨٤ « ومنهم زياد بن عمرو ، رأس الأسد بعد مسعود » : والأسد ، بسكون السين لغة فى الأزد . والخبر رواه المبرد فى الكامل ٥٢٣ .

(٢) ل : « فلما أتى عبد الملك فى الوفد » صوابه فى سائر النسخ ، وفى الكامل : « فلما أثنت الوفود على الحجاج عند الوليد بن عبد الملك »

(٣) فيما عدا ل : « أخف على قلبه منه » .

(٤) جاء فى النسخ محرفا « لمسلم بن قتيبة » وانظر ص ١٧٤ من الجزء الأول .

« أما بعد فقد عاقنى الشّك فى أمرك عن عزيمة الرأى فيك . ابتدأتنى بلطف مَن غير خِبْرة ، ثم أعقبتنى جفاءً عن غير ذنب (١) ، فأطمعنى أوّلُك فى إخائك ، وأيأسنِى آخرُك مِن وفائك . فلا أنا فى اليوم مُجمِعٌ لك اطّراحا ، ولا أنا فى غدٍ وانتظاره منك على ثقة . فسبحان مَن لو شاء كشَف بإيضاحِ الرّأى فى أمرك عن عزيمةٍ فيك (٢) ، فأقمْنا على ائتلاف ، أوافترقنا على اختلاف . والسلام .

* * *

وكتب إلى أبى مسلم [صاحب الدّعوة] أيضًا ، من الحبس (٣) :

« من الأسير فى يديه ، بلا ذنبٍ إليه ، ولا خلافٍ عليه . أمّا بعد فآتاكَ الله حِفظَ الوصيّة ، ومَنحك نصيحة الرعيّة ، وألهمك عدلَ القضيّة ؛ فإنك مستودَعُ ودائع ، ومَولى صنائع ، فاحفظ ودائعَك بحسن صنائعك ، فالودائع عاريّة والصنائع مرعيّة ، وما النِّعمُ عليك وعلينا فيك بمنزورٍ نداها (٤) ، ولا بمبلوغ مَداها . فنبّه للتفكّرُ (٥) قلبك ، واتّق الله ربّك ، وأعطِ مِن نفسك لِمَن هو تحتك ما تحبُّ أن يعطيك مَن هو فوقَك : من العدل والرأفة ، والأمن من المخافة فقد أنعم الله عليك بأنْ فوّض أمرَنا إليك فاعرفْ لنا لِينَ شكرِ المودّة ، واغتفارَ ٢٨٦

(١) فيما عدا ل : « من » بدل « عن » فى الموضعين .

(٢) فيما عدا ل : « عن عزيمة الشك فيك » .

(٣) كان عبد الله بن معاوية قد خرج بالكوفة فى أيام مروان بن محمد ، ثم انتقل عنها إلى نواحى الجبل ثم إلى خراسان ، وكان يطمع فى نصرة أبى مسلم ، فأخذه أبو مسلم وحبسه وجعل عليه عينا يرفع إليه أخباره ، فرفع إليه أنه يقول : ليس فى الأرض أحق منكم بأهل خراسان فى طاعتكم هذا الرجل وتسليمكم إليه مقاليد أموركم ، من غير أن تراجعوه فى شىء ، أو تسألوه عنه . والله ما رضيت الملائكة الكرام من الله تعالى بهذا حتى راجعته فى أمر آدم عليه السلام . ثم كتب إليه عبدالله هذه الرسالة المشهورة ، فلما قرأ كتابه رمى به ثم قال : قد أفسد علينا أصحابنا وأهل طاعتنا وهو محبوس فى أيدينا ، فلو خرج وملك أمرنا لأهلكنا . ثم أمضى تدبيره فى قتله ووجه برأسه إلى ابن ضبارة ، فحمله إلى مروان . الأغانى (١١ : ٦٨ ، ٧١) حيث ورد فى الموضع الأخير بعض هذه الرسالة .

(٤) المنزور : القليل . والندى : الخير .

(٥) فيما عدا ل : « للتفكير » .

مسّ الشـدّة ، والرِّضا بما رضيت ، والقناعة بما هوِيت ، فإنّ علينا من سَهك الحديد وثِقَله(١) أذًى شـديدا ، مع معالجة الأغلال ، وقلّة رحمة العُمّال ، الذين تسهيلُهم الغِلظة ، وتيسيرُهم الفظاظة ، و إيرادهم علينا الغموم ، وتوجيههم إلينا الهموم ، وزيارتهم الحراسة ، و بِشارتهم الإياسة(٢) . فإليكَ بعد الله نرفع كُربة الشكوى ، ونشكو شِـدّة البلوَى ، فمتى تَمِلْ إلينا طرْفا ، وتُولِنا منك عطفا ، تجدْ عندنا نُصحًا صريحًا ، ووُدًّا صحيحًا ، لايُضيع مثلُك مثله ، ولا ينفِي مثلُك أهلَه ، فارْعَ حُرمةَ مَن أدركتَ بحرمته ، واعرِف حُجّة من فَلَجت بحجّته ؛ فإنّ الناس مِن حوضك رِواء ، ونحن منه ظِماء ، يمشون فى الأبراد ، ونحن نرسُف فى الأقياد(٣) ، بعد الخير والسَّـعة ، والخفض والدَّعَة . والله المستعان ، وعليه التُّكْلان ، صَرِيخ الأخيار(٤) ، ومُنْجى الأبرار . النّاسُ من دَولتكَ(٥) فى رخاء ، ونحن منهـا فى بلاء ، حين أمِنَ الخائفون ، ورجَع الهـاربون . رزقنا الله منك التحنُّن ، وظاهَرَ علينا منك التمـنُّن ؛ فإنّك أمينٌ مُستودَع ، ورائدٌ مصطنَع . والسّلامُ ورحمة الله(٦) .

* * *

قال هشام بن الـكلبىّ ، قال : حدّثنى خالد بن سعيد ، عن أبيـه قال :

---

(١) السهك : رائحة الصدأ . فيما عدا ل : « سمك » .

(٢) لم أجد سندا لهذه الـكلمة إلا هـذه الرسالة ، ومفهومها اليأس . والمذكور فى المعاجم « اليآسة » . ومما هو جدير بالذكر أن هذه المادة كثيرا ما تتعرض للقلب ، يقال يئس وأيس .

(٣) الأقياد : جمع قيد . فيما عدا ل : « ونحن نحجل » .

(٤) الصريخ : المغيث ، وهو أيضا المستغيث ، من الأضداد .

(٥) فيما عدا ل : « من دولتنا » تحريف .

(٦) لم يذكر فى هذه العبارة كلمة « عليك » .

شَكت بنو تغلبَ السَّنَةَ إلى معاوية ، فقال : كيف تشكون الحاجةَ مع ارتجاع البِكارة ، واجتلاب المِهارة[١] ؟ !

* * *

ابن الكلبى قال : كتب معاوية إلى قَيس بن سعد ، وهو والى مصرَ لعلىِّ ابن أبى طالب رضى الله عنه[٢] :

أمّا بعدُ فإنّما أنت يهودىٌّ ابنُ يهودى . إنْ ظفِر أحبُّ الفريقين إليك عزَلك واستبدلَ بك ، وإن ظفِر أبغضُهما إليك قتَلك ونكَّل بك . وقد كان أبوك وتَّر قوسه ورمى غيرَ غرضِه[٣] ، فأكثَرَ الحزّ وأخطأ المَفْصِل ، فخذَلَه قومُه ، وأدركه يومُه ، ثم مات طريداً بحَوْران[٤] . والسلام .

فكتَب إليه قيس بن سعد :

أما بعدُ فإنّك وَثَنٌ ابن وَثَنٍ[٥] ، دخلتَ فى الإسلام كَرْها ، وخرجت مِنه طوْعا ، لم يَقدُم إيمانُك ولم يحدُث نفاقُك . وقد كان أبِى رحمه الله وتَّر قوسه ورمى غرضَه ، فشغَب عليه مَن لم يَبلغْ كعبَه ، ولم يشُقّ غبارَه . ونحن بحمد ٢٨٧ الله أنصارُ الدين الذى خرجتَ منه ، وأعداء الدين الذى دخلتَ فيه . والسلام .

* * *

قال أبو عبيدة ، وأبو اليقظان ، وأبو الحسن : قدِم وفدُ العِراق على معاوية ،

---

(١) البكارة ، بالكسر : جمع بكر بالفتح ، وهو الفتى من الإبل بمنزلة الغلام من الناس . والمهارة ، بالكسر : جمع مهر بالضم ، وهو أول ما ينتج من الخيل . والخبر فى اللسان (٩ : ٤٧٦) . والارتجاع : أن يقدم الرجل المصر بإبله فيبيعها ثم يشترى بثمنها مثلها أو غيرها . أى تجلبون أولاد الخيل فتبيعونها وترتجعون بأثمانها البكارة للقنية . فى النسخ جميعها : « واختلاف المهارة » صوابه من اللسان .

(٢) سبقت ترجمته فى (١ : ٢٥١) .

(٣) ل : « عن غرضه » صوابه فى سائر النسخ .

(٤) حوران ، بالفتح : كورة واسعة من أعمال دمشق .

(٥) فيما عدا ل : « فإنما أنت » .

وفيهم الأحنف ، فخرج الآذِن فقال : إنّ أمير المؤمنـين يعزِم عليكم ألاّ يتكلم أحدٌ إلاّ لنفسه . فلما وصلوا إليه قال الأحنف : لولا عزيمةُ أمير المؤمنين لأخبرتُه أنّ دافةً دفَّت[1] ، ونازلةً نزلت ، ونائبة نابت[2] ، ونابتةً نبتت[3] ، كلُّهم به حاجةٌ[4] إلى معروف أمير المؤمنين وبِرّه .

قال : حسبُك يا أبا بحر ، قد كَفيت الشّاهد والغائب .

وقال غيلان بن خرشة للأحنف : ما بقاء ما فيه العرب ؟ قال : إذا تقلّدوا السيوف ، وشدوا العمائم ، وركِبوا الخيل ، ولم تأخذهم حَمِيّة الأوغاد . قال غيلان : وما حمية الأوغاد ؟ قال : أنْ يعدُّوا التّواهُب فيما بينهم ضَيما .

وقال عمر : العمائم تيجان العرب .

وقال : وقيل لأعرابيّ : مالَكَ لا تضعُ العمامة عن رأسك[5] ؟ قال : إنّ شيئا فيه السمعُ والبصر لحقيق بالصَّون .

وقال عليٌّ بن أبى طالب رضى الله عنه : جمال الرجل فى عِمّته[6] ، وجمالُ المرأة فى خُفِّها .

وقال الأحنف : استجيدوا النِّعال فإنّها خلاخيل الرِّجال .

قال : وقد جرى ذِكرُ رجلٍ عند الأحنف فاغتابوه فقال : ما لكم وما له ؟ يأكل رزقَه ، ويكفى قِرْنَه ، وتحمل الأرض ثِقْلَه .

---

(١) يقال دفت دافة ، أى أتى قوم من أهل البادية قد أقحمتهم السنة .

(٢) النائبة : الأضياف ينوبون القوم وينزلون بهم .

(٣) أى نشأ فيهم صغار لحقوا بالكبار وصاروا زيادة فى العدد . اللسان (٢ : ٢ ٤٠) حيث ورد النص . وانظر أيضا (دفف) .

(٤) فيما عدا ل : « بهم » . الإفراد للفظ ، والجمع للمعنى .

(٥) ل : « من رأسك » .

(٦) فيما عدا ل : « كمته » . والكمة ، بالضم : القلنسوة .

مَسلمة بن محارب قال : قال زياد لحُرَقة بنتِ النعمان[١] : ما كانت لذة أبيكِ ؟ قالت : إدمانُ الشراب ، ومحادَثة الرجال .

قال : وقال سليمان بن عبد الملك : قد ركبنا الفارِه ، وتبطَّنّا الحسناء ، ولبسنا اللّيّن حتى استخشنّاه ، وأكلنا الطّيِّب حتى أَجَمْناه[٢] . فما أنا اليوم إلى شيء أحوجَ منِّي إلى جليسٍ يضَعُ عنى مَئُونة التحفُّظ .

وأشاروا على عُبيد الله بن زياد بالحُقْنة ، فتفحَّشَها ، فقالوا : إنّما يتولاّها منك الطّبيب . فقال : أنا بالصاحب آنَس .

وقال معاوية بن أبى سفيان للنّخّار بن أوس العُذرىّ : ابغِنِي محدِّثا . فقال أومعى يا أمير المؤمنين ؟! قال : نعم أستريح منك إليه ، ومنه إليك[٣] . ٢٨٨

وقال عمرُ بن الخطاب رحمه الله لأبى مريم الحنفىّ : والله لا أحبُّك حتى تحب الأرضُ الدمَ المسفوح : قال : فتمنعنى لذلك حقا ؟ قال : لا . قال : فلا ضَير ، إنّما يأسَف على الحبّ النِّساء[٤] .

وقال عمرُ لرجلٍ همَّ بطلاق امرأته ، فقال له لِمَ تطلِّقها ؟ قال : لا أحبُّها فقال عمر : أو كلُّ البيوت بُنِيت على الحب ؟ فأين الرعاية والتذمم .

قال : وأُتى عبدُ الملك بن مروان برجل فقال : زُبيرىٌّ عميرىٌّ ، والله لا يحبك قلبى أبدا . قال : يا أمير المؤمنين ، إنما يبكى على الحب المرأة ، ولكن عدلٌ و إنصاف[٥] .

---

(١) حرقة ، بضم الحاء المهملة وفتح الراء ، كما ضبطت فى اللسان والقاموس . ل : « لحرقة » تحريف .

(٢) أجم الطعام وغيره يأجه : كرهه ومله . وبابه ضرب وتعب .

(٣) سبق الخبر فى (١ : ٣٣٣) .

(٤) انظر الخبر وتخريجه فى (١ : ٣٧٦) .

(٥) انظر (١ : ٣٧٦) وعيون الأخبار (٣ : ١١) .

عبد الله بن المبارك ، عن هشام بن عروة ، قال : نازع مروان ، ابن الزبير عند معاوية ، فرأى ابن الزّبير مَيلان معاوية[١] مع مروان ، فقال ابن الزبير : يا أمير المؤمنين : إن لك علينا حقاً وطاعة ، و إن لك سِطَةً[٢] وحُرْمةً فينا ، فأطع الله نُطعْك ، فإنّه لا طاعة لك علينا إلا فى حقِّ الله . ولا تُطرقْ إطراق الأُفْعُوان فى أُصول السَّخْبَر[٣] .

أبو عبيدة ، قال : قيل لشيخ مرّة : ما بقى منك ؟ قال : يسبقنى مَن بين يدىّ ، ويلحقنى مَن خلفى ، وأنْسَى الحديث ، وأذكر القديم ، وأنعس فى الملاء ، وأسهر فى الخلاء ، و إذا قمتُ قَرُبت الأرضُ منِّى ، و إذا قعدتُ تباعَدت عنّى .

الأصمعى قال : قلت لأعرابى معه قَطِيَعة شاء[٤] : لمن هذه ؟ قال : هى لله عندى .

ولما قتل عبدُ الملك بن مروانَ مُصعبًا ودخل الكوفة ، قال : للهيثم بن الأسود النّخعى : كيف رأيتَ اللهَ صَنَع ؟ قال : قد صنَعَ خيرا ، فخفِّفِ الوطأة ؛ وأقِلَّ التّثريب[٥] .

وقال ابن عباس : إذا ترَكَ العالم قول لا أدرى فقد أُصِيبتْ مَقاتِلُه[٦] .

قال : وكانوا يستحسنون[٧] ألا يُجيبوا فى كلٍّ ما سُئلوا عنه .

---

(١) الميلان : الميل . فيما عدا ل : « أن ضلع معاوية » .

(٢) يقال وسط قومه فى الحسب يسطهم وساطة وسطة ، كعدة ، إذا كان أوسطهم نسبا وأرفعهم مجدا . فيما عدا ل : « بسطة » تحريف .

(٣) السخبر : شجر تألفه الحيات . ل : « الشجر » صواب نصه من سائر النسخ واللسان (سخبر) .

(٤) أى قطعة صغيرة من الشاء ، طائفة منها . فيما عدا ل : « ضاجعة من شاء » . والضاجعة : الغنم الكثيرة .

(٥) التثريب : التقريع والاستقصاء فى اللوم ، والإفساد والتخليط .

(٦) كلمة « فقد » سقطت مما عدا ل ، مطابقة لما مضى فى (١ : ٣٩٨) .

(٧) فيما عدا ل : « يستحبون » .

قال : وقال عمرُ بن عبد العزيز[1] : من قال عند ما لا يدرِى لا يدرى فقد أحرَزَ نصف العلم .

وقال ابن عبّاس : إنّ لكلّ داخلٍ دَهشةً ، فآنِسُوهُ بالتحيّة .

٢٨٩ قالوا : واعتذر رجلٌ إلى مسلم بن قتيبة فقال مسلم : لا يَدْعُونّك أمرٌ قد تخلّصت منه ، إلى الدّخول فى أمرٍ لعلّك لا تخلُص منه .

قال : وكان يقال : دعوا المعاذر فإن أكثرها مَفاجر .

قال : وقال إبراهيم النّخعىّ لعبد الله بن عون[2] : تجنّب الاعتذار ، فإنّ الاعتذار يخالطُه الكذب .

واعتذر رجلٌ إلى أحمدَ بنِ أبى خالد فقال لأبى عبّاد : ما تقول فى هذا ؟ قال يُوهَبُ جُرْمُه ، ويُضرَب لعُذره أربعمائة .

وقد قال الأول : عذره أعظم من ذنبه .

قال : وقيل لابن عباس : ولد عمر بن أبى ربيعة فى الليلة التى مات فيها عمر بن الخطاب رحمه الله فسُمِّىَ باسمه . فقال ابن عباس : أىُّ حَقٍّ رُفع ، وأىُّ باطل وُضِع !

وقال عَبْدُ الله بن جعفر[3] لابنته : يا بنية ، إيّاكِ والغَيرة فإنّها مفتاحُ الطلاق ، وإياكِ والمعاتبة فإنّها تورث البِغْضة[4] وعليكِ بالزّينة والطِّيب ، واعلمى

---

(١) ل : « ابن عمر بن عبد العزيز » فيما عدا ل : « ابن عمر » فقط . والصواب ما أثبت مطابقا ما سبق فى (١ : ٣٩٨ س ١٥) .

(٢) هو عبد الله بن عون بن أرطبان المزنى البصرى ، روي عن ثمامة ، وأنس بن سيرين وإبراهيم النخعى والحسن والشعبى ، وعنه الأعمش والثورى وابن المبارك . ثقة ثبت ورع كثير الحديث . ولد سنة ٦٦ وتوفى سنة ١٥٠ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ٢٢٨) . فيما عدا ل : « لعبد الله بن عوف » تحريف .

(٣) هو عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، كان من أجواد العرب ، ولد بالحبشة وتوفى بالأبواء سنة تسعين . المعارف ٨٩ . ل : « عبد الله » تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « الضغينة » .

أنّ أزْيَنَ الزِّينة الكُحل ، وأطيبَ الطِّيب الماء .

قال : ولمّا نازع ابنُ الزبير مروانَ عند معاوية قال ابنُ الزُّبير : يا معاوية : لا تَدَعْ مروان يرمى جماهير قريشٍ بمَشاقِصِه ، ويضربُ صَفَاهم بمِعْوَلِه[١] ، فلولا مكانُك لكان أخفَّ على رقابنا من فَرَاشَةٍ ، وأقَلّ فى أنفسنا من خَشَاشَةٍ[٢] . ولئن مُلِّكَ أعِنّةَ خيلٍ تنقاد له ليَركَبَنّ منك طَبَقًا تخافُه[٣] . قال معاوية : إن يطلبْ هذا الأمرَ فقد يطمعُ فيه مَن هو دونَه ، وإن يتركْه فإنّما يتركُه لمن هو فوقه . وما أراكم بمنتهين حتّى يبعثَ الله إليكم مَن لا يعطِف عليكم بقرابةٍ ، ولا يذْكُركم عند مُلمّةٍ ، يَسومُكم خسفا ، ويُوردكم تلفًا ! فقال ابن الزُّبير : إذاً والله نُطْلِقَ عِقال الحرب بكتائبَ تمور كرِجل الجراد[٤] ، حافَتُها الأَسَل[٥] ، لها دَوِىٌ كدَوِىِّ الرِّيح ، تتبع غِطْريفا من قريشٍ لم تكن أمُّه براعية ثَلّةٍ[٦] .

فقال معاوية : أنا ابنُ هند ، إنْ أطلقتُ عِقال الحرب أكلَتْ ذِروة السَّنام[٧] ، وشرِبَتْ عُنفوانَ المَكْرَع[٨] ، وليس للآكل إلاّ الفِلْذةُ ، ولا للشارب إلا الرَّنْق[٩] .

---

(١) المشاقص : جمع مشقص ، كمنبر ، وهو النصل العريض ، أو سهم فيه ذلك . والصفا : جمع الصفاة ، وهى الحجر الصلد الضخم . فيما عدا ل : « يضرب صفاتهم بمعاوله » .

(٢) الخشاشة : واحدة الخشاش ، بكسر الخاء وفتحها ، وهى حشرات الأرض وهوامها .

(٣) فى اللسان (١٢ : ٨١) : « تنقاد له فى عثمان » . ليركبن طبقا ، أى ليركبن منك مركبا صعبا وحالا لا يمكن تلافيها .

(٤) الرجل ، بالكسر : الجراد الكثير .

(٥) الأسل : الرماح . فيما عدا ل : « حافتها الأسل » .

(٦) الثلة ، بالفتح : جماعة الغنم .

(٧) فيما عدا ل : « أطلقت عقال الحرب فأكلت ذروة السنام » .

(٨) عنفوان المكرع ، أى أوله .

(٩) الرنق ، بالفتح ، والتحريك ، وبفتح فكسر : الكدر .

بكر بن الأسود[١] قال : قال الحسن بن علىّ لحبيب بن مَسْلَمة[٢] رُبَّ مَسيرٍ لك فى غير طاعةِ الله . فقال : أمّا مسيرى إلى أبيك فلا . قالْ : بَلَى ، ولـكنّك أطعت معاويةَ على دنيا قليلة ، فلعمرى لئن قام بك فى دنياك ، لقد قَعَدَ بك فى دينك . ولو أنّك إذْ فعلت شرًّا قلتَ خيرا ، كنت كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا ﴾ ، ولـكنّك كما قال جلّ وعز : ﴿ كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ . ٢٩٠

قال أبو الحسن : سمعتُ أعرابيًّا فى المسجد الجامع بالبصرة بعد العصر ، سنة ثلاث وخمسين ومائة ، وهو يقول : أمّا بعد فإنّا أبناء سبيل ، وأنضاء طريق ، وفَلُّ سنة ، فتصدَّقُوا علينا ؛ فإنه لا قليل من الأجر ، ولا غِنى عن الله ، ولا عَمل بعد الموت . أمَا والله إنّا لنقومُ هذا المقام وفى الصّدر حَزازة ، وفى القلب غُصَّةٌ .

وقال الأحنف بخراسان : يابنى تميم ، تحابُّوا تجتمعْ كلمتكُم ، وتباذلوا تعتدلْ أموالـكم ، وابدءوا بجهاد بُطونـكم وفروجكم يصلُحْ لـكم دينكم ، ولا تَغُلُّوا يسلمْ لـكم جهادُكم .

ومن كلام الأحنف السّائرِ فى أيدى الناس : الزم الصّحةَ يلزمْك العمل .

وسئل خالد بن صفوان عن الـكوفة والبصرة فقال[٣] : « نحنُ منابتُنا قصَب ، وأنهارنا عَجَب ، وسماؤنا رُطَب ، وأرضنا ذهب » . وقال الأحنف : « نحن أبعَدُ منكم سَرِيّة ، وأعظم منكم بَحْرِيّة ، وأكثر منكم ذُرِّية ، وأغذَى

---

(١) بكر بن الأسود ، ويقال ابن أبى الأسود ، أبو عبيدة الناجى ، أحد الزهاد ، وكان رأسا فى القدر ، روى عن الحسن . لسان الميزان .

(٢) هو أبو عبد الرحمن حبيب بن مسلمة بن مالك القرشى المكى ، وكان يسمى « حبيب الروم » لمجاهدتهم أو لـكثرة دخوله عليهم . مختلف فى صحبته . مات فى خلافة معاوية سنة ٤٢ . تهذيب التهذيب والإصابة ١٥٩٥ .

(٣) فيما عدا ل : « وقال خالدبن صفوان وسئل عن الـكوفة والبصرة » .

منكم بَرِّيّةً(١) » . وقال أبو بكر الهذليّ : «نحن أكثرُ منكم ساجاً وعاجا ، وديباجا وخراجا ، ونهرا ثَجّاجا(٢) » .

وكتب صاحبٌ لأبى بكر الهذلىّ إلى رجل يعزّيه عن أخيه : « أوصِيك بتقوى الله وحدَه ؛ فإنّه خَلقك وحده ، ويبعثُك يومَ القيامة وحدَه . والعجَبُ كيف يعزّى ميتٌ مَيْتًا عن مَيْت . والسلام » .

وقال رجل لابن عَيّاشٍ(٣) رحمه الله : أيّما أحبُّ إليك : رجلٌ قليل الذنوب قليل العمل ، أو رجلٌ كثير الذُّنوب كثير العمل ؟ فقال : ما أعدِلُ بالسّلامة شيئاً .

وقال آخر : حماقة صاحبى أشدُّ ضرراً علىّ منها عليه .

شُعبَةُ أبو بسطام(٤) قال : قال عبد الرحمن بن أبى لَيلَى : لا أُمارى أخى ، فإمّا أنْ أُكْذِبَه ، وإمّا أن أُغضِبه .

وقالوا : أخذ رجلٌ على ابن أبى ليلى كِلمةً(٥) ، فقال له ابنُ أبى ليلىْ : ٢٩١
أهْدِ إلينا من هذا ما شئت(٦) .

ولما مات ابنُ أبى ليلى ، وعمرُو بن عُبيد ، رحمها الله تعالى ، قال أبو جعفر المنصور : ما بقى أحدٌ يُستَحَى منه .

ولمّا مات عبدُ الله بن عامر(٧) قال معاوية : رحم الله أبا عبد الرحمن ، بمن نُفاخِرُ ؟

---

(١) أعذى ، من العذاة ، وهى الأرض الطيبة التربة الكريمة المنبت .
(٢) سبق الخبر بلفظ آخر فى (١ : ٣٥٧) .
(٣) فيما عدا ل : « لابن عباس » .
(٤) سبقت ترجمته فى (١ : ٣٦٩) .
(٥) فيما عدا ل : « قال وأخذ على ابن أبى ليلى رجل من جلسائه » .
(٦) فى حواشى التيمورية : « أى نبهنا عليه . وهذا من الإنصاف أن ينبه الرجل على خطائه فيرضى » .
(٧) سبقت ترجمته فى (١ : ٣١٨) .

مَسلمة بن محارب(١) قال : قال زياد : ما قرأتُ كتابَ رجلٍ قطُّ إلا عرفتُ فيه عقلَه .

أبو معشر(٢) قال : لما بلغ عبدَ الله بن الزُّبير قتلُ عبد الملك بن مروان عمرَو ابنَ سعيد الأشدق ، قام خطيبا . فقال : إن أبا الذِّبّان قَتَل لطيم الشيطان ، ﴿ كَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُون ﴾ . ولما جاءه قتلُ أخيه مُصْعَب ، قام خطيباً بعدَ خُطبته الأولى . فقال : إنّ مُصعبا قدّم أيْرَه وأخّر خيرَه ، وتشاغَلَ بنكاح فلانة وفلانة ، وترَكَ حلْبة أهلِ الشام حتّى غشِيَتْه فى داره . ولئن هَلَكَ مصعبٌ إنّ فى آل الزُّبير منه خَلَفًا .

قالوا(٣) : ولما قدِم ابنُ الزُّبير بفتح أفريقيّة ، أمَرَه عثمانُ فقام خطيباً ، فلما فرغ من كلامه قال عثمان : أيُّها الناس أنكِحو النِّساء على آبائهنّ و إخوتِهنّ ؛ فإنِّى لم أرَ فى ولد أبى بكر الصديق أشبَهَ به من هذا .

وسمع عمر بن الخطاب رحمه الله أعرابيّا يقول : اللهمَّ اغفر لأُمّ أوْفَى . قال : ومَن أمّ أوفى ؟ قال : امرأتى ، و إنّها لحمقاء مِرْغامَةٌ(٤) ، أكول قامّةٌ(٥) ، لا تَبقَى لها خَامَّةٌ(٦) ، غير أنها حسناء فلا تُفرَك ، وأمُّ غِلمان فلا تُترك .

قالوا : ودفعُوا إلى أعرابيّة عِلْكاً(٧) لتمضَغه ، فلم تفعلْ ، فقيل لها فى ذلك فقالت : ما فيه إلا تعبُ الأضراس ، وخَيْبة الحنجرة .

---

(١) ترجمته فى ص ٤٨ من هذا الجزء .

(٢) ترجم فى (١ : ٤٠٦) حيث ورد الخبر التالى .

(٣) سبق الخبر فى (١ : ٤٠٦) .

(٤) المرغامة : المبغضة لبعلها . والخبر فى اللسان (١٥ : ١٣٨) .

(٥) قم ما على المائدة : أكله فلم يدع منه شيئاً .

(٦) الخام : ما تغير ريحه من لحم أو لبن ونحوهما . يقال خم وأخم أيضا . والكلمة محرفة فى النسخ وصوابها من اللسان ، فى ل : «جامة» وفيما عدا ل : «حامة» .

(٧) العلك ، بالكسر : ضرب من صمغ الشجر كاللبان ، يمضغ فلا ينماع .

وكان أبو مسلمٍ استشارَ مالك بن الهيثم ، حِينَ وردَ عليه كتابُ المنصور فى القُدوم عليه ، فلم يُشرِ عليه فى ذلك ، فلما قُتل أبو مسلم أذكره ذلك ، فقال ابنُ الهيثم : إنّ أخاك إبراهيم الإمامَ حدّث عن أبيه محمد بن على أنه قال : لا يزال الرّجل يُزَادُ فى رأيه ما نصح لمن استشاره ، وكنتُ له يومئذ كذلك ، وأنا لك اليوم كذلك .

وقال الحسن : التَّقدير نصف الكسب ، والتودُّد نصف العقل ، وحُسن طلب الحاجة نصف العلم .

قال : وقال رَجل لعمرو بن عُبيد : إنِّى لأرحمك مما يقول الناس فيك . قال : أسمعتَنى أذكر[1] فيهم شيئاً ؟ قال : لا . قال : إيّاهم فارحَمْ . ٢٩٢

ومدح نُصَيب أبو الحجناء عبدَ الله بنَ جعفر ، فأجزَلَ له من كلِّ صِنف . فقيل [له] : أتصنع هذا بمثل هذا العبد الأسود ؟ قال : أمَا والله لئن كان جلدُه أسودَ إنّ ثناءه لأبيض[2] ، وأن شِعرَهُ لعربىّ ، ولقد استحق بما قال أكثر مما نال ، وإنّما أخَذَ رواحلَ تُنضَى ، وثياباً تبلَى ، ومالاً يفنَى ؛ وأعطى مديحاً يُروَى ، وثناء يبقى .

ووقف أعرابىٌّ فى بعض المواسم . فقال : اللهم إنّ لك علىّ حقوقا فتصدّقْ بها علىّ ، وللنّاس قبلى تَبعاتٍ فتحمّلْها عنى ، وقد أوجبتَ لكلِّ ضيف قِرًى وأنا ضيفُك ، فاجعل قِرَاىَ فى هذه اللَّيلة الجنَّة .

ووقف أعرابيٌّ يسألُ قوماً فقالوا له : عليك بالصَّيارفة . فقال : هناك والله قَرَارَةُ اللؤم .

---

(١) فيما عدا ل : « أفتسمعنى أقول » .

(٢) الثناء : ما تصف به الإنسان من مدح أو ذم .

وقال مَسلمة : ثلاثةٌ لا أعذِرهم : رجلٌ أحفى شاربَه ثم أعفاه[١] ، ورجل قصّر ثيابه ثم أطالها ، ورجلٌ كان عنده سراريُّ فتزوّجَ حُرّة .

أبو إسحاق قال : قال حذيفة : كُن فى الفتنة كابنِ لَبُون ، لا ظَهرَ فيُرْكب ، ولا لبنَ فيُحلَب .

وقال الشّاعر وليس هذا الباب فى الخبر الذى قبل هذا :

ألم تَرَ أنّ النّاب تُحلَبُ علبةً   ويُترك ثِلْبٌ لا ضِرَابٌ ولا ظَهْرُ[٢]

عُتبة بن هارون قال : قلت لرؤبة : كيف خَلّفت ما وراءك ؟ قال : التراب يابس ، والمرعى عابس .

وقال معاوية لعبد الله بن عباس : إنّى لأعلم أنّك واعظ نفسه ، ولكنّ المصدور إذا لم ينفُث جَوِىَ .

وقيل لعُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود : أتقول الشعر مع النُّسْكِ والفضل والفقه ؟ فقال : « لا بد للمصدور من أن ينفث[٣] » .

قال أبو الذيّال شُوَيسٌ[٤] : « أنا والله العربىُّ ، لا أرقَع الجُربّان ،

---

(١) إحفاء الشارب : أن يبالغ فى قصه . وإعفاؤه : إطالته وتوفيره . فيما عدا ل : « أحفى شعره » . وفى الحديث أنه أمر أن تحفى الشوارب وتعفى اللحى .

(٢) الثلب ، بالكسر : الجمل الذى انكسرت أنيابه من الهرم .

(٣) سبق الخبر فى (١ : ٣٥٧) .

(٤) ل : « قال أبو الذيال قال شريس » وفيما عدا ل : « قال أبو الذيال قال شويس » وكلاهما خطأ ؛ فإن « شويسا » بالواو ، هو أبو الذيال عينه ، كما فى تنبيه البكرى على الأمالى ١٢٤ ؛ فإنه أورد نص القالى فى الأمالى (٢ : ٢٤٧) وقال : « وهذا الكلام لأبى الذيال شويس الأعرابى العدوى » . وفى الإصابة ٣٩٨٣ أنه « شويس بن حباش العدوى » . والنص عند البكري : قال : أنا ابن التاريخ ، أنا والله العربى المحض ، لا أرقع الجربان ، ولا ألبس التبان ولا أحسن الرطانة ، وإنى لأرسب من رصاصة ، وما قرقنى إلا الكرم » . قال البكرى : « قوله أنا ابن التاريخ ، يعنى أنه ولد سنة الهجرة » . والجربان : جيب القميص . والتبان : السراويل الصغير مقدار الشبر . نفى عن نفسه لبس العجم ، ولبس الملاحين . والعرب إنما كانت تلبس الإزار والرداء . وقوله « ما قرقنى إلا الكرم » قال أبو عبيد : « يعنى أن أباه طلب المناكح الكريمة فلم يجدها إلا فى أهله فجاء ولده ضاويا » . وفى اللسان (قرقم) : « أى إنى جئت صاويا لكرم آبائى وسخائهم بطعامهم عن بطونهم » .

ولا ألبس التُّبَّان ، ولا أُحسن الرِّطانة ، ولأنا أرسَى من حَجرٍ ، وما قرقَنى إلاّ الكرم » .

أبو الحسن وغيره قال : قال عَمرو بن عتبة بن أبى سفيان ، للوليد بن يزيد ابن عبد الملك ، وهو بالبَخراء[١] من أرض حِمص : يا أمير المؤمنين ، إنّك لَتستنطقنى بالأُنْسِ بك ، وأكفُّ عن ذلك بالهيبة لك ، وأراك تأمَن أشياء ٢٩٣ أخافُها عليك ، أفأسكتُ مطيعاً ، أم أقولُ مشفقا ؟ قال : كلٌّ ذلك مقبولٌ منك ، ولِله فينا علمُ غيبٍ نحن صائرون إليه ، وتَعُود فتقول[٢] . قال : فقُتِل بعد أيّام .

وكان أيّوب السِّختيانىّ يقول : لا يَعرف الرّجلُ خطأَ معلِّمه حتّى يسمع الاختلاف .

وقال بعضُهم[٣] : كنت أجالس ابنَ صُعيْر فى النَّسب[٤] ، فجلست إليه يوماً فسألتُه عن شىء من الفقه ، فقال : ألك بهذا من حاجة ؟ عليك بذلك — وأشار إلى سعيد بن المسيّب[٥] — فجلستُ إليه لا أظُنُّ أنَّ عالِماً غيرُه . ثم تحوّلت إلى عُروة[٦] ، ففتقت به ثَبَجَ بحرٍ[٧] .

قال : وقلت لعثمان البُرّىّ[٨] : دُلّنى على باب الفقه . قال : اسمع الاختلاف .

---

(١) فى معجم ما استعجم : « البخراء : أرض بالشام ، سميت بذلك لعفونة فى تربتها ونتنها » .

(٢) فيما عدا ل : « وتعود فتقول » . (٣) هو الزهرى ، كما فى اللسان (ثبج) .

(٤) أى فى تعلم النسب . (٥) سبقت ترجمته فى (١ : ٢٠٢) .

(٦) هو عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى الأسدى . روى عن أبيه وأخيه عبد الله ، وأمه أسماء بنت أبى بكر ، وخالته عائشة ، وعلى وغيرهم . وكان ثقة كثير الحديث فقيها . ولد فى آخر خلافة عمر سنة ٢٣ وتوفى سنة ٩٤ وهى سنة الفقهاء . تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٢ : ٤٧) .

(٧) ثبج البحر والليل : معظمه .

(٨) مضت ترجمته فى (١ : ٢٢) . ل : « المزى » صوابه فى سائر النسخ .

وقيل لأعرابى : عند مَن تحبُّ أن يكون طعامُك ؟ قال : عنـد أمّ صبيٍّ راضع ، أو ابن سبيل شاسع ، أو كبيرٍ جائع ، أو ذى رحم قاطعٍ .

وقال بعضهم : إذا اتّسعت المقدرة نقصت الشهوة . قال : قلت له[(١)] : فمن أسوأُ النّاس حالاً ؟ قال : مَن اتسعت معرفتُه ، و بعُدت همّته ، وقويت شهوتُه ، وضاقت مقدرتُه .

وذُكر عند عائشة رحمها الله الشرفُ فقالت : كلُّ شرفٍ دُونه لُؤمٌ فاللُّؤمُ أولى به ، وكلّ لؤم دونه شرفٌ فالشّرفُ أولى به .

ودخل رجلٌ على أبى جعفر ، فقال له : اتّق الله . فأنكر وجهَه . فقال : يا أمير المؤمنين ، عليكم نزلَتْ ، ولـكُمْ قِيلت ، و إليكم رُدَّت .

وقال رجلٌ عند مَسلمة : ما استرحْنَا مِن حائك كِندةَ حتَّى جاءنا هـذا المَزُونىّ[(٢)] ! فقال له مسلمة : أتقول هذا لِرجلٍ سار إليه فريقَا قريش ؟ يعنى نفسه والعباسَ بنَ الوليد . إنّ يزيدَ[(٣)] حاولَ عظيماً ، ومات كريما .

عبدُ الله بن الحسن قال : قال علىّ بن أبى طالب رحمه الله : خُصِصْنَا بخمسٍ : فصاحةٍ ، وصباحةٍ ، وسماحةٍ ، ونجدةٍ ، وحُظوةٍ — يعنى عند النِّساء .

علىّ بن مجاهد ، عن هشام بن عروة[(٤)] ، عن أبيه ، عن عائشـة قالت : جُبِلت القلوبُ قلوبُ الناس[(٥)] على حُبِّ مَن أحسَنَ إليها ، و بُغض من أساء إليها .

---

(١) هذه الـكلمة من ل فقط .

(٢) المزونى : نسبة إلى المزون ، بالفتح ، وهى أرض عمان . وفى حواشى التيمورية : « يعنى بحائك كندة عبد الرحمن بن الأشعث ؛ لأنه خرج على عبد الملك ، ومن أجله كان يوم دير الجماجم ، ولم يكن حائكا ولـكنه كان من اليمن ، وكان النسج الرفيع باليمن . والمزونى هو يزيد بن المهلب ، وكان أيضا قد خرج على عبد الملك إلى أن ظفر به مسلمة » .

(٣) ب ، حـ : « ويزيد بن المهلب » . التيمورية : « والعباس بن الوليد بن يزيد بن المهلب » . والعبارة الأخيرة محرفة .

(٤) هو هشام بن عروة بن الزبير المترجم فى (١ : ٢٥٢) .

(٥) هاتان الـكلمتان من ل فقط .

وقال الأصمعىّ : كُتِب كتابُ حكمةٍ فبقيتْ منه بقيّة فقالوا : ما نكتب ؟ قال : اكتبوا : « يُسأَل عن كلِّ صناعةٍ أهلُها » . ٢٩٤

وقال شَبيب بن شيبةَ للمهدىّ : إنّ الله لم يرضَ أن يجعلك دونَ أحدٍ مِن خلقه ، فلا ترض لنفسك أن يكون أحدٌ أخوفَ لله منك .

وقال يحيى بن أكثم : «سِياسة القضاء أشدُّ من القضاء» . وقال : «إنّ من إهانة العلم أن تجارِىَ فيه كلَّ من جاراك» .

قال : وحمَّل رقبةُ بن مَصقَلة من خراسان رجلاً إلى أمّهِ خمسمائةِ درهم ، فأبى الرجل أن يدفعَها إليها حتّى تكون معها البيّنةُ على أنها أمُّه ، فقالت لخادمٍ لها : اذهبى حتى تأتينا ببعض مَن يعرفُنا ، فلما أتاها الرجل برزَت فقالت : الحمد لله ، وأشكو إلى الله الذى أبرزَنى وشهَّر بالفاقة أهلى . فلمّا سمع الرجلُ كلامها قال : أشهد أنّكِ أمّه ، فرُدِّى الخادمَ ولا حاجة بنا إلى أنْ تجيئى بالبينة[(١)] .

قالوا : كان الحسن يقول فى خُطبة النكاح ، بعد حمد الله والثناء عليه : « أمّا بعدُ فإنّ الله جمع بهذا النكاح الأرحامَ المُنقطعة ، والأنسابَ المتفرقة ، وجعل ذلك فى سنّةٍ من دينه ، ومِنهاج واضحٍ من أمره ، وقد خطب إليكم فلانٌ ، وعليه من الله نِعمة » .

عامر بن سعد[(٢)] قال : سمعت الزُّبيرَ[(٣)] يعزّى عبدَ الرحمن[(٤)] على بعض

---

(١) فيما عدا ل : « أن تجىء البينة » .

(٢) هو عامر بن سعد بن أبى وقاص الزهرى ، أحد ثقات الحديث من التابعين المدنيين توفى سنة ١٠٤ . تهذيب التهذيب .

(٣) هو الصحابى الجليل الزبير بن العوام الأسدى ، حوارى رسول الله ، وابن عمته ، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، والستة أصحاب الشورى . قتله عمرو بن جرموز منصرفه من الجمل سنة ٣٦ . الإصابة ٢٧٨٣ .

(٤) هو الصحابى الجليل عبد الرحمن بن عوف ، أحد العشرة والستة . وكان ممن حرم على نفسه الخمر فى الجاهلية . توفى سنة ٣١ وصلى عليه عثمان ، وقيل صلى عليه الزبير . الإصابة ٥١٧١ .

نسائه ، فقال وهو قائمٌ على قبرها : لا يَصْفَرْ ربعُكَ(١) ، ولا يوحِشْ بيتُك ، ولا يَضِع أجرُك . رحم الله مُتوفّاك ، وأحسنَ الخلافةَ عليك .

وقال عمر بن الخطاب رحمه الله : خيرُ صناعات العرب أبياتٌ يقدِّمها الرّجلُ بين يدى حاجَته ، يستميل بها الكريم ، ويستعطف اللّئيم .

وقال : وَلِيَ مُصعب بن الزُّبير على طول خطبته عشيّة عرفة فقال : أنا قائمٌ وهم جلوس ، وأتكلّم وهم سكوت ، و يضجرون !

وقال موسى بن يحيى : كان يحيى بن خالد يقول : ثلاثة أشياء تدلُّ على عقول أربابها : الكتاب يدلُّ على مقدار عقل كاتبِه ، والرّسولُ على مقدار عقل مُرسِله ، والهديّةُ على مقدار عَقْل مهديها .

٢٩٥ وذكر أعرابى أميراً فقال : يقضى بالعَشْوة(٢) ، ويطيل النّشوة ، ويقبل الرّشوة .

وقال يزيد بن الوليد : إنّ النَّشوة تحلُّ العُقدة ، وتُطلق الحُبْوة . وقال : إيّاكم والغِناء ، فإنّه مفتاح الزِّنَى .

وقال عمر بن الخطاب رحمه الله : إذا توجّه أحدكم فى وجهٍ ثلاثَ مرّات فلم يصبْ خيراً فليدَعْه .

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه : لا تكوننّ كمن يعجز عن شكر ما أُوتى ، و يبتغى الزّيادةَ فيما بقى ، ينهَى ولا ينتهى ، و يأمر الناس بما لا يأتِى ؛ يحبُّ الصالحين ولا يعمل بأعمالهم ، ويُبغض المُسيئين وهو منهم ؛ يكره الموت لكثرة ذنوبه ، ولا يدَعُها فى طول حياته .

---

(١) الربع : المنزل ، وقيل المنزل فى الربيع خاصة . صفر يصفر ، من باب تعب : خلا .

(٢) العشوة ، بتثليث العين : الأمر الملتبس .

وقال أعرابىّ : خرجتُ حين انحدرَتْ أيدى النُّجومِ وشالت أرجلُها ، فلم أزَلْ أصدع الليل حتى انصدع الفجر .

قال : وسألتُ أعرابيًّا عن مسافةِ ما بين بلدين فقال : عُمرُ ليـلةٍ ، وأديمُ يومٍ . وقال آخر : سواد ليلةٍ ، و بَياض يومٍ .

وقال بعض الحكماء : لا يضرك حبُّ امرأةٍ لا تعرفها .

وقال رجلٌ لأبى الدَّرداء : فلان يُقرئك السَّلام . فقال : هديّة حسنة ، ومَحمَل خفيف .

وسرق مُزَبِّدٌ (١) نافجةَ مِسك فقيل له : إنّ كلَّ مَن غلَّ يأتى يوم القيامة بما غَلّ (٢) يحمله فى عنقه ، فقال : إذاً والله أحملُها طيِّبةَ الريح ، خفيفةَ المحمَل .

قيل : ومِن أبخل البُخل تَركُ السَّلام .

قال ابن عُمر : لَعمرِى إنّى لأرى حقَّ رجْعِ جواب الكتاب كردِّ السّلام .

وجاء رجلٌ إلى سَلْمان (٣) فقال : يا أبا عبد الله ، فلان يقرئك السلام . فقال : أما إنك لو لم تفعل لكانت أمانةً فى عنقك .

---

(١) مزبد المدينى ، من مشهورى أصحاب النوادر والفكاهة ، ويقع التحريف فى اسمه كثيرا فيقال « مزيد » بالياء المثناة التحتية . وفى تاج العروس (٢ : ٣٦١) : « ومزبد كمحدث : اسم رجل ، صاحب النوادر . وضبطه عبد الغنى وابن ما كولا كمعظم . وكذا وجد بخط الشرف الدمياطى وقال : إنه وجده بخط الوزير المغربى . ووجد بخط الذهبى ساكن الزاي مكسور الموحدة » . وقد رجعت إلى المشتبه الذهبى ص ٤٧٥ فوجدت فيه : « وبزاى وبموحدة مكسورة : مزبد صاحب النوادر » . ففى ضبطه أقوال ثلاثة . وله حديث فى ثمار القلوب ٣٧٢ والحيوان (٥ : ١٨٤ ، ١٩٢ ، ١٩٣) . وقال التوحيدى فى شأن الجاحظ « وإن هزل زاد على مزبد » . انظر المقابسات ٥٥ .

(٢) هاتان الكلمتان من ل فقط .

(٣) فيما عدا ل : « سليمان » تحريف . والخبر رواه ابن الجوزى فى ترجمة سلمان الفارسى . انظر صفة الصفوة (١ : ٢١٨ س ١٣ — ١٥) ونصه : « عن أبى قلابة أن رجلا دخل على سلمان وهو يعجن فقال : ما هذا ؟ قال : بعثنا الخادم فى عمل فكرهنا أن نجمع عليه عملين . ثم قال : فلان يقرئك السلام . قال : متى قدمت ؟ قال : منذ كذا وكذا . فقال : أما إنك لو لم تؤدها كانت أمانة لم تؤدها » . وكنية سليمان أبو عبد الله ، ويقال له =

وقال مثنى بن زهير لرجل : احتفظ بكتابى هذا حتى توصله إلى أهلى ؛ فمن العجب أنّ الـكتاب ملقًى ، وأنّ السّـكرانَ مُوقًّى .

وكان عبد الملك بن الحجاج يقول : لأنا لِلعاقِل المُدْبِر أرجى من الأحمق المُقْبل .

وقال : إيّاكَ ومصاحبةَ الأحمق ؛ فإنه ربما أراد أن ينفَعك فضَرّكَ .

وكتب الحجاج إلى عامل له بفارس : «ابعث إلىَّ بعسلٍ من عَسَلِ خُلاّر[١] من النَّحل الأبكار ، من الدَّسْتَفْشَار[٢] ، الذى لم تمسَّه النار » .

وقال الشاعر :

٢٩٦ ومـا المرء إلا حيثُ يجعـل نفسَه   ففى صالح الأخلاق نفسَك فاجْعلِ[٣]

قال : ونظر أبو الحارث جُمَّين[٤] ، إلى برذَون يُستقى عليه الماء فقال :

* وما المرء إلا حيث يجعل نفسه *

لو أن هذا البِرذون همَلَجَ ما صُنِعَ به هذا .

عمرو بن هُدّاب قال : قال سَلْمُ بن قتيبة : رَبُّ المعروف أشدُّ من ابتدائه .

وقال محمّد بن واسع : « الإبْقاء على العمل أشدُّ من العمل » .

وقال يحيى بن أكثم : « سياسةَ القضاء أشدُّ من القضاء » .

= سلمان ابن الإسلام ، وسلمان الخير . وأصله من رامهرمز وقيل من أصبهان ، سافر يطلب الدين مع قوم فغدروا به فباعوه من اليهود ، ثم إنه كوتب فأعانه النبى صلى الله عليه وسلم فى كتابته . أسلم مقدم النبى المدينة ، وشهد الخندق وما بعدها . وولاه عمر المدائن . انظر الإصابة . ٣٣٥ .

(١) خلار ، كرمان : موضع يكثر به العسل الجيد . والخبر فى اللسان (خلر) .

(٢) الدستفشار : لفظ فارسى معناه المعصور باليد ، مركب من « دست » بمعنى يد ، و « أفشار » بمعنى معصور . انظر الألفاظ الفارسية المعربة لأدى شير ٦٤ .

(٣) ل فقط : « فافعل » .

(٤) أبو الحارث جين ، أو جميز ، أحد أصحاب الفكاهة من معاصرى الجاحظ ، ودعبل ابن على ، وابن سيابة . انظر بعض أخباره فى الأغانى (١ : ١١/٣٧ : ١٧/٦ : ٤٤) وجمع الجواهر للحصرى ٦٣ ، ٦٤ . وصاحب القاموس يرى أن لفظ « جمين » خطأ ، والصواب « جميز » . وقال فى مادة (جمن) : « ضبطه المحدثون بالنون ، والصواب بالزاى المعجمة . أنشد أبو بكر بن مقسم :

إن أبا الحارث جميزا   قد أوتى الحكمة والميزا » .

وقال محمد بن محمد الحُمْرانى[١] : «من التوقِّى تركُ الإفراط فى التوقى» .

وقال أبو قُرَّة : « الجوع للحِمْية أشدُّ من العلّة » .

وقال الجمّاز : « الحمية إحدى العلّتين» . وقال العَمّى[٢] : «مَن احتمى فهو على يقينٍ مِن تعجيل المكروه ، وفى شكٍّ مما يأمُل من دوام الصحّة» .

وذكر أعرابىٌ رجلا فقال : حُمَّى المُعافَى ، حَنُوطُ المُبتلى[٣] .

وقال عمر[٤] : اعتبر عزْمَه بحِمْيَته ، وحَزْمَه بمتاعِ بيته .

وقال[٥] : أمرانِ لا ينفكان من الكذب : كثرة المواعيد ، وشدّة الاعتذار .

وقيل لرجلٍ من الحكماء : ما جُمّاعُ البلاغة ؟ قال : معرفة السّليم من المعتلّ ، وفصل ما بين المُضمَّن والمُطْلَق ، وفرقِ ما بين المشترَك والمفرد ، وما يحتمل التأويل من المنصوص المقيّد .

وقال سهل بن هارون فى صدر كتابٍ له : « وَجَب[٦] على كلِّ ذى مقالةٍ أنْ يبتدئ بالحمد لله قبل استفتاحها ، كما بُدِئ بالنِّعمة قبل استحقاقها» .

وقال أبو البِلاد[٧] :

وإنّا وجَــدنا النّاس عُودَين طيِّباً   وعُودًا خبيثًا لا يَبِضُ على العَصْرِ[٨]

تزِينُ الفتى أخــلاقُه وتَشِينُه   وتُذكَرُ أخلاقُ الفتى وهو لا يدرى

وقال آخر فى هذا المعنى :

سابقْ إلى الخيرات أهل العلا   فإنّما النــاسُ أحاديثُ ٢٩٧

كلُّ أمرئٍ فى شأنه كادحٌ   فوارثٌ منهمْ وموروثُ

---

(١) انظر ما سبق فى (١ : ٢٦٥ س ٥) .
(٢) فيما عدا ل : « القمى » .
(٣) فيما عدا ل : « حمى المبتلى حنوط المعافى » .
(٤) هذه الكلمة من ل فقط .   (٥) فيما عدا ل : « وقالوا » .
(٦) فيما عدا ل : « واجب » .   (٧) سبقت ترجمته فى (١ : ٣٥٤) .
(٨) لا يبض : لا يخرج منه ماء .

ولما قال حَمَلُ بن بدر ، لبنى عبس ، والأسنّةُ فى ظهورهم ، والبوارقُ فوق رءوسهم : « تُؤْدِى السَّبَق [١] ، ونَدِى الصِّبْيان وتُخلُّون سِربَنا ، وتسودون العرب » انتهره حذيفةُ فقال : إيّاكَ والـكلامَ المأثور !

وقال الشاعر :

اليوم خمرٌ ويبدو فى غدٍ خبرٌ ... والدّهرُ من بين إنعامٍ وإبآسِ [٢]

قال : وقال أعرابىّ : « إنّ المسافرَ ومتاعَه لعلى قلتٍ [٣] إلاّ ما وَقَى الله » .

وقالوا : السّفَر قِطعة من العذاب ، وصاحبُ السَّوء قطعةٌ من النار .

قال : وجلس معاوية بالـكوفة يُبايع الناس على البراءة مِن علىّ رحمه الله ، فجاءه رجلٌ من بنى تميم ، فأراده على ذلك فقال : يا أمير المؤمنين : نُطيع أحياءكم ولا نبرأُ من موتاكم . فالتفت إلى المغيرة فقال : إن هذا رجلٌ ، فاستوصِ به خيراً .

وقال الشاعر [٤] :

قالت أُمامةُ يومَ بُرْقَةِ واصلٍ ... يا ابن الغَدير لقد جعلتَ تَغيَّرُ

أصبحتَ بعد زمانك الماضى الذى ... ذهبَتْ شبيبتُه وغصنُك أخضرُ

شيخاً دِعامتُك العصا ومشيَّعاً ... لا تبتغى خبراً ولا تُستخبَرُ

قالوا : وكان شُريحٌ فى الفتنة يستخبِرُ ولا يُخبِر . وكان الرّبيع بن خُثَيم لا يُخبِر ولا يَستخبِر . وكان مطرِّف بن عبد الله يَستخبِر ويُخبِر . قالوا : فينبغى أن يكون أعقلهم .

---

(١) السبق ، بالتحريك : الخطر يوضع بين أهل السباق . وقد قال حمل هذا القول فى يوم الهباءة . انظر الحيوان (٣ : ١١٧/٥ : ٢٩٤) . ومعجم البلدان ، وكامل ابن الأثير (١ : ٣٥٢) والعمدة (٢ : ١٦١) والميدانى (٢ : ٢٦٣) والخزانة (١ : ٣٠٣/٣ : ٣٥٨/٤ : ٥٨٥) .

(٢) سبق البيت فى (١ : ١٧٧) .

(٣) القلت ، بالتحريك : الهلاك . والخبر فى اللسان (قلت) . ل فقط « على قلت » .

(٤) هو حسان بن الغدير : انظر خبر الشعر واختلاف الرواية فى الأمالى (٣ : ٨٩) .

قال أبو عبيدة : كان ابن سيرينَ لا يَستخبر ولا يُخبِر ، وأنا أخبر وأستخبر .

وقال أبو عمرو بن العلاء لأهل الكوفة : لكم حَذْلقَةُ النَّبطِ وصَلَفُهم[١]، ولنا دهاء فارسَ وأحلامُها .

وأنشدوا للحارث بن حلِّزة اليشكرى :

لا أعرِفنَّكَ إن أرسلتُ قافيةً تُلقِى المَعاذِرَ إن لم تنفع العِذْرُ[٢]
إنّ السّعيدَ له فى غيره عظَةٌ وفى التّجارب تحكيمٌ ومُعْتَبَرُ ٢٩٨

ومعنى المعاذير هنا على غير معنى قول الله تبارك وتعالى فى القرآن : ﴿ بَلِ الإنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ . وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ ﴾ . والمعاذير هاهنا : السُّتور[٣] .

وقال : أراد رجلٌ الحجّ فسلّم على شُعبة بن الحجّاج[٤] فقال له : أمَا إنّك إن لم تعُدّ الحِلم ذُلاًّ ، ولا السّفَهَ أنَفًا ، سلِمَ لك حَجُّك .

وقالوا : وكان علىٌّ رضى الله عنه بالكوفة قد مَنَعَ النّاسَ من القُعود على ظهر الطريق ، فكلّموه فى ذلك فقال : أدَعُكم على شريطة . قالوا : وما هى يا أمير المؤمنين ؟ قال : غَضُّ الأبصار ، وردُّ السلام ، و إرشاد الضالّ . قالوا : قد قبلنا . فتركَهم .

وكان نوفلُ بن أبى عقرب ، لا يقعد على باب داره[٥] ، وكان عامراً بالمارّة

---

(١) الحذلقة : التظرف والتكيس . ل : « وسلقهم » . التيمورية : « وصلقهم » صوابهما فى ب ، جـ . وفى اللسان : « الصلف مجاوزة القدر فى الظرف والبراعة والادعاء فوق ذلك تكبرا » . وفيه : « رجل حذلق : كثير الكلام صلف » .

(٢) المعاذير : الحجج . والعذر : جمع عذرة ، بالكسر ، وهى العذر .

(٣) هى الستور بلغة أهل اليمن ، واحدها معذار .

(٤) سبقت ترجمته فى (١ : ٣٦٩) .

(٥) فيما عدا ل : « لا يجلس إلا على باب داره » تحريف .

فقيل له : إنّ فى ذلك نَشْرَةً(١) ، وصَرْفَ النفوس عن الأمانى ، واعتباراً لمن اعتبرَ ، وعظةً لمن فكّر . فقال : إنّ لذلك حقوقا يعجِز عنها ابنُ خَيْثمة(٢) .

قالوا : وما هى ؟ قالوا : غضّ البصر ، وردُّ التحيّة ، و إرشاد الضالّ ، وضَمُّ اللُّقَطَة ، والتعرُّض لطُلاَّب الحوائج ، والنّهىُ عن المنكر . والشُّغْلُ بفضول النظر ، الداعيةِ إلى فضول القول والعمل ، عادةٌ إن قطعتَها اشتدّت وَحشتك لها ، و إنْ وصلتَها قطعتْك عن أمورٍ هى أولى بك منها .

وقال الفضيل بن عياض(٣) ، لسفيانَ الثورىّ : دُلّنى على جليسٍ أجلس(٤) إليه . فقال : هيهاتَ ، تلك ضالّةٌ لا توجَد .

وقيل لبعض العلماء : أىُّ الأمور أمتع ؟ فقال : مجالسةُ الحكماء ومذاكرةُ العلماء .

وقيل لعبد الرحمن بن أبى بَكْرة : أىُّ الأمور أمتع ؟ فقال : الأمانىّ .

وقال رجاء بن حَيْوَة ، لعبد الملك بن مروان ، فى أُسارى ابنِ الأشعث : إنّ الله قد أعطاك ما تحبُّ من الظّفَر ، فأعطِ اللهَ ما يحبُّ من العفو .

وقال هُرَيم بن عدىّ بن أبي طَخْمة(٥) ، ليزيد بن عبد الملك بعد ظفره بيزيدَ بنِ المهلَّب : ما رأينا أحداً ظَلِم ظُلْمَك ، ولا نُصر نصرَك ، ولا عفا عفوك .

وذمّ رجلٌ رجلاً فقال : سيّئُ الروِيّة ، قليل التَّقِيّة ، كثيرُ السِّعاية ، قليل النّكاية . ٢٩٩

---

(١) النشرة بالفتح : النسيم الذى يحيى الحيوان . انظر اللسان (٧ : ٦٥) .

(٢) هو الصحابى الجليل سعد بن خيثمة بن الحارث ، أحد نقباء الأنصار الاثنى عشر . شهد العقبة الأخيرة مع السبعين . ولما ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلى بدر قال له أبوه خيثمة : إنه لا بد لأحدنا أن يقيم ، فآثرنى بالخروج وأقم مع نسائك . فأبى سعد وقال : لو كان غير الجنة آثرتك بها ، إنى لأرجو الشهادة فى وجهى هذا . فاستهما فخرج سهم سعد فخرج فقتل ببدر . صفة الصفوة (١ : ١٨٦) والإصابة ٣١٤٢ .

(٣) سبقت ترجمته فى (١ : ٢٥٨) .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من التيمورية . ب ، ج : « أطمئن » .

(٥) مضت ترجمته فى (١ : ٣٩٠) حيث سبق الخبر التالى .

قال : وقال معاويةُ لمعاوية بن حُدَيج السَّكندىّ(١) : ما جرّأك على قتل قريش ؟ قال : ما أنصفتمونا ، تقتلون حلماءَنا وتلوموننا على قتل سفهائكم.

وهو الذى قال لأمّ الحكم بنت أبى سفيان : والله لقد نكحتِ فما استكْرمت ، وولدت فما أنْجبت .

أبو بكر بن مَسلمة ، عن أبى إسحاق القيسىّ قال : لما قدم قتيبة بن مسلم خراسان قال : « مَن كان فى يديه شىء من مال عبد الله بن خازم(٢) فلينبذْه ، وإن كان فى يدِه فليلفِظْه ، وإن كان فى صدره فلينفُثْه » . فعجِبَ الناسُ من حسن ما قسّم وفصّل . قال : ثم غَبَر بعد ذلك عيالُ عبد الله بن خازم وما بخراسان أحسنُ حالاً منهم .

عَنْبَسة القطّان قال : شهدت الحسنَ وقال له رجلٌ : بلغنا أنك تقول : لو كان علىٌّ بالمدينة يأكل من حَشَفها لكان خيراً له مما صنع . فقال له الحسن : يا لُكَع ، أمَا والله لقد فقدتموه سهماً من مَرامى الله ، غيرَ سؤوم لأمر الله ، ولا سَرُوقةٍ لمال الله ، أعطَى القرآنَ عزائمه فيما عليه وَلَهُ ، فأحَلَّ حلالَه ، وحرّم حرامَه ، حتى أورده ذلك رِياضاً مونقةً ، وحدائق مُغْدِقة . ذلك علىُّ بن أبى طالبٍ يا لُكَع(٣) .

---

(١) هو معاوية بن حديج التجيبى السكندى . ذكره ابن سعد فى تسمية من نزل بمصر من الصحابة . شهد فتح مصر ، وكان الوافد على عمر بفتح الإسكندرية ، وولى الإمرة على غزو المغرب مرارا ، آخرها سنة خمسين . توفى سنة ٥٢ . الإصابة ٨٠٥٧ وتهذيب التهذيب . وفى الاشتقاق ٢٢١ : « ومنهم معاوية بن حديج الذى قتل محمد بن أبى بكر الصديق » .

(٢) خازم ، بالخاء المعجمة . وفى النسخ « حازم » تحريف . وهو عبد الله بن خازم ابن أسماء السلمى البصرى ، أمير خراسان ، كان من أشجع الناس ، ولى خراسان لبنى أمية فلما ظهر ابن الزبير كتب إليه خازم بطاعته فأقره على خراسان ، ثم ثار به أهلها فقتلوه وأرسلوا رأسه إلى عبد الملك سنة ٧٢ . انظر الطبرى فى حوادث هذه السنة وتهذيب التهذيب والإصابة ٤٦٣٢ .

(٣) فيما عدا ل : « ذاك ابن أبى طالب يا لكع » .

يزيد بن عقال : قال سمعت عبدَ الملك بن صالح يوصى ابنَه وهو أميرُ سرِيَّة ونحن ببلاد الروم ، فقال له : أنت تاجرُ اللهِ لعباده ، فكن كالمضارب الكيِّس ، الذى إن وجد ربحاً تجرَ ، وإلاّ احتفَظَ برأس المال . ولا تطلب الغنيمة حتى تُحرِزَ السلامة[١] . وكن من احتيالك على عدوِّك أشدَّ خوفاً من احتيال عدوِّك عليك .

وقال بعض الحكماء : لا تصطنعوا إلى ثلاثة : اللئيم فإنّه بمنزلة الأرض السَّبِخة ، والفاحش فإنه يرى أنّ الذى صنعتَ إليه إنما هو لمخافة فحشِه ، والأحمق فإنّه لا يعرف قدْرَ ما أسديتَ إليه . وإذا اصطنعت إلى الكرام فازدرع المعروف ، واحصُد الشُّكر .

وقالوا : واضع المعروف فى غير أهله كالمُسْرِج فى الشّمس ، والزارعِ فى السَّبَخ .

ومثله البيت السائر فى الناس :

٣٠٠ ومَن يَصْنع المعروفَ فى غير أهله ... يُلاق الذى لاقى مُجيرَ أمِّ عامرِ[٢]

وقالوا : من لم يعرف سوءَ ما يُولِى لم يعرف حُسْن ما يولَى .

وقال الإيادىّ[٣] صاحب الصّرح ، الذى اتخذ سُلَّما لمناجاة الرَّبّ ، وهو القائل[٤] : « مرضعةٌ وفاطمة . القطيعة والفجيعة ، وصِلَة الرّحم وحُسن الكَلِم . زعَم ربُّكم ليجزين بالخير ثوابا ، وبالشرّ عقابا . وإنّ مَن فى الأرض عَبيدٌ لمن فى

(١) فيما عدا ا . : « تحوز السلامة » .

(٢) البيت لبعض الأعراب . انظر خبر الشعر فى أمثال الميدانى (٢ : ٨١) عند قولهم « كمجير أم عامر » ، وحياة الحيوان للدميرى فى رسم (ضبع) .

(٣) هو وكيع بن سلمة بن زهير بن إياد ، كما فى أمثال الميدانى (٢ : ٨١) . وانظر الحيوان (٦ : ١٥١) . كان قد ولى أمر البيت بعد جرهم ، فبنى صرحا بأسفل مكة وجعل فى الصرح سلما ، فكان يرقاه ويزعم أنه يناجى الله ، وينطق بكثير من الخبر .

(٤) فيما عدا ل : « وهو الذى كان يقول » .

السماء . هلكت جرهم وربلت إياد[١] ، وكذلك الصَّلاحُ والفَساد . من رَشَد فاتّبعوه ، ومن غَوَى فارفُضوه . كلُّ شاةٍ معلَّقةٌ برجلها » .

وإيّاه يعنى الشاعر[٢] بقوله :

ونحنُ إيادٌ عبيد الإلهِ ورهطُ مُناجيهِ فى السُّلّمِ
ونحنُ وُلاةُ حِجابِ العتيق زمانَ الرُّعاف على جُرهُمِ

* * *

تعزيةُ امرأة للمنصور على أبى العبّاس مَقدمَه من مكة . قالت : أعظمَ الله أجرَكَ ، فلا مصيبةَ أجلُّ من مصيبتك ، ولا عِوَضَ أعظمُ من خِلافتك .

وقال عثمان بن خُرَيم للمنصور ، حين عفا عن أهل الشام فى إجلابهم مع عبد الله بن علىّ [عمّه] : يا أمير المؤمنين : لقد أُعطيتَ فشَكرت ، وأُبتُليتَ فصَبرْت ، وقَدَرت فغفرت[٣] .

وقال آخر : يا أمير المؤمنين ، الانتقام عدل ، والتجاوُز فَضل ، والمتفضِّل قد تجاوز حدّ المُنصِف . فنحن نُعيذ أمير المؤمنين بالله أن يَرضى لنفسه بأوكَسِ النّصيبَين ، دون أن يَبلغ أرفعَ الدَّرجتين .

وقال آخر : من انتقمَ فقد شفى غيظَ نفسه ، وأخَذَ أقصى حقِّه . وإذا انتقمت فقد انتصفت[٤] ، وإذا عفوت فقد تفضّلت[٥] . ومَن أخَذَ حقَّه وشفى غيظه لم يَجب شكرُه ، ولم يُذكَر فى العالَمين فضلُه . وكَظْم الغيظ حِلم ، والحِلم صَبر ، والتشفِّى طَرَفٌ من العجز ، ومن رَضى ألاّ يكون بينَ حالِه وبين حال الظّالم إلاّ سِترٌ رقيق ، وحجابٌ ضعيف ، فلم يجزم فى تفضيل الحلم ، وفى الاستيثاق من ترك ٣٠١

---

(١) ربل القوم : كثروا ، أو كثر أولادهم وأموالهم .
(٢) هو بشير بن الحجير الإيادى ، كما فى أمثال الميدانى (٢ : ٨٩) .
(٣) فيما عدا ل : « فعفوت » . (٤) فيما عدا ل : « انتقصت » .
(٥) فيما عدا ل : « وإذا عفوت تطولت » .

دواعى الظُّلم . ولم تَرَ أهلَ النهى والمنسوبين إلى الحِجَا والتُّقى ، مَدَحوا الحكماء بشدة العقاب ؛ وقد ذكروهم بحُسن الصَّفْح ، وكثرة الاغتفار ، وشدّة التغافُل . وبعد فالمُعَاقِب مستعدٌ لعداوة أولياء المذنِب ، والعافى مُسْتَدْعٍ لشكرهم ، آمِنٌ من مكافأتهم أيّام قدرتهم ، ولأن يُثنَى عليك باتّساع الصدر ، خيرٌ من أن يُثنى عليك بضِيق الصّدر . على أنّ إقالتك عثرةَ عبادِ الله موجبٌ لإقالتك عثْرتَك من ربِّ عباد الله ، وعفوُك عنهم موصولٌ بعفو الله عنك ، وعقابُك لهم موصولٌ بعقاب الله لك .

وقالوا :(١) الموتُ الفادحُ ، خيرٌ من اليأس الفاضح .

وقال آخر : لا أقلَّ من الرجاء . فقال آخر : بل اليأس المريح .

وقال عبد الله بن وهبٍ الراسبى(٢) : ازدحام الجواب مَضَلَّةٌ للصّواب ، وليس الرّأىُ بالارتجال ، ولا الحزمُ بالاقتضاب ، فلا تدعُوَنك السّلامةُ من خطاء موبِقٍ ، أو غنيمةٍ نلتها من صوابٍ نادر ، إلى معاودته ، والتماس الأرباح مِن قِبَله . إنّ الرأىَ ليس بُنْهبَى ، وخَميرُ الرّأى خيرٌ من فطيره . وربَّ شىء غَابُّهُ خَيْرٌ من طريِّه ، وتأخيرُه خيرٌ من تقديمه .

ولما قُدِم بعبد الجبّار بن عبد الرحمن ، إلى المنصور ، قال : يا أمير المؤمنين ؛ قِتلةً كريمةً . قال : وراءك تركتَها(٣) ، يا ابنَ اللَّخْناء .

ولما احتالَ أبو الأزهر المهلّب بن عَبَيْثَر المَهْرِىّ ، لعبد الحميد بن رِبعىّ بن مَعْدان(٤) ، وأسلمه إلى حُميد بن قَحْطَبة ، وأسلمَه حُميد إلى المنصور ، فلمّا صار إلى المنصور قال : لا عُذْرَ فأعتذرَ وقد أحاط بى الذّنب ، وأنت أولى بما ترى . قال : لستُ أقتُلُ أحداً من آل قحطبة ، بل أهَبُ مسيئَهم لمحسنهم ، وغادرهم

---

(١) فيما عدا ل : « وقال » . (٢) سبقت ترجمته فى (١ : ٢٠٥) .

(٣) فيما عدا ل : « تركتها وراءك » .

(٤) فيما عدا ل : « معداق » تحريف .

لوفيِّهم . قال : إن لم يكن فيَّ مصطنعٌ فلا حاجة بي إلى الجاه[١] . ولستُ أرضى أن أكونَ طليقَ شفيعٍ وعتيقَ ابنِ عمٍّ . قال : اخرُج ، فإنك جاهل ، أنت عتيقُهم ما حييت .

قال زيادُ بن ظَبْيان التيميّ ، لابنه عُبيد الله بن زيادٍ ، وزياد يومئذ يَكِيدُ بنفسه ، وعُبيدُ الله غلام : ألا أوصى بك الأمير زيادا ؟ قال : لا . قال : ولِمَ ؟ ٣٠٢
قال : إذا لم تكنْ للحى إلاَّ وصيّة الميّت فالحيُّ هو الميّت[٢] .

ودخل عمرُو بن سعيدٍ الأشدق بعد موت أبيه على معاوية ، وعمرٌو يومئذ غلام ، فقال له معاوية : إلى مَن أوصى بك أبوك [يا غلام] ؟ قال: إنّ أبى أوصى إلىّ ولم يوصِ بى . قال : و بأىِّ شىء أوصاك . قال : أوصانى ألا يفقِد إخوانه منه إلاّ وجهَه . قال معاوية لأصحابه : إن ابن سعيدٍ هذا لأشدق[٣] .

ولما داهَنَ سفيانُ بن معاوية بن يزيد بن المهلب ، فى شأن إبراهيم بن عبد الله وصار سفيانُ إلى المنصور ، أمر الرّبيعُ فخلع سوادَه . ووقف به على رءوس اليمانيةَ فى المقصورة فى [يوم] الجمعة، ثم قال : يقول لكم أمير المؤمنين : قد علمتم ما كان من إحسانى إليه ، وحسن بلائى عنده ، والذى حاول من الفتنة والغَدْر ، والبغى وشقِّ العصا ، ومعاونة الأعداء ، وقد رأى أمير المؤمنين أن يهَبَ مسيئكم لمحسنكم ، وغادرَكم لوفيّكم .

وقال يونس بن حبيب : المفحم يأتيه دون ما يرضى ، و يطلب فوق مايقوَى .

وذكَرَ بعضُ الحكماء أعاجيبَ البحر وتزيُّد البحريِّين[٤] فقال : البحر كثير العجائب ، وأهله أصحاب زوائد ، فأفسدُوا بقليل الكذب كثير الصِّدق ، وأدخلوا

---

(١) فيما عدا ل : « فلا حاجة لى فى الحياة » .

(٢) سبق الخبر فى (١ : ٣٢٥) .

(٣) سبق هذا الخبر فى (١ : ٣١٦) .

(٤) انظر لتزيد البحريين ، الحيوان (٣ : ٥١٥/٦ : ١٩) .

ما لا يكون فى باب ما قد يكون ، فجعلوا تصديق الناس لهم فى غرائب الأحاديث سُلَّما إلى ادّعاء المحال .

وقال بعض العرب : « حدِّث عن البحر ولا حَرَجَ ، وحدِّثْ عن بنى إسرائيل ولا حرج ، وحدث عن مَعْنٍ [١] ولا حرج » .

وجاء فى الحديث : « كفى بالمرء حِرصاً ركوبُه البحر » .

وكتب عمرُو بن العاص إلى عمر بن الخطاب ، يصف له البحر فقال : « يا أمير المؤمنين ، البحر خلقٌ عظيم ، يركبُه خَلْقٌ صغير ، دُودٌ على عود » .

وقال الحسن رحمه الله : إملاء الخير خيرٌ من الصَّمت ، والصَّمتُ خير من إملاء الشرّ » .

وقال بعضهم : مُرُوا الأحداث بالمِراء ، والكهول بالفِكر ، والشّيوخَ بالصَّمْت .

عبد الله بن شداد [٢] : « أرى داعىَ الموت لا يُقلِع [٣] ، وأرى مَن مضى لا يَرجع . لا تَزهدَنَّ فى معروف ؛ فإنّ الدّهر ذو صروف . وكم [من] راغبٍ قد كان مرغوباً إليه ، وطالبٍ أصبح مطلوبًا إليه . والزّمانُ ذو ألوان ، ومَن ٣٠٣

---

(١) هو معن بن زائدة الشيبانى أحد أجواد العرب وفرسانهم ، وكان فى أيام بنى أمية متنقلا فى الولايات ، ومنقطعا إلى يزيد بن عمر بن هبيرة الفزارى أمير العراقين ، فلما انتقلت الدولة إلى بنى العباس ، وجرى بين أبى جعفر المنصور وبين يزيد بن عمر ما جرى ، من محاصرة واسط ، أبلى معن مع يزيد بلاء حسنا ، فلما قتل يزيد هرب معن خوفا من المنصور ، ثم دخل معن فى شيعة المنصور وصار من خواصه . وقتل معن بسجستان إذ كان واليا عليها سنة اثنتين أو ثمان وخمسين مائة . ورثاه مروان بن أبى حفصة بمرثية هى من عيون الشعر العربى . تاريخ بغداد ٧١٢٧ والأغانى فى غير ما موضع ، ووفيات الأعيان .

(٢) هو عبد الله بن شداد بن الهادى الليثى المدنى ، وهو من كبار التابعين وثقاتهم . شهد مع على يوم النهروان ، وخرج مع القراء أيام ابن الأشعث على الحجاج بعد أن كان من أخص الناس بالحجاج ، فقتل يوم دجيل سنة ٨١ . وذكر ابن عبد البر فى الاستيعاب أنه ولد على عهد الرسول . تهذيب التهذيب ، والأغانى (١٠ : ١٠٥) .

(٣) هذه الوصية أوصى بها ولده محمداً حين حضرته الوفاة . وقد رواها القالى مطولة مسهبة فى الأمالى (٢ : ٢٠٢ — ٢٠٤) .

يصحب الزّمانَ يرى الهوان . وإن غُلِبتَ يومًا على المال فلا تُغلَبنَّ على الحيلة على حال . وكُنْ أحسَنَ ما تكون فى الظّاهر حالا ، أقلَّ ما تكون فى الباطن مالا » .

وقيل لقيس بن عاصم : بمَ سدت قومك ؟ قال : ببذل النّدى ، وكفِّ الأذى ، ونصر المولَى .

وقيل لشيخ : أين شبابك ؟ قال : مَن طال أمدُه ، وكثُر ولَدُه ، وقلَّ عددُه(١) ، وذهب جلَده ، ذهب شبابُه .

وقال زياد : لا يُعدِمنَّك(٢) من الجاهل كثرةُ الالتفات ، وسرعةُ الجواب .

وقال عبد الرحمن بن أمِّ الحكم(٣) : لولا ثلاثٌ ماباليت متى متّ : تزاحُفُ الأحرارِ إلى طعامى ، وبذلُ الأشرافِ وجوهَهم إلىَّ فى أمرٍ أجد السّبيل إليه ، وقولُ المنادى بالصلاة : أيُّها الأمير(٤) .

وقال ابن الأشعث(٥) : لولا أربعُ خصالٍ ما أعطيتُ بشَريًا(٦) طاعة : لو ماتت أم عِمران — يعنى أمَّه — ولو شاب رأسى ، ولو قرأتُ القرآن ، ولو لم يكن رأسي صغيراً .

---

(١) فى اللسان (٤ : ٢٧٥) . « قالت امرأة ورأت رجلا كانت عهدته شابا جلدا : أين شبابك وجلدك ؟ قال : من طال أمده ، وكثر ولده ، ورق عدده ، ذهب جلده » . ثم قال : « رق عدده ، أى سنوه التى بعدها ذهب أكثر سنه ، وقل ما بقى ، فكان عدده رقيقاً » . فيما عدا ل : « ودف عدده » تحريف .

(٢) يقال أعدمنى الشىء ، إذا لم أجده .

(٣) هو عبد الرحمن بن أم الحكم بنت أبى سفيان ، نسب إلى أمه . وأبوه هو عبد الله ابن أبى عقيل بن ربيعة بن الحارث . ولاه خاله معاوية الكوفة بعد موت زياد سنة ٥٧ فأساء السيرة ، فعزله وولاه مصر بعد أخيه عتبة بن أبى سفيان ، فلما كان على مرحلتين خرج إليه معاوية ابن حديج فمنعه من دخول مصر ، فرجع وولاه معاوية الجزيرة فكان بها إلى أن مات معاوية . انظر الإصابة ٦٢١٨ والأغانى (١٣ : ٣٢) .

(٤) فيما عدا ل : « الصلاة » .

(٥) هو عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث . والخبر فى الحيوان (٥ : ١٩٤) .

(٦) فى الحيوان « عربياً » .

وقال معاوية : أُعِنتُ على عليٍّ بثلاث خصال : كان رجلا يظهر سرّه ، وكنت كَتومًا لسرّى . وكان فى أخبث جندٍ وأشدّه خلافًا ، وكنت فى أطوع جندٍ وأقلّه خلافا . وخلا بأصحاب الجمَل فقلت إنْ ظفر بهم اعتددت بهم عليه وَهْنًا فى دينه ، وإن ظفروا به كانوا أهوَنَ علىَّ شوكةً منه . وكنتُ أحبَّ إلى قريشٍ منه . فكم شئتَ من جامعٍ إلىَّ ومفرِّقٍ عنه .

جهم بن حسّان السَّليطىّ قال : قال رجلٌ للأحنف : دُلَّنى على حمدٍ بلا مَرزِئةٍ (١) . قال : الخُلق السَّجيح ، والكفُّ عن القبيح . ثمَّ اعلموا أنّ أدْوَى الدّاء اللسانُ البذىء ، والخُلُق الرّدىء .

وقال محمّد بن حرب الهلالىّ : قال بعض الحكماء : لا يكوننّ منكم المحدِّث لا يُنصَتُ له ، ولا الدّاخلُ فى سرِّ اثنين لم يُدخلاه فيه ، ولا الآتى الدّعوةَ لم يُدْعَ إليها ، ولا الجالسُ المجلسَ لا يستحقُّه ، ولا الطّالبُ الفضلَ من أيدى اللّئام ، ولا المتعرّض للخير من عند عدوّه ، ولا المتحمِّق فى الدّالّة .

(١) يقال مارزأه رزءا ومرزئة ، أى ما أصاب منه ولا نقصه شيئا .

بابٌ

من مزدوج الكلام

قالوا : قال النبى صلى الله عليه وسلم فى معاوية : «اللهم علّمه الكِتاب والحِساب وقِهِ العذاب » .

وقال رجلٌ من بنى أسد : مات لشيخٍ منا ابنٌ ، فاشتدّ جزعُه عليه ، فقام إليه شيخٌ منا فقال : اصبرْ أبا أُمامة ؛ فإنّه فرَطٌ افترطْتَه ، وخيرٌ قدمته ، وذُخر أحرزْتَه . فقال مجيبًا له : ولدٌ دفنتُه ، وثُكل تعجّلْتُه ، وغيبٌ وُعِدتُه . والله لئن لم أجزَعْ من النّقص لا أفرحْ بالتزّيد[1] .

الأصمعيّ قال : قال ابن أُقيصر[2] : خير الخيل الذى إذا استدبرتَه جنأ[3] ، وإذا استقبلتَه أقعى ، وإذا استعرضتَه استوى ، وإذا مشى رَدَى ، وإذا ردَى دحَا[4] .

ونظر ابن أُقيصِر[5] إلى خيل عبد الرحمن بن أمِّ الحكم[6] ، فأشار إلى فرسٍ منها فقال : تجىء هذه سابقة ، قالوا : وكيف ذلك ؟ قال : رأيتُها مشت

---

(١) فيما عدا ل : « بالمزيد » .

(٢) ابن أقيصر : رجل بصير بالخيل ، كما فى اللسان (٦ : ٤١٦) . وفى (١١ : ٢٠٣) أنه أحد بنى أسد بن خزيمة . فيما عدا ل : « ابن قصير » تحريف . وانظر بعض أخبار ابن أقيصر فى أمالى القالى (٢ : ٢٠١) وأمالى ثعلب .

(٣) جنأ : أكب . وفى أمالى القالى : « ويستحب من الفرس أن يكون إذا استدبرته كالمنكب » . ل : « جبا » وفيما عدا ل : « جبا » مع تشديد الباء ، كلاهما محرف عما أثبت من أمالى القالى حيث أورد الخبر .

(٤) القالى : « الرديان أن يرجم الأرض رجماً بين المشى الشديد والعدو ، وإذا رمى بيديه رميا لا يرفع سنبكه عن الأرض قيل مر يدحو دحوا » .

(٥) فيما عدا ل : « ابن قصير » تحريف .

(٦) ترجم فى ص ١١٤ .

فكتفت [١] وخبّت فوجَفت [٢] ، وعَدت فنسفتْ [٣] .

وذكرت أعرابية [٤] زوجها فقالت ذهب ذَفَرُه [٥] ، وأقبل بَخَرُه ، وفتر ذَكَرُه .

وكان مالك بن الأخطل سمع [٦] شعر جرير والفرزدق ، فقيل : جرير [٧] يغرِف من بحر ، والفرزدق ينحت من صخر ، فأيُّهما أشعر [٨] ؟ فقال : الذى يغرف من بحرٍ أشعرُهما .

***

قد ذكرنا من مقطَّعات الكلام وقِصار الأحاديث ، بقدر ما أسقطنا به مؤونة الخُطب الطِّوال . وسنذكر من الخطب المسندة إلى أربابها مقداراً لا يَستفرغ مجهودَ من قرأها ، ثمّ نعود بعد ذلك إلى ما قصُرَ منها وخفّ ، و إلى أبوابٍ قد تدخل فى هذه الجملة و إن لم تكن مثل هذه بأعيانها . والله الموفِّق .

أبو الحسن ، عن يحيى بن سعيد ، عن ابن خَرَّبوذَ البكرى [٩] ، عن خالد بن صفوان ، قال : دخل عبد الله بنُ عبدالله بن الأهتم [١٠] ، على عمر بن عبد العزيز مع

---

(١) كتفت : ارتفعت فروع أكتافها فى المشى . والخبر فى اللسان (كتف) وأمالى القالى (٢ : ٢٥١) .

(٢) الوجيف : ضرب من السير فيه بعض السرعة .

(٣) النسوف من الخيل : الواسع الخطو .

(٤) فيما عدا ل : « امرأة » .

(٥) الذفر : شدة ذكاء الريح من طيب أو نتن . فيما عدا ل : « زفره » محرف .

(٦) فيما عدا ل : « وكان مالك بن الأخطل قد بعثه أبوه يسمع » .

(٧) فيما عدا ل « فسأله أبوه عنهما فقال » .

(٨) هاتان الكلمتان من ل فقط .

(٩) ابن خربوذ ، بفتح الخاء والراء المشددة وضم الباء وفى آخره ذال معجمة ، هو معروف بن خربوذ المكى مولى عثمان ، ذكر فى ثقات أهل الحديث . تهذيب التهذيب والقاموس فى فصل الخاء من باب الذال . ل : « خربود » وفيما عدا ل : « خربوز » كلاهما محرف .

(١٠) عبد الله بن عبد الله بن الأهتم ، هو عم خالد بن صفوان بن عبد الله بن الأهتم ، المترجم فى ص ٢٤ . فيما عدا ل : « عبد الله بن الأهتم » تحريف .

العامّة ، فلم يُفجأ عمر إلاّ وهو ماثلٌ بين يديه يتكلّم ، فحمِد الله وأثنى عليه ثم قال [١] :

أما بعد فإنّ الله خلق الخلقَ غنياً عن طاعتهم ، آمِناً لمعصيتهم ، والناسُ يومئذ فى المنازل والرأى مختلفون ، والعربُ بشرِّ تلك المنازل ، أهلُ الوبر وأهل ٣٠٥ المدر ، تُحتاز [٢] دونَهم طيّباتُ الدنيا ورفاغة عَيشِها [٣] ، ميّتهم فى النار وحَيُّهم أعمى . مع ما لا يُحصى من المرغوب عنه ، والمزهودِ فيه . فلمّا أراد الله أن ينشر فيهم رحمتَه ، ويُسبغَ عليهم نعمته [٤] ، بعث إليهم رسولاً منهم عزيزاً عليه ما عَنِتُوا ، حريصاً عليهم ، بالمؤمنين رءوفاً رحيما [٥] ، فلم يمنعهم ذلك مِن أن جرحوه فى جسمه ، ولقّبوه فى اسمه ، ومعه كتابٌ من الله ناطقٌ ، و برهانٌ من الله صادق [٦] ، لا يُرحَل إلا بأمره ، ولا يُنزَل إلاّ بإذنه . واضطرُّوه إلى بطن غار ، فلما أُمِر بالعزم [٧] أسفرَ لأمر الله لونُه ، فأفلجَ الله حُجّتَه ، وأعْلَى كلمته وأظهرَ دعوتَه ، ففارق الدنيا نقيًّا تقيًّا ، مباركا مرضيا [٨] . صلى الله عليه وسلم .

ثم قام بعده أبو بكرٍ رحمه الله ، فسلكَ سُنّتَه ، وأخذ بسبيله ، وارتدّت العرب ، فلم يَقبَل منهم بعد رسول الله إلاّ الذى كان قابلاً منهم ، فانتضَى السّيوفَ من أغمادها ، وأوقد النّيران من شُعَلها ، ثمّ ركب بأهل الحقّ أهلَ الباطل ، فلم يبرحْ يُفصّل أوصالَهم ، ويسقى الأرضَ دماءَهم ، حتّى أدخلَهم

(١) الخطبة التالية فى سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم ص ١٠٩ ولابن الجوزى ١٣٦ والعقد (٤ : ٩٣) طبع لجنة التأليف .
(٢) فيما عدا ل « تحتار » وفى ل « يختار » ووجهه ما أثبت من سيرة عمر .
(٣) الرفاغة والرفاغية : سعة العيش والخصب .
(٤) هذه الجملة فى ل فقط .
(٥) فيما عدا ل « عزيزا عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم » .
(٦) فيما عدا ل : « ومعه كتاب من الله فقط » .
(٧) ب ، ج : «بالغرامة» تحريف ، التيمورية : «بالعزمة» . وفى العقد « بالعزيمة» .
(٨) هاتان الكلمتان من ل فقط .

فى الذى خرجُوا عنه ، وقرَّرهم بالذى نفَروا منه . وقد كان أصاب من مال الله بَكراً يرتوى عليه ، وحَبَشِيّةً تُرضع وَلداً له ، فرأى ذلك غُصّةً عند مَوته[١] فى حلقه ، فأدَّى ذلك إلى الخليفة مِن بعده ، وبَرئ إليهم[٢] منه ، وفارَق الدّنيا نقيًا تقيًّا ، على مِنهاج صاحبه ، رحمه الله .

ثم قام من بعده عمر بن الخطاب رحمه الله ، فمصّر الأمصار ، وخَلَط الشِّدَّة باللِّين ، فحسَر عن ذراعيه ، وشمّر عن ساقيه ، وأعدّ للأمور أقرانَها[٣] ، وللحرب آلتها ، فلمّا أصابه فتى المغيرة بن شعبة[٤] ، أمر ابنَ عبّاس أنْ يسأل الناس هل يُثْبِتون قاتلَهُ ، فلما قيل له : فَتى المغيرةِ . استهلَّ بحمد الله ألاّ يكون أصابه ذو حَقّ فى الفيء فيستحلَّ دمه بما استحلَّ من حَقّه . وقد كان أصاب من مال الله بضعاً وثمانين ألفا ، فكَسَر رباعَه[٥] ، وكرِه بها كفالة أهله وولدِه ، فأدّى ذلك إلى الخليفة من بعده ، وفارق [الدُّنيا] نقيّا تقياً ، على مِنهاج صاحبيه ، رحمه الله .

ثمّ إنا والله ما اجتمعنا بعـد إلاّ على ظُلَّع[٦] ، ثم إنّك يا عُمرُ ابنُ الدُّنيا ، ولدتْكَ ملوكها ، وألقمتك ثديَها ، وليتَكَ وضَعتَها حيث وضَعها الله[٧] ، فالحمدُ لله ٣٠٦

(١) ل فقط : « عند فوته » .

(٢) ل فقط : « إليه » .

(٣) أقرانها ، أى أسبابها التى تقاد بها ، جمع قرن بالتحريك ، وهو الحبل يجمع به بعيران .

(٤) هو أبو لؤلؤة فيروز النصرانى ، طعن عمر وهو يتأهب لصلاة الصبح بخنجر فقتله ، فتوفى لثلاث بقين من ذى الحجة سنة ٢٣ . وكان من قبل قد شكا إلى عمر ثقل ما كان يؤدى إلى مولاه المغيرة من خراج ، فلم يشكه ، فترصد له فقتله ، ولما أحيط به وعلم أنه مأخوذ طعن نفسه . انظر مقتل عمر فى الطبرى والعقد وغيرهما .

(٥) الرباع : جمع ربع ، وهو المنزل . وكسرها : باعها ربعا ربعا . وفى اللسان (٦ : ٤٥٧) : « كسر الرجل ، إذا باع متاعه ثوبا ثوبا » .

(٦) ظلع : جمع ظالع ، أراد به المتهم المائل عن الحق . والظلع : الغمز فى المشى والعرج. وفى العقد : « على ضلع أعوج » .

(٧) فيما عدا ل : « ألقاها الله » .

الذى جلا بك حَوْبَتها (١) ، وكشف بك كُرْبَتها . امض ولا تلتفتْ فإنه لا يُغنى عن الحقِّ شيئا (٢) . أقول قولى هذا وأستغفِر الله لى ولكم ، وللمؤمنين والمؤمنات .

قال : ولمّا أن قال : « ثمّ إنّا والله ما اجتمعنا بعدهما إلا على ظُلَّعٍ » سكت الناس كلُّهم إلاّ هشاما ، فإنه قال له : كذبت .

خطبة عمر بن عبد العزيز رحمه الله

أبو الحسن قال : حدّثنا المغيرة بن مطرِّف ، عن شعيب بن صفوان ، عن أبيه قال : خطب عمر بن عبد العزيز بخُناصرة (٣) خطبةً لم يخطُبْ بعدها غيرَها حتّى مات رحمه الله . فحمِد الله وأثنى عليه ، وصلى على نبيّه ثم قال (٤) :

أيُّها الناس ، إنّكم لم تُخلقوا عبثا ولم تُترَكوا سُدًى ، وإنّ لكم مَعادًا يحكم الله بينكم فيه ، فخابَ وخَسِر مَن خرج من رحمة الله التى وسعَتْ كلَّ شىء ، وحُرِم الجنّةَ التى عَرضُها السّموات والأرض . واعلموا أنّ الأمان غدًا لمن خاف الله اليوم (٥) ، وباع قليلاً بكثير ، وفانيًا بباق . ألا تُرَون أنّكم فى أسلاب الهالكين ، وسيخلفها مِن بعدكم الباقون كذلك حتى تُردُّوا إلى خير الوارثين . ثم أنتم فى كلِّ يوم تُشيِّعونَ غاديًا ورائحا إلى الله ، قد قضى نحبَه وبلغ أجلَه ، ثم تغيِّبونه فى صَدْعٍ من الأرض ، ثم تدعونه غير مُوسَّد ولا مُمهَّد ، قد خلَع

---

(١) الحوبة ، بالفتح : الهم والغم . ل : « جونتها » فيما عدا ل : « جوبتها » . تحريف . وفى سائر المراجع المتقدمة : « حوبتنا » و « كربتنا » .

(٢) فيما عدا ل : « من الحق شيئا » .

(٣) خناصرة : بلدة بالشام من أعمال حلب .

(٤) انظر الخطبة فى العقد (٤ : ٩٥ طبع لجنة التأليف) والطبرى (٨ : ١٤) وابن أبى الحديد (١ : ٤٨٠) وعيون الأخبار (٢ : ١٤٦) والأغانى (٨ : ١٥٢) وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزى ٢٢٢ وابن عبد الحكم ٤١ ، ١٣٦ .

(٥) فيما عدا ل : « لمن خاف ربه اليوم » .

الأسبابَ ، وفارَق الأحباب ، وباشر التراب[١] ، وواجَه الحِساب ، غنيًّا عما تَرَك ، فقيرا إلى ما قدّم ، وأيمُ اللهِ إنِّي لأقول لكم هذه المقالة ، وما أعلَمُ عند أحدٍ منكم من الذُّنوب أكثَرَ مما عندى . فاستغفروا الله لى ولكم . وما تبلغُنا حاجةٌ يتّسع لها ما عِندنا إلاّ سدَدناها . وما أحدٌ منكم إلاّ ودِدْت أنّ يده مع يدى ، ولُحمَتى الذين يلوننى[٢] ، حتى يستوىَ عيشُنا وعيشكم . وايمُ اللهِ إنِّى لو أردت غير هذا من عيشٍ أو غَضارة[٣] ، لكان اللِّسان منى ناطقا ذَلُولاً ، عالما بأسبابه . لكنه مضي
٣٠٧ من الله كتاب ناطق ، وسُنّة عادِلَة دَلَّ فيهَا على طاعته ، ونهى فيها عن معصيته .

ثم بكى رحمه الله فتلقَّى دموعَ عينيه بطرَف ردائِه ، ثم نزل ، فلم يُرَ على تلك الأعواد حتَّى قبضه الله إلى رحمته .

وخطبة أخرى ذهب عنى إسنادها[٤]

أما بعد : فإنّك ناشئُ فتنة[٥] وقائدُ ضلالةٍ ، قد طال جُثومها ، واشتدّت غُمومُها ، وتلونت مصايد عدوِّ الله فيها[٦] ، وقد نصَب الشَّرَك لأهل الغفْلة عما فى عواقبها . فلن يَهُدَّ عمودَها ، ولن ينزِعَ أوتادَها إلا الذى بيده مُلك الأشياء[٧] ، وهو الله الرحمن الرحيم . ألاَ و إنّ لِلّهِ بقايا من عباده لم يتحيّروا فى ظُلمتها ، ولم

---

(١) هذه الجملة من ل فقط :

(٢) اللحمة ، بالضم : القرابة . فيما عدا ل : « ويحمى » تحريف .

(٣) الغضارة ، بالفتح : النعمة ، والخصب ، والسعة .

(٤) عثرت على إسنادها فى العقد (٤ : ١٤٨ طبع لجنة التأليف) ، وهى لأبى حمزة الخارجى الشارى .

(٥) فى العقد : « فى ناشئ فتنة » .

(٦) ل : « مصائب » وأثبت ما فى سائر النسخ والعقد . وفى بعض أصول العقد : « وتلوت » .

(٧) فيما عدا ل : « تلك الأشياء » .

يُشايعوا أهلها على شبهتها، مصابيح النور فى أفواههم تَزْهَر[١] ،وأفواهُهم[٢] بحجج الكتاب تنطق . ركبوا نَهْجَ السَّبيل ، وقاموا على العَلَمَ الأعظم ، فهم خُصَماء الشيطان الرجيم ، وبهم يُصلِح اللهُ البلاد ، ويدفع عن العباد . فطوبَى لهم وللمستصبِحِين بنُورهم . أسأل الله أن يجعلنا منهم .

خطبة أبي حمزة الخارجي

دخل أبو حمزة الخارجي[٣] مكة — وهو أحد نُسَّاك الإباضيّة وخطبائهم ، واسمه يحيى بن المختار — فصعد مِنبرها[٤] متوكِّئاً على قوسٍ له عربيّة ، فحمِدَ اللهَ وأثنى عليه ثم قال[٥] :

أيُّها الناس ، إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يتأخّر ولا يتقدّم إلا بإذنِ الله وأمرِه ووحْيِه ، أنزلَ الله له كتاباً بَيّن له فيه ما يأتى وما يتّقى ، ولم يك فى شكٍّ من دينه ، ولا فى شبهةٍ من أمره ، ثمّ قبضه الله وقد علّمَ المسلمين مَعالمَ دينِهم ، وولَّى أبا بكر صَلَاتَهم ، فولّاه المسلمون أمرَ دنْياهم حين ولّاه رسول الله أمرَ دينهم ، فقاتلَ أهل الرِّدّة ، وعَمِل بالكتاب والسنّة ، فمضى لسبيلِه رحمةُ الله عليه .

---

(١) تزهر : تضىء . وفى العقد وما عدال : « تزهو » وليس بشىء .

(٢) فى العقد وما عدا ل : « وألسنتهم » .

(٣) خرج أبو حمزة سنة ١٢٩ من قبل عبد الله بن يحيي ، مظهرا للخلاف على مروان ابن محمد ، ودخل مكة فى موسم الحج بغير قتال ، وفى سنة ١٣٠ دخل المدينة فهرب منها عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك إلى الشام ، ثم سار أبو حمزة وأصحابه إلى مروان فلقيهم خيل مروان بوادى القرى فأوقعوا بهم ، فرجعوا منهزمين إلى المدينة فلقيهم أهل المدينة فقتلوهم وذلك سنة ١٣٠ . انظر الطبري .

(٤) ذكر أبو الفرج فى الأغانى أن هذه الخطبة إنما كانت بالمدينة .

(٥) انظر الخطبة فى العقد (٤ : ١٤٤ لجنة التأليف) والأغانى (٢٠ : ١٠٥) وابن أبى الحديد (١ : ٤٥٩) .

ثم وَلِيَ عمر بن الخطاب رحمه الله ، فسار بسيرة صاحبه ، وعمِل بالكتاب
٣٠٨ والسنّة ، وجَبى الفىء ، وفرَضَ الأعطية ، وجمع النّاسَ فى شهر رمضان ، وجلد فى الخمر ثمانين ، وغزَا العَدُوّ فى بلادهم ، ومضى لسبيله رحمةُ الله عليه .

ثم وَلى عثمانُ بن عفان فسار سِتَّ سنينَ بسيرة صاحبيه ، وكان دونهما ، ثم سار فى الستِّ الأواخر بما أحبط به الأوائل ، ثم مضي لسبيله .

ثم ولى علىّ بن أبى طالب ، فلم يبلُغْ من الحق قصداً ، ولم يرفع له مَنارا ، ثم مضى لسبيله .

ثم ولى معاوية بن أبى سفيان لَعِينُ رسول الله وابنُ لعينه ، فاتَّخذ عباد الله خوَلاً ، ومال الله دُوَلاً ، ودينَه دَغَلاً . ثمّ مضى لسبيله ، فالعنوه لعنه الله .

ثم ولى يزيدُ بن معاوية ، يزيدُ الخمور ويزيدُ القرودِ[1] ، ويزيدُ الفهود ، الفاسق فى بطنه ، المأبونُ فى فرْجه ، فعليه لعنة الله وملائكته[2] .

ثم اقتصّهم خليفةً خليفة ، فلما انتهى إلى عمر بن عبد العزيز أعرض عنه ، ولم يذكره . ثم قال :

ثم وَلى يزيدُ بن عبد الملك ، الفاسقُ فى دينه ، المأبونُ فى فرجه ، الذى لم يُؤْنس منه رُشْد ، وقد قال الله تعالى فى أموال اليتامى : ﴿ فإنْ آنَسْتُمْ مِنهم رُشْداً فَادْفَعُوا إليهم أموَالَهُمْ ﴾ . فأمْرُ أمةِ محمد عليه السلام أعظم . يأكل الحرامَ ويشرب الخمر ، ويلبس الحُلّة قُوِّمت بألف دينار ، قد ضُرِبت فيها الأبشار[3] ، وهُتِكت فيها الأستار ، وأُخِذت من غير حِلّها . حَبابة عن يمينه[4] ، وسَلاّمة عن

(١) انظر الحيوان (٤ : ٦٦) .

(٢) هذه الجملة من ل فقط : وقد أسقط صاحب العقد من هذه الخطبة ما كان فيها من طعنه على الخلفاء ، كما صرح بذلك .

(٣) البشرة : ظاهر الجلد ، جمعها بشر ، وجمع بشر أبشار ، كشجرة وشجر وأشجار .

(٤) حبابة من مولدات المدينة كانت حلوة جميلة ظريفة ، حسنة الغناء ، طيبة الصوت ، ضاربة بالعود . اشتراها يزيد بن عبدالملك بأربعة آلاف دينار ، وكانت تسمى العالية فسماها حبابة . الأغانى (١٣ : ١٤٨ - ١٥٩) .

يساره[١] تغنّيانه ، حتّى إذا أخذ الشرابُ منه كلّ مأخذ قدّ ثوبه ، ثم التفت إلى إحداهما [فقال] : ألا أطير ألا أطير ! نعم فطِرْ إلى لعنة الله ، وحريقِ ناره ، وأليمِ عذابه .

وأمّا بنو أميّة ففِرقةُ ضلالةٍ ، بطشهم بطشُ جَبَريّة ، يأخذون بالظِّنَّة ، ويقضون بالهوى ، ويقتلون على الغضَب ، ويحكمون بالشّفاعة ، ويأخذون الفريضةَ من غير موضعها ، ويضعونها في غير أهْلها ، وقد بيّنَ اللهُ أهلَها فجعلَهم ثمانيةَ أصناف ، فقال : ﴿ إنّما الصَّدَقاتُ لِلفُقَراء والمَساكينِ والعامِلينَ عَلَيْها والمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وفى الرِّقابِ والغارِمينَ وفى سَبيلِ اللهِ وابنِ السَّبيل ﴾ . فأقبل صنفٌ تاسعٌ ليس منها فأخذها كلها . تلكم الفرقة الحاكمة بغير ما أنزل الله .

وأمّا هذه الشِّيَعُ فشِيَعٌ ظاهرت بكتاب الله ، وأعلنوا الفِريةَ على الله ، لم يفارقوا الناس ببصرٍ نافِذٍ فى الدين ، ولا بعلمٍ ناقِدٍ[٢] فى القرآن ، ينقمون ٣٠٩ المعصيةَ على أهلها ، ويعملون إذا وُلُّوا بها . يُصِرُّون على الفتنة ، ولا يعرفون المخرج منها ، جُفاةٌ عن القرآن ، أتباعُ كُهّانٍ ، يؤمِّلون الدُّوَل فى بعث الموتى ، ويعتقدون الرَّجعة إلى الدُّنيا ، قلّدوا دينَهم رجلاً لا ينظر لهم ، قاتلهم الله أنّى يُؤفَكون .

ثم أقبل على أهل الحجاز فقال :

ياأهل الحجاز ، أتعيِّرونني بأصحابي وتزعمون أنّهم شباب ؟! وهل كان أصحابُ

(١) وسلامة هذه هى سلامة القس ، مولدة من مولدات المدينة أيضا ، أخذت عن معبد وابن عائشة فمهرت . وسميت سلامة القس لأن رجلا كان يعرف بعبد الرحمن بن أبى عمار الجشمى من قراء أهل مكة ، وكان يلقب بالقس لعبادته ، شغف بها وشهر فغلب عليها لقبه . اشتراها يزيد بن عبد الملك . وكانت سلامة أحسن من حبابة غناء ، وحبابة أحسن منها وجها ، وكانت سلامة تقول الشعر وحبابة تتعاطاه فلا تحسن . الأغانى (٨ : ٥ — ١٢) .

(٢) فيما عدا ل : « نافذ » .

رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا شباباً . أمَا والله إنى لعالمٌ بتتايعكم[١] فيما يضرُّكم فى مَعادكم ، ولولا اشتغالى بغيركم عنكم ما تركتُ الأخْذَ فوق أيديكم . شبابٌ والله مُكتهِلون فى شبابهم ، غضيضةٌ عن الشرّ أعينُهم ، ثقيلةٌ عن الباطل أرجلهم ، أنضاء عبادةٍ وأطلاحُ سَهَر[٢] ، ينظر اللهُ إليهم فى جوف الليل منحنيةً أصلابهم على أجزاء القرآن ، كلّما مرّ أحدُهم بآيةٍ من ذكر الجنّة بكى شوقاً إليها ، وإذا مرّ بآية من ذكر النار شهِق شَهْقةً كأنّ زفير جهنّم بين أذنيه . موصولٌ كَلالُهم بكلالهم : كَلالُ الليل بكلال النهار . قد أكلت الأرضُ رُكَبَهم وأيديَهم ، وأنوفَهم وجباهَهم ، واستقلّوا ذلك فى جنْب الله ، حتّى إذا رأوا السهامَ قد فُوِّقت[٣] ، والرِّماح قد أُشرِعَت ، والسيوفَ قد انتُضِيَتْ ، ورَعَدت الكتيبةُ بصواعق الموت وبرقت ، استخفّوا بوعيد الكتيبة لوعْد الله[٤] ، ومضى الشابُّ منهم قُدُمًا حتّى اختلفت رِجلاهُ على عنق فرسه ، وتخضّبت بالدّماء محاسنُ وجهه فأسرعَتْ إليه سباعُ الأرض ، وانحطّت عليه طيرُ السّماء ، فكم من عينٍ فى منقارِ طائرٍ[٥] طالما بكى صاحبُها فى جوف الليل من خوف الله ، وكم من كفٍّ زالت عن مِعْصَمِها طالما اعتمد عليها صاحبُها فى جوف الليل بالسُّجود لله . آه آه آه (ثلاثا[٦]) . ثم بكى ونزَل .

---

(١) التتايع : التهافت والوقوع فى الشر ، يقال تتابعوا فى الخير وتتايعوا فى الشر . وفى النسخ « بتتابعكم » والوجه ما أثبت .

(٢) أطلاح : جمع طلح ، بالكسر ، وهو المعي .

(٣) فوقت : جعلت لها الأفواق . والفوق ، بالضم : موضع الوتر من السهم .

(٤) فى الأصل : « لوعد الله » صوابه من العقد .

(٥) فيما عدا ل : « فى مناقير طير » .

(٦) فيما عدا ل : « أوه أوه أوه » فقط .

خطبة قطرى بن الفجاءة

صعِد قطريُّ بن الفُجاءة(١) مِنبر الأزارقة — وهو أحد بنى مازن بن عمرو ابن تميم — فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على نبيه ثم قال(٢) : ٣١٠

أمّا بعدُ فإنى أُحذِّركم الدُّنيا فإنّها حُلوةٌ خَضِرة ، حُفّتْ بالشّهوات ، وراقت بالقليل ، وتحبّبت بالعاجلة وحُلّيت بالآمال ، وتزيّنت بالغُرور ، لا تدوم حَبْرتُها(٣) ولا تؤمَن فجعتُها ، غرّارة ضرّارة ، خوّانةٌ غدّارة ، حائلة زائلة ، نافدة بائدة ، أكّالة غوّالة ، بدلةٌ(٤) نقّالة ، لا تعدو إذا هى تناهت إلى أمنيّةِ أهل الرّغبة فيها ، والرّضا عنها ، أن تكون كما قال الله : ﴿ كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ مُقْتَدِرًا ﴾ . مع أنّ امرأً لم يكن منها فى حَبْرة إلا أعقبتْه بعدها عبْرة ، ولم يَلْقَ من سرّائها بطناً إلا منحته من ضرّائها ظهرا ، ولم تَطُلّه غَبْيَةُ رخاء(٥) إلا هَطَلتْ(٦) عليه

---

(١) سبقت ترجمته فى (١ : ٣٤١) .

(٢) الخطبة فى العقد (٤ : ١٤١) . وصبح الأعشى (١ : ٢٢٣) وعيون الأخبار (٢ : ٢٥٠) ونهاية الأرب (٧ : ٢٥٠) . وقد رويت فى نهج البلاغة بشرح ابن الحديد (٢ : ٢٣٨ — ٢٤٠) منسوبة إلى على بن أبى طالب . وقال فى (٢ : ٢٤٢) : « هذه الخطبة ذكرها شيخنا أبو عثمان الجاحظ فى كتاب البيان والتبيين ، ورواها لقطرى بن الفجاءة . والناس يروونها لأمير المؤمنين عليه السلام . وقد رأيتها فى كتاب المونق لأبى عبد الله المرزبانى مروية لأمير المؤمنين عليه السلام ، وهى بكلام أمير المؤمنين أشبه . وليس يبعد عندى أن يكون قطرى قد خطب بها بعد أن أخذها عن بعض أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ؛ فإن الخوارج كانوا أصحابه وأنصاره ، وقد لقى قطرى أكثرهم » .

(٣) الحبرة ، بالفتح : السرور والنعمة وسعة العيش .

(٤) بدلة ، أريد بها كثيرة التبديل ، أما ضبطها فلا أحقه لأنى لم أهتد إليها فى معجم من المعاجم المتداولة ، فقد تكون « بدلة » كفرحة و « بدلة » كضحكة . وفيما عدا ل : « بذلة » ولا وجه لها .

(٥) طل : أصابه الطل ، وهو مطر خفيف . والغبية ، بالفتح : الدفعة من المطر . فيما عدا ل : « غيثة » تحريف .

(٦) ل ، ح : « أهطلت » صوابه فى ب والتيمورية .

مُزنة بَلاء ، وحَرًى إذا أضحت (١) له منتصرةً أن تُمسِيَ له خاذلة متنكّرة ، وإنْ جانبٌ منها اعذوذَب واحلوْلَى . أمَرَّ عليه منها جانب وأوبى (٢) ، وإن آتت امرأً من غَضارتها ورفاهَتها نِعماً ، أرهقته من نوائبها نِقما ، ولم يُمسِ امرؤٌ منها فى جَناحِ أمنٍ إلاّ أصبح منها على قوادِمِ خوف ، غرّارة غَرورٌ ما فيها ، فانيةٌ فانٍ مَن عليها (٣) ، لاخير فى شيء من زادها إلا التّقوى . مَن أقلّ منها استكثر مما يؤمنُـه ، ومَن استكثر منها استكثر مما يُوبِقُه ويطيل حَزَنَه ، ويُبكى عينَه . كم واثقٍ بها قد فجَعَته ، وذى طُمأنينةٍ إليها قد صرعتْـه ، وذى اختيالٍ فيها قد خدعتـه . وكم من ذى أبّهةٍ فيها قد صـيّرته حقيراً ، وذى نخوةٍ قد ردَّتْه ذليـلا ، ومِن ذى تاجٍ قد كبَّتْـه لليدين والفم . سـلطانُها دُوَل ، وعيشُها رَنَقٌ ، وعذبُها أُجاجٌ ، وحُلوها صَبِر . وغذاؤها سِمـام ، وأسبابُها رِمام (٤) . قِطافها سَلَعٌ (٥) ، حيُّها بعرَضِ موتٍ ، وصحيحها بعرَض سُقْم ، ومَنيعها بعرَض اهتضام . مليكها مسلوب ، وعزيزُها مغلوب ، وسليمها منكوب ، وجامعها محروب (٦) . مع أنّ وراءَ ذلك سَـكراتِ الموت ، وهَولَ المُطَّلَع (٧) ، والوقوفَ بين يَدى الحكَمِ العَدْل : ﴿ لِيَجْزِىَ الذين أساءوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِىَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا ٣١١ بالحُسْنَى (٨) ﴾ . أَستمْ فى مساكِنِ مَن كان أطولَ منكم أعماراً ، وأوضح

---

(١) فيما عدا ل . « أصبحت » .

(٢) أوبى : مسهل أوبأ ، صار فيه الوباء والوخم . ل : « أوى » تحريف .

(٣) العقد وما عدا ل : « فان ما عليها » .

(٤) الأسباب : جمع سبب ، وهو الحبل . والرمام : جمع رمة بالضم ، وهى قطعة بالية . عنى أنه لا يركن إليها .

(٥) السلع ، بالتحريك : نبات مر سام .

(٦) محروب : مسلوب .

(٧) المطلع : موضع الاطلاع من إشراف إلى انحدار ، يريد به الموقف يوم القيامة ، أو ما يشرف عليه من أمر الآخرة عقيب الموت .

(٨) من الآية ٣١ فى سورة النجم .

آثارا[١] ، وأعدَّ عديدا ، وأكثفَ جُنودا ، وأعند عُنُودا[٢] ، تعبّدُوا الدّنيا أيّ تعبد ، وآثروها أيّ إيثار ، وظَعَنوا عنها بالكُره والصَّغار ، فهل بَلَغكم أنّ الدنيا سمحت لهم[٣] نَفْسا بفِدْية ، أو أغنتْ عنهم فيما قد أهلكتهم بخَطْب[٤] ، بل قد أرهَقَتهم بالفوادح ، وضعضعتهم بالنّوائب ، وعَقَرتهم بالمصائب . وقد رأيتم تنكُّرها لمن دان لها[٥] وآثَرَها ، وأخلد إليها ، حين ظَعَنوا عنها لفراق الأبد إلى آخر المُسنَد[٦] . هل زوّدتْهم إلاّ الشقاء ، وأحلّتْهم إلا الضَّنْك ، ونوّرتْ لهم إلا الظُّلمة ، أو أعقبتهم إلاّ الندامة . فهذه تؤْثرون ، أم عليها تحرِصون ، أم إليها تطمئنون . يقول الله : ﴿ مَنْ كانَ يُريدُ الحياةَ الدُّنيا وَزينَتَها نُوَفِّ إليهِمْ أعمالهم فيها وهم فيها لا يُبْخَسُون . أولئك الّذين لَيْسَ لهم فى الآخِرَة إلاّ النّار وَحَبِطَ ما صَنَعُوا فِيها وباطِلٌ ما كانُوا يَعْمَلون[٧] ﴾ . فبئست الدارُ لمن أقام فيها . فاعملوا وأنتم تعلمون أنكم تاركوها لابُدّ . فإنما هى كما وصفها الله باللعب واللّهو ؛ قال الله : ﴿ أتبْنُون بِكُلِّ ريع آيَةً تَعْبثُون . وَتَتّخِذُونَ مَصانِعَ لَعَلّكُمْ تَخْلُدُون ﴾ . وذكر الذين قالوا مَن أشدُّ منا قوّة[٨] .

ثم قال : حُمِلوا إلى قبورهم فلا يُدعَون رُكبانا ، وأُنزلوا فيها فلا يُدعَون ضِيفانا ، وجُعِل لهم من الضّريح أجنانٌ[٩] ، ومن التُّراب أكفان ، ومن الرُّفات

---

(١) فيما عدا ل : « وأوضح منكم آثارا » .
(٢) عند عندا ، بالفتح ، وعنودا ، بالضم : عتا وطغا وتجاوز قدره .
(٣) ابن أبى الحديد « سخت لهم » .
(٤) الخطب : الشأن أو الأمر ، صغر أو عظم .
(٥) دان لها : خضع وذل . فيما عدا ل : « زان لها » تحريف .
(٦) المسند : الدهر ، يقال لا آتية يد المسند ، أى أبدا .
(٧) الآيتان ١٥ ، ١٦ من سورة هود .
(٨) ابن أبى الحديد : « واتعظوا فيها بالذين قالوا من أشد منا قوة . حملوا إلى قبورهم » . ونحوه فى العقد .
(٩) الأجنان : جمع جنن ، بالتحريك ، وهو القبر .

جيران ، فهم جيرةٌ لا يجيبون داعياً ، ولا يمنعون ضَيما ، إن أخصبوا لم يَفرحوا ،
وإن أَقْحَطوا لم يَقنَطوا ، جميعٌ(١) وهم آحاد ، وجيرةٌ وهم أبعاد ؛ متناءون لا يُزارون
ولا يَزُورون ، حلماء قد ذهبت أضغانهم ، وجُهلاء قد ماتت أحقادهم(٢) ، لا يُخشى
فَجْعهم ، ولا يُرجى دفعُهم ، وكما قال جلّ وعزّ : ﴿ فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ
مِنْ بَعْدِهِمْ إلاَّ قليلاً وكُنَّا نحنُ الوارثين(٣) ﴾ . استبدَلُوا بظهر الأرض بطناً ،
وبالسَّعة ضِيقاً ، وبالأهل غُربةً ، وبالنُّور ظلمة ، فجاءوها كما فارقوها : حُفاةً عُراةً
فُرادَى ، غير أنّهم ظعنوا بأعمالهم إلى الحياة الدائمة ، وإلى خلود الأبد . يقول الله :
﴿ كَمَا بَدَأْنا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُه وَعْدًا عَلَيْنا إنّا كُنَّا فَاعِلِين ﴾ . فاحذروا ما حذّركم
الله ، وانتفعوا بمواعظه ، واعتصموا بحبله . عَصَمنا الله وإياكم بطاعته ، ورزقنا ٣١٢
وإياكم أداء حقّه(٤) .

خطبة محمد بن سليمان(٥) يوم الجمعة

وكان لا يغيّرها

الحمد لله . أحمَدُه وأستعينه وأستغفره ، وأومِن به وأتوكل عليه ، وأبرأ من الحول والقوة إليه(٦) . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له ، وأشهد أنّ محمداً عبدُه ورسوله ، أرسله بالهُدى ودينِ الحقّ ليظهرَه على الدِّين كلّه ولو كرِه المشركون . مَن يعتصمْ بالله ورسولِه فقد اعتصم بالعُروة الوثقى ، وسَعِد فى الآخرة والأولى . ومَن يَعصِ الله ورسولَه فقد ضَلَّ ضلالاً بعيداً ، وخَسِرَ خُسرانا مبينا .

---

(١) العقد وما عدا ل : « جمع » . (٢) ل : « وذهلاء » تحريف .

(٣) ل : « فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا وتلك مسا كنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا » . وهو خلط بين آيتين .

(٤) زاد فى العقد : « ثم نزل » .

(٥) سبقت ترجمته والإشارة إلى خطبته فى (١ : ٢٩٥) .

(٦) هذه الجملة من ل فقط .

أسأل الله أن يجعلنا وإيّاكم ممّن يطيعُه ويطيع رسولَه صلى الله عليه وسلم ، ويتّبع رضوانَه ، ويتجنّب سُخْطه ، فإنما نحن به وله . أوصيكم عبادَ الله بتقوى الله ، وأحثّكم على طاعة الله ، وأرضَى لكم ما عِند الله ؛ فإنّ تقوى اللهِ أفضلُ ما تحَاثّ الناسُ عليه ، وتداعَوا إليه ، وتواصَوا به . فاتقُوا الله ما استطعتم ، ولا تموتُنّ إلاّ وأنتمْ مُسْلِمُون .

خطبة عبيد الله بن زياد

صعد المنبر بعد موت يزيدَ بنِ معاوية ، حيثُ بلغه أنّ سلمة بن ذؤيب الرِّياحيّ[1] قد جَمَع الجموع يريد خَلْعَهُ ، فقال :

يا أهل البصرة انسبونى[2] ، فوالله ما مُهاجَرُ أبى إلاّ إليكم ، ولا مَولِدى إلاّ فيكم ، وما أنا إلا رجلٌ منكم . والله لقد وَلِيَكُم أبى وما مُقاتِلَتُكم إلاّ أربعون ألفاً ، فبلغ بها ثمانين ألفاً . وما ذرّيّتُكم إلاّ ثمانون ألفا ، وقد بلغ بها عشرين ومائة ألف . وأنتم أوسعُ النّاسِ بلاداً ، وأكثرُه جواداً[3] ، وأبعدهُ مَقاداً ، وأغنَى النّاس عن الناس . انظرُوا رَجُلاً تُوَلُّونه أمرَكم ، يكُفّ سفهاءكم ، ويَجْبِي لكم فيئكم ، ويَقسِمه بينَكم[4] ، فإنما أنا رجلٌ منكم . ٣١٣

فلما أبوا غيرَه قال : إنّى أخاف أن يكون الذى يدعوكم إلى تأميرى حداثةُ عهدِكم بأمرى .

---

(١) ل : « سلمة بن أبى ذؤيب » صوابه من الطبرى (٧ : ٢٠) وما عدا ا . وهو سلمة بن ذؤيب بن عبد الله بن محكم بن زيد بن رياح بن يربوع بن حنظلة . فيما عدا ل « الرياضى » تحريف .

(٢) ل : « أتسبوننى » صوابه فى الطبرى وما عدا ل . وجاء نظير هذا فى خطبة قتيبة ابن مسلم : « انسبونى تجدونى عراقى الأم » . الطبرى (٨ : ١٠٥) .

(٣) فيما عدا ل : « جنودا » .

(٤) فيما عدا ل : « ويقسمه فيما بينكم » .

خطبة معاوية رحمه الله

الهيثم بن عدىّ ، عن أبى بكر بن عيّاش ، عن أشياخه قال : لما حضرَتْ معاويةَ الوفاةُ ويزيدُ غائب ، دعا معاويةُ مُسْلِم بن عُقبةَ المُرّىّ ، والضّحّاك بن قيس الفهرى ، وقال [١] :

أبلغا عنّى يزيدَ وقُولاَ له : انظرْ إلى أهل الحجاز فهم أصلُك وعشيرتُك [٢] ، فمن أتاك منهم فأكرِمْه ، ومن قَعَدَ منهم [٣] عنكَ فتعهَّدْه . وانظرْ إلى [٣] أهلِ العراق ، فإنْ سألوك عزْلَ عاملٍ فى كلّ يوم [٤] فاعزِلْه عنهم ؛ فإنّ عزْلَ عاملٍ فى كلّ يومٍ أهوَنُ عليك من سَلّ مائة ألفِ سيفٍ ثمّ لا تدرى عَلامَ أنت عليه منهم . ثم انظرْ إلى أهل الشّام فاجعلهُم الشِّعارَ دون الدِّثار [٥] ، فإنْ رابكَ من عدوّك رَيبٌ فارمِهِ بهم ، فإن أظفَرَكَ الله بهم فارددْ أهلَ الشام إلى بلادهم ، ولا يقيموا فى غير ديارهم [٦] ، فيتأدَّبوا بغير أدبهم . لستُ أخافُ عليك غير عبد الله بن عُمَر ، وعبدَ الله بنَ الزُّبير ، والحسينَ بنَ علىّ ، فأمّا عبد الله بن عمر فرجلٌ قد وقَذه الورَع [٧] . وأمّا الحسين ، فإنّى أرجو أن يكفِيَكه الله بمَنْ قتل أباه ، وخذَل أخاه . وأمّا ابنُ الزُّبير فإنه خَبٌّ ضَبٌّ [٨] .

وفى غير هذه الرواية : « فإن ظفرت بابن الزبير فقطّعه إرْبا إرْبا » .

* * *

---

(١) الخطبة فى العقد (٤ : ٨٧) .

(٢) فى العقد وما عدا ل : « عترتك » . وعترة الرجل : رهطه وعشيرته الأدنون ممن مضى وغبر .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من العقد وما عدا ل .

(٤) فى كل يوم ، من ل فقط .

(٥) الشعار : ما ولى شعر جسد الإنسان دون ما سواه من الثياب . والدثار : الثوب يكون فوق الشعار .

(٦) فى العقد وعدا ل : فى « غير بلادهم » .

(٧) وقذه الورع ، أى كسره وأثخنه وبلغ منه مبلغا .

(٨) الخب ، بالفتح ويكسر : الخداع . والضب : ذو الحقد .

ثمات معاوية فقام الضحّاك بنُ قيس خطيبا ، فقال : إنّ أمير المؤمنين معاوية كان أنفَ العرب ، وهذه أكفانُه ونحن مُدْرِجُوه فيها ، ومُخَلُّون بينه وبين ربّه ، فمن أراد حضورَه بعد الظهر فليحضُرْه » . فصلَّى عليه الضحّاكُ بن قيس ، ثم قَدِم يزيدُ ولده ، فلم يُقدِمْ أحدٌ على تعزيته حتَّى دخل عليه عبدُ الله بن همّامٍ السَّلولى[1] فأنشأ يقول :

اصبِرْ يزيدُ فقد فارقتَ ذا ثقةٍ   واشكر حِباءَ الذى بالمُلْك حاباكا[2]
لا رُزْءَ أصبحَ فى الأقوام قد علِموا   كما رُزِئتَ ولا عُقْبَى كعُقباكا
أصبحتَ راعِىَ أهلِ الدِّينِ كلِّهم   فأنت ترعاهمُ والله يرعاكا
وفى معاويةَ الباقى لنا خَلَفٌ   إذا نُعِيتَ ولا نَسْمَعْ بمَنْعاكا

فانفتح الخطباء بعد ذلك بالكلام .

خطبة قتيبة بن مسلم[3]

قام بخراسان خطيبا حين خَلَعَ[4] فقال :

أتَدرون من تُبايِعون ؟ إنَّما تبايعون يزيدَ بن ثَرْوان — يعنى هَبَنَّقَة القيسى[5] — كأنِّى بأميرٍ من حَاءَ وحَكَمَ[6] ، قد أتاكم يحكمُ فى أموالكم وفروجكم وأبْشاركم .

---

(١) سبقت ترجمته فى (١ : ٤٠٩) .

(٢) فى العقد : « ذا مقة » . والمقة : الحب .

(٣) سبقت ترجمته فى هذا الجزء ص ٤٢ . زيد فيما عدا ل : « الباهلى » .

(٤) فى حواشى التيمورية : « يعنى حين خلع سليمان بن عبد الملك ودعا لنفسه بعد موت عمر بن عبد العزيز » . وفى العقد (٤ : ١٢٥) : « حين خلع سليمان بن عبد الملك » . وانظر خبر الخلع فى الطبرى (٨ : ١٠٣ — ١١٢) حيث انتهى الأمر بقتل قتيبة سنة ٩٦ . والخطبة وردت فى الطبرى (٨ : ١٠٥) مختلطة بالخطبة التى بعدها .

(٥) هو أبو نافع يزيد بن ثروان الملقب بذى الودعات ، أحد بنى قيس بن ثعلبة ، كان يضرب به المثل فى الحمق . وكان يحسن إلى السمان من إبله ويهمل المهازيل ، ويقول : إنما أكرم ما أكرم الله وأهين ما أهانه . انظر الميدانى فى (أحمق من هبنقة) .

(٦) حاء : حى من مذحج . انظر اللسان (٢٠ : ٣٣٤) ومقاييس اللغة (٢ : ٢٦) =

ثم قال : الأعرابَ وما الأعرابُ ، فلعنة الله على الأعراب . جمعْتُكم ، كما يجتمعُ قزَعُ الخريف[١] ، من منابت الشِّيح والقَيصوم ، ومنابتِ القِلقِل[٢] ، وجزيرة أبركاوان[٣] تركبون البقَر ، وتأكلون القضْبَ[٤] ، فحملتكم على الخيل ، وألبستكم السلاح ، حتى منعَ الله بكم البلاد ، وأفاء بكم الفَيء .

قالوا : مُرْنا بأمرك . قال : غزُوا غيرى .

وخطب مرة أخرى

فقال[٥] : يا أهلَ العراق ، ألستُ أعلمَ النّاسِ بكم . أمّا هـذا الحىُّ من [أهل[٦]] العالية فنِعمَ الصَّدقَةِ[٧] . وأمّا هـذا الحىُّ من بكر بن وائل فعِلْجة بظْراء لا تمنعُ رِجلَيها . وأمّا هذا الحىُّ من عبد القيس فما ضَربَ العيرُ[٨] بذنبِه . وأمّا هـذا الحىُّ من الأزد ، فعُلوجُ خلقِ الله وأنباطُه . وايمُ اللهِ لو ملكتُ أمْرَ

= وحكم كذلك : حى من اليمن . هما جميعاً من سعد العشيرة بن مذحج . انظر نهاية الأرب (٢ : ٣٠١) حيث ورد الاسم الأول محرفا برسم « جا » .

(١) القزع : قطع من السحاب رقاق كأنها ظل إذا مرت من تحت السحابة الكبيرة . والخريف أول الشتاء يكون السحاب فيه متفرقا غير متراكم . انظر اللسان (قزع) حيث فسر قول على : « كما يجتمع قزع الخريف » . فيما عدا ل « كما يجتمع » .

(٢) القلقل ، بكسر القافين : شجر له حب عظام يؤكل . ل : « القلقل » تحريف .

(٣) الذى فى معجم البلدان : « بركاوان : ناحية بفارس » . وجاء فى تاريخ ابن الأثير (٣ : ١٧) : « وقبل أن عثمان بن أبى العاصى أرسل أخاه الحكم من البحرين فى ألفين إلى فارس ، ففتح جزيرة بركاوان فى طريقه » . وفى الطبرى : « تركبون البقر والحمر فى جزيرة ابن كاوان » .

(٤) القضب : الرطبة ، وهو ما أكل من النبات المقتضب غضا . فيما عدا ل : « الغضب »

(٥) الخطبة فى العقد (٤ : ١٢٦) .

(٦) من العقد وما عدا ل .

(٧) فى هامش التيمورية وب : « يعنى أنهم من قبائل شتى كنعم الصدقة وليسوا بمستوين ولهم جرأة » .

(٨) العير : الحمار . كنى عن جاعرتيه ، وهما موضع الرقتين من است الحمار . وصفهم بالمهانة والضعة .

النّاس لنقشْتُ أيديَهم (١) . وأمّا هذا الحيُّ من تميم فإنّهم كانوا يُسمُّون الغَدرَ فى الجاهلية : « كَيْسان » (٢) . قال النمر بن تولب يهجو تميما :

إذا ما دعَوا كيسانَ كان كهولُهم إلى الغدرِ أدنَى من شبابِهم المُرْدِ

وخطب مرة أخرى ٣١٥

فقال (٣) : يا أهل خُراسان ، قد جرّبتم الوُلاةَ قبلى . أتاكم أميّة (٤) فكان كاسمه أُميّةَ الرأى وأُميّةَ الدّين (٥) ، فكتب إلى خليفته : إنّ خراجَ خُراسانَ وسجستان لو كان فى مِطبَخه (٦) لم يَكفِه ، ثم أتاكم بعده أبو سعيد — يعنى المهلّب (٧) — فدوّخ بكم ثلاثا (٨) ، لاتدرُون أفى طاعةٍ أنتم أم فى معصيةٍ . ثم لم يَجْبِ فيئًا ولم يَنكِ عدُوًّا (٩) . ثم أتاكم بنوه بعدَه مثلَ أطباء الكَلْبةِ ، منهم ابن الدَّحْمة (١٠)

---

(١) أى لو وسمت أيديهم بالنار . وفى هامش ب : « هذه إشارة لفعل الحجاج ؛ لأنه كان قد وسم فى أيديهم بالنار » .

(٢) مابعد هذه الكلمة وضع فى ب تعليقاً على كلمة « كيسان » .

(٣) الخطبة فى العقد (٤ : ١٢٦) والطبرى (٨ : ١٠٥) . وقد مزج الطبرى بين هذه الخطبة وسابقتها .

(٤) هو أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبى العاص ، كان عاملا لعبد الملك بن مروان على خراسان ، ثم عزله سنة ٧٨ وجمع سلطانه للحجاج . الطبرى (٧ : ٢٨) .

(٥) الأمية : تصغير الأمة المملوكة .

(٦) فيما عدا ل : « مطبخته » . ونص فى المعاجم على أنه « المطبخ » بكسر الميم .

(٧) هو المهلب بن أبى صفرة ، ولى خراسان من قبل الحجاج بعد أمية . الطبرى (٧ : ٢٨٠) .

(٨) ل والتيمورية : « بلايا » وفى ب ، حـ : « البلا » . محرفان عما أثبت . وفى الطبرى : « فدوم بكم ثلاث سنين » . والتدويم : الدوران .

(٩) نكى العدو ينكيه : أصاب منه . الطبرى : « لم ينكأ » يقال أيضاً نكأت العدو أنكؤهم ، لغة فى نكيتهم .

(١٠) فى العقد : « دحمة » . وقال معقباً : «ابن دحمة ، يريد يزيد بن المهلب» . وفى اللسان (دحم) : « قال أبو النجم :

* لم يقض أن يملكنا ابن الدحمه *

حرك احتياجا — أى للضرورة — يعنى يزيد بن المهلب » . وقد ولى الحجاج يزيد هذا خراسان بعد موت المهلب سنة ٨٣ ثم عزله الحجاج عن خراسان سنة ٤٢ ، وولاها أخاه المفضل ابن المهلب . الطبرى (٨ : ٢٠ ، ٤٢) .

حِصانٌ يضرِب فى عانةٍ(١) ، ولقد كان أبُوه يخافه على أُمَّهات أولاده ، ثمَّ أصبحتم وقد فتح الله عليكم البلاد ، وأمَّن لكم السُّبُل ، حتّى إن الظَّعينة لتَخرُج من مَرْوَ إلى سَمَرْقَند فى غير جَوَاز(٢) .

خطبة الأحنف بن قيس

قال بعد أن حَمِد الله وأثنى عليه وصلَّى على نبيّه(٣) :

يا معشر الأزد وربيعة ، أنتم إخوانُنا فى الدِّين ، وشُركاؤنا فى الصِّهر ، وأشِقّاؤنا فى النَّسب ، وجيرانُنا فى الدّار ، ويدُنا على العدُوّ . والله لَأَزْدُ البصرة أحبُّ إلينا من تميم الكوفة ، ولأَزْد الكوفة أحبُّ إلينا من تميم الشام . فإن استَشْرَى شنآنُكم(٤) ، وأبَى حَسَكُ صُدُورِكم(٥) ، ففى أموالنا وأحلامنا سعةٌ لنا ولكم .

خطبة جامع المحاربىّ

ومن محاربٍ جامع ، وكان شيخاً صالحا ، خطيباً لَسِنا ، وهو الذى قال للحجاج حين بنى مدينةَ واسط : « بنيتَها فى غير بلدك ، وأورثْتَها غيرَ ولدِك . وكذلك مَن قطَعه العُجْب عن الاستشارة ، والاستبداد عن الاستخارة » .

---

(١) العانة : القطيع من حمر الوحش . الطبرى : « يزيد فحل تبارى إليه النساء » .

(٢) وكذا فى الطبرى . والجواز : الولاية . اللسان (جوز ١٩٢) . ب والتيمورية : « جوان » تحريف .

(٣) الخطبة فى العقد (٤ : ١٣٤) والطبرى (٧ : ٣٢) .

(٤) الشنآن : العداوة والبغض . استشرى : عظم وتفاقم . فيما عدا ل « استشرف » تحريف .

(٥) حسك الصدر : حقد العداوة ، كما فى اللسان (حسك) . فى العقد وما عدا ل : « حسك صدوركم » .

وشكا الحجاج سُوء طاعةِ أهل العراق وتنقّم مذهبهم ، وتسخَّطَ طريقتهم ، فقال جامع [(١)] :

أما إنّهم لو أحبُّوك لأطاعوك ، على أنّهم ما شَنِفوك لنَسَبك [(٢)] ، ولا لبلدك ، ولا لذاتِ نَفْسك ، فدَعْ ما يُبعِدهم منك ، إلى مايقرِّبُهم إليك ، والتمس العافيةَ ٣١٦ ممّن دونك [تُعْطَها ممّن فوقك [(٣)]] ، وليكن إيقاعُك بَعْدَ وعيدِك ، ووعيدُك بعد وعدِك .

فقال الحجاج : إنِّي واللهِ ما أرى أن أردَّ بنى اللّكيعةِ إلى طاعتى إلاّ بالسيف . فقال : أيُّها الأمير ، إنَّ السّيفَ إذا لاقَى السّيفَ ذهب الخِيار . فقال الحجاج : الخيار يومئذ لله . فقال : أجل ، ولكن لا تَدرِى لمن يجعلُه الله . فغضب الحجاج فقال : يا هَنَاه [(٤)] ، إنّك من مُحارب . فقال جامع :

وللحرب سُمِّينا وكُنّا مُحارباً إذا ما القَنا أمسى مِن الطَّعن أحمرا

والبيت للخُضْرى [(٥)] .

فقال الحجّاج . والله لقد همَمتُ أن أخلَعَ لسانَك فأضربَ به وجهك . قال جامع : إنْ صدَقْناك أغضَبْناك ، و إن غَشَشْناك أغضبنا الله . فغضَبُ الأميرِ أهونُ علينا من غضب الله . قال : أجَلْ . وسَكَنَ وشُغِل الحجّاج ببعض الأمر ، وانسلَّ

---

(١) الخطبة فى العقد (٣ : ١٧٩/٤ : ١١٤) وزهر الآداب (٤ : ٤٨) وعيون الأخبار (٢ : ٢١٢) .

(٢) شنفه : أبغضه . وفى العقد والعيون : « شنئوك » ، يقال شنأه وشنئه : أبغضه .

(٣) التكملة من المصادر المتقدمة وما عدا ل .

(٤) الهن : كلمة يكنى بها عن الإنسان ، تقول : يا هن أقبل . وقد تزاد الألف والهاء فيقال للرجل يا هناه بضم الهاء ، على تقدير أنها آخر الاسم ، وبكسرها لالتقاء الساكنين . اللسان (هنا) .

(٥) هو الحكم بن معمر الخضرى . والخضر ولد مالك بن طريف ، وكان بينه وبين ابن ميادة مهاجاة . الأغانى (٢ : ٩٤) .

جامعٌ فمرّ بين صُفوفِ خيل الشام ، حتّى جاوزهم إلى خيل العراق . وكان الحجّاج لا يَخلِطُهم ، فأبصر كَبْكَبَةً فيها جماعةٌ كثيرة من بَكر العراق ، وقيسِ العراق ، وتميم العراق ، وأزْد العراق ، فلمّا رأَوْه اشرأبّوا إليه ، و بلَغَهم خروجُه فقالوا له : ماعندك ؟ دافعَ اللهُ لنا عن نفسك . فقال : ويحكم عُمّوه بالخَلْع كما يعُمّكم بالعداوة ، ودعُوا التّعادى ما عاداكم ، فإذا ظَفِرتم به تراجعتم وتعاقبتم . أيُّها التّميمى ، هو أعدى لك من الأزدىّ ، وأيُّها القيسىّ ، هو أعدى لك من التّغلبىّ . وهل ظَفِر بمن ناوأه منكم إلاّ بمن بقى معه منكم .

وهرب جامعٌ من فوره ذلك إلى الشّام فاستجار بزُفَر بن الحارث .

٣١٧ وخطب الحجاج

فقال[١] : اللهم أرِنى الهُدَى هُدًى فأتّبِعَه ، وأرِنى الغَىَّ غيًّا فأجتنبه[٢] ، ولا تكِلْنى إلى نفسى ، فأضلَّ ضلالاً بعيدا . والله ما أُحِبُّ أنّ مامضى من الدُّنيا بعمامتى هذه ، ولَمَا بَقِى منها أشبَهُ بما مضَى من الماء بالماء .

وخطبة له أيضا

الهيثم قال : أنبأنى ابنُ عَيّاش ، عن أبيه قال : خرج الحجّاج يوماً من القصر بالكوفة ، فسمِع تكبيراً فى السوق ، فراعه ذلك ، فصعِد المنبر ، فحمِد الله وأثنى عليه ، وصلّى على نبيّه ثم قال[٣] :

يا أهل العراق ، يا أهل الشِّقاق والنِّفاق ، ومساوِى الأخلاق ، وبَنى

---

(١) الخطبة فى العقد (٤ : ١١٥) .
(٢) فى العقد وما عدا ل بتقديم هذه الجملة على سابقتها .
(٣) الخطبة فى العقد (٤ : ١١٥) وابن أبى الحديد (١ : ١١٤) والطبرى (٢١٢:٧) وإعجاز القرآن ١٢٤ .

اللَّـكيعةِ ، وعبيدَ العصا ، وأولادَ الإماء ، والفقْع بِالقرقرِ [١] . إنى سمِعتُ تكبيراً لا يُراد به الله ، و إنما يُراد الشّيطان . و إنَّما مَثَلى ومثلكم ما قال عمرو بن برّاقة الهمْدانىّ [٢] :

وكنتُ إذا قومٌ غزَوْنى غزوتُهم ... فهل أنا فى ذا يالَ هَمْدانَ ظالمُ

متى تجمعِ القلبَ الذكىَّ وصارماً ... وأنفاً حَمِيًّا تجتنبْك المظالمُ

أمَا والله لا تقرَعُ عصاً عصاً إلاّ جعلتُها كأمْسِ الدَّابر .

خطبة الحجاج بعد دير الجماجم [٣]

خطب أهل العراق بعد دَيْر الجماجم [٥] فقال :

يا أهل العراق ، إنّ الشيطان ، قد استبطنكم فخالَطَ اللّحمَ والدّمَ ، والعصبَ والمسامِعَ ، والأطراف والأعضاء ، والشَّغاف ، ثمّ أفضى إلى الأمخاخ والأصماخ ، ثم ارتفع فعشّش ، ثم باض وفرّخ ، فحَشا كم نِفاقاً ، وأشعرَكُم خِلافا ، واتخذتموه دليلاً تتّبعونه ، وقائدا تُطيعونه ، ومُؤامَراً تستشيرونه . فكيف تنفعكمْ تجربةٌ ، وتعِظُكم وقعة ، أو يحجِزُكم إسلام ، أو ينفعُكم بيان . ألستم أصحابى بالأهواز ، حيثُ رُمتُم المَكْر ، وسعيتم بالغَدْر ، واستجمعتم للكفر ، وظننتم أنّ الله يخذل

---

(١) الفقع : كمأة بيض رخوة . والقرقر : الأرض المنخفضة .

(٢) عمرو بن براقة أو ابن براق كما ذكر صاحب الأغانى (٢١ : ١١٣) . وهو أحد عدائى العرب ، ذكره تأبط شرا فى قصيدته الأولى من المفضليات :

ليلة صاحوا وأغروا بى سراعهم ... بالعيكتين لدى معدى ابن براق

فيما عدا ل : « برق » وهو الأصح .

(٣) موضع هذه الخطبة فيما عدا ل بعد كلام هلال بن وكيع وزيد بن جبلة فى ص ٣٢١ من الأصل .

(٤) كانت وقعة دير الجماجم بين الحجاج وبين عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، بقرب الكوفة ، وفيها هزم ابن الأشعث سنة ٨٣ . الطبرى (٨ : ٢١) . والخطبة فى العقد (٤ : ١١٥) وابن أبى الحديد (١ : ١١٤) ونهاية الأرب (٧ : ٢٤٥) .

دينَه وخِلافتَه ، وأنا أرميكم بطَرْفى ، وأنتم تسَلَّلون لِواذاً[١] ، وتنهزمون سراعاً . ثمَّ يومُ الزَّاوية وما يوم الزَّاوية[٢] ، به كان فشلُكم[٣] وتنازُعكم وتخاذُلكم ، وبراءة الله منكم ، ونكوص[٤] وليِّكم عنكم ، إذ ولَّيتم كالإبل الشَّوارِدِ إلى ٣١٨
أوطانها ، النَّوازع إلى أعطانها ، لا يَسألُ المرء عن أخيه ، ولا يُلوِى الشّيخُ على بنيه ، حين عَضَّكم السِّلاح ، ووَقَصَتْكم الرِّماح[٥] . ثم يومُ دَيرِ الجماجم ، وما يومُ دير الجماجم ، به كانت المعاركُ[٦] والمَلاحم ، بضَربٍ يُزيل الهامَ من مَقِيله ، ويُذْهِلُ الخليلَ عن خليله[٧] .

يا أهلَ العراقِ ، الكفَرات بعد الفَجَرات[٨] ، والغَدَراتِ بعد الخَترات ، والنَّزوةَ بعد النَّزوات ! إنْ بعثتُكم إلى ثُغوركم غَلَلْتم وخُنْتم[٩] ، وإن أَمِنتم أَرْجَفتم ، وإن خِفتم نافقتم . لا تَذكُرون حسنةً ، ولا تشكرون نِعمة . هل استخفَّكم ناكثٌ ، أو استغواكم غاوٍ ، أو استفزَّكم عاصٍ[١٠] ، أو استنصرَكم ظالم ، أو استعضدكم خالعٌ إلا تبِعتموه وآوَيْتُموه ، ونصرتُموه ورجَّبْتموه[١١] .

يا أهلَ العراق ، هل شَغَبَ شاغبٌ ، أو نعَبَ ناعب ، أو زفَرَ زافرٌ إلا كنتم

---

(١) فيما عدا ل : « تتسللون » .

(٢) الزاوية : موضع قرب البصرة ، كانت به وقعة مشهورة بن الحجاج وعبد الرحمن ابن محمد بن الأشعث ، قتل فيها خلق كثير من الفريقين ، وذلك سنة ٨٢ . الطبرى (٨ : ١٢) .

(٣) فيما عدا ل : « بها كان فشلكم » .

(٤) ل : « ونصوص » تحريف .

(٥) فيما عدا ل : « وقصمتكم » . والقصم والوقص : الكسر .

(٦) فيما عد ل: « بها كانت المعارك » .

(٧) اقتبس هذا من رجز لعمار بن ياسر فى وقعة صفين ٣٧٦ — ٣٨٧ .

(٨) فى سائر المصادر : « والكمرات بعد الفجرات » بالعطف .

(٩) غل غلولا : خان .

(١٠) ب ، حـ : « أو استنفركم عاص »

(١١) الترجيب : التعظيم . ل : « ربيتموه » .

أتباعَه وأنصارَه . يا أهل العراق ، ألم تنهكم المواعظُ ؟ ألم تزجرْكم الوقائع ؟! ثم التفتَ إلى أهل الشام فقال : يا أهل الشام إنّما أنا لكم كالظَّليم الرامِحِ عن فراخه[١] ، ينفى عنها المدَر ، ويُباعِد عنها الحجر ، ويُكنُّها من المطر ، ويحميها من الضِّباب ، ويحرُسها من الذِّئاب . يا أهلَ الشام ، أنتم الجُنّة والرِّداء ، وأنتم العُدّة والحِذاء .

***

وقال رجلٌ لحذيفة[٢] : أخشى أن أكون منافقاً . فقال : لو كنتَ منافقا لم تخْشَ ذلك .

وقال آخر : اعلم أنّ المصيبة واحدةٌ إن صبرت ، وإن لم تصبر فهما مصيبتان . فمصيبتُك بأجرك ، أعظمُ من مصيبتك بميِّتك .

وقال صالح بن عبد القُدُّوس :

إن يكن ما به أُصِبْتَ جليلاً فذهابُ العزاء فيه أجلُّ[٣]

وقال آخر : تعزَّ عن الشّىء إذا مُنِعتَه ، لقلّة ما يصحبُك إذا أُعطِيتَه ؛ وما خَفَّف الحساب وقلَّله ، خيرٌ مما كثَّره وثقَّله .

قال : وحدثنا أبو بكر الهُذلى — واسمه سُلْمِىٌّ[٤] — قال : إذا جَمع الطَّعامُ أربعاً فقد كمل وطاب : إذا كان حلالاً ، وكثُرت الأيدى عليه ، وسُمِّى اللهُ تعالى فى أوّله ، وحُمِد فى اخره .

---

(١) الظليم : ذكر النعام . الرامح : المدافع . وفى اللسان (٣ : ٢٨٧) : « والعرب تجعل الرمح كناية عن الدفع والمنع » . وانظر هذه القطعة من الخطبة فى الحيوان (٦ : ٣٥٣) .

(٢) هو أبو عبد الله حذيفة بن اليمان ، أحد الصحابة الأجلاء ، استعمله عمر على المدائن . ومات سنة ٣٦ . تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (١ : ٢٤٩) .

(٣) سبق البيت فى ص ٧٤ من هذا الجزء .

(٤) سبقت ترجمته فى (١ : ٣٥٧) .

خطبة كلثوم بن عمرو [١] ٣١٩

أما بعدُ فإنّه لا يُخبِرعن فَضْل المرء أصدقُ مِن تركِه تزكية نفسه ، ولا يعبِّر عنه فى تزكيةِ أصحابه أصدَقُ من اعتماده برغبته ، وائتمانِه إيّاهم على حرمته .

خطبة يزيد بن الوليد

قالوا [٢] : ولمّا قتل يزيدُ بن الوليد ابنَ عمِّه الوليدَ بنَ يزيدَ بنِ عبد الملك [٣] ، قام خطيبا ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : والله يأيها الناس [٤] ، ما خَرَجْتُ أشَراً ولا بَطَراً ، ولا حرصاً على الدنيا ، ولا رغبةً فى الملك ، وما بِيَ إطراءُ نفْسى ، وإنّى لظَلومٌ لها ، ولقد خَسِرتُ إن لم يرحْمنى ربّى ، ويغفرْلى ذنبى [٥] ، ولـكنّى خرجتُ غضبًا لله ولدينه ، وداعياً إلى الله وسُنّة نبيِّه ، لمّا هُدِمَت معالمُ الهُدى ، وأُطفِئ نُور التُّقى [٦] ، وظهرَ الجبّار العنيد ، وكثُرَتْ حولَه الحِزَق والجُنود [٧] ، المستحلُّ لـكلِّ حُرْمة ، والرّاكبُ لـكلِّ بِدعة . مع أنه والله ما كان يؤمنُ بيوم الحساب ، ولا يصدِّق بالثواب والعِقاب . وإنه لابنُ عمّى فى النَّسب ، وكُفْئِى فى الحسَب . فلمّا رأيتُ ذلك استخرتُ اللهَ فى أمرِه ، وسألته أن لا يكِلَنى إلى نفسى ، ودعوت إلى ذلك من

---

(١) هو العتابى ، الذى مضت ترجمته فى (١ . ٢٢١) . وفى جميع النسخ : « عمرو بن كلثوم » تحريف .

(٢) الخطبة فى العقد (٤ : ٩٥) والفخرى ١٢٠ وعيون الأخبار (٢ : ٢٤٨) .

(٣) قتله لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ١٢٦ وولى الخلافة بعده . الطبرى (٩ : ٢) .

(٤) فيما عدا ل : « أيها الناس والله » .

(٥) هذه الجملة من ل فقط .

(٦) فيما عدا ل : « التقوى » .

(٧) وهذه الجملة من ل فقط . والحزق : الجماعات : جمع حزقة ، بالكسر .

أجابنى من أهل وِلايتى ، حتى أراح الله منه العباد ، وطَهَّر منه البلاد ، بحول الله وقُوّته ، لا بحولى وقوّتى .

أيها الناس ، إنّ لكم علىّ ألاّ أضعَ حَجَرا على حجرٍ ، ولا لَبِنة على لَبِنةٍ ، ولا أَكْرِى نهرا[(١)] ، ولا أكنِزُ مالاً ، ولا أعطِيه زوجاً ولا ولداً ، ولا أنقُلَ مالاً من بلدٍ إلى بلد حتّى أَسُدَّ فقر ذلك البلد وخَصاصةَ أهْلِه ، بما يغنيهم ، فإنْ فضَلَ شىء[(٢)] نقلتهُ إلى البلد الذى يليه ، ممّن هو أحوجُ إليه منه . ولا أُجَمِّرَكم فى ثغوركم[(٣)] فأفتِنَكم وأفتِنَ أهاليَكم ، ولا أُغلق بابى دونكم فيأكلَ قويُّكم ضعيفَكم ، ولا أحملَ على أهلِ جِزْيتكم ما أُجْليهم به عن بلادهم ، وأقطعُ نسلَهم . ولكم عندى أعطِياتُكم فى كلِّ سنةٍ ، وأرزاقكم فى كلِّ شهرٍ ، حتى تَستدِرَّ ٣٢٠ المعيشة بين المسلمين ، فيكونَ أقصاهم كأدناهم . فإنْ أنا وفَيتُ فعليكم السَّمعُ والطاعة ، وحسن المُوازرة والمكانَفة[(٤)] ، وإن أنا لم أُوفِ لكم[(٥)] فلكم أن تخلعونى ، إلاّ أنْ تستَتِيبُونى ، فإنْ أنا تُبْتُ قبلتم منّى ، وإن عرَفْتم أحداً يقوم مَقامى ممّن يُعرَف بالصّلاح ، يعطيكم من نفسه مثلَ الذى أُعطيكم ، فأردْتم أن تبايعوه فأنا أوّلُ من يبايعُه ، ويدخلُ فى طاعته[(٦)] .

أيُّها الناس : لا طاعةَ لمخلوقٍ فى معصية الخالق . أقول ذلك[(٧)] وأستغفر الله لى ولكم .

فلما بويع مَروان [بن محمد] نبَشَه وصلبَه . وكانوا يقرءون فى الكتب :

---

(١) كرى النهر : احتفره .
(٢) فيما عدا ل : « فإن فضل فضل » .
(٣) جمر الجيش : حبسهم فى أرض العدو ولم يقفلهم .
(٤) المكانفة : المعاونة . (٥) فيما عدا ل : « أف لكم » .
(٦) فيما عدا ل : « من بايعه ودخل فى طاعته » .
(٧) فيما عدا ل : « أقول قولى هذا » .

« يا مُبذّر الـكنوز ، و يا سَجّاداً بالأسحار ، كانت ولايتُك لهم رحمـة ، وعليهم حُجةً ، أخذوك فصلبُوك » .

خطبة يوسف بن عمر

قام خطيباً يوسف بن عمر (١) فقال (٢) :

اتّقوا اللهَ عبادَ الله ، فـكم مِن مؤمِّلٍ أملاً لايبلغهُ ، وجامِـعٍ مالاً لايأ كله ، ومانعٍ ماسوف (٣) يتركُه ، ولعلّهُ مِن باطلٍ جَمَعه ، ومِن حقٍّ مَنَعه ، أصابَهُ حراماً ، وأورثَه عدوًّا ، فاحتمل إصْرَه (٤) ، وباء بِوِزره ، ووَرَد على ربِّه آسفاً لاهفاً ، قد خسر الدُّنيا والآخرة ، ذلك هو الخُسران المبين .

كلام هلال بن وكيع (٥) وزيد بن جبلة (٦) والأحنف بن قيس عند عمر

بشّار بن عبد الحميد ، عن أبي ريحانة (٧) قال : وفد هِلال بن وكيع ، والأحنف بن قيس ، وزَيد بن جَبَـلة على عمر رحمه الله ، فقال هلالُ بن وكيع :

---

(١) سبقت ترجمته فى (١ : ٣١١) ، وهو ابن ابن عم الحجاج .

(٢) الخطبة فى العقد (٤ : ١٣٤) ونهاية الأرب (٧ : ٢٥٥) .

(٣) فيما عدا ل : « مما سوف » .

(٤) الإصر ، بالـكسر : الذنب ، وعقوبة الذنب .

(٥) هلال بن وكيع ، اختلف فى صحبته . وقتل يوم الجمل . الإصابة ٩٠٥٣ .

(٦) ذكره فى الإصابة ٢٩٩٠ باسم « زيد بن حيلة » بالياء ، ثم قال : « ويقال بجيم وموحدة ، ويقال زيد بن رؤاس التميمى » . وكان شريفا ، وكان الأحنف يقول فيه : طالما خرقنا النعال إلى زيد نتعلم منه المروءة — يعنى فى الجاهلية . وله ذكر فى وقعة صفين ٢٧ . وذكر ابن عساكر أنه وفد على معاوية .

(٧) هو أبو ريحانة شمعون — ويقال سمعون — بن زيد بن خنافة الأزدى حليف الأنصار ، له صحبة وشهد فتح دمشق ، وكان مرابطا بعسقلان . قالوا : وهو أول من طوى الطومار وكتب فيه مدرجا مقلوبا . الإصابة ٣٩١٦ وتهذيب التهذيب .

يا أمير المؤمنين ، إنّا لُبابُ مَن خَلفَنا من قومنا ، وغُرَّةُ مَن وراءنا من أهل مصرِنا ، وإنّك إنْ تصرِفنا بالزيادة فى أعطياتنا ، والفرائضِ لعيالاتنا ، يزدْ ذلك الشّريفَ منا تأميلاً ، وتكُنْ لذوى الأحساب أباً وَصُولا . وإنّا إنْ نكن مع ما نمتُّ به من فضائلك ، ونَدلى به مِنْ أسبابك(١) ، كالجُدِّ لا يُحَلُّ ولا يُرحَل(٢) ، نرجِعْ بأنفٍ مَصلومة ، وجُدودٍ عاثرة . فمِحْ من أهالينا(٣) بسَجْلٍ من
٣٢١ سِجالك المُتْرَعة .

وقام زيدُ بن جبلة فقال : يا أمير المؤمنين ، سَوِّدِ الشّريفَ وأكرِمِ الحسيب ، وازرَعْ عندنا من أياديك ما تسدُّ به الخَصاصَة ، وتَطرُد به الفاقة(٤) ، فإنّا بقُفٍّ من الأرض(٥) ، يابسِ الأكناف ، مقشعِرِّ الذِّروة ، لا شجرَ فيه ولا زرْع . وإنّا مِن العرب اليومَ إذ أتيناك ، بمرأًى ومَسمَع .

وقام الأحنف فقال : يا أمير المؤمنين إنّ مفاتح الخير بيد الله ، والحرصَ قائِد الحِرمان . فاتّق الله فيما لا يُغنى عنك يَوم القيامة قِيلاً ولا قالا ، واجعَلْ بينك وبين رعيّتك من [العدلِ] والإنصافِ سبباً(٦) يكفيك وِفادة الوفود ، واستماحةَ المُمتاح ؛ فإنّ كلَّ امرئ [إنّما] يجمع فى وعائه ، إلا الأقلَّ ممّن [عسى أن] تقتحمه الأعيُن ، وتخونَهم الألسن ، فلا يُوفَد إليك يا أمير المؤمنين(٧) .

---

(١) ل : « من فضائله » و « من أسبابه » .

(٢) الجد ، بالضم : البئر القليلة الماء ، والماء يكون فى طرف الفلاة . عى أنه ليس بموضع حلول وارتحال ، لقلة جدواه .

(٣) الميح : العطاء . فيما عدا ل : « فمحنا وأهالينا » .

(٤) فيما عدا ل : « نسد » و « ونطرد » بالنون .

(٥) القف ، بالضم : ما غلظ من الأرض وارتفع .

(٦) فيما عدا ل : « شيئا » .

(٧) بعد هذه ، فيما عدا ل ، خطبة الحجاج بعد دير الجماجم التى مضت فى ص ١٣٨ .

خطبة زياد

وخطب زياد فقال :

استوصوا بثلاثةٍ خيرا : الشريف ، والعالم ، والشيخ . فوالله لا يأتينى شريفٌ بوضيع استخَفَّ به إلاّ انتقمتُ له منه ، ولا يأتينى شيخٌ بشابٍّ استخَفَّ به إلا أوجعتهُ ضربا ، ولا يأتينى عالمٌ بجاهل استخفَّ به إلاّ نكّلتُ به(١) .

***

علىّ بن سليم ، قال : قال حاتمُ طيٍّ لعدىٍّ ابنِه : أىْ بُنىّ ، إن رأيتَ أنّ الشرّ يترُكُك إن تركتَه فاتركْه .

وقال عدىّ بن حاتم لابنٍ له : قم بالباب فامنعْ مَن لا تعرف ، وأْذنْ لمن تعرف . فقال : لا والله ، لا يكونَنّ أوّلَ شىء وَلِيته من أمْر الدنيا منعُ قومٍ من طعام(٢) .

وقال مدينىٌّ لعبد الملك بن مروان ، ودخل عليه بنوه : أراكَ الله فى بنيك ما أرى أباكَ فيك ، وأرى بنيكَ فيك ما أراكَ فى أبيك .

وقال بعض الأعراب وهو يرقِّص بعضَ أولاد الخلافة ويقول :

إنّا لنرجُوكَ لتِيكَ تِيكَا   لهـــا نرجِّيك ونَجتبيكا
هى التى نأمُل أن تأتيكا   وأن يَرَى ذاك أبوك فيكا
* كما رأى جَدُّك فى أبيكا(٣) *

***

---

(١) هنا فيما عدا ل موضع جملة : « فوالله لا يأتينى شريف .. » الخ .
(٢) فيما عدا ل : « من طعامك » .
(٣) هذا الخبر من ل فقط ، وهو ساقط من سائر النسخ .

وقال ابن شُبرُمة(١) : ذهب العلم إلاّ عباراتٍ فى أوعية سوء(٢) . ٣٢٢

الهيثم بن عدىّ ، عن ابن عيَّاشٍ ، عن أبيه(٣) قال : خرج الحجّاج إلى القاوسان(٤) فإذا هو بأعرابىّ فى زرع فقال له : ممَّن أنت ؟ فقال : من أهل عُمان . قال : فمن أىِّ القبائل ؟ قال : من الأزْد . قال : كيف عِلمُك بالزرع ؟ قال : إنّى لأعلم من ذلك علماً . قال : فأى الزرع خيرٌ ؟ قال : ما غَلُظَ قصبُه ، واعتمّ نبتُه ، وعظُمت حَبَّته ، وطالت سنبُلتُه . قال : فأىُّ العِنب خير ؟ قال : ما غَلُظ عموده ، واخضرّ عوده ، وعظم عُنقوده . قال : فما خير التمر ؟ قال : ما غَلُظَ لحاؤه ، ودقَّ نواه ، ورقّ سَحاه(٥) .

---

(١) هو عبد الله بن شبرمة ، تقدمت ترجمته فى (١ : ٩٨) .

(٢) كذا ورد فى جميع النسخ . والصواب : « غبرات » . والغبرة ، بضم الغين وتشديد الباء : البقية من كل شىء ، وكذلك الغبرة بالضم وتسكين الباء . وجاءت على الصواب الذى أشرت إليه فى جامع بيان العلم لابن عبد البر (١ : ١٣٥) .

(٣) ابن عياش ، هو عبد الله بن عياش ، المترجم فى (١ : ٢٦٠) . ل : « ابن عباس عن أبيه » تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « الفارسان » .

(٥) السحا ، بالفتح : جمع سحاة ، وهى القشرة .

باب

من اللغز فى الجواب

قالوا : كان الحطيئة يرعَى غنماً له ، وفى يده عصا ، فمرّ به رجلٌ فقال : يا راعيَ الغنم ما عندك ؟ قال : عجراء من سَلَمٍ[١] . يعنى عَصَاهُ . قال : إنّى ضيف . فقال الحطيئة : للضِّيفان أعددتُها .

قال ابنُ سليم[٢] : قال قيس بن سعد[٣] : اللهم ارزقْنى حمداً ومجداً ، فإنه لا حَمد إلاّ بِفعال ، ولا مجدَ إلاّ بمال .

وقال خالد بن الوليد لأهل الِحيرة : أخرِجُوا إلىَّ رَجلاً من عقلائكم أسأله عن بعض الأمور . فأخرجوا إليه عبد المسيح بن عمرو بن قيس بن حَيّان[٤] بن بُقيلة[٥] الغسّانى ، وهو الذى بنى القَصر[٦] ، وهو يومئذ ابن خمسين وثلثمائة سنة فقال له خالد : مِن أين أقصى أثرِك ؟ قال : مِن صُلب أبى ، قال : فمن أينَ خرجت قال : مِن بطن أمّى . قال : فعلام أنت ؟ قال : على الأرض . قال : ففيم أنت ؟ قال : فى ثيابى . قال : ما سنُّك ؟ قال : عَظمٌ . قال : أتعقِل ، لاعَقلتَ ؟ قال : إى

---

(١) العجراء : الكثيرة العجر ، أى العقد . والسلم ، بالتحريك : شجر .

(٢) هو على بن سليم ، سبق قريبا فى ص ١٤٥ س ٦ .

(٣) فيما عدا ل : « إن قيس بن سعد بن عبادة قال » .

(٤) فيما عدا ل : « حبان » صوابه فى ل والمعمرين ٣٧ . وأدرك عبد المسيح الإسلام ولم يسلم ، وكان نصرانيا . انظر أمالى المرتضى (١ : ١٨٨) .

(٥) فى الأصل « نفيلة » ، صوابه من المعمرين . قال السجستانى : « وخرج بقيلة فى ثوبين أخضرين ، فقال له إنسان ! ما أنت إلا بقيلة . فسمى « بقيلة » لذلك ، واسمه ثعلبة بن سنين . وانظر أمالى المرتضى (١ : ١٨٨) .

(٦) هو قصر بنى بقيلة ، كما ذكر المرتضى ، بناه بالحيرة . وأنشد السجستانى والمرتضى له :

لقد بنيت للحدثان قصراً ... لو ان المرء تنفعه الحصون
رفيع الرأس أقعس مشمخرا ... لأنواع الرياح به حنين

والله وأُقيِّد . قال : ابن كم أنت ؟ قال : ابن رجل واحد . قال : كم أتى عليك من الدهر ؟ فقال : لو أتى علىَّ شىء لقتلنى . قال : ما تزيدنى مسألتك إلا عُمًى[1] ؟ قال ما أجبتُك إلّا عن مسألتك . قال : أعربٌ أنتم أم نبط ؟ قال : عربٌ استنبطنا ، ونبط استعربنا . قال : أحربٌ أنتم أم سَلم ؟ قال : سَلم . قال : فما بال هذه الحصون ؟ قال : ٣٢٣ بنيناها للسَّفيه حتَّى يأتى الحليمُ[2] فينهاه . قال : كم أتت عليك سنة ؟ قال : خمسون وثلثمائة . قال : فما أدركتَ ؟ قال : أدركتُ سفنَ البحر تُرفَأُ إلينا فى هذا الجُرْفِ ، ورأيت المرأة من أهل الحِيرة تأخذ مِكتَلَها على رأسها ، ولا تتزوَّدُ إلاّ رغيفاً واحداً فلا تزال فى قُرًى مُخْصِبة متواترةٍ حتّى تَرِد الشام ، ثم قد أصبحتْ خراباً يَبَاباً ، وذلك دأْبُ الله فى العباد والبلاد .

قال : وأتى أزهَرَ بن عبد الحارث رجلٌ من بنى يربوع ، فقال : ألا أدخل . قال : وراءك أوسَعُ لك . قال : قد أحرقت الشَّمس رجلَىَّ[3] . قال : بُلْ عليهما [تبرُدا] . فقال : يا آل يربوع ! قال : ذليلاً دعوت . يا بنى دُرَيْص[4] ، أطعمتكم عاماً أوَلَ جُلَّةً[5] ، فأكلتم جُلَّتكم ، وأغرتم على جُلَّةِ الضِّيفان .

وقال الحجّاج لرجلٍ من الخوارج : أجمعت القرآن ؟ قال : أمُفرَّقاً[6] كان فأجمعَه . قال : أتقرؤه ظاهراً ؟ قال : بل أقرؤه وأنا أنظر إليه . قال : أفتحفظُه ؟ قال : أخشِيتُ فِراره فأحفظه . قال : ما تقول فى أمير المؤمنين عبد الملك ؟ قال :

---

(١) الغمى : الأمر الملتبس . ل : « عمى » ما عدا ل « غما » . والوجه ما أثبت .

(٢) فيما عدا ل : « حتى يأتى » .

(٣) فيما عدا ل : « إن الشمس أحرقت رجلى » .

(٤) دريص : مصغر درص ، بالكسر ، وهو ولد اليربوع ، ويقال أيضا لولد الفأر والقنفذ والهرة والكلبة والذئبة ونحوها . وفيما عدا ل : « حريص » تحريف .

(٥) الجلة ، بالضم : وعاء من خوص يوضع فيه التمر ويكنز .

(٦) فيما عدا ل : « أمفترقا » .

لعَنه الله ولعنَكَ معه . قال : إنك مقتول فكيف تلقَى الله ؟ قال : ألقى الله بعملِي وتلقاه أنت بدمى[١] .

وقال لقمان لابنه وهو يعظُه : يا بُنَىّ ، ازحَم العلماء برُكبتيك ، ولا تجادلهم فيمقُتوك ، وخُذْ من الدُّنيا بلاغَك ، وأبْقِ[٢] فُضول كسبك لآخرتك ، ولا ترفض الدُّنيا كلَّ الرفض فتكون عيالاً ، وعلى أعناق الرجال كَلاًّ ، وصُمْ صوماً يكسِرُ شهوتك ، ولا تصمْ صوماً يضرُّ بصَلاتك ، فإنَّ الصلاةَ أفضل من الصوم ، وكُن كالأب لليتيم ، وكالزَّوج للأرمَلة ، ولا تحابِ القريب ، ولا تجالس السَّفيه ، ولا تخالِطْ ذا الوجهين ألبتَّة .

وسمع الأحنفُ رجلاً يُطرى يزيد عند معاوية ، فلما خَرج من عنده استحَنْفَرَ فى ذمِّهما[٣] ، فقال له الأحنف : مَهْ ؛ فإن ذا الوجهين لا يكون عند الله وجيهاً .

٣٢٤ وقال سعيد بن أبى العَرُوبة[٤] : لَأنْ يكونَ لى نصفُ وجهٍ ونصفُ لسان ، على ما فيهما من قُبح المنظر وعَجز المَخْبَر ، أحبُّ إلىَّ من أن أكون ذا وجهين وذا لسانين ، وذا قولين مختلفين .

وقال أيّوب السَّخْتيانى[٥] : التَّام ذو الوجهين أحسنَ الاستماع ، وخالَفَ فى الإبلاغ .

***

---

(١) فيما عدا ل : « ألقاه بعملى وتلقاه بدمى » .
(٢) فيما عدا ل : « وأنفق » .
(٣) استحنفر الرجل فى منطقه : مضى ولم يتلبث .
(٤) سبقت ترجمته فى (١ : ٣٦٩) .
(٥) هو أيوب بن أبى تميمة السختيانى المترجم فى (١ : ١٩٢) . والسختيانى ، بفتح السين المهملة وكسرها ، نسبة إلى عمل السختيان وبيعها ، وهى الجلود الضانية . انظر السمعانى ٢٩٢ والقاموس (سخت) . و « سختيان » لفظة فارسية . معجم استينجاس ٦٦١ .

حفص بن صالح الأزدى[١] عن عامر الشَّعبى ، قال : كتب عمر إلى معاوية[٢] :

« أمّا بعد فإنِّى كتبتُ إليك بكتابٍ فى القَضاء لم آلُكَ فيه ونفسى خيراً . ألزَمْ خمسَ خصالٍ يسلمْ لك دينُك ، وتأخُذْ فيه بأفضل حظِّك : إذا تقدَّم إليك خَصمان فعليك بالبيِّنة العادلة ، أو اليمين القاطعة . وأَدْنِ الضعيف حتّى يشتدَّ قلبُه وينبسط لسانه . وتعهَّد الغريبَ ؛ فإنّك إن لم تتعهّدْه ترك حقَّه ، ورَجَع إلى أهله ؛ وإنما ضَيَّع حقَّه من لم يرفُقْ به . وآسِ بينهم فى لحظك وطرفك . وعليك بالصُّلح بين الناس ما لم يَستبِنْ لك فَصل القضاء » .

أبو يوسف ، عن العَرزمىّ[٣] ، عمَّن حدثه عن شُرَيح ، أن عمر بن الخطاب رحمه الله كتب إليه :

« لا تُشَارِ ولا تُمَارِ ولا تُضَارّ[٤] ، ولا تَبِعْ ولا تَبْتَع فى مجلس القضاء ، ولا تقضِ بين اثنين وأنت غضبان » .

وقال عمر بن عبد العزيز : إذا كان فى القاضى خمس خصال فقد كمل : علمٌ ما كان قبله ، ونزاهةٌ عن الطمَع ، وحِلْم عن الخصم ، واقتداءٌ بالأئمّة ، ومشاورة أهل الرأى .

---

(١) فيما عدا ل : « الأذرى » ، وهذه نسبة إلى « أذربيجان » .

(٢) عند ابن أبى الحديد (٣ : ١١٩) أن الكتاب وجهه عمر إلى أبى موسى الأشعرى وهو بالبصرة .

(٣) هو أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الله بن سليمان العرزمى الكوفى ، روى عن عطاء ومكحول ، وقتادة . وعنه شعبة ، والثورى ، وشريك وغيرهم . توفى سنة ١٥٥ . تهذيب التهذيب والسمعانى ٣٨٧ .

(٤) ولا تضار ، من ل فقط . على أن مأخذ هذا الكلام من الحديث : « فكان خير شريك لا يشارى ولا يمارى ولا يدارى » . فلعل « لا تضار » محرفة عن « لا تدار » . وفى اللسان (١٩ : ١٥٩) : « لا يدارى ، أى لا يدفع ذا الحق عن حقه » .

محمد بن حرب الهلالى قال[١] : لما وَلى يزيد بن معاوية سَلمَ بن زياد[٢] خُراسان ، قال له :

« إن أباك كَفَى أخاهُ عظيما ، وقد استكفَيتك صغيراً . فلا تتّكلَنّ على عُذرٍ منّى لك ، فقد اتّكلتُ على كفايةٍ منك . وإيّاكَ منّى قبل أنْ أقول إيّاى منك ؛ فإنّ الظنّ إذا أخلَفَ منّى فيك أخلَفَ منك فىّ[٣] . وأنت فى أدنى حَظّك فاطلب أقصاه . وقد أتعبَكَ أبوك ، فلا تريحنّ نفسَك . وكنْ لنفسك تكنْ لك ، واذكرْ فى يومك أحاديثَ غدِك ، تَسْعَد إنْ شاء الله .

ومما قالوا فى التشديق وفى ذكر الأشداق

٣٢٥ قال المازنىّ[٤] :

مَن كان يعلم أن بِشراً مُلصَقٌ ... فالله يَجزيه وربك أعلمُ[٥]
يُنبيك ناظرُه وقلّةُ لحمه ... وتشادُقٌ فيه ولونٌ أسحمُ
إنّ الصّريحَ المحضَ فيه دلالةٌ ... والعرقُ منكشِفٌ لمن يتوسّمُ
أمّا لسانُك واحتباؤكَ قاعداً ... فزُرارة العُدُسىّ عندك أعجمُ[٦]

---

(١) بدله فيما عدا ل : « قال الهلالى » .

(٢) هو سلم بن زياد بن أبي سفيان ، أحد أمراء الأمويين وولاتهم . ولاه يزيد خراسان وسجستان سنة ٦١ . ولما مات وخرج عبد الله بن الزبير يطلب لنفسه الخلافة ، قبض عليه وحبسه وطالبه بالمال ، ودخل عليه الفرزدق فى محبسه يشكو قلة المال ، ويطلب مهراً لزوجه النوار فأمر له بعشرين ألفا . وفيه يقول ابن عرادة :

عتبت على سلم فلما هجرته ... وخالطت أقواما بكيت على سلم

المعارف ١٥٢ ، والأغانى فى غير ما موضع ، والطبرى (٦ : ٦١) .

(٣) فيما عدا ل : « إذا أخلف منك أخلف منى فيك » .

(٤) فى الحيوان (٥ : ١٦٩) : « ومدح الممزق ، أبو عباد بن الممزق ، بشر بن أبى عمر ، فقال » . وأنشد الأبيات الخمسة .

(٥) الملصق : الدعى فى القوم وليس منهم بنسب .

(٦) الاحتباء : أن يجمع الرجل بين ساقيه وظهره بعمامة ونحوها ، وكذلك كان يفعل الأشراف . وزرارة بن عدس ، بضمتين ، جد جاهلى ، بنوه بطن من بنى دارم . وكان حكيما =

إنى لأرجو أن يكون مقالهم   زُوراً وشانئك الحسودُ المرغَمُ

وفى مثل ذلك يقول مَوْرَقٌ العبدىّ :

قد عَلِم الغربِىّ والمُشَرِّقُ   أنك فى القوم صميمٌ مُلصَقُ[١]

عُودَاك نبعٌ وهشيمٌ بَرْوَقُ[٢]   وأنت جَدبٌ وربيعٌ مُغْدِق

وأنت ليلٌ ونهار مُشْرِقُ   لولا عجوز قحمةٌ ودَرْدَقُ[٣]

وصاحبٌ جَمٌّ الحديثِ مُونِقُ   كيف الفواتُ والطَّلوبُ مَوْرَقُ

شيخٌ مَغيظٌ وسِنَانٌ يَبْرُقُ   وحَنْجَرٌ رَحبٌ وصوتٌ مِصْلَقُ

وشِدْقُ ضرغامٍ ونابٌ يَحرُقُ[٤]   وشاعرٌ باقى الوُسوم يُمْلِقُ[٥]

= من قضاة تميم . وهو والد لقيط بن زرارة . والأعجم : الذى لا يكاد يبين . جعله أفصح من زرارة .

(١) جعله مخلطا ، وقد جمع بين العتق والهجنة .

(٢) البروق : نبت ضعيف له ثمر حب أسود صغار ، يضرب به المثل فى الضعف فيقال « أضعف من بروقة » .

(٣) القحمة : الكبيرة المسنة . ل : « رحة » تحريف . والدردق ، بفتح الدالين : الصبيان الصغار .

(٤) حريق الناب : صريفه ، وهو صوت احتكاكه بآخر ، يكون ذلك فى الغيظ والغضب ، يقال حرق ناب البعير ، وحرق البعير نابه .

(٥) عنى بالوسوم آثار هجوه فى الناس .

باب

فى صفة الرائد للغيث ، وفى نعته للأرض

قال أبو المجيب[١] : وصف رائدٌ أرضا جَدْبةً فقال : « اغبرّت جادّتُها ، ودُرِّعَ مَرتعُها[٢] ، وقَضِمَ شجرُها[٣] ، ورقّت كرِشُها ، وخَوِر عظمها[٤] ، والتقى سَرْحاها[٥] ، وتميّزَ أهلُها ، ودخل قلوبَهم الوَهَل ، وأموالهم الهزل[٦] » .

الجادّة والحَرَجة والمَجَبّةُ معناه كلُّه : وسط الطريق ومُعظَمُه ومَنهجُه[٧] .

والتقى سَرْحاها ، يقول : إذا أكل كلُّ سارحٍ ما يليه التقيا عند الماء ، وإذا لم يكن للجمال مَرْعى إلاّ الشّجر وحده رقّت أكراشُه . وقوله تميّزَ أهلها ، تفرّقوا فى طلب الكلأ . ومرتعٌ مُدرَّع[٨] ، إذا كان بعيدا من الماء . ومرتعٌ قاصِرٌ ، للقريب ، ويقولون ماء مُطْلِبٌ وماء مُطنِبٌ[٩] ، إذا ألجأم إلى طلبه من بُعده . ٣٢٦

***

ووصف أعرابىٌّ أرضاً أحْمَدها فقال : « خَلَع شِيحُها ، وأبقل رِمْثُها ، وخَضَبَ

(١) سبقت ترجمته فى (١ : ٣٧٣) . والخبر التالى فى مجالس ثعلب (١ : ٣٦٠) .

(٢) فيما عدا ل : « ذرع » بالذال المعجمة ، تحريف .

(٣) كذا ضبط فى اللسان (سرح) حيث روى بعض الخبر . وهو من القضم ، وأصله تفلل الأسنان وتكسرها .

(٤) يقال خور خورا ، كتعب تعبا : ضعف وانكسر .

(٥) السرح ، بالفتح : المال الراعى .

(٦) الهزل ، بالفتح والضم : الهزال ، وهو نقيض السمن .

(٧) بدل هذا فيما عدا ل : « قال : الجادة الطريق إلى الماء . والجمع جواد » . والحرجة تقال بالحاء والجيم ، وبجيمين ، وبخاء معجمة وجيم . انظر اللسان (جرج ، حرج ، خرج) .

(٨) فيما عدا ل : « مذرع » تحريف .

(٩) فى الأصل ، وهو ل : « مطلوب » تحريف ، صوابه مما عدا ل .

عَرفجُها ، واتسق نبتُها ، واخضرّت قُريانها[١] ، وأخْوَصَت بُطنانها[٢] ، واستحلَسَتْ آكامُها[٣] ، واعتمّ نبت جراثيمها[٤] ، وأجْرَتْ بَقْلتُها[٥] وذُرَقَتُها وخُبّازتها[٦] ، واحورّت خواصِر إبلِها ، وشَكِرت حلوبتُها ، وسَمِنت قَتُوبتُها[٧] ، وعَمِدَ ثَرَاها ، وعَقِدت تناهيها ، وأماهَتْ ثِمادُها[٨] ، ووثِقَ النّاس بصائرتها[٩] » .

قال : يقال : خَلَع الشِّيحُ ، إذا أوْرَقَ . والخالع من العِضاه : الذى لا يسقط ورقه أبداً كالسِّدر ، فإنّه لا يتجرّد ، وكلُّ شجرٍ له شوكٌ فهو عِضاهٌ ، والواحد عِضَةٌ ، إلاّ القتادَ . ولا يُعْبِلُ إلاّ الأرطى . وأخْوَصَتْ بُطنانها ، إذا نبَتَ فيه قُضبانٌ دِقاقٌ ، وخَضَب عرْفجُها ، يقول : اسودّ . [وأخوصَ الشّجر ، وهو الذى لا شوكَ له . ومن العضاهِ قشره وقِصَدُه . فإذا يبست فهى عُود] . واتّسق نبتُها ، أى تتامّ . وأجْرَت بَقْلتُها ، أى نبَت فيها مثل الجِراء . والعُلّفة : ثمرة الطّلْح ، والحُبلةُ للسَّلَم[١٠] . واحورّت خواصر إبلها ، يقول : استرخت عن كثرة الرّعى[١١] . وشكِرَت حلوبتها[١٢] ، يقول غزُرت[١٣] ، يقال : شَكِرَت الإبلُ والغنم ، إذاتملأت

(١) القريان ، بالضم : جمع قرى ، على فعيل ، وهو مجرى الماء فى الروض .

(٢) البطنان ، بالضم : جمع بطن ، وهو ما غمض من الأرض واطمأن .

(٣) استحلست : اخضرت واستوى نباتها .

(٤) اعتم النبت : التف . الجراثيم : أماكن مرتفعة عن الأرض مجتمعة ، من تراب وطين .

(٥) ل : « أجلت » تحريف .

(٦) الذرقة : نبت مثل الكرات الجبلى . والخبازة : واحدة الخباز ، وهو بقل معروف عريض الورق . وأجرت : ظهرت جراؤها ، وهى ثمارها .

(٧) الحلوبة : الناقة تحلب . والقتوبة : الناقة يوضع عليها القتب .

(٨) الثماد : الحفر يكون فيها ماء قليل . أماهت : كثر ماؤها .

(٩) فيما عدا ل : « بصائرها » . تحريف . انظر اللسان (٦ : ١٤٨) .

(١٠) أتى بذكر العلفة والحبلة سوقاً لبيان أنواع من الثمار . ل : « والحلبة » تحريف .

(١١) بدلها فيما عدا ل : « تشد أحناؤها على خواصرها حتى لا تحبط . والحبط : انتفاخ بطنها من مرعى ترعاه . وقيل للنبى صلى الله عليه وسلم : أيضر الغبط ؟ قال : نعم ، كما يضر الخبط » . وفيه تحريف . انظر اللسان (غبط) ورسالة الحور العين ٧ .

(١٢) هذه الكلمة من ل فقط .

(١٣) التفسير بعد هذه الكلمة إلى « وقوله عمد ثراها » من ل فقط .

من الربيع ، وهى إبلٌ شَكارَى ، و يقال ضَرَّةٌ شَكْرَى ، إذا امتلأتْ من اللبن ، والضَّرَّة : أصل الضَّرع . وقوله : عَمِد ثَرَاها ، وذلك إذا قبضتَ منه على شىء فتعقّد ، واجتمع من نُدُوَّته . يقال عَمِدَ الثرى يَعْمَدُ عَمَداً ، وهو ثَرًى عَمِدٌ . [فالعَمَد : أن يجاوزَ الثَّرى المنكِب ، وهو أن يقيس الماء بالمرفق فيقول : بلغت وضح الكفّ ، ثم الرُّسغ ، ثم العظمة ، ثم المرفق ، ثم يَنصُف العضُد ، ثم يبلغ المنكب . فإذا بلغ المَنْكِب قيل عَمِد الثَّرى . فيقال إن ذلك حَيَا سنينَ] . والتَّنَاهى ، واحدتها تَنْهِيَةٌ ، وهى مستقَرّ السَّيلِ وحيث ينتهى الماء . وعَقَدُها : أن يَمرَّ السَّيلُ مُقبلاً حتّى إذا انتهى منتهاه دار بالأباطح ، حتّى يلتقى طرفا السَّيل . والصائرة : الكلأُ والماء .

***

٣٢٧ قالوا : قاتلْ الحجّاجُ ابنَ الأشعث فى المِرْبَد ، فخطب ابنُ الأشعث فقال : « أيُّها النّاس ، إنّه لم يبقَ من عُدوّكم إلاّ كما يبقى من ذنب الوزَغة ، تضرب بهِ يميناً و شِمالا ، فما تلبَثُ أن تموت » .

فمرَّ به رجلٌ من بنى قُشَير فقال : قبَح الله هذا ورأيَهُ ، يأمر أصحابَه بقلّة الاحتراس من عدوّهم ، و يَعِدهم الأضاليل ، و يمنِّيهم الأباطيل .

وناسٌ كثيرٌ يرون أنّ الأشعث هو المحسن دون القشيرىّ .

***

وقال بشّار :

وحَمدٍ كعَصْبِ البُرْدِ حَمّلت صاحبى　　إلى مَلكٍ للصّالحات قرينِ[1]

وقال أيضا :

و بِكرٍ كنُوّار الرِّياض حديثُها　　يروق بوجهٍ واضحٍ وقَوامِ

***

---

(١) العصب : ضرب من برود اليمن . أضاف الصفة إلى الموصوف .

أبو الحسن قال : كان معاويةُ يأذن للأحنف أوّلَ من يأذَن له ، فأذِن لهُ يوماً ، ثم أذِن لمحمّد بن الأشعث حتّى جلس بين معاوية والأحنف ، فقال له معاوية : لقد أحسَسْتَ من نفسك ذُلاًّ . إنّى لم آذَنْ له قبلك إلاّ ليكون إلىّ فى المجلس دونَك ، وإنّا كما نملك أمورَكم كذلك نملك تأديبكم ، فأريدوا ما يُراد بكم ؛ فإنه أبقى لنعمتكم ، وأحسنُ لأدبكم » .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم لأُصَيلٍ الخُزاعىّ(١) : « يا أُصَيل ، كيف تركت مكة ؟ » . قال : « تركتُها قد أحْجَن ثُمامُها ، وأمْشَرَ سَلَمها ، وأعذَقَ إذخِرُها(٢) » . فقال عليه السلام : « دَعِ القُلوبَ تَقِرّ »

وسأل أبو زيادٍ الـكلابىُّ الصَّقيلَ العُقَيْلىّ ، حين قدم من البادية ، عن طريقه ، قال : انصرفتُ من الحج فأصعدْتَ إلى الرَّبذة(٣) فى مَقاطِّ الحَرَّة(٤) ، ووجدت صِلالاً من الرَّبيع(٥) ، من خَضيمةٍ حَمْضٍ ، وصِلّيانٍ ، وقَرْمَلٍ(٦) ، حتّى لو شئتُ لأنخت إبلى فى أذراء القَفْعاء(٧) ، فلم أزَلْ فى مَرْعًى لا أُخِسُّ(٨) منه شيئاً حتّى بلغتُ أهلى .

---

(١) هو أصيل بن سفيان — وقيل ابن عبد الله — الهذلى ، وقيل الغفارى ، وقيل الخزاعى . وأصيل ، بالتصغير . وفى الإصابة : « قدم أصيل الخزاعى على رسول الله من مكة قبل أن يضرب الحجاب على أزواج رسول الله فقالت له عائشة : كيف تركت مكة ؟ قال : اخضرت أجنابها ، وابيضت بطحاؤها ، وأعذق إذخرها ، وأمشر سلمها . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حسبك يا أصيل لا تحزنا » .

(٢) أحجن ، أى بدا ورقه . وأمشر : خرج ورقه واكتسى به . أعذق : صار له عذوق وشعب ، وقيل أزهر . والحديث فى اللسان (مشر ، عذق ، حجن) .

(٣) الربذة ، بالتحريك : قرية قرب المدينة .

(٤) مقاط الحرة : منقطعها . وأراد بالحرة حرة المدينة .

(٥) الصلال : جمع صلة ، بالفتح ، وهى القطعة المتفرقة من العشب .

(٦) الخضيمة : النبت إذا كان رطبا أخضر . فيما عدا ل : « خضمة » تحريف .

(٧) ل : « لأنخت » صوابه فى سائر النسخ . والأذراء : جمع ذرى بالفتح والقصر ، وهو كل ما استترت به . فيما عدا ل : « أذن » تحريف . والقفعاء ، بتقديم القاف : حشيشة خوارة . وفى النسخ : « الفقعاء » بتقديم الفاء ، تحريف . كنى عن ارتفاع العشب .

(٨) أخس الشىء : وجده خسيسا . فيما عدا ل : « أحسن » تحريف .

وقال سَلاَّم الـكلاَبىّ : رأيتُ ببطن فَلْجٍ منظراً من الـكلأ لا أنساه ، وجدت الصَّفْرَاءَ والخزامَى تضرِبان نحورَ الإبل ، تحتهما قَفْعاء[١] وحُرْبُثٌ[٢] قد أطاعَ ، وأمسكَ بأفواه المال — أى لا تقدر أن ترفع رءوسها — وتركت الُحوران ناقعةً فى الأجارع[٣] » .

٣٢٨ وذمَّ أرضًا فقال : « وجدنا أرضاً ماحلةً مثل جلدِ الأجرب ، تصأى حَيّاتها[٤] ، ولا يسكُت ذئبها ، ولا يقيِّد راكبُها » .

وقال النَّضر : قلت لأبى الخُضَير[٥] : ما أعجبُ ما رأيت من الخِصب ؟ قال : كنت أشرب رثيئة تجرُّها الشَّفتان جرًّا[٦] ، وقارصا قُمارِصا[٧] إذا تجشأت جدع أنفِى ، ورأيتُ الـكَمْأة تدوسها الإبل بمناسمها ، والوضر يشمُّه الـكلبُ فيَعْطِسُ .

وقال الأصمعى : قال المنتَجع بن نبهان : قال رجل من أهل البادية : كنت أرى الـكلب يمرُّ بالخَصَفة عليها الُخلاصة[٨] فيشمُّها ويمضى عنها .

محمد بن كُنَاسة ، قال : أخبرنى بعضُ فصحاء أعرابِ طيِّئ قال : بعثَ

---

(١) ل : « تحتهما » . وفى النسخ « فقعاء » صوابه بتقديم القاف .

(٢) الحربث ، بضم الحاء والباء . فيما عدا ل : « حريث » تحريف .

(٣) الحوران ، بالضم : جمع حوار بالضم والـكسر ، وهى ولد الناقة من حيث يوضع إلى أن يفصل فيسمى فصيلا . ويجمع الحوار أيضا على أحورة وحيران . ناقعة : راوية ؛ يقال نقع أى روى . والأجارع : جمع أجرع ، وهو الرملة السهلة .

(٤) صأى يصأى : صاح . فيما عدا ل : « تصىء » ، وهى صحيحة ، يقال صاء يصىء : صاح .

(٥) ل : « لأبى الحصير » .

(٦) الرثيئة : اللبن الحامض يحلب عليه فيخثر .

(٧) القارص : اللبن يحذى اللسان ، والقمارص مثله ، وفيه إتباع وإشباع . فيما عدا ل : « ممارصا » تحريف .

(٨) الخصفة ، بالتحريك : وعاء من الخوص يكنز فيه التمر ، وهو جلة التمر . والخلاصة بالضم والـكسر : السمن الخالص .

قومٌ رائداً فقالوا : ماوراءك ؟ قال : عُشب وتَعاشيب ، وكَمْأة متفرِّقة شيبٌ ، تقلعُها بأخفافها النِّيب (١) » . فقالوا له : لم تصنع شيئاً . هذا كذب . فأرسلوا آخرَ فقالوا : ما وراءك ؟ قال : « عشب ثأدٌ مأد (٢) ، مَولىٌّ عَهْد (٣) ، متدارك جَعد (٤) ، كأفخاذ نساء بنى سعد ، تشبع منه الناب وهى تعدْ (٥) » .

قال : لأنّ النبْت إذا كان قليلاً وقفت عليه الإبل ، وإذا كان كثيراً أمكنها الأكلُ وهى تعدُو .

قال : وبعث رجلٌ أولادَه يرتادون فى خِصْب ، فقال أحدهم : « رأيت [بقلاً و] ماءً غَيلاً ، يسيل سيلاً ، وخُوصةً تميل مَيْلاً (٦) ، يحسبُها الرّائد ليلا » . وقال الثانى : « رأيت ديمةً على ديمةٍ ، فى عِهادٍ غير قديمة (٧) ، وكلأً تشبع منه النّاب قبل الفطيمة (٨) » .

وقال أبو مُجيب : قيل لأوفَى بن عُبَيد : ايتِ وادىَ كذا وكذا فارتَدْه لنا . فقال : « وجدت به خُشُباً هَرْمَى (٩) ، وعُشْباً شَرْمًا (١٠) » .

---

(١) الشيب : البيض . والنيب : جمع ناب ، وهى الناقة المسنة .

(٢) الثأد : الندى . والمأد : اللين الناعم .

(٣) العهد : مطر بعد مطر ، والمولى : الذى سقاه الولى ، وهو المطر بعد مطر .

(٤) الجعد : المجتمع بعضه إلى بعض .

(٥) تعد ، أى تعدو ، حذف الواو للسجع ، والنحاة يأبون حذف الواو والياء من آخر الفعل إلا ما كان فى فاصلة من القرآن أو قافية من الشعر . قال الله : « والليل إذا يسر » وأجاز الفراء الحذف فى سعة الكلام لكثرة ما ورد من ذلك . ومنه : « ذلك ما كنا نبغ » . همع الهوامع (٢ : ٢٠٦) .

(٦) الخوصه من نبات الصيف : ما نبت على أرومة .

(٧) العهاد : الحديثة من الأمطار ، جمع عهد . وانظر مجالس ثعلب (١ : ٣٤٣) والمخصص (٩ : ١٢٢) واللسان (٤ : ٣٠٨) .

(٨) فى جميع النسخ : « العظيمة » تحريف ، صوابه فى المصادر المتقدمة . والناب : المسنة من النوق . وفى اللسان : « فسره ثعلب فقال : معناه هذا النبت قد علا وطال فلا تدركه الصغيرة لطوله ، وبقى منه أسافله فنالته الصغيرة » .

(٩) الخشب ، بالضم وبضمتين وبالتحريك : جمع خشبة . والهرمى : جمع هرم .

(١٠) رسمت فى النسخ : « شرمى » وإنما هى مفرد منصوب . انظر اللسان (شرم ٢١٤) حيث أورد النص .

قال : والهَرْمى : الذى ليس له دُخان إذا أُوقد ، من يبسه وقِدمه . والشرْم[١] : العُشب الضخم . يقال : هذا عُشْب شَرْمٌ .

وقال هَرِم بن زيد الكلبى : إذا أحْيَا النّاسُ قيل : «قد أكلَات الأرض ، واحرَنفَشت العنزُ لأختها ، ولَحِسَ الكلبُ الوَضَر » .

قال : واحرِنفاش العنز : أن ينتفش شعرُها ، وتَنصِب رَوْقَيها فى أحدْ ٣٢٩
شِقَّيْها لتنطح صاحبتها ، وإنّما ذلك من الأشَر ، حين ازدُهيت وأعجبتها نفسُها[٢] . ولحِسَ الكلبُ الوضر ، [لِمَا يُفضِلون منه] ؛ لأنّهم فى الجدب لا يَدَعون للكلب شيئاً يلحَسُه .

وقال أبو مجيب : إذا أجدب الرّائد ، قال : « وجدت أرضاً أرْمَى ، وأرضاً عَشْمَى » .

فأمّا العَشْمَى : فالتى يُرَى فيها الشّجر الأعشم ، وإنّما يَعْشَم من الهَبْوة . ويقال للشّيخ إنّما هو عَشَمةٌ ؛ لاستِشنان جلدِه ، وجُفوف رأسه ، وثُلوب جسمِه[٣] . فأما الأرْمَى فالتى قد أُرمت ، فليس فيها أصلُ شجَر .

قال أبو عبيدة : قال بعضُ الأعراب : « تركت جُرَادَ[٤] كأنها نعامةٌ بارِكة[٥] » . يريد التفاف نبتها . وهى من بلاد بنى تميم[٦] .

---

(١) فيما عدا ل . « والشرمى » تحريف .

(٢) فيما عدا ل : « حين ازدهت وأعجبتها أنفسها » .

(٣) الكلام بعد « عشمة » إلى هنا من ل فقط . وفى اللسان : « ثلب جلده ثلبا إذا تقبض » .

(٤) جراد ، بالضم بوزن غراب ، كما نص ياقوت فى معجم البلدان . وقال : « ماء فى ديار بنى تميم » . وأورد الخبر . وبعدها فيما عدا ل : « عراد » وهذه كلمة مقحمة . والخبر فى اللسان (جرد) كذلك .

(٥) فى معجم البلدان : « جاثمة » .

(٦) فيما عدا ل : « من نبت بلاد بنى تميم » وكلمة « نبت » مقحمة .

وقيل لأعرابيّ : ما وراءك ؟ قال : « خَلّفتُ أرضاً تتظالم مِعزاها[١] » . يقول : سمنت وأشِرت فتظالمت .

وتقول العرب : « ليس أظلمُ من حيّـةٍ » وتقول : « هو أظلم من وَرَلٍ » و « أظلم من ذئبٍ » ، كما تقول : « أغدر من ذئب » ، وكما يقولون : « أكسب من ذئب » . قال الأسديّ[٢] :

لعمرُكَ لو أنّى أخاصمُ حَيَّةً ⁂ إلى فقعسٍ ما أنصفتنى فقَعسُ[٣]

إذا قلتُ ماتَ الدّاء بينى و بينهم ⁂ أتى حاطبٌ منهم لآخر يَقبِسُ[٤]

فما لـكم طُلْساً إلىّ كأنكم ⁂ ذئابُ الغَضَى والذِّئب بالليل أطلس[٥]

وقال الفَزاريّ[٦] :

ولو أخاصمُ أفعَى نابُها لثقٌ ⁂ أو الأساودَ من صُمّ الأهاضيب[٧]

أوْ لو أخاصمُ ذئبا فى أكيلتِهِ ⁂ لجاءنى جمُعُهم يسعى مع الذِّيبِ[٨]

يقول : بلغ مِن ظُلم قومنا لنا ، أنّا لو خاصمنا الذئابَ والحيّاتِ ، و بهما يضربون المثل فى الظلم ، لقضَوا لهما علينا .

وقالت العرب « إذا شبِعت الدَّقيقة لَحِست الجليلة » هذا فى قلّة العُشْب ، ٣٣٠ و إنّما تلحسه النّاقة لقلّته وقِصَره .

---

(١) فيما عدا ل : « تظالم معزاها » .

(٢) هو مضرس بن لقيط الأسدى ، كما فى الحيوان (٤ : ١٥١) . ونسبه البحترى فى حماسته ٣٨٠ إلى عامر بن لقيط الأسدى . وهذه النسبة الأخيرة فى محاضرات الراغب (١ : ١٧٤) .

(٣) هو فقعس بن طريف ، أبو حى من قبيلة أسد .

(٤) فى الحيوان : « سعى حاطب » .

(٥) الطلس : جمع أطلس ، وهو الذى فى لونه غبرة إلى سواد .

(٦) فى الحيوان (٤ : ١٥١) : « وقال حريز بن نشبه العدوى ، لبنى جعفر بن كلاب » .

(٧) لثق : مبتل بما ينطف من السم .

(٨) الأكيلة : شاة تنصب ليصاد بها الذئب ونحوه .

وحدّثني[١] أبو زيادٍ الكلابيّ قال : بعث قومٌ رائداً لهم بعد سِنين تتابعت عليهم ، فلما رجَع إليهم قالوا له : ما وراءك ؟ قال : « رأيت بَقلاً يَشبع منه الجملُ البَرُوك ، وَتَشَكَّتْ منه النِّساء ، وهَمَّ الرَّجل بأخيه »[٢] .

أمّا قوله : « الجمل البَروك » فيقول : لو قام قائماً لم يتمكّن منه لِقصَرِه . وأما قوله « وتشكّت منه النِّساء » فإنه مأخوذ من الشَّكوة[٣] ، وجمع الشكوة شِكاء ، والشَّكوة : مَسْك السَّخْلةِ ما دامت تَرْضع . والشِّكاء أصغر من الوِطَاب . يقول : لم يكثر اللبن بعدُ فيُمخَضَ في الوِطاب . وقوله : « وهمَّ الرجل بأخيه » أي همّ أن يدعوه إلى منزله كما كانوا يصنعون في أيام الخِصب . وقال غيره : الخِصب يدعو إلى لمب الطوائل ، وغزْو الجيران ، و إلى أن يأ كل القويُّ مَن هو أضعفُ منه .

وقالوا في الكلإ : كلأٌ تشبع منه الإبل مُعَقَّلة ، وكلأٌ حابِس فيه كمُرْسِل . يقول : مِن كثرته سواء عليك أحبَستها أم أرسلتَها .

و يقولون : « كلأٌ تَيْجَعُ منه كبدُ المُصْرِم[٤] » .

وأنشد الباهليّ :

ثم مُطِرْنَا مطــرةً رويَّهْ فنبتَ البقـلُ وَلاَ رَعِيَّـهْ[٥]

وأنشد الأصمعيّ :

---

(١) فيما عدا ل : « وحدثنا » .

(٢) انظر الخبر في مجالس ثعلب (١ : ٣٥١ — ٣٥٢) .

(٣) ما بعد هذه إلى « ترضع » من ل فقط .

(٤) المصرم : القليل المال ، أصرم إصراما ، إذا ساءت حاله . تيجع : يلحقها الوجع ، تقال بفتح التاء وكسرها أيضا . كما يقال توجع وتاجع . ل : « تنجع » وفيما عدا ل « يتجمع » صوابهما ما أثبت من اللسان (صرم ٢٣١) . قال : « أى إنه كثير فإذا رآه القليل المال تأسف ألا تكون له إبل كثيرة يرعيها فيه » .

(٥) الرعية : الماشية الراعية . والبيتان فى اللسان (رعى) .

فجُنِّبَت الجيوشَ أبا زُنَيْبٍ وجادَ على مسارحك السَّحابُ[١]

يجوز أن يكون دعا عليه ، ويجوز أن يكون دعَا له[٢] . وقال الآخر :

أمرعت الأرضُ ، لو أنّ مالاَ لو أنّ نوقًا لك أو جِمالاَ !

أو ثلّةً من غنمٍ إمّا لا[٣]

وقال ابن الأعرابيّ : سأل الحَجّاج رجُلاً قدِم من الحجاز عن المطر ، فقال : « تتابعت علينا الأسمية[٤] حتى مَنَعَتِ السُّفّار[٥] ، وتَظَالَمت المِعزى[٦] ، واحتلَبَت الدِرَّةُ بالجِرَّة[٧] » .

لقيط ، قال : دخل رجلٌ على الحجاج فسأله عن المطر ، فقال : ما أصابنى ٣٣١
من مطر ، ولـكنِّى سمعتُ رائداً يقول : « هلمّ أُظْعِنْكم إلى مَحَلّةٍ تَطفأ فيها النِّيران ، وتتنافس فيها المِعزى ، وتبقى بها الجِرّة حتَّى تنزل الدِّرَّة » .

أبو زيد ، قال : تخاصَمت امرأتانِ إلى ابنة الخُسِّ فى مراعِى أبوَيهما ، فقالت

---

(١) البيت فى اللسان (زنب) ومعانى الشعر للأشناندانى ١٠٨ والعمدة (٢ : ١٥٢) . وفى اللسان أن « زنيب » تصغير زينب بعد الترخيم . وروايته في العمدة : « تجنبك الجيوش أبا خبيب » .

(٢) فيما عدا ل : « دعاء » فى الموضعين . وفى العمدة : « إن دعا له فإنما أراد أن يعافى من الجيوش ، وأن يجوده السحاب فتخصب أرضه . وإن دعا عليه قال : لا بقى لك خير تطمع فيه الجيوش ، فهى تتجنب ديارك لعلمهم بقلة الخير عندك ، ويدعو على محلته بأن تدرسها الأمطار . وقال غيره : معناه جاد على محلتك السحاب فأخصبت ولا ماشية لك ، فذلك أشد لهمك وغمك » .

(٣) أى إما لا يكن لك نوق أو جمال .

(٤) الأسمية : جمع سماء ، وهو المطر .

(٥) السفار : جمع سافر ، وهو المسافر . وليس للسافر فعل . والسفار ، وردت هكذا فى الأصل واللسان (٥ : ٢٠٠) والمخصص (١٠ : ١٨٢) . وفى مجالس ثعلب (١ : ٣٣٩) وصفة السحاب ص ٣٧ ليدن : « فغيبت الشفار » ، وقال ابن دريد : « قوله غيبت الشفار ، يريد أخصبت الناس ولم يذبحوا الغنم والإبل » .

(٦) انظر ما سبق فى ص ١٦٠ س ١ . فيما عدا ل : « وظالمت » تحريف .

(٧) فى اللسان فقط : « واجتلبت » بالجيم . وقال : « اجتلاب الدرة بالجرة : أن المواشى تتملأ ثم تبرك أو تربض ، فلا تزال تجتر إلى حين الحلب » .

الأولى : إبلُ أبى ترعى الإسليح(١) . فقالت ابنة الخُسِّ : رِغوةٌ وصَريح ، وسَنامٌ إطريح(٢) . وقالت الأخرى : مَرعى إبل أبى الخَلَّة . قالت ابنة الخسِّ : سريعة الدِّرَّة والجِرَّة .

وقال الأحْوص بن جعفر(٣) بعد ما كان كِبر وعمى ، و بنوهُ يَسُوقون به : أىّ شىء ترتعى الإبل ؟ فقالوا : الثُّمام والضَّعَة(٤) ، ثم إنَّها عادت فارتعت بمكان آخر ، فقال : أىَّ شىء ترتعى الإبل ؟ قالوا : العِضَاهُ والقِضَةُ(٥) . قال : عُود ، عُودٌ(٦) شِبْعٌ بعيدٌ . وقال : سُوقوا . حتّى إذا بلغوا بلدًا آخر قال : أىَّ شىء ترتعى الإبل ؟ قالوا : نَصِيًّا وَصِلِّيانًا . قال : مَكفِتةٌ لرُغاها(٧) ، مَطولةٌ لذُراها ، ارْعَوا واشبعوا . ثمّ سألهم فقال : أىَّ شىء ترتعى الإبل ؟ فقالوا : الرِّمْث . قال : خُلِقَت منه وخُلِق منها .

قال أبو صاعد الكلابىّ : وزعم النّاس أنّ أوّل ما خُلقت الإبل خُلقت من الرِّمث . وعلامة ذلك أنك لا ترى دابّةً تريده إلاّ الإبل .

قال : وقيل لرُؤْبة: ما وراءك ؟ قال : الثَّرى يابس ، والمرعى عابس .

---

(١) الإسليح : بقلة من أحرار البقول تنبت فى الشتاء ، تسلح الإبل إذا استكثرت منها .

(٢) الخبر إلى هنا فى اللسان (سلح ، طرح) مع بعض نقص . والإطريح : الذى طال ثم مال فى أحد شقيه .

(٣) الأحوص ، بالحاء المهملة . وفى الاشتقاق ١٨٠ : « ومنهم — أى من بنى جعفر بن كلاب — الأحوص بن جعفر بن كلاب ، كان سيدا ، وهو الذى هجاه الأعشى فقال :

أتانى وعيد الحوص من آل جعفر فياعبد عمرو لو نهيت الأحاوصا

والحوص : ضيق العين » . فيما عدا ل : « الأخوص » تحريف .

(٤) فيما عدا ل : «عرف الثمام والضعة» . والضعة : شجر ضعيف مثل الثمام . وقد اضطرب اللغويون فى اشتقاقه من وضع أو ضعو .

(٥) القضة ، بكسر القاف وتخفيف الضاد : نبتة سهلية . ومادتها (قضى) . ل : « العضة » تحريف ، فإن هذه واحدة العضاه .

(٦) فيما عدا ل : « عود عويد » .

(٧) مكفتة لرغاها ، أى تمنعها من الرغاء . فيما عدا ل : « مكفية لرعائها » تحريف .

قال : وقالت امرأةٌ من الأعراب : أصبحنا ما ترقُد لنا فرس ، ولا ينام لنا حَرَسٌ .

قالوا : كان أبو المجيب كثيراً ما يقول : لا أرى امرأةً تَصْبِر عينيها[١] ، ولا شريفا يَهنأُ بعيراً[٢] ، ولا امرأةً تلبس نِطَاقَ يَمْنةٍ[٣] .

وخَطَب بلالُ بن أبى بُردة بالبصرة ، فعَرف أنّهم قد استحسنوا كلامه ، فقال : « أيُّها الناس لا يمنعنّكم سوء ما تعلمون مِنّا أن تقبلوا أحسنَ ما تسمعون منّا » .

وقال عمر بن عبد العزيز : ما قومٌ أشبَهَ بالسلف من الأعراب ، لولا جفاءٌ فيهم .

وقال غيلان أبو مروان[٤] : إذا أردتَ أن تتعلّم الدعاء ، فاسمع دعاء الأعراب .

وقال رجل من بنى سُلَيم ، وسأله الحجاج عن المطر فقال ؟ أصابَتْنا سحائبُ ثلاث : سحابةٌ بحَوْران[٥] بقَطرٍ صِغار وقطرٍ كبار ، فكان الصِّغار للكبار لُحْمةً . ثم أصابَتْنا الثانية بسُواء[٦] فلبّدت الدِّماث[٧] ، ودَحَضت العَزاز[٨] ٣٣٢ وصَدَعت الكَماةَ عن أماكنها . ثم أصابتنا الثالثة بالقَرْيتين[٩] فملأت

---

(١) تصبر عينيها : تحبسهما عن النظر واختلاسه .

(٢) هنأ البعير ، طلاه بالهناء ، وهو بالكسر : القطران .

(٣) اليمنة ، بالضم والفتح : ضرب من برود اليمن . والنطاق : شبه إزار فيه تكة .

(٤) سبقت ترجمته فى (١ : ٢٩٥) .

(٥) حوران ، بالفتح : ماء بنجد . قال نصر : أظنه بين اليمامة ومكة . وهى غير حوران التى من أعمال دمشق .

(٦) سواء ، بالضم : واد بالحجاز .

(٧) الدماث : السهول من الأرض ، واحدها دمث ، بالفتح

(٨) العزاز ، كسحاب : ما غلظ من الأرض وأسرع سيل مطره . دحضته : جعلته مزلقة . فيما عدا ل : « رحضت » تحريف .

(٩) القريتان : هما قرية عبد الله بن عامر بن كريز ، وجعفر بن سليمان ، قريتان من النباج ، فى طريق مكة من البصرة .

الإخاذ[١] ، وأفعمتْ كلَّ واد ، وأقبلْنا فى ماء يجرُّ الضبُع ويستخرجُها من وجارها[٢] .

وقال رجل من بنى أسد لمحمد بن مروان وسأله عن المطر فقال : ظَهَر الإعصار ، وكثُر الغُبار ، وأُكِل ما أشرف من الجَنْبة[٣] ، وأيقنَّا أنه عام سَنةٍ .

***

قال أبو الحسن عتّابٌ[٤] : عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر[٥] ، أنّ الإسكندر كان لا يدخل مدينةً إلا هدمها ، وقتل أهلها ، حتّى مرّ بمدينةٍ كان مؤدِّبُه فيها ، فخرج إليه ، فألْطفه الإسكندرُ وأعظمه ، فقال له : « أيُّها الملك ، إنّ أحقَّ مَن زيّن لك أمرَك وآتاك على كلّ ما هَوِيت لأنا ، وإنّ أهلَ هذه المدينة قد طمِعوا فيك لمكانى منك ، وأحِبُّ أن تشفّعَنى فيهم وأنْ تخالِفَنى فى كلّ ما سألتك لهم » . فأعطاه الإسكندرُ من ذلك ما لا يقدر على الرُّجوع عنه . فلما توثّق منه قال : « فإنّ حاجتى أن تَدخلَها وتخرِّبَها وتقتُل أهلها » . فقال الإسكندر : ليس إلى ذلك سبيلٌ ، ولا بدَّ من مخالفتك .

***

وقال علىٌّ بن أبى طالبٍ رضى الله عنه : « أفضل العبادة الصَّمتُ ، وانتظارُ الفرج » .

---

(١) الإخاذ ، بالكسر : جمع إخذ وإخذة ، وهو ما حفرته كهيئة الحوض . وفى النسخ : « الأحاد » ، تحريف .

(٢) الوجار ، بفتح الواو وكسرها : حجر الضبع .

(٣) الجنبة ، بالفتح : مافوق البقل ودون الشجر .

(٤) هو أبو الحسن عتاب بن بشير الجزرى ، ذكره ابن حبان فى ثقات أهل الحديث . توفى سنة ١٩٠ . تهذيب التهذيب .

(٥) هو أبو عتبة الشامى عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، روى عن مكحول والزهرى وعطاء وغيرهم . نزل البصرة ثم تحول إلى دمشق . توفى سنة ١٥٤ . تهذيب التهذيب .

وقال يزيد بن المهلَّب ، وقد طال عليه حَبْسُ الحجّاج : والهَفاه عَلَى فَرَجٍ فى جَبهة أسد ، وطَلِبَة[١] بمائة ألف .

وقال الأصمعىّ : دخل دُرُسْت بن رِباط الفُقَيمىّ ، على بلال بن أبى بُردة وهو فى الحبس ، فعلم بلالٌ أنّه شامتٌ به ، فقال بلال : ما يسرّنى بنصيبى من المكروه حُمْرُ النَّعَم[٢] . فقال دُرُسْت : فقد أكثر الله لك منه .

قال الهيثم بن عدىّ : كان سَجّان يوسفَ بن عمر يرفع إلى يوسف بن عمر أسماء الموتى ، فقال له عبد الله بن أبى بُردة بن أبى موسى الأشعرى : اقبض هذه العشرة الآلاف الدّرهم ، وارفَع اسمى فى الموتى . قال : فرفع اسمَه فى الموتى فقال له يوسف بنُ عمر : ويحك جئنى به . فرجع إليه فأعلمه فقال له : ويحك ، اتّق الله ٣٣٣
فىّ ؛ [فإنى أخاف القتل . قال : وأنا أيضاً أخاف ما تخاف . ثم] قال : قتلك أهونُ علىّ من قتلى ، ولا بدّ من قتلك . فوضع على وجهه مِخدّةً فذهبت نَفْسُه مع المال .

وأمّا عبد الله بن المقفَّع فإنّ صاحب الاستخراج لما ألحّ عليه فى العذاب[٣] ،

---

(١) ل والتيمورية : « وطلية » ، وضبطت فى ل بفتح الطاء وكسر اللام وتشديد الياء . وإنما هى « الطلبة » كما فى ب ، حـ .

(٢) النعم ، أكثر ما يطلق على الإبل . وفى اللسان (٥ : ٢٨٨) : « والعرب تقول : خير الإبل حمرها وصهبها . ومنه قول بعضهم : ما أحب أن لى بمعاريض الكلم حمر النعم » . ومن ذلك قول رسول الله : « لقد شهدت فى دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب أن لى به حمر النعم » إشارة إلى حلف الفضول . انظر السيرة ٨٦ جوتنجن ، والحيوان (٥ : ١٩٠) وما سبق فى (١ : ٣٢٦) .

(٣) صاحب الاستخراج هو الموكل باستصفاء أموال من اتهم باختلاس مال الدولة من الوزراء والكتاب والولاة وجباة الخراج . وكان يستخدم كل ما لديه من وسائل التعذيب والإرهاق ليستخرج هذه الأموال . وكان من سبب غضب المنصور علي ابن المقفع أن عبدالله ابن على كان قد لجأ إلى سليمان بن على عامل المنصور على البصرة ، فكتب إليه فى طلبه ، فأنكر أن يكون عنده ، ثم طلب الأمان ، وكان الذى تولى كتاب الأمان ابن المقفع ، فأغلظ فيه العهود والمواثيق ، فكان مما فيه : « فإن أنا فعلت أو دسست فالمسلمون براء من بيعتى ، وفى حل من الأيمان والعهود التى أخذتها عليهم » . فلما وقف أبو جعفر على هذا قال : من كتبه ؟ فقيل =

قال لصاحب الاستخراج : أعندك مال وأنا أُرْبِحُك ربحاً ترضاه ؟ وقد عرَفتَ وفائى وسخائى وكتمانى للسّرّ ، فعَيِّنّى مقدار هذا النَّجْم (١) . فأجابه إلى ذلك ، فلما صار له مالٌ ترفَّقَ به مخافة أن يموت تحت العذاب فيتْوَى مالُه (٢) .

وقال رجل لعمر والغزال : مررت بك البارحةَ وأنت تقرأ . فقال : لو أخبرتنى أىّ آية كنت فيها لأخبرتُك كم بَقِى من اللّيل .

وسمع مُؤرِّجٌ البصرى (٣) رجلا يقول : أمير المؤمنين يردُّ على المظلوم . فرجَع إلى مصحفه فردّ على براءةَ : « بسم الله الرحمن الرحيم » .

وكان عبد الملك بن مروان فى مرضه الذى مات فيه يعطَش ، وقيل له : إن شربت الماء مِتَّ . فأقبل ذاتَ يومٍ بعض العُوَّد (٤) ، فقال : كيف حالُ أمير المؤمنين ؟ فقال : أنا صالحٌ والحمد لله . ثم أنشأ يقول :

ومستخبرٍ عنّا يريد بنا الرّدى ... ومستخبْراتٍ والدّموع سواجمُ (٥)

ويلكم اسقونى [ماء] وإن (٦) كان فيه تلفُ نفسى . فشرب ثم مات .

وكان حبيب بن مسلمة الفِهرى (٧) رجلا غزَّاءً للترك ، فخرج ذاتَ مرّةٍ إلى

= ابن المقفع ، فكان ذلك سببا للغضب عليه . انظر تاريخ اليعقوبى (٣ : ١٠٤) والطبرى (٩ : ١٨٢) .

(١) عينى ، أى أعطنى . وفى اللسان (١٧ : ١٨٣) : « وما عيننى بشىء ، أى ما أعطانى شيئا » . والنجم ، أراد به الوظيفة ، يقال نجمت المال : أديته نجوماً عند انقضاء كل شهر .

(٢) توى يتوى توى : هلك .

(٣) هو أبو فيد مؤرج بن عمرو السدوسى البصرى ، كان من أعيان أصحاب الخليل وأبى زيد . يقال إن الأصمعى كان يحفظ ثلث اللغة ، والخليل يحفظ ثلثها ، ومؤرج يحفظ الثلثين . نزهة الألباء ، وإرشاد الأريب ، وبغية الوعاة .

(٤) العود : جمع عائد . فيما عدا ل : « العواد » كلاهما صحيح . ويقال فى جمع عائد أيضا « عود » بفتح العين وسكون الواو .

(٥) فيما عدا ل : « والعيون سواجم » .

(٦) فيما عدا ل : « ولو » .

(٧) ترجم فى ص ٩٣ من هذا الجزء .

بعض غَزَواته ، فقالت له امرأته : أين موعدُك ؟ قال : سُرادقُ الطّاغية أو الجنة إن شاء الله . قالت : إنّى لأرجو أن أَسبقَك إلى أحد الموضعين كنت فيه[١] . فجاء فوجدها فى سُرادق الطّاغية تقاتل التُّرْك .

ولمّا مدح الكميتُ بن زيدٍ الأسدىُّ مَخْلَد بن يزيد بن المهلّب ، فقال له ابنُ بِيض[٢] : إنك يا أبا المستهلّ[٣] ، لكجالبِ التمر إلى هَجَر ! قال : نعم ، ولكنّ تمرَنا أجودُ من تمركم[٤] .

وكان السّيّد الحميرىُّ[٥] مُولعاً بالشّراب ، فمدح أميراً من أمراء الأهواز[٦] ، ثم صار إليه بمديحهِ له ، فلم يصِلْ إليه . وأغبّ الشّرابَ ، فلما كان ذاتَ يومٍ شرِب ثم وصل إليه ، فجلس من بُعدٍ ، فقرَّبه وشمَّ منه رائحةَ الشّراب[٧] . فقال : ما كنت أظنُّ أبا هاشمٍ يفعل هذا ، ولكنْ يُحتمَل لمادِح رسول الله صلى الله ٣٣٤ عليه وسلم أكثرُ من هذا — يُمازحه — ثم قال : ياجاريةُ هلُمِّى الدواة . ثم كتب إلى بعض وكلائه : ادفع إلى أبى هاشم مائتى دورق مَيْبَخْتَجا[٨] . فقال

---

(١) فيما عدا ل : « أى الموضعين كنت به » .

(٢) هو حمزة بن بيض ، ترجم فى (١ : ٢٦٩) .

(٣) أبو المستهل : كنية الكميت بن زيد . انظر معجم المرزبانى ٣٤٨ .

(٤) مما هو جدير بالذكر أن أبا الفرج فى الأغانى (١٥ : ١٥) قد روى خبرا نقيض هذا ، فيه مدح حمزة بن بيض ، مخلد بن يزيد ، فحسده الكميت وقال له : يا حمزة ، أنت كمن يهدي التمر الى هجر !

(٥) السيد لقبه ، واسمه إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميرى . وقد عرف بتشيعه ، وكان يذهب مذهب الكيسانية ويقول بإمامة محمد بن الحنفية . وفيه يقول الأصمعى : « والله لولا ما فى شعره من سب السلف لما تقدمه من طبقته أحد » . عاش إلى خلافة هارون ومات فى أيامه . الأغانى (٧ : ٢ — ٢٣) .

(٦) هو أبو بجير بن سماك الأسدى . الأغانى (٧ : ٢٢) .

(٧) فيما عدا ل : « ريح الشراب » .

(٨) كلمة فارسية مركبة من « مَىْ » بمعنى النبيذ ، كما ذكر أبو الفرج فى (٧ : ٢٢) حيث أورد القصة . و « بختج » هى « پُخْتَـهْ » الفارسية ، بمعنى مطبوخ . والعرب يبدلون الهاء فى آخر الكلمات الفارسية جيما . فيما عدا ل : « مينحنجا » تحريف .

السيِّد : لقد كنت أُرَى الأميرَ أبلغ ما هو[١] . قال : وأىَّ شىء رأيتَ من العِىّ ؟ قال : جَمْعُك بين حرفين وأنت تجتزِى بأحدهما ، امْحُ هذه الخبيثة[٢] « بَخْتَجاً » ودع « مَياً » على حالها . ففعل ، وحَمَل الكتاب فأخذها عبيطا[٣] .

عبد الله بن فائد[٤] قال : قالت امرأة الحُضَين بن المنذر للحضَين[٥] : كيف سُدْتَ قومَك وأنت بخيل وأنت دَميم ؟ قال : لأنِّى سديد الرَّأْى ، شديد الإقدام .

قال : وقال مَسلمة بنُ عبد الملك لهشام بن عبد الملك : كيف تطمع فى الخلافة وأنت بخيلٌ وأنت جَبان ؟ قال : لأنّى حليمٌ وأنّى عفيف .

* * *

قال زبَّانُ[٦] :

إنّ بنى بدرٍ يَرَاعٌ جُوفُ[٧] كلُّ خطيبٍ منهم مؤُوفُ[٨]

أهوجُ لا ينفعه التثقيفُ

وقال لبيد بن ربيعة :

---

(١) فيما عدا ل : « أظن الأمير أبلغ مما هو » . وفى الأغانى : « ليس هذا من البلاغة . قال : وما هى ؟ قال : البلاغة أن تأتى من الكلام بما يحتاج إليه وتدع ما يستغنى عنه » .

(٢) التيمورية : « الجبشة » ب ، ح : « الخيشة » محرفان عما أثبت من ل .

(٣) أى نبيذا عبيطا لم يطبخ ولم ينضج ، يقال لحم ودم عبيط ، أى طرى لم ينضج . فيما عدا ل : « عبيطا » بالغين المعجمة ، تحريف .

(٤) له رواية فى الحيوان (١ : ٦/٣٠١ : ٢١٠) .

(٥) هو الحضين بن المنذر بن الحارث بن وعلة الرقاشى ، أحد بنى رقاش ، فارس شاعر ، وكان معه راية على ، يوم صفين ، دفعها إليه وهو ابن تسع عشرة سنة . وفيه يقول على :

لمن راية سوداء يخفق ظلها إذا قيل قدمها حضين تقدما

وكان حضين من كبار التابعين ، مات على رأس المائة . المؤتلف ٨٧ وتهذيب التهذيب (٢ : ٣٩٥) والخزانة (٢ : ٨٩ — ٩٠) والقاموس (حضن) . وفى الأصول : « الحصين » بالصاد المهملة ، تحريف .

(٦) زبان بن سيار الفزارى ، سبقت ترجمته فى (١ : ٤) .

(٧) البراع : القصب ، واحدته يراعة . جوف : جمع أجوف وجوفاء .

(٨) مؤوف : به آفة .

وأبيض يجتاب الخرُوقَ على الوَجَى　　خطيباً إذا التفَّ المجامعُ فاصِلاَ[١]

وقال[٢] فى تفضيل العلم والخَطَابة ، وفي مدح الإنصاف ، وذم الشَّغَب :

ولقد بلوتُكِ وابتليتِ خليقتى　　ولقد كفاكِ مُعلِّمى تعليمى

وقال لبيد :

ذهبَ الذين يُعاش فى أكنافهم　　و بقِيتُ فى خَلْف كجلد الأجربِ
يتأ كَّلون مَـــغالَّةً وخيانة　　و يُعابُ قائلُهم و إن لم يَشغَبِ[٣]

وقال زيد بن جُندب :

ما كان أغنى رجالاً ضلّ سعيُهُم　　عن الجدال وأغناهم عن الخُطَبِ[٤]

وقال لَقيطُ بن زرارة :

إنى إذا عاقبتُ ذو عقابِ　　و إنْ تشاغِبْنى فذوشِغابِ[٥]

وقال ابنُ أحمر : ٣٣٥

وكم حلَّهـــا من تيَّحانٍ سَمَيْدَعٍ　　مُصافِى الندى ساقٍ بيهماء مُطْعِمْ[٦]
طَوِى البطنِ مِتلافٍ إذاهبّتِ الصَّبا　　على الأمرغوّاصٍ وفى الحىِّ شيظمِ

وقال آخر :

وأغرَّ منخرقِ القميص سَميدعٍ　　يدعو ليغـــزوَ ظالماً فيُجابُ[٧]

---

(١) يجتاب . يقطع . والخروق : جمع خرق ، وهو الفلاة تتخرق فيها الرياح . على الوجى أى مع وجى ناقته . والوجى : الحفا . ل : « فيصلا » تحريف ؛ فإن البيت من قصيدة فى ديوانه ١٧ — ٢٧ قافيتها مؤسسة ، أولها :

كبيشة حلت بعد عهدك عاقلا　　وكانت له خبلا على النأى خابلا

(٢) أى لبيد . والبيت التالى سبق مع أبيات له فى (١ : ٢٦٧) .

(٣) البيتان سبقا فى (١ : ٢٦٧) .

(٤) انظر ما تقدم من رواية هذا البيت فى (٢ : ٤٢ ، ٢٦٧) .

(٥) سبق الرجز فى (١ : ٢٦٧) بدون نسبة .

(٦) فيما عدا ل : « سار بيهماء » ، تحريف . والبيتان سبقا فى (١ : ٢٦٨) .

(٧) السميدع : الشجاع . يمدحه بأنه قادر على الظلم .

قد مَدّ أرسانَ الجياد من الوجَى فكأنما أرسانُها أطنابُ[١]

وقال آخر :

كريم يغضّ الطَّرْفَ عند حَيائه ويدنُو وأطرافُ الرماح دَوَانِ[٢]
وكالسّيف إن لا يَنْتَه لانَ متنُه وحدّاه إن خاشنته خَشِــنانِ

وقال آخر :

يقطّعُ طــرفَه عنّى سويدٌ ولم أذكر بسيّئة سُوَيدا[٣]
تَوقَّ حِدادَ شوكِ الأرض تسلَمْ وغيرَ الأسدِ فاتّخذَنَّ صيدَا

[وقال آخر :

لا تحسَبنَّ الموتَ موتَ البِلى فإنّما الموتُ سؤالُ الرّجالْ
كلاهما موتٌ ولـكن ذا أشدُّ مِن ذاك لذلّ السؤالْ[٤]

وللحسين بن مُطَير :

رأت رجلاً أودى بوافرِ لحمه طِلابُ المعالى وا كتسابُ المكارمِ
خفيفَ الحشَا ضَرْباً كأنَّ ثيابَه على قاطعٍ من جوهر الهِندصارمِ[٥]
فقلت لها لا تَعْجَبِنَّ فإنّنى أرى سِمَنَ الفتيان إحدى المشائمِ]

وكان عمر بن الخطاب ، رحمه الله ، إذا رأى عبدَ الله بن عبّاسٍ يقول فى الأمر يَعرِض من جِلّة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : « غُصْ غوّاصُ » .

وقال ابنُ أحمر :

هل لامنى قومٌ لموقف سائلٍ أو فى مخاصمة اللَّجوجِ الأصيدِ[٦]

---

(١) الرسن : ما يوضع على مرسن الفرس ، وهو أنفه . والطنب : الحبل .

(٢) عند حيائه ، أى عند ما يستوجب الحياء . وفى الحماسة (٢ : ٢٧٩) : « فضل حيائه » . فيما عدا ل : « خيانة » تحريف .

(٣) يقطع نظره لشدة عداوته .

(٤) البيتان فى الحيوان (٣ : ١٣١) مع تعليق للجاحظ .

(٥) الضرب : الرجل الخفيف اللحم . جوهر الهند ، أى حديد الهند .

(٦) سبق هذا البيت فى (١ : ٢٦٨) .

وقال لَبيدُ بن ربيعة فى التطبيق على قوله :

يا هَرِمَ بنَ الأكرمِينَ مَنْصِبا   إنكَ قد أُوتيتَ حُكما مُعجِبا

فطبِّقِ المَفْصِلَ واغنَمْ طيِّبا

وقال آخر :

فلما أنْ بَدَا القعقاع لجَّت   على شَرَكٍ تُناقِلُه نِقالا

تعاوَرْنَ الحديث وطبَّقتْه   كما طبَّقتَ بالنَّعل المِثالا[(١)]

وقال ابن أحمر : ٣٣٦

لو كنتُ ذا علمٍ علمتُ وكيف لى   بالعلم بعد تدبُّرِ الأمرِ[(٢)]

وقال :

ليْستْ بشوشاةِ الحديث ولا   فتقٍ مغالبةٍ على الأمرِ[(٣)]

وقال :

تضعُ الحديثَ على مواضعه   وكلامُها من بَعدِه نَزْرُ[(٤)]

وقال :

وخَصمٍ مُضِلٍّ فى الضَّجاج تركتُه   وقد كان ذا شَغْب فولّى مُواتِيا[(٥)]

وذكر علىُّ بن أبى طالبٍ ، رحمه الله ، أَكْتَلَ بن شَمَّاخٍ العُكْلىّ[(٦)] ، فقال : «الصَّبِيح الفصيح[(٧)]» . وهو أوّلُ مَن اتّخذ بيت مالٍ لنفسه فى داره .

---

(١) سبقا فى (١ : ٢٦٨) . أراد كما طبقت النعل بالمثال ، فقلب الكلام .

(٢) سبق فى (١ : ٥ ، ٢٦٨) .

(٣) الشوشاة : الخفيفة السريعة . والفتق ، بضمتين : المتفتقة بالكلام . والبيت فى اللسان (فتق) مع نسبته إلى ابن أحمر أيضا .

(٤) سبق فى (١ : ٢٧٦) .

(٥) فيما عدا ل : « مواثبا » تحريف .

(٦) هو أكتل بن شماخ بن زيد بن شداد العكلى ، شهد الجسر مع أبى عبيدة ، وأسر يومئذ مهردشاه وضرب عنقه ، وشهد القادسية . الإصابة ٤٨١ .

(٧) فى الإصابة : « كان على بن أبى طالب إذا نظر إلى أكتل قال : من أحب أن ينظر إلى الصبيح الفصيح فلينظر إلى أكتل » .

عبد الله بن المبارَك ، عن مَعْمَر[١] عن الحسن عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « سيكون بعدى أمراء يُعطوْن الحكمةَ على منابرهم وقلوبُهم أنتنُ من الجِيَف » .

جعفر بن سليمان الضُّبَعىّ[٢] ، عن مالك بن دينار ، قال : غدوت إلى الجمعة ، فجلست قريباً من المِنبر ، فصعِد الحجّاج المنبر ، ثم قال : امرأً زوّر عملَه ، امرأً حاسبَ نفسه ، امرأً فكّر فيما يقرؤه فى صحيفته ويراه فى ميزانه ، امرأً كان عند قلبه زاجرا ، وعند همّه ذاكرا ، امرأً أخذ بعنان قلبه[٣] كما يأخذ الرّجُل بخطام جَمله ، فإنْ قادَه إلى طاعة الله تبِعه[٤] وإن قادهُ إلى معصية الله كَفّه[٥] .

وبعث عدىُّ بن أرطاة إلى المهالبةِ أبا المليحِ الهُذلىّ ، وعبد الله بن عبد الله ابن الأهتم والحسنَ البصرىّ ، فتكلم الحسنُ فقال عبد الله : والله ما تمنّيتُ كلاماً قطُّ أحفظُه إلاّ كلامَ الحسن يومئذ .

قال : وتنقَّصَ ابنٌ لعبد الله بن عروة بن الزبير عليًّا رحمه الله ، فقال له أبوه : والله ما بنَى الناسُ شيئاً قطُّ إلاّ هَدَمه الدِّين ، ولا بَنى الدِّين شيئا فاستطاعت الدُّنيا هدمَه ، ألم تر إلى علىّ كيف تُظهِرُ[٦] بنُو مروان من عيبه وذمّه ؟ والله لكأنّما يأخذونَ بناصيته رفعاً إلى السماء . وما ترَى ما يندُبون به

---

(١) هو معمر بن راشد الأزدى الحدانى البصرى ، وكان يروى عن قتادة عن الحسن البصرى . وقال : « طلبت العلم سنة مات الحسن » . توفى فى رمضان سنة ١٥٣ . تهذيب التهذيب وتذكرة الحفاظ (١ : ١٧٨) .

(٢) هو أبو سليمان جعفر بن سليمان الضبعى البصرى ، روى عن مالك بن دينار وابن جريج وعطاء بن السائب . وكان من المتشيعين . توفى سنة ١٧٨ . تهذيب التهذيب .

(٣) ل : « عمله » .

(٤) فيما عدا ل : « قبله وتبعه » .

(٥) الخطبة فى عيون الأخبار (٢ : ٢٥١) والعقد (٤ : ١١٧) وابن أبى الحديد (١ : ١٥٠) . وأولها فيما عدا عيون الأخبار : « امرؤ » بالرفع .

(٦) فيما عدا ل : « يظهر » . وفى القرآن الكريم : (إلا الذى آمنت به بنو اسرائيل) .

موتاهم من التأبين والمديح ؟ والله لكأنّما يكشفون عن الجِيَف .

أبو الحسن قال : قال عبد الله بن الحسن ، لابنه محمد ، حين أراد الاستخفاء[١] :

« أى بُنَىّ ، إنى مؤدٍّ إليك حقّ الله فى حُسن تأديبك ، فأدِّ إلىّ حق الله فى ٣٣٧
حسن الاستماع . أىْ بُنَىّ ، كفَّ الأذى ، وارفض البَذَا ، واستَعِنْ على
الكلام[٢] بطُول الفكر فى المواطن التى تدعوك فيها نفسك إلى القول ؛ فإن للقول ساعاتٍ يضرُّ فيها خطاؤه ، ولا ينفع صوابُه . احذَرْ مشورةَ الجاهل وإنْ كان ناصحاً ، كما تحذر مشورةَ العاقل إذا كان غاشًّا ، فإنّه يوشك أن يورّطاك بمشورتهما ، فيسبقَ إليك مكرُ العاقل وتوريط الجاهل » .

وكان يقال : من لانت كلمتُه وجبت محبته ، ومن طال صمتُه اجتلب من الهيبة ما ينفعُه ، ومن الوحشة مالا يضرُّه .

---

(١) انظر ماسبق فى (١ : ٣٣٢) .

(٢) فيما عدا ل : « واستغن عن الكلام » تحريف ، صوابه فى ل .

باب

أن يقول كلُّ إنسان على قَدْر خُلُقه وطبعه

قال قُتيبة بن مسلم ، لحُضَين بن المنذر(١) : ما السّرور ؟ قال : امرأةٌ حسناء ، ودارٌ قوراء(٢) ، وفرسٌ مرتبَطٌ بالفِناء .

وقيل لِضرار بن الحصين(٣) : ما السرور ؟ قال : لواء منشور ، وجلوسٌ على السرير ، والسلامُ عليك أيُّها الأمير .

وقيل لعبد الملك بن صالح : ما السرور ؟ قال :

كلّ الكرامةِ نلتُها إلاّ التحيّةَ بالسّلامْ

وقيل لعبد الله بن الأهتم : ما السرور ؟ قال : رفع الأولياء ، وحطُّ الأعداء ، وطولُ البقاء ، مع القدرة والنماء(٤) .

وقيل للفضل بن سهل : ما السرور ؟ قال : توقيعٌ جائزٌ(٥) ، وأمرٌ نافذ .

أبو الحسن المدائنى قال : قيل لإنسان بَحْرِىٍّ : أىَّ شىء تَمَنّى ؟ قال : شربةً من ماء الفِنْطاس(٦) ، والنومَ فى ظلِّ الشراع ، وريحًا دُنْبَداد(٧) .

وقيل لطفيلى : كم اثنين فى اثنين(٨) ؟ قال : أربعة أرغفة .

وقال الفلاّس القاصّ : كان أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدرٍ ثلاثمائة وستّين درهمًا .

---

(١) سبقت ترجمته فى ص ١٦٩ . ل : « لحصين » . ماعدال : « للحصين » محرفتان .

(٢) دارقوراء : واسعة الجوف .

(٣) سبق الخبر بدون نسبة فى (١ : ٢٨٦) .

(٤) فيما عدا ل : « مع القدرة على النماء » تحريف .

(٥) جائز ، أى يجوز وينفذ .

(٦) فنطاس السفينة : حوضها الذى يجتمع فيه نشافة الماء .

(٧) كلمة فارسية معناها « الريح التى تهب من خلف » ، كما كتب فى حاشية التيمورية . مركبة من : « دُنْبَه » بمعنى الذيل . و « داد » بمعنى المعطى .

(٨) فيما عدا ل : « اثنتين فى اثنتين » ، تحريف .

وقلت لملاّحٍ لى ، وذلك بعد العصر فى رمضان : انظر كم بينَ عين الشمس و بين موضع غُروبها من الأرض ؟ قال : أكثر من مُرْدِيَّيْنِ ونصف .

وقال آخر : وقع علينا اللّصوص ، فأوّلُ رجلٍ داخلٍ دخل علينا السفينة كان فى طول هـذا « المُرِدِىّ »(١) ، وكانت فخذُه أغلظَ من هذا السُّكّان ، واسودَّ ٣٣٨
صاحبُ السّفينة حتّى صار أشدّ سواداً من هذا القِير .

وأردتُ الصّعودَ مرّةً فى بعض القناطر ، وشيخٌ ملاّح جالس ، وكان يومَ مَطَرٍ وزَلَق ، فزَلِقَ حمارِى فكاد يُلقينى لجَنْبى ، لـكنّه تماسكَ فأقعى على عَجُزه ، فقال الشيخ الملاّح : لا إله إلاّ الله ، ما أحسنَ ما جلس على كَوْثَلِهِ(٢) .

ومررت بتلّ طينٍ أحمرَ ومعى أبو الحسَن النّخّاس(٣) ، فلما نظر إلى الطّين قال : أىُّ أوارِىَّ(٤) تجىء من هذا الطّين .

ومررنا بالخُلد(٥) بعد خرابه ، فقال : أىُّ إصطبلات تجىء فى هذا الموضع .

وقيل لبعضهم : ما المروءة ؟ قال : طهارة البدن ، والفعلُ الحسَن .

وقيل لمحمد بن عمران : ما المروءة ؟ قال : أن لا تعمل فى السرّ شيئاً تستحى منه فى العلانِيَة .

وقيل للأحنف : ما المروءة ؟ قال : العِفّة والحِرْفة .

وقال طلحة بن عُبيد الله : المروءة الظاهرةُ الثياب الطّاهرة .

---

(١) المردى ، بضم الميم وتشديد الياء : خشبة يدفع بها الملاح السفينة . وقد وضعت بعض المعاجم هذه الكلمة فى (ردى) وحقها (مرد) . وقد قالوا : إن المرد دفع الملاح السفينة بالمردى .

(٢) الكوثل : مؤخر السفينة ، أو سكانها . وقد تشدد اللام .

(٣) فيما عدا ل : « أبو الحسين النحاس » ، تحريف . والنخاس : بائع الدواب .

(٤) الأوارى : مواضع علف الدواب ، واحدها آرىّ . وفيما عدا ل : « اداري » ، تحريف .

(٥) الخلد ، بالضم : قصر بناه المنصور ببغداد . معجم البلدان .

وقيل لأبى هريرة : ما المروءة ؟ فقال : تقوى الله ، وإصلاحُ الصَّنيعة ، والغَداء والعَشاء بالأفنية .

ونظر بكر بن الأشعر ، وكان سَجّانا ، مرّةً إلى سُور دار بَجالَة بن عبدة ، فقال : لا إله إلا الله ، أىُّ سجنٍ يجىء من هذا .

وقال إنسانٌ صيرفىّ : باعنى إنسانٌ[١] عشرين جَريباً ، ودانِقَين ونصفاً ذهبا .

قال : ونظر عثمان بن عفّان رحمه الله إلى عِيرٍ مُقْبِلَةٍ ، فقال لأبى ذَرّ : ما كنت تحبُّ أن تَحمِل هذه ؟ قال أبو ذَرّ : رجالاً مثلَ عُمَر[٢] .

وقيل للزُّهرىّ[٣] : ما الزُّهد فى الدنيا[٤] ؟ فقال : أمَا إنه ليس بشَعَثٍ فى اللِّمّة ، ولا قشفِ الهيئة ، ولكنّه ظَلْفُ النّفس عن الشَّهوة[٥] .

وقيل له أيضاً : ما الزُّهد فى الدُّنيا ؟ قال : ألاّ يغلِبَ الحرام صبرَك ، ولا الحلالُ شُكرَك .

قالوا : ومَرّ المسيح عليه السلام بحَلَق بنى إسرائيل ، فشتَموه ، فكلّما قالوا شرًّا قال المسيح صلى الله عليه وسلم خيراً ، فقال له شمعون الصَّفىّ[٦] : أكلّما قالوا شرًّا قلت لهم خيراً ؟ قال المسيح : « كلُّ امرئٍ يعطِى ممّا عندَه » .

* وقال بعضهم : قيل لامرئ القيس بن حُجْر : ما أطيبُ عيشِ الدُّنيا ؟ ٣٣٩
قال : بيضاء رُعبُوبَة[٧] ، بالطِّيب مشبوبة[٨] ، بالشَّحم مكروبة[٩] .

---

(١) فيما عدا ل : « فلان » .

(٢) فيما عدا ل : « رجالا لا مثل عمرى » تحريف .

(٣) ل : « للزبير » تحريف . وانظر ما سيأتى فى ص ١٨٨ .

(٤) الكلام بعد هذه إلى « ما الزهد » فى الفقرة التالية ، من ل فقط .

(٥) ظلف نفسه عن الشىء ظلفا ، بالفتح : منعها عنه .

(٦) ل : « سمعون الصفاء » .

(٧) الرعبوبة : البيضاء الحسنة الرطبة الحلوة .

(٨) مشبوبة : قد ظهر حسنها ، وأشرق لونها .

(٩) المكروبة : المفتولة المشدودة .

وسئل عن ذلك الأعشى فقال : صهباء صافية ، تمزجها ساقية ، من صَوب غادية[١] .

وقيل مثل ذلك [لطرَفَةَ] فقال : مَطعمٌ شهيّ ، وملبَس دَفِيّ ، ومركَبٌ وطيّ .

قال : وكان محمد بن راشدٍ البجليّ[٢] ، يتغدّى و بين يديه شَبُّوطة[٣] ، وخيّاطٌ يقطع له ثيابًا ، ورآه يلحَظُ الشَّبُّوطة ، فقال : قد زعمتَ أن الثوبَ يحتاج إلى خِرقة ، فكم مقدارها ؟ قال : ذراعٌ في عرض الشَّبُّوطة .

ودخل آخَرُ على رجلٍ يأكل أُترُجّةً بعسَل ، فأراد أن يقول : السلام عليكم ، فقال : عَسَليكم .

ودخلت جاريةٌ روميّةٌ على راشدٍ البَتّيّ[٤] ، لتسأل عن مولاتها[٥] ، فبصُرَت بحمارٍ قد أدلى ، فقالت : قالت مولاتى : كيف أير حماركم ؟ — فيما زعم أبو الحسن المدائنى .

وأنشد ابنُ الأعرابيّ :

و إذا أظهرتَ أمراً حسَـنًا فليكن أحسنَ منه ماتُسِرّْ[٦]
فمُسِرُّ الخير موســومٌ به ومُسِرُّ الشرِّ موسومٌ بشَرّْ

وأنشد ابنُ الأعرابيّ :

---

(١) الصوب : المطر : والغادية : السحابة تنشأ غدوة .

(٢) محمد بن راشد البجلى الخناق ، ذكر الجاحظ في الحيوان (١ : ١١٥) أنه كانت له بنت ذات لحية وافرة . وفى الحيوان (٤ : ٢٦٦) أن بجيلة يكثر فيها الخناقون . وذكر أبو الفرج فى الأغانى (٥ : ٥٨) أنه كان من أصدقاء إسحاق الموصلى ، وروى له أخبارا .

(٣) الشبوطة : واحدة الشبوط ، وهو ضرب من السمك دقيق الذنب عريض الوسط صغير الرأس ، لين المس .

(٤) البتى : نسبة إلى البت ، بفتح الباء ، وهى قرية من أعمال بغداد ، كما ذكر ياقوت . وقال السمعانى فى الأنساب ٦٥ : « موضع أظن بنواحى البصرة » . فيما عدا ل : « البستى » .

(٥) فيما عدا ل : « لتسأل به عن مولاتها » . وكلمة « به » مقحمة .

(٦) تسر ، من الأسرار . فيما عدا ل : « يسر » بالبناء للمفعول .

أرى النّاسَ يبنُون الحصونَ و إنّما غوابِرُ آجالِ الرّجالِ حُصونُها[١]
وإنّ من الأعمال دُونًا وصالحا فصالحُها يبقى ويَهـلِكُ دُونُها

وأنشد ابنُ الأعرابى :

حَسْبُ الفتى مِن عيشه زادٌ يبلِّغُه المَحَـلاّ
خُـبزٌ وماء بارد والظّلُّ حين يريد ظِلاّ

وقال بعضُ الأعراب :

وما العيش إلا شَـبعةٌ وتشرُّقٌ وتمرٌ كأخفاف الرِّباع وماءُ[٢]

٣٤٠ محمّد بن حرب الهلالىّ قال : قلت لأعرابى : إنِّى لك لَوادٌّ . قال : وإنّ لك من صدرى لَرَائدًا[٣] .

قال : وأتيت أعرابيًّا فى أهله مُسلّما عليه ، فلم أجدْه ، ، فقالت لى امرأته : عَشَّر اللهُ خُطاك . أى جعلها عَشرة أمثالها .

قالوا : وكان سَلْم بن قتيبة[٤] يقول : لم يضيِّع امرؤٌ صوابَ القول حتَّى يضيِّع صواب العمل .

أبو الحسن قال : قال الحجّاج لمعلّم ولده : علّم ولَدِى السِّباحةَ قبل الكتابة ، فإنّهم يصيبون مَن يكتب عنهم ولا يُصيبون من يَسْبَح عنهم .

أبو عقيل بن دُرُسْت قال : رأيت أبا هاشمٍ الصوفىَّ مقْبِلاً من جهة النّهر ، فقلت : فى أىّ شيء كنتَ اليوم ؟ قال : فى تعلُّم ما ليس يُنسَى ، وليس لشىء من الحيوان عنه غِنًى . قال : قلت وما ذاكَ ؟ قال : السِّباحة .

---

(١) الغوابر : البقايا . فيما عدا ل : « غوائر » .

(٢) التشرق : الجلوس للشمس . الأخفاف : جمع خف . والرباع : جمع ربع ، بضم ففتح ، وهو الفصيل يولد فى الربيع .

(٣) فيما عدا ل : « من قلبى » ، وقد فهم الأعرابى أنه عنى الوادى ، على حين أنه أراد المودة .

(٤) فيما عدا ل : « مسلم بن قتيبة » تحريف .

حدّثنا علىُّ بن محمدٍ(١) وغيره ، قال : كتب عُمر بن الخطّاب إلى ساكنى الأمصار : « أمّا بعد فعلّموا أولادَكم العَوْم والفُروسيّة(٢) ، وروّوهم ما سارَ من المَثَل ، وحَسُن من الشِّعر » .

وقال ابنُ التَّوْأم : علّمِ ابنَك الحسابَ قبلَ الكتاب ؛ فإنّ الحسابَ أكسَبُ من الكِتاب ، ومؤونة تعلُّمه أيسر ، ووجوهُ منافعه أكثر .

وكان يقال : لا تعلّموا بناتِكم الكتاب ، ولا تروُّوهن الشعر ، وعلّموهن [القرآن ، و] من القرآن سُورةَ النور .

وقال آخر : بنو فلان يعجبُهم أن يكون فى نسائهم إباضيّات ، ويُؤخذْن بحفظ سورة النُّور .

وكان ابنُ التوأم يقول : من تمام ما يجب على الآباء من حفظ الأبناء ، أن يعلِّمُوهم الكتاب والحساب والسِّباحة .

خطب رجلٌ امرأةً أعرابيّة فقالت [له] : سَلْ عنّى بنى فلان و بنى فلان و بنى فلان(٣) ، فعَدّتْ قبائلَ ، فقال لها : وما عِلْمهم بك ؟ قالت : فى كلِّهم قد نكَحْت . قال أُراكِ جَلَنْفعةً قد خزّمتْك الخزائم(٤) . قالت : لا ، ولكنِّى جوالة بالرَّحْل عَنْتَرِيس(٥) .

---

(١) هو أبو الحسن على بن محمد المدائنى ، صاحب الأخبار والتصانيف الكثيرة . المتوفى سنة ٢١٥ . ابن النديم ١٤٧ — ١٥٢ ولسان الميزان (٤ : ٢٥٣) .

(٢) فيما عدا ل : « السباحة والفروسية » . وانظر الخبر فى الكامل ١٥٠ ليبسك .

(٣) فى اللسان (جلفع) : « إن سألت عنى بنى فلان أنبئت عنى بما يسرك ، وبنو فلان ينبئونك بما يزيدك فى رغبة ، وعند بنى فلان منى خبر » .

(٤) الجلنفعة : المسنة . والخزائم : جمع خزامة ، بالكسر ، وهو ما يجعل فى أنوف الإبل . وهذه كناية عن الإذلال والتسخير . انظر أساس البلاغة (خزم) .

(٥) تعنى أنها فتية ذات شدة ، كالناقة العنتريس ، وهى الصلبة الوثيقة الشديدة . فيما عدا ل : « شمريس » تحريف .

وقال الفرزدق لامرأته النَّوَار(١) : كيف رأيتِ جريرا ؟ قالت : رأيتُكَ ظلمتَه أوّلاً ثم شَغَرْتَ بِرِجلك آخِراً(٢) . قال : أنا [إِنِيه(٣)] ؟ قالت : نعم ، أمَا إنّه قد غلَبَك فى حُلوه ، وشارَكَكَ فى مُرّه .

٣٤١ قال : وتغدَّى صَعصعةُ بن صُوحانَ عند معاوية يوماً ، فتناوَلَ من بين يدَىْ معاويةَ شيئا ، فقال : يا ابنَ صُوحان ، لقد انتجعتَ من بعيد ! فقال : « مَن أجدَبَ انتجَع » .

وبَصُر الفرزدقُ بجريرٍ مُحرِما فقال : واللهِ لَأُفسِدنَّ على ابن المَراغة حَجَّه . ثم جاءه مستقبِلاً له ، فجَهَرَه بمِشقَص كان معه(٤) ، ثم قال :

إنّكَ لاقٍ بالمَشاعر من مِنًى فَخاراً فخبّرنى بمن أنتَ فاخِرُ

فقال جرير : لبيك اللهم لبيك . [ولم يُجِبْه(٥)] .

قال : وأُدخِل مالكُ بن أسماء سجنَ الكوفة ، فجلس إلى رجلٍ من بنى مُرّة ، فاتّكأ المُرّىّ عليه يحدّثه حتى أكثَرَ وغمّه ، ثم قال : هل تدرى كم قتلْنا منكم فى الجاهليّة ؟ قال مالكٌ : أمّا فى الجاهليّة فلا ، ولكنّى أعرف مَن قتلتُم منّا فى الإسلام . قال المُرّىّ : ومَن قتلنا منكم فى الإسلام ؟ قال : أنا ، قد قتلْتَنى غمّاً !

قال : ودخل رجلٌ من محاربِ قيسٍ على عبد الله بن يزيد(٦) الهلالىّ ، وهو

(١) فيما عدا ل : « نوار » . وإثبات اللام وحذفها فى مثل هذه الأعلام جائز .

(٢) هو من قولهم : بلدة شاغرة برجلها ، إذا لم تمتنع من غارة أحد .

(٣) فى الأصل ، وهو هنا ما عدا ل : « انى » ، والصواب ما أثبت . وفى اللسان (١٨ : ٥٢) : « وحكى سيبويه أنه قيل لأعرابى سكن البلد : أتخرج إذا أخصبت البادية فقال : أنا إنيه ، يعنى : أتقولون لى هذا القول وأنا معروف بهذا الفعل » .

(٤) المشقص : سهم فيه نصل عريض . جهره : راعه وفجأه . ل : « فجهزه » .

(٥) فى الأغانى (٧ : ٤٨) أنهما التقيا بمنى . وعقب على الخبر بقوله : « قال إسحاق فكان أصحابنا يستحسنون هذا الجواب من جرير ويعجبون منه » .

(٦) ب فقط : « زيد » .

عاملٌ على أَرْمِينِيَة ، وقد بات فى موضع قريبٍ منه غديرٌ(١) فيه ضفادع ، فقال عبدُ الله للمحاربىّ : ما تركَتْنا أشياخُ محارب ننام [فى] هذه الليلة ؛ لشدّة أصواتها . فقال المحاربىّ : أصلحَ الله الأمير ، إنَّها أضلَّت بُرقُعاً لها ، فهى فى بُغائه(٢) . أراد الهلالىُّ قولَ الأخطل :

تَنِقُّ بلا شىءٍ شُيوخُ محاربٍ　　وما خِلْتها كانت تَرِيش ولا تَبْرِى

ضفادعُ فى ظلماء ليلٍ تجاوبت　　فدلَّ عليها صوتُها حَيَّةَ البحرِ(٣)

وأراد المحاربىُّ قولَ الشاعر :

لكلِّ هلالىٍّ من اللُّؤم بُرقعٌ　　ولابنِ هلالٍ بُرْقُعٌ وقميصُ

وقال العُتْبىّ(٤) :

رأَيْنَ الغَوانِى الشَّيبَ لاحَ بعارضِى　　فأعرضْنَ عنِّى بالخُدود النواضِرِ(٥)

وكُنَّ إذا أبصرْننى أو سمِعنَ بى　　سعَيْنَ فرقَّعن الكُوَى بالمحاجر(٦)

لئن حُجِّبت عنِّى نواظِرُ أعينٍ　　رَمَيْنَ بأحداق المَها والجآذرِ ٣٤٢

فإنِّىَ من قومٍ كرامٍ أصولُهم　　لأقدامهم صِيغَتْ رؤوس المنابِرِ

---

(١) فيما عدا ل : « فى موضع غدير قريب منه » .

(٢) البغاء ، بالضم : الطلب .

(٣) ديوان الأخطل ١٣٢ والحيوان (٣ : ٢٦٨/٤ : ٢٤٠/٥ : ٥٣٢) .

(٤) هو أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الله بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبى سفيان العتبى البصرى . كان هو وأبوه سيدين أديبين فصيحين ، وكان العتبى شاعرا ولم يكن أبوه كذلك . ذكره ابن النديم في الكتاب المترسلين . وذكر ابن قتيبة أن الأغلب عليه الأخبار ، وأكثر أخباره عن بنى أمية . وكان مستهترا بالشراب ويقول الشعر فى عتبة ، فقيل إن نسبته إليها ، وقيل لى جده عتبة . وتوفى سنة ٢٢٨ . الفهرست ١٧٩ ، وابن خلكان ، والمعارف ٢٣٤ .

(٥) البيت من شواهد العربية فى إلحاق علامة الجمع بالفعل . انظر سر العربية ٣٣٩ .

(٦) الكوى : جمع كوة بالفتح وقد تضم ، وهو الخرق فى الحائط والثقب فى البيت . وأنشده فى اللسان (رقع) منسوبا إلى عمر بن أبى ربيعة ، مسبوقا بقوله : « وكل ما سددت من خلة فقد رقعته ورقعته » . وعقب عليه بقوله : « وأراه على المثل » ، أى المجاز والاستعارة . والمحاجر : جمع محجر ، كمجلس ومنبر : ما دار بالعين وبدا من البرقع . والبيت محرف فى وفيات الأعيان .

خلائفُ فى الإسلام ، فى الشِّرك قادةٌ ... بهم وإليهمْ فَخرُ كلِّ مُفاخرِ

وقال لبيد :

والشّـــاعرون النّاطِقون أُراهم ... سلَكُوا طريق مُرَقِّشٍ ومُهلهِلِ [١]

وقال آخر :

أم مَن لباب إذا ما اشتدَّ حاجبُه ... أم من لخصمٍ بعيـدِ الغَور مغوارِ

وقال حاجب بن دينار المازنى [٢] :

ونحن بنو الفَحْل الذى سال بولُه ... بكلِّ بـلادٍ لا يبولُ بها فحلُ

أبَى النّاسُ والأقلام أن يَحسُبُوهمُ ... إذا حُصِّل الأجناس أوْ يُحسب الرَّملُ [٣]

فانْ غَضِبوا سَدُّو المشارقَ ، منهمُ ... ملوكٌ وحكّامٌ كلامهم فَصلُ [٤]

وقال أعرابىٌّ من بنى حَنيفة ، وهو يمزَح :

مرّ الجرادُ على زرعى فقلت له ... اِلزَمْ طريقَك لا تُولَع بإفسادِ

فقال منهم خطيبٌ فوق سُنبلةٍ ... إنّا على سفر لا بُدّ من زادِ

وقال آخر يهجو بعضَ الخطباء :

يُمان ولا يمُون وكان شيخاً ... شديد اللّقْمِ هِلقاماً خطيبا [٥]

وذهب إلى قول الأحوص :

---

(١) وكذا ورد إنشاده فى الديوان ٣٤ طبع ١٨٨١ . وفيما عدا ل : « إذا هم » .

(٢) ورد اسمه فى ل محرفا « حاجب بن ذبيان » . وكذا ورد اسمه فى الأغانى (١٣ : ٤٨) حيث ذكر له أخبارا مع يزيد بن المهلب وثابت قطنة ، وذكر أن ثابت قطنة لقب حاجبا « حاجب الفيل » . وانظر أمالى المرتضى (٤ : ٢١) والحيوان (١ : ١٩١) .

(٣) فيما عدا ل : « الأخماس » تحريف . عنى كثرة عديدهم .

(٤) فيما عدا ل : « شدوا المشارق » تحريف . أراد : ثاروا بجموعهم التى تملأ الأرض وتحجب ضوء الشمس بما تثير من الرهج والغبار .

(٥) مانه يمونه : كفله وقام بكفايته وأنفق عليه . واللقم : سرعة الأكل . والهلقام : الوسع الشدقين الكثير الأكل . فيما عدا ل : « صلقاما » . وأصل الصلقام : الضخم من الإبل .

ذهَبَ الذين أحبُّهم فرَطًا   وبقيتُ كالمقمورِ فى خلْفِ[١]

من كلِّ مَطوىٍّ على حَنَقٍ   متضجِّعٍ يُكفَى ولا يَكفِى[٢]

* وقال الحسن بن هانئ : ٣٤٣

إذا نابَهَ أمرٌ فإمّا كفيته   وإمّا عليه بالكَفِىّ تُشيرُ،[٣]

وقال آخر :

ذَرِينى فلا أعيا بما حلَّ ساحتى   أَسُودُ فأَكْفِى أو أُطيعُ المُسوَّدا[٤]

وأما قول بشّار :

وفى العبَرَاتِ الغُرِّ صبرٌ على النَّدَى   أولئك حَىٌّ من خُزَيمةَ أغلبُ،[٥]

وألأم من يَمشى ضُبيعةُ ، إنّهم   زعانفُ لم يَخْطُب إليهم مُحجَّبُ،[٦]

وكذلك قول أعشى بنى ثعلبة :

ما ضرَّ غانى نِزارٍ أن تُفارقه   كلبٌ وجَرْمٌ إذا أبناؤه اتّفقوا[٧]

قالت قُضاعةُ إنّا من ذَوِى يَمَنٍ   اللهُ يعلم ، مابَرُّوا ولا صدقوا

يزداد لَحْمُ المَنَاقِ فى منازلنا   طيباً إذا عزَّ فى أعدائنا المرَقُ،[٨]

وما خَطبنا إلى قوم بنَاتِهِمُ   إلاّ بأرْعَن فى حافاتِه الحَرَقُ،[٩]

---

(١) فرطا : متقدمين سابقين . والمقمور : المغلوب فى القمار .

(٢) فيما عدا ل : « على عنق » تحريف . والمتضجع : المتقعد الذى لا يقوم بالأمر .

(٣) الكفى : الكافى . والبيت من قصيدة أبى نواس المشهورة ، التى مطلعها :

أجارة بيتنا أبوك غيور   وميسور ما يرجى لديك يسير

(٤) فيما عدا ل : « لا أعيا » .

(٥) العبرات : قبائل عبر أو عبرة ، ولم أهتد إلى تعيينها لكثرتها . أغلب : غليظ الرقبة ؛ حى أغلب : ذو سيادة ، وهم يصفون السادة بالغلب ، وهو بالتحريك : غلظ الرقبة . قال :

* بيض مرازبة غلب حجاجحة *

(٦) الزعانف : الأحياء القليلة فى الأحياء الكثيرة . المحجب : الملك ذو الحجاب .

(٧) الغانى : المقيم ، من قولهم غنى بالمكان : أقام . فيما عدا ل : « غازى » تحريف .

(٨) المناق : جمع منقية ، كمحسنة ، وهى الناقة ذات الشحم . عز : قل .

(٩) الأرعن : الجيش العظيم ، له فضول كرعان الجبال ، أى أنوفها . والحرق ، بالتحريك : النار .

قوله خَطَبْنا : من الخِطْبَـة هاهنا ؛ وهو فى الشِّعر الأول من الخِطْبة أيضاً .

وقال بلعاء بن قيس :

أبَيْتُ لنفسى الخَسفَ لمّا رَضُوا به ووَلَّيتهم شَتْمى وما كنتُ مُفْحَمَا (١)

وقال بلعاء بن قيسٍ (٢) لسُراقةَ بن مالك بن جُعْشُمٍ (٣) :

ألا أبلغْ سُراقَةَ : يا ابن مالٍ فبئس مَقالةُ الرّجلِ الخطيبِ (٤)

أترجو أن تؤوبَ بظُعْنِ ليثٍ فهذا حينَ تُبصِرُ من قريبِ (٥)

وقال منصورٌ الضبّيّ :

ليت الفتى مَجـرداً مِنّا مكانَهُمُ وليتَهم من وراء الأخضر الجارى

قد قام سيِّدُهم عِمرانُ يخطُبهم ما كان للخـــير عمرانٌ بأمّارِ

***

قال : وتقول العرب : « الخَلّةُ تَدْعُو إلى السَّلَّة (٦) » . وكانوا إذا أَسَروا

٣٤٤ أسيراً قال المادح : « أَسَرَه فى مُزاحَفَة ، ولم يأسِرْه فى سَلّةٍ » . وفى الحديث :

(١) البيت وما قبله من عبارة الإنشاد ، ساقط من ب .

(٢) هو أبو مساحق بلعاء بن قيس اليعمرى ، كان رأس بنى كنانة فى أكثر حروبهم ومغازيهم ، وهو شاعر محسن قال فى كل فن أشعارا جيادا . المؤتلف ١٠٦ . ومات قبل يوم الحريرة ، وهو اليوم الخامس من أيام الفجار . انظر العقد (يوم الحريرة) .

(٣) سراقة هـذا ، هو الذى حاول إدراك الرسول صلى الله عليه وسلم فى هجرته إلى المدينة . وقد أسلم عام الفتح . ولما أتى عمر بسوارى كسرى ومنطقته وتاجه ، دعا سراقة فألبسه إياها وقال له : ارفع يديك وقل : الله أكبر ، الحمد لله الذى سلبهما كسرى بن هرمز وألبسهما سراقة الأعرابى ! مات سراقة فى خلافة عثمان سنة ٢٤ . الإصابة ٣١٠٩ .

(٤) مال : ترخيم مالك . يا ابن مال ، أي قل يا ابن مالك .

(٥) ليث ، هى القبيلة . والظعن ، بالضم وتقال أيضا بضمتين : جمع ظعينة ، وهى المرأة فى الهودج . كنى بذلك عن سبى نسائهم .

(٦) ذكره المرزبانى فى معجم الشعراء ٣٧٣ . قال : « منصور بن المسجاح — وقيل مسحاج — بن سباع الضبى . جاهلى » .

(٦) أى الحاجة تدفع إلى السرقة .

« لا إسلالَ ولا إغلال[(١)] » . وفى المثل : « الحاجة تفتح بابَ المعرفة » .

ونذكر هنا أبياتَ شعرٍ تصلح للرواية والمذاكرة

قال سُويدُ المراثِدِ الحارثى[(٢)] أو غيره[(٣)] :

بنى عمِّنا لا تذكُرُوا الشِّعرَ بعدما ... دفنتم بصحراء الغُمَيمِ القوافيا[(٤)]
فلَسْنا كمن كنتمْ تُصِيبون سَلَّةً ... فنقبَلَ عَقْلاً أو نحكِّمَ قاضيا[(٥)]
ولكنَّ حُكمَ السيفِ فيكمْ مُسلَّطٌ ... فنرضَى إذا ما أصبحَ السيفُ راضيا
وقد ساءنى ما جرّت الحربُ بيننا ... بنى عمّنا لو كان أمراً مُدانيا[(٦)]
فإن قلتم إنّا ظَلَمْنا فإنّكم ... بدأتم ولكنّا أسأنا التّقاضيا[(٧)]

وقال ضابئُ بن الحارث[(٨)] :

ورُبَّ أمورٍ لا تضيرُكَ ضَيرةً ... وللقلب من مَخْشاتهنّ وجيبُ[(٩)]

---

(١) هذا من كتاب صلح الحديبية حين وادع أهل مكة . الإسلال : الرشوة أو السرقة . والإغلال : الخيانة . انظر مقاييس اللغة (٣ : ٥٩) .

(٢) سويد المراثد ، ذكر التبريزى فى شرح الحماسة (٢ : ٣٢٠) أن المراثد : جمع مرثد ، وهو مصدر رثدت المتاع بعضه فوق بعض ، أى نضدته . ويقال له أيضا « سويد المراثى » .

(٣) الأبيات رواها أبو تمام فى الحماسة (١ : ٣١) للشميذر الحارثى . وذكر التبريزى فى الكلام على هذه الأبيات أنها لسويد بن صميع المرثدى ، من بنى الحارث ، وكان أخوه قتل غيلة فقتل قاتل أخيه نهارا فى بعض الأسواق من الحضر . فهذا قول ثالث فى اسم سويد .

(٤) فى الحماسة وعيون الأخبار (١ : ٧٧) : « بصحراء الغمير » بالراء .

(٥) العقل : الدية . فى الحماسة وعيون الأخبار : « فنقبل ضيما » .

(٦) أمر مدان : مقارب . أى لو كان الأمر الذى أدى إلى الحرب مقاربا هينا لساءنى ذلك ، ولكنه أمر شديد يستوجب الحرب . ل : « وقد سرنى » صوابه فى الحماسة وسائر النسخ . والبيت لم يروه ابن قتيبة .

(٧) هذا البيت مقدم على البيت الذى قبله فيما عدا ل .

(٨) هو ضابئ بن الحارث بن أرطاة البرجمى ، أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ، وجنى جناية فى زمن عثمان فحبسه ، فجاء ابنه عمير فأراد الفتك بعثمان ثم جبن عنه ، ثم لما قتل عثمان وثب عمير عليه فكسر ضلعين من أضلاعه . الإصابة ٤٢٠٠ والخزانة (٤ : ٨٠) والحيوان (١ : ٣٦٩) .

(٩) المخشاة : الخشية والخوف . والوجيب : الاضطراب والخفقان .

وقال حارثةُ بن بدر[١] :

وقلْ للفـؤادِ إن نزا بِك نزوةً ... من الرَّوْعِ أفرخ أكثرُ الرَّوْعِ باطِله[٢]

وقال لَبيد بن ربيعة :

واكذبِ النَّفْسَ إذا حدَّثْتَها ... إنَّ صدْقَ النَّفسِ يُزْرِى بالأمَلْ[٣]

وقال حبيب بن أوس[٤] :

وطولُ مُقامِ المرءِ فى الحىِّ مُخْلِقٌ ... لدِيباجتَيْهِ فاغتربْ تتجدَّدِ[٥]

فإنِّى رأيتُ الشَّمسَ زِيدتْ مَحبَّةً ... إلى النَّاسِ إذْ ليست عليهم بسَرْمَدِ[٦]

٣٤٥ ° وقال غيره :

هو الشَّمسُ إلا أنَّ للشَّمس غَيبةً ... وهـذا الفتى الجَرمىُّ ليس يَغيبُ

يروح ويغـدُو ما يُفَتِّر ساعةً ... وإن قيل ناءٍ فهو منكَ قريبُ[٧]

وقال آخر :

خلافاً لقـولِى من فَيالةِ رأيه ... كما قِيل قبلَ اليوم : خالفْ لتُذكَرَا[٨]

وقال حارثةُ بن بدر :

---

(١) هو حارثة بن بدر بن حصين بن قطن بن مالك بن غدانة بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، الغدانى . قال أبو الفرج : كان من لدات الأحنف بن قيس . قال ابن حجر : فإن يكن كذلك فقد أدرك النبى صلى الله عليه وسلم . وله أخبار فى الفتوح . وذكر المبرد فى الكامل أنه غرق ، فى ولاية عبد الله بن الحارث على العراق ، وذلك سنة ٦٤ . الإصابة ١٩٣٣ .

(٢) البيت من أبيات فى الحيوان (٣ : ٧٧) وأمالى المرتضى (٢ : ٤٧) .

(٣) ديوان لبيد ١٢ طبع ١٨٨١ .

(٤) فيما عدا ل : « وقال الشاعر ، وهو حبيب بن أوس » .

(٥) أراد بالديباجتين الديباجة .

(٦) فيما عدا ل : « أن ليست » . وهى رواية الديوان ١٠١ .

(٧) فيما عدا ل : « ليس يفتر » .

(٨) أنشده فى الحيوان (٧ : ٨٤) . الفيالة ، بالفتح : ضعف الرأى . فيما عدا ل : « فتذكرا » . وانظر المثل عند الميدانى (١ : ٢١٣) .

إذا ماِمتُّ سرّ بنى تميم على الحدَثانِ لو يلْقون مِثْلى

عـدُوٌّ عدوِّهم أبدا عـدُوّى كذلك شِكلهم أبدا وشِـكْلى

وهو شبيهٌ بقول الأعشى :

عُلّقتها عَرَضـا وعلِّقَتْ رجـلاً غيرى وعُلِّق أخرى غيرَها الرّجُل (١)

***

وقال عمرو لمعاوية : « من أصـبر الناس » . قال : « من كان رأيه رَادًا لهواه » .

واختلفوا بحضرة الزُّهْرىّ فى معنى قول القائل : فلان زاهد . فقال الزُّهرى : « الزاهد الذى لا يغلب الحرامُ صَبْرَه ، ولا الحلالُ شُـكْرَه » .

وقال ابن هبيرة وهو يؤدِّب بعض بنيه : لا تكونَنّ أوّلَ مشيرٍ ، وإيَّاكَ والرّأى الفَطير ، وتجنَّب ارتجالَ الـكلام ، ولا تُشِرْ على مستبدٍّ ولا على وَغْدٍ ، ولا على متلوِّن ولا على لَجوج ، وخَفِ الله فى موافقةِ هوى المستشير ؛ فإنّ التماسَ موافقته لؤمٌ ، وسوءَ الاستماع منه خِيانه .

وقالوا (٢) : من كثر كلامه كثُر سَقَطُه ، ومن ساء خُلقُه قلّ صديقُه .

وقال عُمر للأحنف : من كثُر ضحِكه قلّت هَيْبته ، ومن أ كثر من شىء (٣) عُرِف به ، ومن كَثُرَ مِزاحُه كثُر سَقَطه ، ومن كثر سَقَطُه قلّ ورعه ، ومن قلّ ورعُه ذهب حياؤُه ، ومن ذهب حياؤُه مات قلبُه (٤) .

وقال المهلّب لبنيه : يا بَنِىَّ تباذَلُوا تحابُّوا ؛ فإنّ بنى الأمّ يختلفون ، فـكيف بنو العلّات (٥) . إنّ البِرّ يَنْسأ فى الأَجَل ، ويزيد فى العـدد ، وإن القطيعة

---

(١) ديوان الأعشى ٤٣ .

(٢) فيما عدا ل : « وقال » .

(٣ — ٤) الـكلام بين هذين الرقمين ساقط من ب .

(٥) بنو العلات : بنو رجل واحد من أمهات شتى . والعلة : الضرة .

٣٤٦ تُورِثُ القلَّة ، وتُعقِب النّار بعد الذِّلَّة . واتّقوا زَلّة اللسان ؛ فإنّ الرّجُل تزلّ رجله فينتعش[١] ، ويزلّ لسانه فيهلِك . وعليكم فى الحرب بالمكيدة ؛ فإنّها أبلغ من النّجدة[٢] ؛ فإنّ القتالَ إذا وقعَ وقع القضاء ، فإن ظَفِر فقد سَعِد ، وإن ظُفِر به لم يقولوا فرّط .

ولقى الحسينُ رضى الله عنه الفرزدقَ فسأله عن النّاس فقال : القلوبُ معك ، والسّيوفُ عليك ، والنّصر فى السماء .

وقال بعضهم : حُجب أعرابيٌّ عن باب السلطان فقال :

أُهِينُ لهمْ نفسى لأُكرِمَها بهم   ولا يكرمُ النفس الذى لا يهينُها

وقال جرير :

قومٌ إذا حضر المُلوكَ وُفودُهم   نُتِفت شوارِبهمْ على الأبواب[٣]

وقال آخر :

نَهيتَ جَميعَ الحَضْرعن ذكرِخُطّةٍ   يدبّرها فى رأيه ابنُ هشامِ[٤]
فلما وردتُ البابَ أيقنْتُ أنّنا   على اللهِ والسُّلطانِ غيرُ كرامِ

وقال آخر :

وافَى الوفودُ فوافَى من بنى حَمَلٍ   بَكرُ الحَمالةِ فانِى السِّنِّ عِزْزوم[٥]

---

(١) انتعش العاثر : نهض من عثرته .
(٢) النجدة هنا : الشجاعة والشدة .
(٣) من قصيدة له فى ديوانه ٥٥ — ٥٧ يهجو بها التيم .
(٤) الحضر ، بالفتح : أهل الحضر . قال زهير :
دع ذا وعد القول فى هرم   خير الكهول وسيد الحضر
(٥) لم أجد لهذا البيت مرجعا . والعرزوم ، لم يذكر فى المعاجم ، وبدله العرزم ، بالفتح والعرزام ، بالكسر ، وهو القوى الشديد من كل شىء . وقد وقع بعد هذا البيت اضطراب فيما عدا نسخة ل فقدم بعض صفحات الأصل وأخر بعضها . وقد اعتمدت ترتيب الكلام فى النسخة ل لتساوقه والتئامه .

وقال الحُضَين بن المنذر (١) :

وكلُّ خفيف السّاق يسمى مشمِّراً   إذا فتح البوّاب بابك إصْبَعا (٢)
ونحن الجُلوسُ الماكثون توقُّراً   حياءً إلى أن يُفتحَ البابُ أجمعا

وقال آخر :

ونَفْسَك أكرمْها فإنّك إن تَهُنْ   عليك فلن تلقى لها الدّهرَ مَكرما (٣)

اعتذر ابنُ عونٍ (٤) إلى ابراهيمَ النَّخَعى فقال له : اُسكت معذورا ؛ فإن الاعتذارَ يخالطه الـكذب (٥) .

أبو عمرو الزّعفرانى قال : كان عَمرو بن عُبيد عنـد حفص بن سالم فلم يسأله أحدٌ من حَشَمه فى ذلك اليوم شيئاً إلا قالَ : لا . فقال له عمرو : أقِلَّ من قولِ لا ؛ فإنّه ليس فى الجنة ، و إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا سُئِل ما يَجِدُ ٣٤٧
أعطى ، و إذا سئل مالا يجد قال : « يَصنعُ اللهُ » (٦) .

وقال عمر بن الخطاب رحمه الله : أكثِروا لهُنّ من قولا « لا » ؛ فإن قول « نعم » يضرِّيهنّ على المسألة (٧) . و إنّما خصّ عُمَر بذلك النِّساء .

وقال بعضهم : ذمَّ رجلٌ الدُّنيا عند على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال علىٌّ : «الدُّنيا دارُ صدقٍ لمن صَدَقها ، ودارُ نجاةٍ لمن فَهِم عنها ، ودار غِنًى لمن تزوّد منها ، ومَهبِطُ وَحْى الله ، ومُصلَّى ملائـكته ، ومَسجِد أنبيائه ، ومَتجرُ أوليائه . رَبِحُوا فيها الرّحمة ، واكتسبوا فيها الجنّة . فمن ذا الذى يذمُّها وقد آذنت ببَيْنها ،

---

(١) سبقت ترجمته فى ص ١٦٩ .
(٢) ل : « الشان » محرف .
(٣) البيت بدون نسبة أيضا فى حماسة البحترى ٢٤٧ .
(٤) هو عبد الله بن عون ، تقدمت ترجمته فى ص ٩١ من هذا الجزء .
(٥) سبق الخبر برواية أخرى فى ص ٩١ .
(٦) روى ابن قتيبة هذا الخبر والحديث ، فى عيون الأخبار (٣ : ١٣٧) .
(٧) المسألة : السؤال . ل : « يضربهن عن المسألة » تحريف .

ونادت بفِراقها ، وشَبَّهت بسُرورها السُّرور ، و ببلائها البلاء ، ترغيباً وترهيبا . فيأيُّها الذامُّ للدُّنيا ، المعلِّلُ نفسه ، متى خَدَعتك الدنيا بما استذمَّت إليك(١) ؟ بمصارع آبائك فى البِلَى ، أم بمَضاجِع أمَّهاتك فى الثرى ؟! كم مَرَّضْتَ بيديك ، وكم علَّلْتَ بكفَّيك ، تطلُب له الشّفاء ، وتَستوصِف له الأطبّاء ، غداةَ لا يُغْنى عنه دواؤك(٢) ، ولا ينفعه بكاؤك(٣) ، ولا تُنجيه شفقتُك ، ولا تشفع فيه طَلِبتُك » .

وقال عمر ، رحمه الله : « ما بال أحدكم ثانِىَ وِسادِه عند امرأةٍ مُغْزِيَةٍ مُغيبة(٤) ؟ إن المرأةَ لحمٌ على وَضَمٍ(٥) إلاّ ما ذُبَّ عنه » .

***

وقال بعضهم : مات ابن لبعض العظماء فعزّاه بعضهم فقال : عِش أيها الملك العظيمُ سعيداً ، ولا أراك الله بعدَ مصيبتك ما ينسيكَها .

وقال : لمّا توفِّى معاويةُ وجلس ابنه يزيد(٦) ، دخل عليه عَطاء بن أبى صيفِىٍّ الثَّقفى ، فقال : « يا أمير المؤمنين ، أصبحتَ قد رُزِيت خليفةَ الله ، وأُعطِيت خلافةَ الله ، وقد قضَى معاويةُ نَحْبَه ، فغفر الله ذنبه ، وقد أُعطِيتَ بعده الرِّياسة وَوَلِيتَ السّياسة ، فاحتَسِبْ عند الله أعظمَ الرزّية ، واشكُرْه على أفضل العطيّة » .

ولما تُوفِّى عبدُ الملك وجلس ابنُه الوليد ، دخَلَ عليه النّاس وهم لا يَدرون : أيهنِّئونه أم يعزُّونه ؟ فأقبل غَيلانُ بن سَلَمةَ الثَّقَفىُّ فسلّمَ عليه ، ثم قال :

---

(١) استذم إليه : فعل ما يذمه عليه . فيما عدا ل : « أم متى استندمت إليك » .

(٢) ل : « عنك دواؤك » .

(٣) الجملتان التاليتان من ل فقط .

(٤) كلمة « مغزية » من ل فقط . يقال أغزت المرأة فهى مغزية ، إذا خرج زوجها للغزو . والخبر مروى فى اللسان (غزا) . وأما المغيبة ، بضم الميم وكسر الغين ، فهى التى غاب عنها بعلها .

(٥) الوضم : ما يوضع عليه اللحم يوقى به من الأرض . أى هن من الضعف مثل ذلك اللحم لا يمتنع من أحد ، إلا أن يذب عنه ويدفع . وانظر اللسان (وضم) .

(٦) فيما عدا ل : « جلس ابنه يزيد ودخل » .

« يا أمير المؤمنين ، أصبحتَ قد رزِيتَ خيرَ الآباء ، وسُمِّيت بخير الأسماء ،
وأُعطيت أفضلَ الأشياء ، فعظَّمَ اللهُ لك على الرزيّة الصّبر ، وأعطاكَ فى ذلك ٣٤٨
نوافلَ الأجر ، وأعانَك على حُسن الوِلاية والشكر . ثم قَضَى لعبد الملك بخير
القضيَّة ، وأنزله بأفضل المنازل المرضيّة ، وأعانَك مِن بعده على الرعيّة » . فقال
له الوليد : من أنت ؟ فانتَسبَ له . قال : فى كم أنت ؟ قال : فى مائة دينار .
فألحَقه بأهل الشّرف .

ولما تُوفِّى المنصور دخل ابنُ عُتْبَة مع الخطباء على المهدىّ ، فسلّم ثم قال : آجَرَ اللهُ أميرَ المؤمنين على أمير المؤمنين قبلَه ، وبارك لأمير المؤمنين فيما خلَّفه له أميرُ المؤمنين بعدَه ؛ فلا مصيبةَ أعظَمُ مِن فقْد أميرِ المؤمنين ، ولا عُقبى أفضلُ من وِراثة مَقامِ أمير المؤمنين . فاُقبلْ ياأمير المؤمنين من الله أفضلَ العطيّة ، واحتسبْ عنده أعظَمَ الرزيّة .

وكتب مَيمون بن مِهْران[1] إلى عمرَ بنِ عبد العزيز ، يعزِّيه عن ابْنِهِ عبد الملك ، فكتب إليه عمر : « كتبتَ إلىّ تُعزِّيني عن ابنى عبدِ الملك ، وهو أمرٌ لم أزلْ أنتظرُه ، فلمّا وقَعَ لم أنكِرْه » .

وقال الشاعر[2] :

تعزَّيْتُ عن أوفى بغيلانَ بعدَه عزاءً وجَفْنُ العين بالماء مُترَعُ[3]

---

(١) هو أبو أيوب ميمون بن مهران الجزرى الرقى ، نشأ بالكوفة ثم نزل الرقة ، وكان مولى مكاتبا لبنى نصر بن معاوية ثم عتق ، وكان على خراج الجزيرة وقضائها لعمر بن عبد العزيز . وكان بزازا فكان يجلس فى حانوته ويتولى الخراج ، وكان عمر يقول فيه : « إذا ذهب هذا وضربُه صار الناس من بعده زجراجة » . الزجراجة ، بالكسر : الرعاع والرذال . توفى سنة ١١٧ . تهذيب التهذيب ، والمعارف ١٩٨ ، وصفة الصفوة (٤ : ١٦٦) .

(٢) الشعر نسبه الجاحظ فى الحيوان (٧ : ١٦٤) إلى أخت ذى الرمة ، وفى (٦ : ٥٠٦) إلى أخى ذى الرمة . وذكر فى الحماسة (١ : ٣٢٨) أنه هشام بن عقبة يرثى أخويه ، أوفى وذا الرمة . والتحقيق أنه لمسعود أخى ذى الرمة يرثى ذا الرمة وابن عمه أوفى ابن دلهم . انظر الأغانى (١٦ : ١٠٧) والشعراء لابن قتيبة .

(٣) غيلان هو اسم ذى الرمة ، وأوفى هو ابن عمه .

ولم تُنسِنِي أوفَى المصيباتُ بعـدَه ولـكنّ نكْءَ القرحِ بالقرحِ أوجَعُ

وقال متمِّم :

قَعِيـدَكِ ألاّ تُسمِعينى مَلامةً ولا تَنكئِى قَرْحَ الفؤادِ فِييجَعا[1]

وقال آخر[2] :

قليلُ التّشكِّى للمصيباتِ ذاكرٌ مِن اليوم أعقابَ الأحاديثِ فى غدِ

وقالوا : « أشدُّ من الموت ما يُتمنَّى له الموت » .

قال الفرزدق وهو يصف طعنة :

يودُّ لك الأدنَوْن لو مُتَّ قبلَها يرون بها شرًّا عليك مِن القَتْلِ

وقال : وقيل للأحنف : ما بلغ من حزمك ؟ قال : لا آلِى ما كُفِيت ، ولا أُضيِع ما وَلِيتُ .

وقال آخر : لاتقيموا ببلادٍ ليس فيها نهر جارٍ ، وسوقٌ قائمة ، وقاضٍ عدْلٌ .

وقالوا : لا تُبنى المدن إلا على الماء والمرعَى والمُحتطَبِ[3] .

وقال مالك بن دينار[4] : لربما رأيتُ الحجّاج يتكلّم على مِنبره ، ويذكُر

٣٤٩ حُسنَ صنيعِه إلى أهل العراق ، وسُوءَ صنيعهم إليه ، حتّى إنه لَيُخيَّل إلى السامع أنّه صادقٌ مظلوم .

أبو عبد الله الثّقفىّ ، عن عمِّه قال : سمعت الحسن يقول : لقد وقَذَتْنى كلمةٌ سمعتُها من الحَجّاج . قلتُ : وإنّ كلامَ الحجّاج لَيقِذُك ؟ قال : نعم ، سمعته

---

(١) البيت فى الخزانة (١ : ٢٣٤) . وقصيدة متمم فى المفضليات (٢ : ٦٥ — ٧٠) . وقعيدك ، أى قعيدك الله ، هو من أيمان العرب ، كقولهم : نشدتك الله . نكأ القرحة : قشرها . وييجع ، بكسر الياء : لغة فى يوجع . انظر حواشى ص ١٦١ .

(٢) هو دريد بن الصمة . انظر الحماسة (١ : ٣٣٩) . وقصيدة البيت فى الأصمعيات ٢٣ — ٢٤ ليبسك .

(٣) انظر الحيوان (٥ : ٩٩) .

(٤) سبقت ترجمته فى (١ : ١٢٠) .

يقول على هذه الأعواد(١) : إن امرأً ذهبت ساعةٌ من عمره فى غير ما خلِق له ، لَخليقٌ أن تُطولَ عليها حسرتُه .

وقال بعضهم : ما وجدتُ(٢) أحداً أبلغَ فى خيرٍ وشرٍّ من صاحب عبد الله بن سَلِمة(٣) .

قال : دخل الزِّبرقانُ بن بدرٍ على زيادٍ وقد كُفَّ بصره ، فسلَّم تسليما جافياً ، فأدناه زيادٌ فأجلسه معه ، وقال : يا أباعَيّاش ، القومُ يضحكون من جفائك ! قال : وإنْ ضحكوا فوالله إن منهم رجلٌ إلا يَوَدُّه(٤) أنّى أبوه دون أبيه لِغَيَّةٍ أو لِرَشْدةٍ(٥) .

قال : ونظر هشامُ بن عبد الملك إلى قبر عثمان بن حيان المُرِّى(٦) فقال : جُثْوَةٌ من جُثَى النار(٧) .

قالوا : وكان يقال : صاحبُ السّوء قطعةٌ من النار . والسَّفرُ قِطعةٌ من العذاب .

وقال بعضهم(٨) : عذابان لا يَكترِثُ لهما الرَّجل(٩) : السَّفرَ الطويل ، والبِناء الكثير .

---

(١) فيما عدا ل : « على هذه الأعواد يقول » .
(٢) فيما عدا ل : « وقال بعضهم : كان يقال ما وجدنا » .
(٣) ل : « سلم » تحريف . وهو عبد الله بن سلمة المرادى الكوفى . فى الطبقة الأولى من فقهاء الكوفة بعد الصحابة . روى عن عمر وعلى وابن مسعود . وقال النسائى : لا أعلم أحدا روى عنه غير عمرو بن مرة . فالمراد من « صاحب عبد الله بن سلمة » هو عمرو بن مرة المرادى الكوفى . انظر ترجمة كل منهما فى تهذيب التهذيب .
(٤) فيما عدا ل : « يود » .
(٥) لغية ، بفتح الغين وكسرها ، أى لزنية ، وهو نقيض قولك لرشدة .
(٦) عثمان بن حيان المرى ، كان والياً على المدينة سنة ٩٤ من قبل الوليد بن عبد الملك ثم عزله سليمان سنة ٩٦ . الطبرى (٨ : ٩٢ ، ١٠٢) .
(٧) الجثوة ، مثلثة الجيم : الحجارة المجموعة .
(٨) فيما عدا ل : « قال آخر وكان يقال » .
(٩) فيما عدا ل : « الداخل فيهما » .

وقال رجلٌ من أهل المدينة : مَن ثَقُل على صديقه خفّ على عدوّه ، ومَن أسرَعَ إلى النّاس بما يكرهون قالوا فيه بِمَا لا يعلمون .

وقال سهل بن هارون : ثلاثة يعودون إلى أجَنّ المجانين ، و إن كانوا أعقلَ العقلاء : الغضبان ، والغَيْران ، والسّكران . فقال له أبو عَبْدان الشاعر المخلَّع[1] : ما تقول فى المُنعِظ ؟ فضحك حتّى اسلَنْقى[2] ، ثم قال :

ماشرُّ الثلاثةِ أمَّ عمرٍو   بصاحبك الذى لا تَصبَحينا

وقال أبو الدَّرداء : « أقربُ ما يكونُ العبدُ مِن غضب الله إذا غضِب » .

وقال : قال إياس[3] : البُخل قيد ، والغَضَبُ جنون ، والسُّكْر مفتاح الشّرّ .

وقال بعض البُخَلاء : ما نَصَب الناس لشىء نَصْبَهم لنا[4] ، هَبْهم يُلزِمونا الذّمّ فيما بيننا و بينهم ، مالهم يُلزمونا التَّقصير فيما بيننا و بين أنفُسنا .

٣٥٠ قال : وقال إبراهيم بن عبد الله بن حسن لأبيه : ما شعر كُثَيِّر عندى كما يصفُ النّاس[5] . فقال له أبوه : إنك لم تَضَع كُثَيِّراً بهذا ، إنّما تضع بهذا نَفْسَك .

قال : وأنشد رجل عمر بن الخطاب ، رحمه الله ، قولَ طرَفة :

فلولا ثلاثٌ هُنَّ من عِيشة الفتَى   وجدِّك لم أحفِلْ متى قام عُوَّدِى

فقال عمر : « لولا أنْ أسيرَ فى سبيل الله ، وأضَعَ جبهتى لله ، وأُجالِسَ أقواما ينتقون أطايب الحديث كما ينتقون أطايب التَّمْرِ ، لم أبالِ أن أكُونَ قد مِتُّ » .

---

(١) فيما عدا ل : « المخلع الشاعر » .

(٢) فيما عدا ل : « استلق » .

(٣) ل : « قال إبليس » ، ما عدا ل : « قال ناس » ولعل وجهه ما أثبت .

(٤) نصب فلان لفلان نصبا ، إذا قصد له وعاداه وتجرد له .

(٥) فيما عدا ل : « كما يصفه الناس » .

وقال عامر بن عبد قيس (١) : « ما آسى من العراق إلاّ على ثلاث : على ظَمَإ الهواجر ، وتجاوُب المؤذّنين ، وإخوانٍ لى منهم الأسود بن كلثوم (٢) » .

وقال آخر : « ما آسى من البَصْرة إلا على ثلاث : رُطَب السُّكَّر ، وليل الحَزِيز (٣) ، وحديث أبى بكر (٤) » .

وقال سهل بن هارون :

تكنّفنى همّانِ قد كَسَفا بالى — وقد تركا قلبى محلّةَ بَلْبالِ
هما أذْرَيا دمعى ولم تُدرِ عبرتى — ربيبةُ خِدرٍ ذات سِمْطٍ وخلخال (٥)
ولكنّنى أبكى بعينٍ سخينةٍ — على جَلَل تبكى له عينُ أمثالى
فِراقُ خليلٍ ، أو شَجًى يستشِفُّنى — لَخلّةِ مَرْءٍ لا يقومُ لها مالِى (٦)
فوَا كَبِدِى حَتَّى متى القلبُ موجَعٌ — بفقدِ حبيبٍ أو تعذُّرِ إفْضالِ
وما العيشُ إلاّ أن تَطُول بنائلٍ — وإلاّ لِقاءُ الخِلِّ ذى الُخلُق العالِى

وقال آخَر :

لولا ثلاثٌ هُنَّ عيشُ الدَّهرِ — الماءُ والنومُ وأمُّ عمرو
* لَمَا خشِيتُ مِن مضيق القَبْرِ *

قال : وقال الأحنف : أربعٌ من كُنَّ فيه كان كاملاً ، ومن تعلّق بخَصلةٍ

---

(١) سبقت ترجمته فى (١ : ٨٣) . (٢) مضت ترجمته فى (١ : ٣٦٣) .
(٣) الحزيز ، بزاءين معجمتين : موضع بالبصرة ، كما فى معجم البلدان وهامش التيمورية . وفى معجم ما استعجم : « هو الموضع الذى بين العقيق وأعلى المربد بالبصرة » . فيما عدا ل : « الحزير » تحريف .
(٤) هو أبو بكر الهذلى البصرى الخطيب القاص . سبقت ترجمته فى (١ : ٣٥٧) . ل : « ابن أبى بكرة » تحريف .
(٥) هذا البيت والبيت قبله من ل فقط .
(٦) الخلة ، بالفتح : الحاجة . فيما عدا ل : « لخلة أمر » تحريف .

منهن كان مِن صالحى قومه : دِينٌ يُرشِدُه ، أو عَقلٌ يُسدِّدُه ، أو حسبٌ يصونه ، أو حياء يَقْناه[١] .

٣٥١ وقال : المؤمن بين أربع : مُؤمنٍ يحسده ، ومنافق يُبغضه ، وكافر يجاهده ، وشيطان يفتِنه . وأربع ليس أقلُّ منهن : اليقين ، والعدل ، ودرهمٌ حلال ، وأخٌ فى الله .

وقال الحسن بن علىّ : مَن أتانا لم يَعْدَم خصلةً من أربع : آيةٌ محكمة ، وقضيّةٌ عادلة ، وأخا مستفاداً ، ومجالسةَ العلماء[١] .

وقالوا : مَن أُعطِىَ أربعاً لم يُمنَعْ أربعا : مَن أُعطِىَ الشُّكرَ لم يُمنع المزيد ، ومن أُعطى التّوبةَ لم يُمنع القَبول ، ومَن أُعطِىَ الاستخارة لم يُمنع الخِيَرة ، ومَن أُعطِىَ المشورةَ لم يَعْدَم الصَّواب[٢] .

وقال أبو ذَرّ الغِفَارى : كان الناس ورقاً لاشوكَ فيه ، فصاروا شوكاً لا ورق فيه .

وقالوا : تعامَلَ النّاس بالدِّين حتى ذهبَ الدِّين ، وبالحياء حتّى ذهب الحياء ، وبالمروءة حتّى ذهبت المروءة ، وقد صاروا إلى الرّغبة والرهبةِ ، وأَحْرِ بهما أن يذهبا .

وقال بعضهم : دَعَا رجلٌ علىَّ بن أبى طالبٍ رضى الله عنه إلى طعام ، فقال : نأتيك على أن لا تتكلَّفَ لنا ما ليس عندك ، ولا تدّخر عنّا ما عِندَك[٣] .

وقال آخر : كان شيخٌ يأتى ابنَ المقفع ، فألحّ عليه يسأله الغَداء عنده وفى ذلك يقول : إنّك تظنُّ أنّى أتكلّف لك شيئاً ؟ والله لا أُقدِّم إليك إلاّ ما عندى . فلما أتاه إذَا ليس عنده[٤] إلاّ كِسرةٌ يابسة ومِلحٌ جَرِيش . ووقف سائلٌ

(١) فيما عدا ل : «أو» بدل الواو فى المواضع الثلاثة . فى الحياء ، كرضى ورمى : لزمه .
(٢) فيما عدا ل : « لم يَعنم الصواب » . (٣) هذه الجملة من ل فقط .
(٤) فيما عدا ل : « ليس فى منزله » .

بالباب فقال له : بُورِكَ فيك ! فلمّا لم يذهب قال : واللهِ لئن خرجْتُ إليك لأدُقَنّ ساقيك . فقال ابن المقفّع للسّائل : إنّك لو تعرِفُ مِن صدق وعيده مثلَ الذى أعرِفُ مِن صدق وَعْده لم تُرادَّه كلمةً ، ولم تَقِفْ طَرْفة .

قال : وكان يقال : أوّل العلم الصَّمت ، والثانى الاستماع ، والثالث الحِفْظ ، والرابع العمل به ، والخامس نَشْره .

وقال آخر : كان يقال : لا وَحْشة أو حَشُ من عُجبٍ ، ولا ظَهيرَ أعون من مشورة ، ولا فقرَ أشدُّ من عدم العقل .

وقال مُوَرِّقٌ العِجلى (١) : ضاحكٌ معترِفٌ بذنبه ، خيرٌ من باكٍ مُدِلٍّ على ربّه .

وقال : خير من العُجب بالطّاعة ، ألاّ تأتى بالطاعة (٢) .

وقال شَبيبٌ لأبى جعفر : إنَّ الله لم يجعل فوقَكَ أحداً ، فلا تجعلنَّ فوق ٣٥٢
شُكرك شكراً .

وقال آخر لأبى جعفرٍ فى أوّلِ رَكْبةٍ ركبها : إن الله قَدْ رأى ألاّ يجعلَ أحداً فوقك (٣) ، فَرَ نفسَك أهلاً أن لا يكونَ أحدٌ أطوعَ لله منك .

وسَفِهَ رجلٌ على ابنٍ له فقال له ابنُه : والله لَأَنا أشْبَه بك منك بأبيك ، ولأنت أشدُّ تحصيناً لأمى من أبيك لأمِّك .

وقال عمرو بن عُبيد لأبى جعفر : إنّ الله قد وَهَب لك الدُّنيا بأسْرِها ، فاشترِ نَفْسك (٤) منه ببعضها .

---

(١) سبقت ترجمته فى (١ : ٣٥٣) .

(٢) فيما عدا ل : « ألا يأتى » . وفى ل : « خ : بطاعة » إشارة إلى نسخة . وهى رواية ما عدا ل .

(٣) ل : « قدر ألا يجعل فوقك أحداً » .

(٤) فيما عدا ل : « فاشتر لنفسك » .

وقال الأحنف : ثلاثة لا أناةَ فيهن عندى . قيل : وماهنَّ يا أبا بحر ؟ قال : المبادرة بالعمل الصالح ، و إخراجُ ميّتك ، وأن تنكح الكفءَ أيِّمك .

وكان يقال : الأفعى تحكّكُ فى ناحيةِ بيتى أحبُّ إلىَّ من أيِّمٍ رددتُ عنها كُفئاً .

وكان يقال : ما بَعد الصَّواب إلا الخطأ ، وما بعد منْعهنَّ من الأكفاء إلاّ بذلُهن للسِّفلة والغَوغاء .

وكان يقال : لا تطلُبوا الحاجة إلى [ثلاثة : إلى] كذوب ؛ فإنّه يُقرِّبُها وإن كانت بعيدة ، و يباعدها وإن كانت قريبة . ولا إلى أحمَق ؛ فإنّه يريد أن ينفعك فيضرُّك . ولا إلى رجلٍ له إلى صاحب الحاجة حاجة ؛ فإنّه يجعل حاجتك وِقايةً لحاجته .

وكان الأحنف بن قيس يقول : لا مُروءة لكَذُوب ، ولا سُؤدد لبخيل ، ولا ورَع لسيِّئ الخلق.

وقال الشَّعبى : عليك بالصِّدق حيثُ تُرى أنّه يضرُّك ؛ فإنّه ينفعك . واجتنب الكذب فى موضعٍ ترى أنه ينفعُك ؛ فإنّه يضرك .

وقالوا : لا تصرِفْ حاجتك إلى مَن مَعيشته من رءوس المكاييل(1) ، وألسنة الموازين .

وقالوا : تفرَّدَ الله عزّ وجل بالكمال ، ولم يبرِّئْ أحداً من النُّقصان .

قالوا : وقال عامر بن الظَّرِب العَدْوانى(2) : « يا مَعْشَر عَدْوان ، إنّ الخيرَ ألوفٌ عَزوف ، ولن يُفارِق صاحبَه حتّى يفارقَه . و إنِّى لم أكنْ حليماً حتى اتَّبعت الحلماء ، ولم أكن سيّدَكم حتى تعبَّدْت لكم » .

---

(١) ل : « المكاتل » ولكنها لا تساوق النص . والمكاتل : جمع مكتل ، وهو شبه الزبيل يسع خمسة عشر صاعا .

(٢) سبق بعض الخطبة التالية والإشارة إلى مراجعها فى (١ : ٤٠١) .

وقال الأحنف : « لَأَنْ أُدْعَى مِن بعيـد ، أحبُّ إلىَّ من أن أُقْصَى من قريب » .

وكان يقال : إيّاكْ وصدرَ المجلس وإنْ صَدَّرَك صاحبُه ؛ فإنّه مجلسُ قُلْعَـةٍ[1] . ٣٥٣

قال : وقال زيادٌ : ما أَتَيْت مجلساً قطُّ إلاّ تركتُ منه مالو أخذتُه كان لى . وتَرْكُ ما لى ، أحبُّ إلىَّ مِن أخْذِ ما ليس لى .

وقال الأحنف : ما كشَّفتُ أحداً عن حالى عنـده إلاّ وجدتُها دون ما كنتُ أظنُّ .

قال : وأثنَى رجلٌ على علىّ بن أبى طالب فأفرَط ، وكان علىٌّ له متَّهِما ، فقال : أنا دون ما تقول ، وفوقَ مافى نفسِك .

قال : وكان يقال : خمس خصال تكونُ فى الجاهل : الغضَب فى غير غضب ، والكلام فى غير نَفْع ، والعطيّة فى غير موضع ، والثِّقةُ بكلّ أحد ، وألاّ يعرفَ صديقَه من عدوّه .

وأثنى أعرابىٌّ على رجل فقال : إنّ خَيرك لسريح ، و إنّ مَنْعك لمُرِيح ، و إنّ رِفدك لربيح[2] .

وقال سَعيد بن سَلْم[3] كنت والياً بأرمينِيَة ، فغبَر أبو دُهْمان الغَلاّبى[4]

---

(١) القلعة ، بالضم : التحول والارتحال .

(٢) سبق هذا الكلام فى (١ : ١٩٨) .

(٣) فيما عدا ل : « مسلم » ، تحريف . وقد سبقت ترجمة سعيد فى ص ٤٠ .

(٤) غبر : بقى ومكث . وأبو دهمان الغلابى : شاعر من شعراء البصرة ممن أدرك دولتى بنى أمية وبنى هاشم . ومدح المهدى . وكان طيبا ظريفا مليح النادرة . وهو القائل لما ضرب المهدى أبا العتاهية بسبب عشقه عتبة :

لولا الذى أحدث الخليفة فى الـ ... عشاق من ضربهم إذا عشقوا
لبحت باسم الذى أحب ولكـ ... نى امرؤ قد ثنانى الفرق

الأغانى (١٩ : ١٥١) . و « دهمان » بضم الدال . وفى النسخ : « زهمان » ، محرف . والغلابى بتشديد اللام كما فى السمعانى . فيما عدا ل : « العلانى » تحريف . وانظر الحيوان (٧ : ٢٣٧) .

على بابى أيّاما ، فلما وصل إلىّ مَثَلَ بين يدىّ قائماً بين السِّماطين وقال :

« والله إنى لأعرفُ أقواماً لو علموا أنّ سَفَّ التُرابِ يقيم من أَوَد أصلابهم لجعلوه مُسْكةً لأرْماقِهم[1] ؛ إيثارًا للتنزُّه عن عيشٍ رقيق الحواشى[2] . أمَا والله إنِّى لَبعيدُ الوَثْبة ، بطىءُ العَطفة[3] . وإنّه والله ما يَثْنينى عليك إلاَّ مِثلُ ما يصرِفُنى عنك . ولأَنْ أكونَ مُقِلاً مقرَّبًا أحبُّ إلىَّ مِن أن أكون مُكْثِرًا مُبعَدا . والله ما نسأل عملاً لا نَضْبطه ، ولا مالاً إلاَّ ونحن أكثَرُ منه . وهذا الأمرُ الذى صار إليك وفى يديك ، قدكان فى يَدَىْ غيرِك ، فأمْسَوا والله حديثاً ، إنْ خيرًا فخيرٌ وإنْ شرًّا فشرٌّ . فتحبَّبْ إلى عباد الله بحُسْن البِشر ، ولِين الجانب ؛ فإنّ حبَّ عبادِ الله موصولٌ بحبِّ الله ، وبُغضَهم موصولٌ ببُغض الله ؛ لأنّهم شهداءُ الله على خَلقه ، ورُقَباؤه على من عاج عن سبيله[4] » .

ودخل عُتْبة بن عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، عَلَى خالد ابن عبد الله القَسرىّ بعد حجابٍ شديد ، وكان عُتبةُ سخيًّا ، فقال خالدٌ يعرِّض به : إنّ هاهنا رجالاً يدَّانُون فى أموالهم ، فإذا فَنِيت ادَّانوا فى أعراضهم . فعلم القُرَشىُّ[5] أنه يعرِّض به ، فقال القرشى[6] : أصْلَحَ اللهُ الأمير ، إنّ رجالاً من الرِّجال تكون أموالُهم أكثَرَ من مُروءاتهم ، فأولئك تَبقى لهم أموالُهم ، ورجالاً
٣٥٤ تكون مروءاتُهم أكثَرَ من أموالهم ، فإذا نَفِدَتْ ادَّانُوا على سَعَةِ ما عندَ الله !
فخجل خالدٌ وقال : إنك لِمنهم ما علمت !

---

(١) الأرماق : جمع رمق ، بالتحريك ، وهو بقية الحياة . فيما عدا ل : « لازما فيهم » ، تحريف .

(٢) التنزه : الابتعاد . (٣) العطفة : الرجعة .

(٤) عاج : رجع . فيما عدا ل : « اعوج عن سبيله » .

(٥) القرشى ، هو عتبة بن عمر ، فإنه مخزومى ، ومخزوم من قريش ، هو مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب . جـ والتيمورية : « القسرى » تحريف . وفى ب : « عتبة » مع أثر تصحيح .

(٦) هذه الكلمة فى ل فقط .

قال : وقيل لعبد الله بن يزيد بن أسد بن كُرْز [١] : هلاّ أجبت أمير المؤمنين إذْ سألك عن مالك ؟ فقال : إنّه كان لايعدو إحدى حالتين [٢] : إن استكثَرَه حسَدنى ، و إن استقلّه حقَرنى .

أبو الحسن قال : وعَظَ عُروةُ [٣] بَنيه فقال : « تعلمُوا العلم فإنّكم إن تكونوا صغارَ قومٍ فعسى أن تكونوا كبارَ قومٍ [آخرين] » . ثم قال : « النّاس بأزمانهم أشبهُ منهم بآبائهم . وإذا رأيتم من رَجُل خَلّةً [٤] فاحْذروه ، واعلموا أنّ عنده لها أَخَوات » .

قال : وقال رجلٌ لرجلٍ [٥] : هب لى دُرَيهِماً . قال : أتصغِّره ، لقد صغَّرتَ عظيماً ! الدّرهم عُشر العَشَرة ، والعَشَرة عُشر المائة ، والمائة عُشْر الألف ، والألف عُشر الدِّيَة .

قال الأصمعىّ : خرجَتْ بالدَّارمىّ [٦] قُرحةٌ فى جوفه ، فبَزَق بَزْقةً خضراء ،

---

(١) عبد الله هذا هو والد خالد بن عبد الله بن يزيد القسرى ، المترجم فى (١ : ٣٠٩) . والخبر بتمامه فى الكامل ١١٩ ليبسك : « وكان عبد الله بن يزيد أبو خالد من عقلاء الرجال ، قال له عبد الملك يوما : ما مالك ؟ فقال : شيئان لا عيلة على معهما : الرضا عن الله ، والغنى عن الناس . فلما نهض من بين يديه قيل له : هلا خبرته بمقدار مالك ؟! فقال : لم يعد أن يكون قليلا فيحقرنى ، أو كثيرا فيحسدنى » . فيما عدا ل : « بن كوز » تحريف ، انظر ضبط نسبه فى ترجمة ابن خلكان لخالد بن عبد الله القسرى .

(٢) كان لا يعدو إحدى حالتين ، من ل فقط .

(٣) هو عروة بن الزبير بن العوام .

(٤) الخلة ، بالفتح : الخصلة . أراد خلة مستهجنة .

(٥) المسئول خالد بن صفوان ، كما فى كتاب البخلاء ١٢٦ . قال : سأل خالد بن صفوان رجل فأعطاه درهم ، فاستقله السائل ، فقال : يا أحمق إن الدرهم عشر العشرة » الخ .

(٦) اسمه سعيد الدارمى ، كما ذكر أبو الفرج فى الأغانى (٢ : ١٧٥) ، حيث ساق الخبر التالى . وهو أحد شعراء أهل مكة وظرفائهم وأصحاب الغناء . كان فى أيام عمر بن عبد العزيز . وهو الذى روج لصديقه التاجر الكوفى تجارته فى الخمر السود ، بما أشاع من غنائه وقوله :

قل للمليحة فى الخمار الأسود ماذا صنعتِ براهب متعبد

قد كان شمر للصلاة ثيابه حتى وقفت له بباب المسجد

قالوا : فلم تبق فى المدينة ظريفة إلا ابتاعت خماراً أسود ، حتى نفد ما كان مع التاجر منها .

فقيل له : قد بَرَأْتَ ، إذْ قد بزقْتَها خضراء[١] . قال : والله لو لم تبقَ فى الدُّنيا زمرُّدةٌ خضراء إلاّ بزقتها لما نجوتُ[٢] .

مرّ الوليد بنُ عبدِ الملك بمعلّمِ صبيان فرأى جاريةً فقال : ويلكَ مالهـذه الجارية ؟ فقال : أعلّمُها القرآن . قال : فليكن الذى يعلّمُها أصغرَ منها .

إسحاق بن أيُّوب قال : هرب الوليدُ بن عبد الملك من الطّاعون ، فقال له رجلٌ : يا أمير المؤمنين ، إنّ الله يقول : ﴿ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الفِرَارُ إنْ فَرَرْتُمْ مِنَ المَوْتِ أَوِ القَتْلِ وإذاً لا تُمَتَّعُونَ إلاَّ قَلِيلاً ﴾ . قال : ذلك القليلَ نُريد .

وهرب رجلٌ من الطّاعون إلى النَّجَف ، أيّام شُرَيح[٣] ، فكتب إليه شُريح : « أمّا بعد فإنّ الفِرار لن يُبعِدَ أجلا ، ولن يكثّر رِزقا ، وإن المُقامَ لن يقرِّب أجلا ، ولن يقلّل رزقا . وإنّ مَنْ بالنَّجَف[٤] مِن ذى قُدرةٍ لقريب » .

قالوا : ودخل على الوليد فتًى من بنى مخـزوم ، فقال له : زوّجْنى ابنتَك . فقال له : هل قرأت القرآن ؟ قال : لا . قال : أدْنُوه منّى . فأدنَوه فضرَب عمامته بقضيب كان فى يده ، وقرَعَ رأسه به قرَعات ، ثمّ قال لرجل : ضُمّه إليك فإذا قرأ القرآنَ زوّجْناه[٥] .

ولما استَعمل يزيدَ بن أبى مسلمٍ[٦] بعد الحجّاج قال : أنا كمن سَقط عنه[٧] درهمٌ فأصابَ دينارا .

---

(١) فى الأغانى : « فقال له : أبشر ، قد اخضرت القرحة وعوفيت » .
(٢) فيما عدا ل : « مانجوت » .
(٣) شريح بن الحارث القاضى المشهور ، ترجم فى (١ : ٢٦٣) .
(٤) ل : « وإن النجف » .
(٥) كلمة « القرآن » من ل فقط .
(٦) انظر ترجمة يزيد بن أبى مسلم فى (١ : ٣٩٥) .
(٧) فيما عدا ل : « منه » .

وقال[١] ليزيدَ بن أبى مُسْلم : قال أبِى للحجّاج[٢] : إنّما أنت جلدةُ ما بين عينَىّ[٣] ! قال الوليد : يا يزيد[٤] ، وأنا أقول : ° أنت جلدةُ وجهى كلِّه . ٣٥٥

ومع هذا إنّه صعِد المنبر فقال : علىٌّ بن أبى طالبٍ لُصٌّ ابنُ لُصٍّ ، صُبَّ عليه شُؤبوبُ عذاب . فقال أعرابىٌّ كان تحتَ المنبر : ما يقول أميركم هذا ؟ !

وفى قوله لُصٌّ ابنُ لُصٍّ أعجوبتان : إحداهما رَمْيُه علىَّ بن أبي طالب أنه لِصٌّ ، والأخرى أنّه بلغ مِن جَهله مالم يَجهلْه أحد ، أنّه ضم اللام من لِصٍّ .

بَكر بن عبد العزيز الدِّمشقىّ[٥] ، قال : سمعت الوليدَ بن عبد الملك على المِنبر ، حين ولِىَ الخِلافة ، وهو يقول : « إذا حدَّثتُكم فكذَبْتكم فلا طاعةَ لى عليكم ، وإذا وعدتكم فأخلفتكم فلا طاعةَ لى عليكم ، وإذا أغزيْتكم فجمّرتكم فلا طاعة لى عليكم[٦] » . فيقول مثلَ هذا الكلام ثمّ يقول لأبيه : « يا أمير المؤمنين ، قُتِلَ أبى فُدَيك[٧] » . وقال مرّة [أخرى] : « ياغلامُ رُدَّ الفرسانِ الصّادّان عن المَيدان » .

---

(١) وقال ، أى الوليد . انظر ما سيأتى فى ص ٣٥٦ من الأصل ، وفى النسخ : « وقيل » تحريف .

(٢) أبى ، أى عبد الملك . ل : « قال لك الحجاج » تحريف .

(٣) يقال هو جلدة ما بين العينين ، أو ما بين العين والأنف ، أى هو مثلها فى مكان العزة والقرب . وقال عبد الله بن عمر ، وكان يلام فى شدة حبه لابنه سالم :

يديروننى عن سالم وأديرهم ... وجلدة بين العين والأنف سالم

انظر اللسان (حوز ٢٠٩ ، سلم ١٩١) ، وثمار القلوب ١٧٤ والمعارف ٧٠ .

(٤) قال الوليد يا يزيد ، من ل فقط .

(٥) ترجم له ابن عساكر فى تاريخ دمشق (٧ : ١٣٣) نسخة المكتبة التيمورية ، وذكر أنه روى عن أبيه عبد العزيز ، وعمه عبد الغفار بن إسماعيل ، وروى عنه عبد الرحمن بن يحيى .

(٦) الكلمتان الأخيرتان ساقطتان من حـ . أغزيتكم : أخرجتكم للغزو . وتجمير الجيش : حبسه فى أرض العدو ، ومنعه من الرجوع .

(٧) فيما عدا ل : « اقتل أبى فديك » . وأبو فديك الخارجى ، هو عبد الله بن ثور ابن سلمة ، من بنى سعد بن قيس ، من بكر بن وائل . المعارف ١٨٥ . وكان خروجه على عبد الملك فى سنة ٧٢ ، الطبرى (٧ : ١٩٤) وقد وجه إليه عبد الملك أمية بن عبد الله =

قال : وقال عبد الملك : أضَرَّ بالوليد حبُّنا له ، فلم نوجِّهه إلى البادية .

قال : ولَحَن الوليدُ على المنبر فقال الكَرَوَّس : لا والله إن رأيته على هذه الأعواد قطُّ فأمكننى أن أملأَ عينى منه ، مِن كثرته فى عينى ، وجَلالته فى نفسى[1] . فإذا لَحَن هذا اللّحنَ الفاحشَ صار عندى كبعض أعوانه .

وصلّى يوماً الغداةَ فقرأ السُّورة التى تُذكَر فيها الحاقّة فقال : « ياليتُها كانت القاضِيَة » فبلغَتْ عمرَ بنَ عبدِ العزيز فقال : أمَا إنّه إنْ كان قالها إنّه لَأَحَدُ الأَحَدِين[2] .

قالوا : وكان الوليد ومحمد ، ابنا عبد الملك ، لحّانَين ، ولم يكن فى ولده أفصحُ من هشامٍ ومَسْلَمة .

قال : وقال صاحب الحديث الأوّل[3] : أخبرنى أبى ، عن إسحاق ابن قَبيصة[4] قال : كانت كتبُ الوليد تأتينا ملحونة ، وكذلك كتُبُ محمدٍ ، فقلت لمولَى محمّد : ما بالُ كتُبكم تأتينا ملحونة وأنتم أهلُ الخلافة ؟! فأخبره المولَى بقولى ، فإذا كتابٌ قد وَرَد علىَّ : « أمّا بعدُ فقد أخبرنى فلانٌ بما قلتَ ، وما أحسبك تشكُّ أنّ قريشاً أفصح من الأشْعرِين[5] . والسّلام » .

=ابن خالد ، فهزمه أبو فديك وفضحه وأخذ أثقاله وحرمه ، ثم وجه إليه عمر بن عبيد الله بن معمر ، فلقى أبا فديك بالبحرين ، فقتل أبا فديك واستنقذ منه حرم أمية بن عبد الله سنة ٧٤ . اليعقوبى (٣ : ١٨) والطبرى (٧ : ٢٠٥) .

(١) هاتان الكلمتان من ل فقط .

(٢) يقال هو أحد الأحدين ، وواحد الآحاد ، أى إنه واحد لا مثل له . اللسان (وحد ٤٦٦) .

(٣) هذه الكلمة من ل فقط ، يعنى بذلك بكر بن عبد العزيز الدمشقى .

(٤) فيما عدا ل : « قصبية » تحريف . وهو إسحاق بن قبيصة بن ذؤيب الخزاعى الشامى . أحد ثقات المحدثين ، وكان ممن غزا مع معاوية ، وكان على ديوان الزمنى فى أيام الوليد ، ثم صار عاملا لهشام بن عبد الملك على الأردن . تهذيب التهذيب .

(٥) يقال الأشعرون بحذف ياء النسب ، كما يقال يمانون . ل : « الأشعريين » ، والأشعر أبو قبيلة من اليمن ، وهو أشعر بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

ومن بنى صَرِيم : الصُّدَىُّ بن الخَلَق ، وفَدَ به الحجّاج على الوليد بن عبد الملك ، فقال له : ممّن أنت ؟ قال : من بنى صَرِيم . قال : ما اسمُك ؟ قال : الصُّدَىُّ بن الخَلَق . قال : دُعًّا فى عنقه[١] ! خارجىٌّ خبيث .

٣٥٦ هـذا يدلُّ على أنّ عامّةَ بنى صَرِيم كانوا خوارج ، وكان منهم البُرَك الصَّريمى[٢] ، واسمُه الحجّاج ، وهو الذى ضَرَبَ معاويةَ بالسيف ، وله حديث . والخَزْرَج بن الصُّدَىّ بن الخلَق ، كان خطيباً . وقال الشّاعر فى بنى صَرِيم :

أُصَلّى حيثُ تدرِكُنى صلاتى ... وليس الدِّينُ دِينَ صَرِيم[٣]

قياماً يطعنون على مَعَـدٍّ ... وكلُّهمُ على دِين الخَطِيم

والخَطِيم باهلىٌّ[٤] .

قال الأصمعىُّ وأبوالحسن : دخل على الوليد بن عبدالملك شيخانِ ، فقال أحدُهما : نَجِدُكَ تملك عشرين سنة . وقال الآخر : كذبتَ بل نجده يملك ستِّين سنة[٥] . قال : فقال الوليد : ما الذى قال هذا لائطٌ بصَفَرِى[٦] ، ولا ماقال هذا يغُرُّ مثلى .

---

(١) الدع : الدفع العنيف . وضبط فى ب « دعا » على المصدرية .

(٢) هو الحجاج بن عبد الله الصريمى ، كان أحد الثلاثة الذين عهد إليهم بقتل على ومعاوية وعمرو بن العاص فى ليلة ، ثانيهم عبد الرحمن بن ملجم الذى تكفل بقتل على ، وثالثهم عمرو ابن بكر التميمى الذى نصب نفسه لعمرو . وقد ضرب البرك معاوية مصليا ، فأصاب مأكمته ، وقبض عليه فقال لمعاوية : إن عندى خبرا أسرك به ، فإن أخبرتك فنافعى ذلك عندك ؟ قال : نعم . قال : إن أخا لى قتل عليا فى مثل هذه الليلة . قال : فلعله لم يقدر على ذلك . قال : بلى ، إن عليا يخرج ليس معه من يحرسه . فأمر به معاوية فقتل . الطبرى (٦ : ٨٦) وكتب التاريخ فى حوادث سنة ٤٠ .

(٣) فيما عدا ل : « وبئس الدين » .

(٤) فى الاشتقاق ١٦٧ : « ومن رجالهم الخطيم ، كان أول خارجى فى زمن عبد الله ابن عامر » . وكان ذلك سنة ٤١ كما ذكر الطبرى وابن الأثير . وسماه الطبرى وابن الأثير يزيد ابن مالك . قال : ابن الأثير : « وإنما قيل له الخطيم لضربة ضربها على وجهه » ، وقد خرج الخطيم مرة أخرى سنة ٤٦ وقتل فى تلك السنة بأمر زياد .

(٥) فيما عدا ل : « بل نجدك تملك ستين سنة » .

(٦) الصفر ، بالتحريك : الروع ولب القلب : لائط : عالق لازق .

والله لأجمعنَّ المالَ جمع من يعيش أبداً ، ولأفرِّقنَّه تفريقَ مَن يموت غداً .

وخطب الوليد فقال : إنّ أمير المؤمنين عبدَ الملك كان يقول : إنّ الحجاج جلدةُ ما بين عينَيّ ، ألاَ وإنّه جلدة وجهى كلِّه[1] .

آخر الجزء الأول من كتاب البيان والتبيين ، ويتلوه فى النصف الثانى : « باب اللحن : حدثنا غنام أبو على عن الأعمش عن عمارة بن عمير . الحمد لله وحده وصلى الله على محمد النبى وعلى آله » .

وافق الفراغ من كتابته يوم الجمعة تاسع ذى الحجة من سنة ثلاث وثمانين وستمائة . علقه الفقير إلى الله أحمد بن سلامة بن سالم المعرى ، حامداً لله على نعمه وعونه ، ومصلياً على نبيه محمد وآله ومسلماً[2] .

---

(١) انظر ما سبق فى ٢٠٤ .

(٢) هذه خاتمة نسخة الأصل ، وهى ل . أما خاتمة ب ، جـ والتيمورية فهى : « تم الجزء الأول من البيان والتبيين » .

الجزء الثانى

من كتاب البيان والتبيين

تصنيف

أبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى

باب اللحن

حدَّثنا عَثَّامُ أبو على(١) عن الأعمش ، عن عُمارة بن عُمَير(٢) ، قال : كان [أبو] معمر(٣) يحدِّثنا فيلحن ، يتْبع ما سَمِع .

أبو الحسن قال : أوفد زيادٌ عبيدَ الله بنَ زيادٍ إلى معاوية ، فكتب إليه معاوية : « إنّ ابنَك كما وصفت ، ولكنْ قوِّمْ من لسانه » . وكانت فى عُبيد الله لُكنةٌ ؛ لأنه كان نشأ بالأساورة(٤) مع أُمِّه « مَرجانة » ، وكان زيادٌ قد زوَّجها من شِيرَويه الأُسواريّ(٥) . وكان قال مرّة : « افتحوا سيوفكم(٦) » ، يريد سُلّوا سيوفكم ، فقال يزيد بن مفرِّغ(٧) :

---

(١) هو أبو على عَثّام بن على بن هجير الكوفى ، روى عن الأعمش وهشام بن عروة والثورى ، وكان من ثقات أهل الحديث ، توفى سنة ١٩٥ . تهذيب التهذيب . ل : « غنام أبو على » ، وفيما عدا ل : « عثام أبو يحيى » كلاهما محرف عما أثبت .

(٢) هو عمارة بن عمير التيمى الكوفى . روى عن جماعة منهم أبو معمر عبد الله بن سخبرة الأزدى ، توفى سنة ٩٨ . تهذيب التهذيب .

(٣) هو أبو معمر عبد الله بن سخبرة الأزدى الكوفى . روى عن عمر ، وعلى ، وابن مسعود ، وعنه عمارة بن عمير ، ومجاهد وإبراهيم النخعى . توفى فى ولاية عبيد الله بن زياد . تهذيب التهذيب .

(٤) الأساورة : قوم من العجم بالبصرة نزلوها قديما ، كالأحامرة بالكوفة .

(٥) زاد ابن قتيبة فى المعارف ١٥١ : « ودفع إليها عبيد الله » .

(٦) ذكر أبو الفرج فى الأغانى (١٧ : ٦٦) أن الذى قال هذه الكلمة هو عباد ابن زياد ، أخو عبيد الله بن زياد . قال : « وكان عباد فى حروبه ذات ليلة نائما فى عسكره ، فصاحت بنات آوى ، فثارت الكلاب ونفر بعض الدواب ، ففزع عباد وظنها كبسة من العدو ، فركب فرسه ودهش فقال : افتحوا سيفى » .

(٧) سبقت ترجمته فى (١ : ١٤٣) .

ويومَ فتحتَ سيفَك مِن بعيدٍ أضَعتَ وكلُّ أمرِك للضَّياعِ

ولما كلمه سُويد بن مَنجوف[١] فى الهَثْهاث بن ثَور[٢] ، وقال له : يا ابن البَضْراء[٣] ! قال له سُويد : كذبتْ [على[٤]] نساء بنى سَدُوس . قال : اجلس على استِ الأرض . قال سويد : ما كنت أحسَب أنّ للأرض استاً !

قالوا : وقال بِشْر بن مروان[٥] ، وعنده عُمَر بن عبد العزيز ، لغلامٍ له : ادْعُ لى صالحا . فقال الغلام : يا صالحًا . فقال له بشر : ألقِ منها ألِفْ . قال له عُمَر : وَأنت فزِدْ فى ألِفِك ألِفا[٦] .

وزعم يزيدُ مولى ابن عون ، قال : كان رجلٌ بالبصرة له جاريةٌ تسمَّى ظَمياء ، فكان إذا دعاها قال : يا ضَمياء ، [بالضاد] . فقال ابنُ المقفَّع : قل : يا ظَمياء . فناداها : يا ضَمياء . فلمّا غيّر عليه ابنُ المقفّع مرّتين أو ثلاثاً قال له : هى جاريتى أو جاريتك ؟

قال نصر بن سيار[٧] : لا تُسمِّ غلامَك إلا باسم يخفُّ على لسانك .

وكان محمّد بن الجهم ولّى المكّىّ[٨] صاحب النَّظّام ، مَوضِعاً من [مواضع]

---

(١) سبقت ترجمة سويد بن منجوف السدوسى فى (١ : ٣٢٦) .

(٢) ل : « والهثهاث بن ثور » ، وفى الاشتقاق ٣٢٧ : « الهثهاث أحد رجال بنى تميم » .

(٣) البضراء : الطويلة البضر ، والبضر ، بفتح الباء وسكون الضاد : لغة فى البظر ، وهى هنة بين الإسكتين . فيما عدا ل : « البظراء » .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من ل والتيمورية ، وجاءت فى ب مع علامة إلحاق ، وهى فى صلب حـ .

(٥) هو أبو مروان بشر بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس . وكان أخوه عبد الملك بن مروان قد ولاه على الكوفة ، ثم ضم إليه البصرة بعد عزله خالد ابن عبد الله القسرى ، فشخص إليها وشرب الأذريطوس ، ومات بها بعد قليل . وهو أول أمير مات بالبصرة . المعارف ١٥٥ والطبرى (٧ : ٢٠٦ — ٢٠٧) .

(٦) الخبر برواية أخرى فى العقد (٢ : ٤٨٠) .

(٧) سبقت ترجمته فى (١ : ١٥٨) .

(٨) أورد له الجاحظ أخباراً كثيرة فى الحيوان ولم يصرح باسمه .

كسكر ، وكان المكىُّ لا يحسن أن يسمّى ذلك المكان ولا يتهجّاه ، ولا يكتبه ، وكان اسم ذلك الموضع شَانَمْثَنَا(١) .

وقيل لأبى حنيفة : ما تقول فى رجلٍ أخذ صخرةً فضرب بها رأس رجلٍ فقتله ، أَتُقِيدُه به ؟ قال : لا ولو ضَرَبَ رأسَه بأبا قُبيس(٢) .

* وقال يوسف بن خالد السَّمْتىّ(٣) ، لعمرو بن عُبيد : ما تقول فى دَجاجة ٣
ذُبحت من قفائها ؟ قال له عمرو : أَحْسِنْ . قال : مِن قفاؤُها . قال : أحسِنْ . قال : من قفاءِها . قال عمرو : ما عنّاك بهذا ؟ قُلْ : مِن قَفَاها واستَرِحْ(٤) .

قال : وسمعت من يوسف بن خالد يقول : [لا] حَتَّى يشِجَّهُ ، بكسر الشين . يريد : حتّى يشُجّه ، بضم .

وكان يوسف يقول : هذا أحمَرُ من هذا . يريد : هذا أشدُّ حمرة من هذا .

وقال بِشْرُ المريسىّ(٥) : « قضَى الله لكم الحوائجَ على أحسن الوجوه وأهنَؤُها » ، فقال قاسمٌ التمّار : هذا على قوله :

---

(١) فيما عدا ل : « شاتمشنا » .

(٢) أبو قبيس : جبل مشرف على مكة . وانظر الخبر فى العقد (٢ : ٤٨٢) .

(٣) ذكره الجاحظ فى الحيوان (١ : ٩٢) . فيما عدا ل : « التيمى » تحريف . ونسبته إلى « السمت » أى الهيئة ، كما فى الأنساب وتهذيب التهذيب . وهو أبو خالد يوسف ابن خالد بن عمير السمتى الليثى ، وكان له بصر بالرأى والفتوى ، وهو أول من جلب رأى أبى حنيفة إلى البصرة ، كما أنه أول من وضع كتابا فى الشروط ، وهذا العلم يتناول أدب القضاء والشروط والمواثيق . وكان أحد رجال الجهمية . توفى سنة ١٩٠ . تهذيب التهذيب ، والسمعانى ٣٠٦ ، وكشف الظنون (علم الشروط والسجلات) .

(٤) هذه الكلمة مما عدا ل . وهى فى ل كلمة مطموسة لم يظهر منها إلا آخرها وهو قاف مكسورة وعين .

(٥) اختلف فى ضبطه ، فذكر السمعانى أنه « المريسى » بفتح الميم وكسر الراء ، نسبة إلى مريس : قرية بمصر . وكذلك ذكر ابن حجر فى لسان الميزان ، ثم قال : « وضبطها الصغانى بتثقيل الراء » . وذكر ياقوت أنه « المرّيسى » بفتح الميم وتشديد الراء المكسورة : نسبة إلى قرية بمصر وولاية من ناحية الصعيد تسمى مريسة . أما صاحب القاموس فقد قال : « ومريسة كسكينة : قرية منها بشر بن غياث المريسى » . قال ياقوت : « وببغداد درب يعرف بدرب المريسى ينسب إليه » . وهو أبو عبد الرحمن بشر بن غياث بن أبى كريمة المريسى ، تفقه على =

إنَّ سُليمى واللهُ يكلؤُها ضَنَّتْ بشَيء ما كان يرزؤُها

فصار احتجاجُ قاسمٍ أطيبَ من لحن بِشر[١] .

وقال مُسلِم بن سَلاَّم[٢] : حدّثنى أبان بن عثمان[٣] قال كان زيادٌ النَّبطىّ أخو حسّان النبطىّ ، شديدَ اللُّكنة ، وكان نحويًّا . قال : وكان بخيلاً . ودعا غلامَه ثلاثاً فلما أجابه قال : فَمِنْ لَدُنْ دأَوْتُك إلى أنْ قلت لَبَّىْ[٤] ما كنت تصْنأ ؟ يريد : مِن لدُنْ دعَوتُك إلى أنْ أجبتنى ما كنت تصنع .

قال : وكانت أمُّ نوحٍ و بلالٍ ابنى جريرٍ أعجميّة ، فقالا لها : تكلَّمى إذا كان عندنا رجال . فقالت يوما : يا نُوح ، جُرْدان دخَل فى عِجَان أمّك ؟ وكان الجرُذ أكل من عجينها .

قال أبو الحسن : أهدى إلى فيلٍ مولى زياد حمارُ وحش ، فقال لزياد : أهْدَوْا لنا هِمارَ وهْش . قال : أىَّ شىء تقول ويلك ؟ قال : أهدوا إلينا أيراً — يريد عيراً — قال زياد : الثَّانى شرٌّ من الأول[٥] .

وقال يحيى بن نوفل[٦] :

=أبى يوسف ، وكان أحد دعاة الجهمية ، وأبوه كان يهوديا قصاراً صباغا . قال العجلى : رأيته مرة واحدة ، شيخاً قصيراً دميم المنظر ، وسخ الثياب ، وافر الشعر أشبه شىء باليهود . وكان يقول بخلق القرآن . وإليه تنسب فرقة المريسية . توفى سنة ٢١٨ . تاريخ بغداد ٣٥١٦ والسمعانى ٥٢٣ ولسان الميزان (٢ : ٢٩ — ٣١) .

(١) القصة رواها الخطيب فى تاريخ بغداد (٧ : ٥٧) ، وكذا رويت فى عيون الأخبار (٢ : ١٥٧ — ١٥٨) والعقد (٢ : ٤٨٢) .

(٢) هو أبو عبد الله مسلم بن سلام الحنفى ، ترجم له فى تهذيب التهذيب .

(٣) أبو سعيد — ويقال أبو عبد الله — أبان بن عثمان بن عفان الأموى . ثقة من كبار التابعين . توفى سنة ١٠٥ . تهذيب التهذيب .

(٤) فيما عدا ل : « دأوتك فقلت لبى إلى أن أجبتنى » .

(٥) فى الحيوان (٧ : ٢٣٤) : « فقال زياد : الأول أمثل » . وفى عيون الأخبار (٢ : ١٥٩) : « الأول خير » .

(٦) سبقت ترجمته فى (١ : ٣٣٦) .

إنْ يكُ زيدٌ فصيحَ اللسانِ   خطيبا فإنَّ استَهُ تَلحن
عليك بسُكٍّ ورُمَّانةٍ   وملحٍ يُدَقُّ ولا يُطحنُ (١)
وحِلْتيتِ كِرْمَانَ والنَّانخاه   وشَمع يُسخَّن فى مُدْهُنِ (٢)

وهذا الشِّعر فى بعض معانيه يشبه قول ابن مُناذر (٣) :

إذا أنتَ تعلَّقتَ   بحبلٍ من أبى الصَّلْتِ ٤
تعلَّقْتَ بحبلٍ وا   هِنِ القُوَّةِ مُنْبَتِّ
فخُذْ من شِعر كَيسانٍ   ومن أظفار سُبُّخْتِ (٤)
ألم يبلغْك تَساكى   لدى العَلَّامةِ الْبِرْتِ (٥)
وقال المرء ما سَرْجُو   يهِ داءُ المرء من تحتِ (٦)

وقال البَرْدُخْت (٧) :

---

(١) السك ، بالضم : ضرب من الطيب يركب من مسك ورامك .

(٢) كرمان ، بالفتح وقد يكسر : إقليم بين فارس وسجستان . والنانخاه : أو النانخواه حب فى حجم الخردل قوى الرائحة والحرافة ، يسمى الكمون الملوكى ، وأهل مصر يسمونه « نخوة هندية » . ل : « والنابخات » وما عدا ل : « ونانخاة » صوابهما ما أثبت . وانظر تذكرة داود ومعجم استينجاس ١٣٨١ . وفى هذا البيت إقواء .

(٣) هو محمد بن مناذر ، المترجم فى (١ : ١٨) .

(٤) كيسان ، هو والد أبى الحسن محمد بن أحمد بن كيسان النحوى ، فكيسان لقب أبيه أحمد ، وكان كيسان معاصرا لخلف الأحمر . ابن النديم ٧٤ . وابنه أبو الحسن ابن كيسان ممن أخذ عن المبرد وثعلب . توفى سنة ٢٩٩ . نزهة الألباء وابن النديم ١٢٠ . وسبخت ، بضم السين والباء المشددة : لقب أبى عبيدة . انظر اللسان . والرواية المشهورة : « من سلح كيسان » . انظر مجالس ثعلب ١٧٨ من المخطوطة .

(٥) البرت ، بتثليث الباء : الرجل الدليل الماهر . وهذا البيت فى ل مقدم على سابقه .

(٦) ماسرجويه ، أو ماسرجيس متطبب البصرة ، اليهودى السريانى : أحد الأطباء الناقلين من السريانى إلى العربى . ابن النديم ٤١٣ . وذكر ابن أبى أصيبعة (١ : ١٦٣) أنه كان فى أيام بنى أمية ، وتوفى فى الدولة المروانية .

(٧) اسمه على بن خالد الضبى العكلى . قال ياقوت : « صحراء البردخت هى محلة بالكوفة نسبت إلى البردخت » . وذكر ابن قتيبة فى الشعر والشعراء أنه جاء إلى جرير فقال له : أتهاجينى ؟ قال : ومن أنت ؟ قال : البردخت ؟ قال : وما البردخت ؟ قال : البردخت : الفارغ =

لقد كان فى عينَيك يا حفصُ شاغلٌ   وأنفٍ كثِيل العَوْد عمّا تتبَّعُ[١]
تَتبَّعُ لحناً فى كلامٍ مُرقَّش   وخَلْقُكَ مبنىٌّ على اللّحن أجْمَعُ
فعينُك إقواءٌ وأنفُك مُكْفَأٌ   ووجهك إيطاءٌ فأنت مُرَقَّعُ[٢]

وقال المَيْسانىُّ فى هجائه أهل المدينة :

ولحُنكُم بتقعــيرٍ ومَدٍّ   وألأمُ من يدِبُّ على العفارِ[٣]

علىّ بن معاذٍ قال : كتبتُ إلى فتًى كتابا ، فأجابنى فإذا عُنوان كتابه[٤] : « إلى ذلك الذى كَتَب إلىّ » .

وقرأت على عنـوان كتابٍ إلى أبى أميّةَ الشمرىّ : « لأبى أميّة لِلموتِ أنا قبلَه »[٥] .

وكتب ابن المراكبى[٦] إلى بعض ملوك بغداد : « جُعِلتُ فِداكَ برحمِته » .

وقال إبراهيم بن سَيَابَةَ[٧] : أنا لا أقول مِتُّ قبلَك ؛ لأنّى إذا [قلتُ[٨]] متُّ قبلَك مات هو بعدى ، ولكن أقول مِتّ بَدَلَك .

= بالفارسية . قال : ما كنت لأشغل نفسى بفراغك ! وأنشد له هذا الشعر فى ترجمته . وكذلك أنشده صاحب الوساطة ١٥ وذكر أنه قاله لبعض النحويين . وفى العقد (٢ : ٤٨١) أن حفصاً كان من المتفصحين ، وكان به اختلاف فى عينيه ، وتشويه فى وجهه .

(١) الثيل ، بالكسر : القضيب . والعود ، بالفتح : الجمل المسن .

(٢) الإقواء : اختلاف حركة الروى . والإكفاء : اختلاف حرف الروى . والإيطاء : تكرار القافية باللفظ والمعنى . ما عدا ل : « المرقع » . وفى العقد : « فما فيك مرقع » .

(٣) فيما عدا ل : « بتقصير ومد » . والعفار ، أراد به العفر ، وهو التراب ؛ ولم يذكر فى المعاجم . وفى اللسان (٦ : ٢٦٧) : « وحكى ابن الأعرابى : عليـه العفار والدبار وسوء الدار . ولم يفسره » .

(٤) فيما عدا ل : « عنوان الكتاب » .

(٥) فيما عدا ل : « كتاب لأبى أمية الشمرى للموت أنا قبله » .

(٦) فيما عدا ل : « ابن المرادى » .

(٧) ترجم فى (١ : ٤٠٥) . ماعدا ل : « بن سيار » . وإبراهيم بن سيار ، هو النظام.

(٨) بها يلتئم الكلام .

وكتب عِقَالُ بن شَبَّة بن عِقَالٍ ، إلى المسيَّب بن زهير[١] :

للأمير المُسَيَّب بن زهير   من عقَالِ بن شبّة بن عقَالِ

ولما كتب بشير بن عُبيد الله على خاتَمه : « بشير بن عُبيد الله بالرحمن لايُشرِكُ[٢] » ، وقرأه أبوه على خاتمه[٣] قال : هذا أقبح من الشِّرك .

وقال عبد الملك بن مروان : اللَّحن هُجْنَةٌ على الشَّريف ، والعُجْب آفة الرَّأى[٤] . وكان يقال : اللَّحن فى المنطق أقبح من آثار الجُدَرِىّ فى الوجه[٥] .

وقال يحيى بنُ نوفل ، فى خالد بن عبد الله القَسرِىّ :

وألحنُ الناسِ كلِّ الناس قاطبةً   وكان يولعُ بالتشديق فى الخطب[٦]

وزعم المدائنىُّ أن خالد بن عبد الله قال : « إن كنتم رجبيُّون فإنا رمضانيُّون » . ولولا أن تلك العجائب قد صحّت عن الوليد[٧] ما جوّزتُ هذا على خالد .

قال : وكتب الحُصين أبى الحُرّ[٨] إلى عُمر كتاباً ، فلحن فى حرفٍ

---

(١) فى النسخ هنا : «زهير بن المسيب» تحريف . وقد ذكر الطبرى فى (٩ : ١٧٨) أنه كان من ولاة السند فى أيام المنصور . وانظر (٩ : ١٨٣) .

(٢) ل : « لا تشرك » .

(٣) ل : « وقرأ أبوه هذا البيت على خاتمه » تحريف .

(٤) كلام عبد الملك هذا ساقه صاحب العقد فى (٢ : ٤٧٩) بلفظ : « الإعراب جمال للوضيع ، واللحن هجنة على الشريف » .

(٥) فى العقد (٢ : ٤٧٨) : « وقال عبد الملك بن مروان : اللحن فى الكلام أقبح من التفتيق فى الثوب ، والجدرى فى الوجه » . وفى عيون الأخبار (٢ : ١٥٨) : « وقال مسلمة ابن عبد الملك : اللحن فى الكلام أقبح من الجدرى فى الوجه . وقال عبد الملك : اللحن أقبح من التفتيق فى الثوب النفيس » .

(٦) سبق البيت مع قرين له فى (١ : ١٢٢) .

(٧) الوليد بن عبد الملك . ماعدا ل : « قد صححت على الوليد » .

(٨) فى الأصل : «الحصين بن الحر» وما عدا ل : « بن حر » كلاهما محرف عما أثبت . وأبو الحر : كنية والده مالك وهو أبو القلوص الحصين بن أبى الحر مالك بن الخشخاش التميمى العنبرى البصرى . كان عاملا لعمر على ميسان ، وبقى حتى أدرك الحجاج فأتى به فهم بقتله ، ثم خلاه وحبسه حتى مات . تهذيب التهذيب .

منه ، فكتب إليه عمر : أن قنِّعْ كاتبك سوطا [١] .

وبلغنى عن كُثيِّرٍ بن أحمد بن زُهير بن كثير بن سيَّار [٢] أنه كان ينشد بيت أبى دُلَفَ [٣] :

أَلبِسِينى الدِّرعِ قد طا ل عن الحَرْبِ جَمامى

فسألتهُ عن ذلك فحلف أنه إنّما قال :

أَلبسينى الدِّرع قد طا ل عن الحرب جُمامى [٤]

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ ولَتَعْرِفَنَّهُمْ فى لَحْنِ القَوْلِ ﴾ . واللحن فى هذا الموضع غير اللّحن فى ذلك .

وكان سليمان بن عبد الملك يقول : المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث [٥] يفخّم اللحن كما يفخّم نافع بن جُبَير [٦] الإعراب .

قال الشاعر فى نحو ذلك :

لَعمرى لقد قَعَّبتَ حين لقيتَنا وأنت بتقعيب الكلام جديرُ

---

(١) أى اضربه سوطا . والخبر فى اللسان (قنع ١٧٥) .

(٢) فيما عدا ل : « بن زهير بن سيار » .

(٣) هو أبو دلف القاسم بن عيسى بن إدريس العجلى ، أحد قواد المأمون ثم المعتصم وكان كريماً سرياً ممدحاً شجاعاً ذا وقائع مشهورة ، وصنائع منشورة . وله صنعة فى الغناء . وله من الكتب : كتاب البزاة والصيد ، وكتاب السلاح ، وكتاب سياسة الملوك ، وغير ذلك . قال ابن خلكان : « وله أيضا أشعار حسنة ، ولولا خوف التطويل لذكرت بعضها » . توفى سنة ٢٢٥ ببغداد . ابن خلكان وتاريخ بغداد ٦٨٦٩ . وقد أنشد الخطيب بعض أشعاره .

(٤) كذا ورد فى ل مضبوطا بضم الجيم . يريد أنه سجل على نفسه اللحن إذ ضم الجيم وحقها الفتح . والجمام ، بالفتح : الراحة . ماعدا ل : « جماصى » .

(٥) هو أبو هاشم — ويقال أبو هشام — المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ابن المغيرة المخزومى . كان أحد الأجواد . توفى بالمدينة فى ولاية هشام بن عبد الملك . تهذيب التهذيب .

(٦) هو أبو عبد الله نافع بن جبير بن مطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف النوفلى ، مدنى تابعى ثقة ، كان يحج ماشياً وناقته تقاد . وكان فصيحاً عظيم النخوة جهير الكلام . توفى سنة ٩٩ . تهذيب التهذيب .

وقال خلفٌ الأحمرُ :

وفرقعهـــنّ بتعقيبه كفرقعة الرّعدِ بين السّحابِ[١]

٦ وقال الأصمعيّ : خاصمَ عيسى بن عُمر النحويّ الثقفيّ رجلا إلى بلال بن أبى بُردة ، فجعل عيسى يتتبّع الإعراب[٢] ، وجعـل الرجلُ ينظر إليه ، فقال له بلال : لأن يذهب بعضُ حقٍّ هذا أحبُّ إليـه من تركِ الإعراب ، فلا تتشاغلْ به واقصِد لحجّتك .

وقدّمَ رجلٌ من النحويّين رجلاً إلى السلطان فى دَينٍ له عليه فقال : أصلح الله الأمير ، لى عليه درهمان . فقال خصمه : لا والله أيُّها الأمير إنها لثلاثة دراهم ، ولـكن لظهور الإعراب تركَ من حقّه دِرْهماً .

قال : خاصم رجلٌ إلى الشّعبى أو إلى شُريح رجلاً فقال : إنّ هذا باعنى غلاماً فصيحاً صَبيحاً . قال : هذا محمد بن عمير[٣] بن عُطارد بن حاجب [ابن زُرارة] .

قال : مرّ ماسَرْجُويَه الطبيب ، بجدّ مُعاذ بن سعيد بن حُميد الحميرىّ ، فقال : يا ماسَرْجُويه ، إنى أجد فى حلقى بَحَحًا ، قال : إنه عملُ بُلْغُم[٤] . فلما جازَه قال : أنا أُحْسِنُ أن أقول بَلغَمٌ ، ولـكنه كلّمنى بالعربيّة فكلّمتُه بالعربيّة .

وروَى أبو الحسن أنّ الحجاج كان يقرأ : إنّا من المجرمون منتقمون[٥] .

---

(١) ورد بعده فيما عدا ل إنشاد سبق فى ص ٢١٥ وهو : وقال الميسانى :

ولخنـكم بتقعيب ومد وألأم من يدب على العفار

(٢) فيما عدا ل : « يشيع الإعراب » تحريف .

(٣) فيما عدا ل : « عمر » .

(٤) كذا ورد فى ل مضبوطا بضم الباء والغين ، فهو إما تندر منه ، وإما ظن منه أن هذه لغة أفصح من فتح الباء والغين .

(٥) فيما عدا ل : « المنتقمون » .

وقد زَعم رؤبةُ بن العجّاج وأبو عمرو بن العلاء، أنهما لم يريا قَرَويَّيْنِ أفصحَ من الحسن والحجّاج.

وغَلِط الحسن فى حرفين من القرآن مثل قوله : ص والقرآنُ . والحرف الآخر : ما تنزلَتْ به الشّياطُون .

أبو الحسن قال : كان سابقٌ الأعمى يقرأ : الخالقُ البارئُ المُصَوَّرُ . فكان ابنُ جابان إذا لقيه قال : يا سابق ، ما فعل الحرف الذى تُشرك بالله فيه ؟

قال : وقرأ ولا تَنْكِحُوا المشركين حتى يؤمنوا . قال ابن جابان : وإن آمنوا أيضاً لم نَنْكِحْهم[١] .

وقال مَسلمة بن عبد الملك : إنى لأحبُّ أن أسأل هذا الشيخ — يعنى عمرو ابن مسلم — فما يمنعُنى منه إلاّ لحنُه .

قال : وكان أيوب السَّختيانى يقول : تعلّموا النّحو ، فإنه جمالٌ للوضيع وتركُه هُجنة للشّريف[٢] .

وقال عمر رضى الله عنه : تعلَّموا النّحو كما تتعلَّمون السُّنن والفرائض .

وقال رجلٌ للحسن : يا أبى سعيد[٣] . فقال : أكَسْبُ الدّوانيق[٤] شغَلك عن أن تقول يا أبا سعيد ؟

قالوا : وأوّلُ لحنٍ سُمِع بالبادية : هذه عصاتى . وأولُ لحنٍ سُمع بالعراق : حَىِّ عَلَى الفلاَح[٥] .

---

(١) فى حاشية التيمورية : « قوله وإن آمنوا أيضاً لم ننكحهم ، لأنه فى القراءة : ولا تنكحوا ، بضم التاء . يقال نكحت المرأة وأنكحتها غيرى . وفسره المفسرون على معنى ولا تنكحوا المشركين بناتكم . فلما قرأ هذا بالفتح التبس فيه المذكر بالمؤنث ، فجاوبه ابن جابان على ذلك » .

(٢) انظر ما سبق فى الحاشية رقم ٤ ص ٢١٦ .

(٣) فى العقد (٢ : ٤٨٠) : « يا أبوسعيد » .

(٤) الدانق ، بفتح النون وكسرها : سدس الدرهم والدينار ، يجمع دوانق ودوانيق ، الأخيرة شاذة . معرب من « دانگ » الفارسية . المعرب للجواليقى ومعجم استينجاس .

(٥) هكذا ضبط فى ح على اللحن . وضبطها الصحيح بفتح الياء المشددة .

باب

ومن اللحانين البلغاء

خالد بن عبد الله القَسْريّ ، وخالد بن صفوان الأهتميّ ، وعيسى بن المُدَوِّر .

وقال بعض النُّسَّاك[1] : أعربنا فى كلامنا فما نلحن ، ولَحنَّا فى أعمالنا فما نُعرب .

وقال : أخبرنى الرّبيع بن عبد الرحمن السُّلَميّ[2] قال : قلتُ لأعرابيّ : أتهمز إسرائيل ؟ قال : إنى إذاً لرجل سَوْء . قال : قلت : أفتجرُّ فِلَسطين ؟ قال : إنّى إذاً لقويٌّ .

وكان هُشَيم[3] يقول : حدثنا يَوْنِس[4] عن الحسن . يقولها بفتح الياء وكسر النون .

وكان عبد الأعلى بن عبد الأعلى السَّامىّ[5] يقول : فأخذِهِ فصرعِهِ فذبحِهِ فأكلِهِ ، بكسر هذا أجمع .

---

(١) هو إبراهيم بن أدهم ، كما سبق فى (١ : ٢٦٠) . وورد الخبر بدون نسبة فى عيون الأخبار (٢ : ١٥٩) بلفظ : «لئن أعربنا فى كلامنا حتى ما نلحن ، لقد لحنا فى أعمالنا حتى ما نعرب » .

(٢) فى الحيوان (٣ : ١٨) : « الربيع » فقط . والخبر كذلك فى عيون الأخبار (٢ : ١٥٧) .

(٣) هو أبو معاوية هشيم بن بشير بن القاسم بن دينار السلمى الواسطى ، كان ورعا من كبار الحفاظ ، وكان من أروى الناس عن يونس بن عبيد . ولد سنة ١٠٥ وتوفى سنة ١٨٣ . تذكرة الحفاظ (١ : ٢٢٩) وتاريخ بغداد ٧٤٣٦ وصفة الصفوة (٣ : ٦) والمعارف ٢٢١ وتهذيب التهذيب .

(٤) هو الحافظ أبو عبد الله يونس بن عبيد بن دينار العبدى البصرى الخزاز . وكان من أثبت الناس فى الحسن ، وكان يقول : ما كتبت شيئاً قط . توفى سنة ١٣٩ . تذكرة الحفاظ (١ : ١٣٧) وصفة الصفوة (٣ : ٢٢٢) والمعارف ٢١١ ، وتهذيب التهذيب .

(٥) السامى : نسبة إلى بنى سامة بن لؤى . ل : «الشامى» تحريف . وهو أبو محمد =

وكان مهدىّ بن هُلَيل[1] يقول : حدثنا هشامٌ[2] ، مجزومةً ، ثم يقولُ ابن ويجزمه ؛ ثم يقول حسّانْ ويجزمه ؛ لأنّه حين لم يكن نحويًّا رأى السلامةَ فى الوقف .

وأمّا خالد بن الحارث[3] ، وبشر بن المفضَّل[4] الفقيهان ، فإنّهما كانا لا يلحنان .

وممّن كان لا يلحن البتّة حتّى كأنَّ لسانَه لسانُ أعرابىّ فصيح : أبو زيد النحوىّ ، وأبو سعيد المُعلّم[5] .

وقال خَلَفٌ[6] : قلت لأعرابىّ : أُلقِى عليك بيتاً ؟ قال : علَى نفسك فأَلْقِ[7] !

وقال أبو الفَضْل العنبرى[8] لعلىّ بن بشير[9] إنى التقطت كتابا من الطريق فأُنبئتُ أن فيه شعراً أفتريده حتّى آتيكَ به ؟ قال : نعمْ ، إنْ كان مقيّداً . قال : والله ما أدرى أمُقيَّدٌ هو أم مغلول .

الأصمعىّ قال : قيل لأعرابى : أتهمز الرُّمْح ؟ قال : نعم . قيل له : فقلها مهموزة[10] .

= عبد الأعلى بن عبد الأعلى بن محمد القرشى البصرى السامى ، بصرى ثقة ، وكان ممن يرى القدر . توفى سنة ١٩٨ . تهذيب التهذيب .

(١) فيما عدا ل : « بن مهلهل » . ولم أعثر له على ترجمة .

(٢) هشام بن حسان البصرى ، المترجم فى (١ : ٢٩١) .

(٣) هو أبو عثمان خالد بن الحارث بن عبيد بن سليمان الهجيمى البصرى ، كان من عقلاء الناس ودهاتهم ، وكان يقال له « خالد الصدق » . ولد سنة ١٢٠ وتوفى سنة ١٨٦ . تهذيب التهذيب .

(٤) هو أبو إسماعيل بشر بن المفضل بن لاحق الرقاشى . قال ابن حنبل : كان إليه المنتهى فى التثبت بالبصرة . توفى سنة ١٨٧ . تهذيب التهذيب .

(٥) انظر (١ : ٢٥٢ س ١) .

(٦) خلف الأحمر ، المترجم فى (١ : ١٢٩) .

(٧) ما عدا ل : « فألقه » .

(٨) انظر ما مضى فى (١ : ١٦٣ — ١٦٤) . وهذا الاسم يرد أحيانا بلفظ « أبو المفضل » . انظر الحيوان (٣ : ٥٠٨ / ٥ : ٢٨٣ ، ٢٨٤) .

(٩) ل : « بن بشر » .

(١٠) يقال همزت الحرف فانهمز ، أى ضغطته .

فقالها مهموزة . قيل له : أتهمز التُّرْسَ ؟ قال : نعم . فلم يَدَعْ سيفاً ولا تُرساً إلاّ هَمَزه . فقال [له] أخوه وهو يهزأ به : دعُوا أخى فإنّه يهمز السِّلاحَ أجمع .

وقال بعضهم[١] : ارتفع إلى زيادٍ رجلٌ وأخوه فى ميراث ، فقال : إنّ أبونا مات ، و إن أخينا وثَب على مال أبانا فأكله . فأمّا زياد فقال[٢] : الذى أضعْتَ من لسانك أضرُّ عليك مما أضعت من مالك . وأمّا القاضى فقال : فلا رحم الله أباك ، ولا نتح عَظْمَ أخيك[٣] ! قُمْ فى لعنة الله !

وقال أبو شَيبة قاضي واسط : أتيتمونا بعد أن أردنا [أن] نقُم . ٨

قد ذكرنا — أكرمك الله — فى صدْر هذا الكتاب من الجزء الأوّل وفى بعض الجزء الثانى ، كلاماً من كلام [العقلاء] البلغاء ، ومذاهبَ من مذاهب الحكماء والعلماء ، وقد روَينا نوادرَ من كلام الصِّبيان والمحرَّمِين من الأعراب[٤] ، ونوادرَ كثيرةً من كلام المجانين وأهل المِرَّة من الموَسْوِسين[٥] ، ومن كلام أهل الغفلةِ من النَّوْكَى ، وأصحاب التكلّف من الحمقى ، فجعلنا بعضَها فى باب الاتّعاظ والاعتبار ، و بعضَها فى باب الهَزْل والفكاهة[٦] . ولكلّ جنسٍ من هذا موضعٌ يصلح له . ولا بد لمن استكدَّه[٧] الجِدُّ من الاستراحة إلى بعض الهزل .

---

(١) الخبر أيضاً فى عيون الأخبار (٢ : ١٥٩) ونزهة الألباء ١٢ .

(٢) وكذا فى التيمورية ، وهو الوجه . وبدله فى ح و ب مع أثر تبديل فى الأخيرة : « فقال زياد » .

(٣) النتح ، أراد به الإخراج ، كما ينتح الجلد العرق . ماعدا ل : « تنح » ولا وجه له .

(٤) المحرم ، من قولهم ناقة محرمة : لم ترض ولم تذلل . وفى حاشية التيمورية : « المحرم : الذى لم يرض ولم يؤدب ، كما قيل ناقة محرمة ، وهى التى لم ترض » .

(٥) المرة ، بالكسر : خلط من أخلاط البدن الأربعة ، وهى الدم ، والبلغم ، والمرة الصفراء ، والمرة السوداء . وإذا غلبت المرة السوداء على شخص ، اختلط عقله وسمى ممروراً .

(٦) ب ، ح : « فجعلنا بعضها فى باب الهزل والفكاهة » تحريف .

(٧) استكده : أجهده وأتعبه ، وأصل استكده طلب منه الكد .

قال أبو عبيدة : أرسَل ابنٌ لعجل بن لُجَيم (١) فرساً له فى حَلْبَةٍ ، فجاء سابقاً ، فقال لأبيه : يا أبَه ، بأىِّ شىء أُسَمِّيه ؟ فقال : افقأْ إحدى عينيه ، وسِمْهُ الأعور .

وشعراء مُضَر يُحَمِّقُون رجالَ الأزد و يستخفُّون أحلامهم ، قال عمر بن لَجَأ :

تصطكُّ أَلْحِيها على دِلَائها تلاطُمَ الأزدِ على عطائها

وقال بشّار :

وكأنّ غَلْىَ دِنانِهم فى دُورهم لَغَطُ العَتيكِ على خِوَانِ زيادِ

وقال الرّاجز :

لَبَّيكَ بى أَزْفَلُ فى بِجَادِى (٢) حازِمَ حَقْوَىَّ وصدرِىَ بَادِ (٣)
أفرِّجُ الظَّلماءَ عن سوادِى (٤) أَقْوَى لشَوْلٍ بكَرَتْ صَوَادِ (٥)
كأنّما أصـــواتُها بالوادى أصوات حِجٍّ من عُمَانَ غادِ (٦)

وقال الآخر فى نحوه :

فإذا سمعتَ هـديلَهنَّ حسبتَه لَغَطَ المَقاوِلِ فى بُيُوتِ هَدَادِ (٧)

و بسبب هذا (٨) يُدْخِلُونَ فى المعنى قبائلَ اليمانيَة . وقال ابنُ أحمر :

---

(١) عجل بن لجيم بن صعب بن على بن بكر بن وائل . وانظر عيون الأخبار (٢ : ٤٣) .
(٢) كلمة « بى » مبيض لها فى الأصل . البجاد بالكسر : كساء مخطط .
(٣) الحقو ، بالفتح والكسر : الكشح ، وقيل معقد الإزار .
(٤) سواد الإنسان : شخصه . ما عدا ل : « سواد » تحريف .
(٥) يقول : هو ذو قوة عليها فى الرحلة . ل : « أقرى » وليس بشىء .
(٦) أنشده فى اللسان (حج) مع سابقه وقال : « هكذا أنشده ابن دريد بكسر الحاء » . والحج : الحجاج .
(٧) المقاول : جمع مقول ، بالكسر ، وهو الملك من ملوك حمير . وهداد ، كسحاب : حى من اليمن . فى اللسان (١٥ : ٤٣) : « قال ابن برى : وقد جاء الحمام مؤنثاً فى بيت زعم الجوهرى أنه يصف حمّاما ، وهو قوله :

فإذا دخلت سمعت فيها رجة لغط المقاول فى بيوت هداد » .

(٨) ل : « وبسبب الأزد » ، تحريف .

إخالُها سمعت عَزْفاً فتحسبُه   إهابةَ القَسْرِ ليلاً حين تَنْتَشِرُ[1]

٩ وقال الكميت :

كأنّ الغُطامِطَ من غَلْيِها   أراجيزُ أسْلَمَ تهجو غِفَارَا[2]

فجعل الأراجيز، التى شبّهها فى لغطها والتفافها بصوت غليان القدْر، لأسْلَمَ دُونَ غِفَار .

(١) العزف : صوت فى الرمل لا يدرى ماهو . والإهابة : الدعاء والصياح ، وأصلها الصوت بالإبل ودعاؤها . والقسر : بطن من بجيلة فى اليمن ، إليهم ينسب خالد بن عبد الله . وفى هامش التيمورية : « القسر قبيلة من اليمنية » . وأنشده فى اللسان (قسر) . وقال : « والقسر : اسم رجل قيل هو راعى ابن أحمر » . وروايته هناك :

أظنها سمعت عزفاً فتحسبه   إشاعة القسر ليلا حين ينتشر

(٢) الغطامط ، بالضم : صوت الغليان . أسلم وغفار : قبيلتان كانت بينهما مهاجاة . وللبيت قصة فى الأغانى (١ : ١٣٤) .

باب النَّوْكَى

قال : ومن النَّوْكَى مالكُ بن زيد مناةَ [بن تميم] ، الذى لما أُدخِل على امرأته فرأت ما رأت من الجَفاءِ والجَهْل [١] ، وجَلَسَ فى ناحية منقبضاً مشتمِلا ، قالت : ضع عُلْبَتَك . قال : يدى أحفَظُ لها . قالت : فاخلعْ نعليك . قال : رجلاى أحفَظُ لها . قالت له : فَضَعْ شَمْلتَك . قال : ظهرى أولى بها . فلمّا رأت ذلك قامت فجلست إلى جنبه [٢] . فلمّا شمّ ريحَ الطِّيب وثبَ عليها .

ومن المجانينِ والمُوسوِسين والنَّوكى : ابن قَنَان [٣] ، وصَبَّاح المُوَسْوِس ، ودِيسِيموس اليونانى [٤] ، وأبو حَيَّةَ النُّمَيْرى [٥] ، وأبو يَس الحاسب [٦] ، وجُعيفران الشاعر [٧] ، وجَرَنفَش [٨] . ومنهم سارية الليل . ومنهم رَيْطة بنت كعب بن سعد ابن تَيْم بن مُرّة [٩] ، وهى التى نَقَضت غزْلَها أنكاثا ، فضرب الله تعالى بها

---

(١) ل : « والجهد » تحريف .

(٢) ما عدا ل : « إلى جانبه » .

(٣) فى اللسان (قنن) : « وابن قنان : رجل من الأعراب » . ما عدا ل « ابن فنان » تحريف . وانظر ما سيأتى فى ص ٢٤٦ .

(٤) ل : « ريسيموس » ما عدا ل : « ريسموس » صوابه بالدال ، كما فى الحيوان (١ : ٢٨٩) .

(٥) اسمه الهيثم بن ربيع ، شاعر مجيد من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية ، ومدح الخلفاء فيهما ، وكان أهوج جباناً بخيلا كذاباً ، معروفاً بذلك أجمع . الأغانى (١٥ : ٦١ — ٦٢) والخزانة (٣ : ١٥٤) .

(٦) انظر ترجمته فى حواشى الحيوان (٦ : ٢٤٩) .

(٧) هو جعيفران بن على بن أصفر بن السرى بن عبد الرحمن الأبناوى ، مولده ومنشؤه ببغداد ، وكان يتشيع ، وكان ممن مدح أبا دلف العجلى ، وغلبت عليه المرة السوداء فاختلط فى أكثر أوقاته ، وله شعر يفند فيه من ادعى اختلاطه وجنونه . انظر الأغانى (١٨ : ٦١ — ٦٥) .

(٨) مأخوذ من قولهم رجل جرنفش ، وهو العظيم البطن أو الجنبين ، أو قولهم رجل جرنفش اللحية : عظيمها ضخمها .

(٩) فيما عدا ل : « تيم بن مرة » تحريف ، صوابه فى الاشتقاق ٥٩ وتفسير أبى حيان (٥ : ٥٣١) ، حيث ذكر فى الأخير أن لقب ريطة هو « الجفراء » .

المَثَل[١]، وهى التى قيل لها: « خرقاء وجدت صُوفا » .

ومنهم دُغَةُ[٢]، وجَهيزَةُ[٣] وشَوْلَةُ[٤]، ودُرَّاعَةُ القَدَيد المعدّيّة[٥] .

ولكلّ واحدٍ من هؤلاء قصّة سنذكرها فى موضعها، إن شاء الله.

فأمّا ديسيموس[٦] فكان مِن مُوسوِسى اليونانيّين، قال له قائل: ما بال ديسيموس يعلّم الناسَ الشّعر ولا يستطيع قولَه؟ قال: مَثَلُه مَثَل المِسَنّ الذى يَشْحَذ ولا يقطع.

ورآه رجلٌ وهو يأكل فى السّوق فقال: ما بال ديسيموس يأكل فى السّوق؟ فقال: إذا جاع في السّوق أكلَ فى السّوق.

---

(١) فى قوله تعالى فى سورة النحل: (ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم). وذكر أبو حيان أنها كانت تغزل هى وجواريها من الغداة إلى الظهر، ثم تأمرهن فينقضن ما غزلن.

(٢) دغة، بضم الدال وفتح الغين، وأصل معنى الدغة الفراشة، أو دويبة. وهذا لقب لها، واسمها مارية بنت معنج — أو مغنج، أو منعج — وهذا لقب ربيعة بن عجل. ومن حمقها أنها نظرت إلى يافوخ ولدها يضطرب، وكان قليل النوم كثير البكاء، فقالت لضرتها: أعطينى سكينا. فناولتها وهى لا تعلم ما انطوت عليه، فمضت وشقت به يافوخ ولدها فأخرجت دماغه، فلحقتها الضرة فقالت: ما الذى تصنعين؟ فقالت: أخرجت هذه المدة من رأسه ليأخذه النوم، فقد نام الآن. الميدانى فى (أحمق من دغة).

(٣) قال ابن السكيت: هى أم شبيب الحرورى. ومن حمقها أنها لما حملت شبيبا فأثقلت قالت لأحمائها: إن فى بطنى شيئاً ينقر. فنشرن عنها هذه الكلمة فحمقت. وقيل هى أمة حمقاء، وكان قوم قد اجتمعوا يخطبون فى صلح بين حيين قتل أحدهما من الآخر قتيلا، ويسألون أن يرضوا بالدية. فبينا هم فى ذلك إذ أقبلت جهيزة فقالت: إن القاتل قد ظفر به بعض أولياء المقتول فقتله. فقالوا: « قطعت جهيزة قول كل خطيب ». وضرب ذلك مثلا لمن يقطع على الناس ما هم فيه بحماقة يأتى بها. الميدانى فى (أحمق من جهيزة) و (قطعت جهيزة قول كل خطيب).

(٤) فى اللسان: « ابن السكيت: من أمثالهم فى الذى ينصح القوم: أنت شولة الناصحة. قال: وكانت أمة لعدوان رعناء تنصح لمواليها فتعود نصيحتها وبالا عليهم لحمقها ».

(٥) ما عدا ل: « ذراعة المعدية ».

(٦) ل: « ريسيموس » وما عدا ل: « ريسموس » فى هذا الموضع والمواضع التالية. وانظر ما سبق فى ص ٢٢٥.

وألحّ عليه رجلٌ بالشّتيمة(١) وهو ساكت ؟ فقال : أرأيتَ إن نبحك كلبٌ أتنبحه ، وإنْ رمحك حمار أترمحُه(٢) ؟

وكان إذا خرج [فى الفجر] يريد الفرات ألقى فى دُوّارة بابه حَجراً ، حتّى لا يُعانِيَ دفع بابِه إذا رجَع . وكان كلّما رجع إلى بابه وجد الحجر مرفوعا والباب منصفقا ، فعلم أنّ أحداً يأخذ الحجر من مكانه ، فكمَن لصاحبه يوماً ، فلمّا رآه قد أخذ الحجر قال : مالك تأخذُ ما ليس لك ؟ قال : لم أعلم أنه لك . قال : فقد علمتَ أنّه ليس لك .

وأمّا جُعيفران الموسوِس الشاعر(٣) ، فشهدتُ رجلا أعطاه درهما وقال له : قل شِعْراً على الجيم . فأنشأ يقول :

عادنى الهمُّ فاعتلجْ كُلُّ همٍّ إلى فرَجْ
سَلِّ عنك الهمومَ بالكا س وبالرّاحِ تنفرجْ

وهى أبيات(٤) .

وكان يتشيّعُ ، فقال له قائل : أتشتُم فاطمةَ وتأخذ درهما ؟ قال : لا بل أشتم عائشة وآخذُ نصفَ درهم .

وهو الذى يقول(٥) :

ما جعفرٌ لأبيــه ولا له بشبيــه
أضحى لقوم كثيرٍ فكلُّهم يدّعيــهِ
فــذا يقول بُنَيّ وذا يخاصمُ فيــه

(١) الشتيمة والمشتمة والشتم بمعنى ، وهو السب .
(٢) الخبر بتفصيل فى الحيوان (١ : ٢٩٠) .
(٣) سبقت ترجمته فى ص ٢٢٥ .
(٤) القصة برواية أخرى فى الأغانى (١٨ : ٦٢) .
(٥) ذكر أبو الفرج أنه اطلع يوما فى جب فرأى وجهه قد تغير ، وعفا شعره فقال . وأنشد الأبيات التالية .

والأمُّ تضحكُ منهم   لعلمها بأبيــــهِ

وهو الذى يقول فى قوم لاَطَةٍ :

كأنَّهمْ والأيور عامِدَةٌ   صَياقلٌ فى جِلاَبَةِ النُّصُل

وأما أبو يٰس الحاسب فإنّ عقلَه ذهب بسبب تفكُّره فى مسألة ، فلما جُنَّ كان يهذى بأنه سيصير مَلِـكا وقد أُلهِمَ ما يحدُث فى الدُّنيا من الملاحم .

وكان أبو نواس والرَّقاشىُّ يقولان على لسانه أشعاراً ، على مذاهب أشعار ابن عَقب اللّيثى ، ويُرَوِّيانها أبا يٰس ، فإذا حفظها لم يَشُكَّ أنه الذى قالها . فمن تلك الأشعار قول أبى نواس :

مَنعَ النومَ ادّكارى زمنًا   ذا تهاويلَ وأشــياءَ نُـكُرْ
واعتراكُ الرُّوم فى معمعةٍ   ليس فيها لجبانٍ من مَقَر (١)
كائناتٌ ليس عنها مذهبٌ   خَطّها يُوشَع فى كُتْبِ الزُّبُر (٢) ١١
وعلاماتٌ ســتأتى قبلَه   جَمّةٌ أوّلُها سَكْرُ النَّهَر (٣)
ويليهم رجــلٌ من هاشم   أقنصُ النّاسِ جميعاً للحُمُرْ
يبتنى فى الصَّحن من مجلسهم   للمصلّين من الشمس سُتُرْ (٤)
ورَجالا يبتنى مِطْهرةً   ضخمةً فى وسطها طَسْتُ صُفُر (٥)

---

(١) مقر ، بالقاف ، أى استقرار .

(٢) أراد بالـكائنات الحوادث . والزبر : جمع زبور ، كرسل جمع رسول ، وهو الـكتاب ، كما فى قول لبيد :

وجلا السيول عن الطلول كأنها   زبر تجد متونها أقلامها

وقد غلب استعماله فى صحف داود عليه السلام .

(٣) سكر النهر سكراً : سد فاه . ل : « شكر » تحريف .

(٤) الصحن : ساحة وسط الدار ونحوها . ما عدا ل : « من مسجدهم » . والستر ، بضمتين : جمع ستر ، بالـكسر . وقد جرى على لغة ربيعة فى الوقوف بالسكون على المنصوب .

(٥) المطهرة ، بالـكسر : البيت الذى يتطهر فيه . والطست ، بالفتح : إناء من الصفر ، مؤنث وقد يذكر . قال فى القاموس : « وحكي بالشين المعجمة » . وبهذه اللغة الأخيرة ورد فيما عدا ل : « طشت » . والصفر ، بالضم : النحاس لأصفر ، وضم الفاء للشعر .

فهُناكُمْ حين يفشُو أمركم   وهُناكُمْ ينزل الأمرُ النُّكُرْ
فاتبعوه حيثُ ما صار بكم   أيُّها الناس وإن طالَ السَّفَرْ
ودَعُوا ، بالله ، أن تهزَوْا به   لعَنَ الرّحمنُ مَن مِنه سَخِر(١)

والبَصريُّون يزعمون أن أبا يْس كان أحسبَ الناس .

وأما أبو حيّة النُّميرىّ فإنه كان أجنَّ من جُعيفِران ، وكان أشعرَ الناس . وهو الذى يقول :

ألَا حىِّ أطلالَ الرّسومِ البواليا   لبِسنَ البِلَى ممّا لَبِسْنَ اللَّياليا

وفى هذه القصيدة يقول :

إذا ما تقاضَى المرءَ يومٌ وليلةٌ   تقاضاه شىءٌ لا يملُّ التّقاضيا(٢)

وهو الذى يقول :

فأرخت قِناعًا دونَه الشَّمسُ واتّقتْ   بأحسنِ موصولينِ كفٍّ ومِعصَمِ

وحدَّثنى أبو المنجوف(٣) قال : قال أبو حيّة : عَنَّ لى ظبىٌ فرميته ، فراغ عن سهمى ، فعارضَه واللهِ السهمُ ، ثمّ راغ فراوغَه حتّى صرعه ببعض الخَبارات(٤) .

وقال : رميتُ واللهِ ظبيةً ، فلمّا نفذ السّهم ذكرتُ بالظبية حبيبةً لى ، فشددتُ وراء السّهم حتّى قبضت على قُذَذه(٥) .

---

(١) هزئ منه وبه يهزأ ، من بابى سمع ومنع : سخر ، وقد سهل الهمزة ثم أجرى الفعل مجرى المنقوص .

(٢) هذا البيت وعبارة الإنشاد قبله من ل والتيمورية فقط .

(٣) أبو المنجرف السدوسى ، روى عنه الجاحظ فى البخلاء ١٣٥ والحيوان (٦ : ٥٣) وهو أحد الأخباريين . وقد ذكره ابن النديم فى الفهرست باسم « المنجوف السدوسى » .

(٤) الخبار ، كسحاب : ما استرخى من الأرض وتحفر . ب ، حـ : « الجنارات » والتيمورية : « الحبارات » صوابهما ما أثبت من ل وعيون الأخبار (٢ : ٢٧) .

(٥) شددت من الشد ، وهو العدو والجرى . والقذذ : ريش السهم .

وكان يكلِّم العُمّار ، ويخبرْ عن مفاوضته للجنّ(١) . ١٢

وأما جَرْنفشٌ فإنّه لما خلع الفرزدقُ لجامَ بغلته ، وأدنى رأسَها من الماء ، قال له جَرَنْفش : نحِّ بَغْلتك(٢) حلقَ الله ساقَيك ! قال : ولِمَ عافاك الله ؟ قال : لأنّك كذوب المنجرة ، زانى الكَمَرة(٣) !

قال أبو الحسن : وبلغنى أنّ الفرزدق لما [أن] قال له الجَرَنْفش ما قال نادى : يابنى سَدوس . فلما اجتمعوا إليه قال : سوِّدوا الجرنفشَ عليكم ؛ فإنِّى لم أر فيكم أعقلَ منه .

ومن مجانين الكوفة : عيناوة(٤) ، وطاق البصل .

حدّثنى صديقٌ لى قال : قلت لعيناوة(٥) : أيُّما أجنُّ ، أنت أو طاق البصل ؟ قال : أنا شىء وطاق البصل شىء !

ومن مجانين الكوفة بُهلول ، وكان يتشيّع ، فقال له إسحاق بن الصَّبّاح : أكثر الله فى الشِّيعة مثلك . قال : بل أكثر الله فى المرجئة مثلى ، وأكثَرَ فى الشِّيعة مثلك !

وكان جيِّد القفا(٦) ، فربّما مرَّ به من يحبُّ العبث فيَقفِده(٧) ، فحشا قفاه خِراء ، وجلَس على قارعة الطريق فكلّما قفَده إنسانٌ تركه حتّى يجوزَ ، ثم يصيح به : يا فتى ، شُمّ يدَك ! فلم يعُدْ بعدها أحدٌ يقفده .

---

(١) العمار : جمع عامر ، وهم سكان البيت من الجن . والمفاوضة : المحادثة . ما عدا ل : « معارضته » تحريف . (٢) ل : « نعليك » وما أراها صحيحة .

(٣) المنجرة ، كذا وردت فى النسخ . وفى اللسان والقاموس أن « المنجر » : المقصد . والمنجرة بكسر الميم : حجر يحمى ويسخن به الماء .

(٤) ما عدا ل : « عينادة » . (٥) ما عدا ل : « العينادة » .

(٦) ما عدا ل : « القفاء » بالمد ، وهما لغتان . وهى مؤنثة ، وقدتذكر .

(٧) القفد : الصفع ، وبابه ضرب .

وكان يغنِّى بقيراط و يسكت بدانِق (١) .

وكانت بالـكوفة امرأةٌ رعناء يقال لها مُجيبة ، ففقد بُهلولاً فتًى كانت مجيبةُ أرضعته ، فقال [له بُهلول] : كيف لا تكون أرعن وقد أرضعتك مُجيبة ؟ فوالله لقد كانت تزُقُّ لى الفرخَ فأرى الرُّعونةَ فى طيرانه !

قال : وحدّثنى حُجر بن عبـد الجبّار قال : مرّ مُوسى بن أبى الرَّوْقاء (٢) ، فناداه صَبّاح الموسوِس : يا ابن أبى الرَّوقاء (٣) ! أسمَنْتَ بِرذَونَك ، وأهزلت دينَك ، أمَا والله إنّ أمامَك لَعقبةً لا يجاوزُها إلا المُخِفُّ ! فحبس موسى برذونه وقال : من هذا ؟ فقيل له (٤) : هذا صَبّاحُ الموسوِس . فقال : ماهو بموسوِس ، هذا نذير .

قال أبو الحسن : دعا بعضُ السلاطين مجنونَينِ ليحرِّكهما فيضحكَ مما يجىء منهما ، فلما أسمعاه وأسمعهما غضِب ودعا بالسيف ، فقال أحدهما لصاحبه : كنّا مجنونَين فصرنا ثلاثة !

وقال عمر بن عثمان (٥) : شيّعت عبد العزيز بن المُطّلب المخزومىّ (٦) وهو قاضى مكةَ ، إلى منزله ، و بباب المسجد مجنونةٌ تصفّق وتقول :

أرَّق عَينىَّ ضُراطُ القاضى (٧) هذا المقيم ليس ذاك الماضى (٨)

---

(١) سبق تفسيره فى ٢١٩ . والقيراط : نصف دانق .

(٢) ما عدا ل : « أبى ردقا » . (٣) ما عدا ل : « أبى الردقا » .

(٤) ل : « قال » .

(٥) هو أبو حفص عمر بن عثمان بن عمر بن موسى التيمى المدنى ، كان من وجوه قريش وبلغائها وفصحائها وعلمائها . ولاه الرشيد القضاء بالبصرة ، فخرج حاجا وأقام بالمدينة ، فلم يزل بها حتى مات . تهذيب التهذيب .

(٦) هو عبد العزيز بن المطلب بن عبد الله بن حنطب المخزومى المدنى . كان جوادا ذا معرفة بالقضاء والحكم ، ولى قضاء المدينة فى زمن المنصور ثم المهدى ، وولى قضاء مكة . تهذيب التهذيب . فيما عدا ل : « عبد العزيز بن عبد الملك » تحريف .

(٧) فيما عدا ل : « طراطر القاضى » تحريف .

(٨) هذا الشطر مما عدا ل .

فقال : يا أبا حفص ، أتُراها تعنى قاضِىَ مكة ؟

قال : وتذاكروا اللَّثَغ فقال قوم : أحسَنُ اللثَغ ما كان على السِّين ، وهو أن تصير ثاء . وقال آخرون : على الرّاء ، وهو أن تصير غيناً . فقال مجنون البكَراتِ : أنا أيضاً ألثغُ ، إذا أردت أن أقول شَريط[1] قلت : رَشيط !

قال : و بعث عُبيد الله بن مروان ، عمُّ الوليد ، إلى الوليد بقطيفةٍ حمراء[2] ، وكتب إليه : « إنى بعثتُ إليك بقطيفةٍ حمراء حمراء » . فكتب إليه الوليد : « قد وصلتْ إلىّ القطيفةُ ، وأنت ياعَمِّ أحمقُ أحمق » .

وقال محمد بن بلال لوكيلهِ دَبّة[3] : اشترِ لى طيباً سيرافيًا . قال : تريده سيرافى ، أو سيرافى سيرافى ؟

وقال محمد بن الجهم[4] للمكّىِّ[5] : إنى أراك مستبصراً فى اعتقاد الجزء الذى لايتجزأ ، فينبغى أن يكون عندك حَقًّا حَقًّا . قال : أمّا أن يكون عندى حَقًّا حَقًّا فلا ، ولكنه عندى حقّ .

ودخل أبو طالبٍ ، صاحبُ الطَّعام ، على هاشميَّةَ جاريةِ حَمدونةَ بنتِ الرّشيد[6] ، على أن يشترى طعاماً من طعامها فى بعض البيادر ، فقال لها : إنِّى قد رأيتُ متاعَكِ . قالت هاشميَّةُ : قل طعامَك . قال : وقد أدخلتُ يدى فيه ، فإذا متاعُك قد خَمّ وحَمِىَ[7] وقد صار مثل الجِيفَة[8] . قالت : يا أبا طالب ، ألستَ قد قلّبت الشَّعير ، فأعطنا ماشئت وإن وجدته فاسداً .

---

(١) ما عدا ل : « شرائط » تحريف .

(٢) القطيفة : دثار أو كساء أو فراش مخمل . والمخمل : ذو الخمل ، وهو هدب القطيفة ونحوها ، مما ينسج وتفضل له فضول ، كخمل الطنفسة .

(٣) ما عدا ل : « زيد » .

(٤) سبقت ترجمته فى (١ : ٣٨) . (٥) تقدمت ترجمته فى ص ٢١١ .

(٦) هو الخليفة هارون الرشيد . انظر الطبرى (١٠ : ١٢١) . وانظر خبراً آخر لفاجرة تسمى « دقاق » كانت منقطعة كتلك إلى حمدونة بنت هارون الرشيد ، فى الأغانى (١١ : ٩٥) .

(٧) خم : أنتن . ل : « خم وجهى » تحريف .

(٨) ل : « الحبقة » .

ودخل أبو طالبٍ على المأمون فقال : كان أبوكَ يا أبا [١] ، خيراً لنا منك ، وأنت يا أبا ، ليس تعدُنا ولا تبعثُ إلينا ، ونحن يا أبا ، تُجَّارُك وجِيرانُك . والمأمون فى كلٍّ ذلك يتبسَّم .

وقيل للمثنّى بن يزيد بن عمر بن هبيرة [٢] ، وهو على اليمامة : إنّ هاهنا مجنوناً له نوادرُ . فأتوه به ، فقال : ما هجاء النَّشّاش [٣] ؟ فقال : الفَلَجَ العادىّ [٤] فغضب ابنُ هبيرةَ وقال : ما جئتمونى به إلاّ عمداً ، ما هذا بمجنون . والنَّشّاش : يومٌ كان لقَيس على حنيفة ، والفَلَج : يومٌ كان لحنيفة على قيس [٥] .

وأنشدوا :

ترى القومَ أسواءً إذا جلسوا معاً ⁂ وفى القوم زَيفٌ مثلُ زيفِ الدَّراهِمِ [٦]

وقال :

فتًى زاده عزُّ المهابة ذِلَّةً ⁂ وكلُّ عزيزٍ عنده متواضعُ

وقال :

قد ينفع الأدبُ الأحداثَ فى مَهَلٍ ⁂ وليس ينفع بَعدَ الكَبْرةِ الأدبُ
إنّ الغُصُونَ إذا قوّمتَها اعتدلت ⁂ ولا تلين إذا قوّمتها الخُشُبُ [٧]

---

(١) أراد أن يكنيه فذهل عن كنيته . وكنية المأمون أبو جعفر .

(٢) سبقت ترجمة والده فى (١ : ١٩٩) .

(٣) النشاش ، كشداد : واد كثير الحمض ، كان به ذلك اليوم بين بنى عامر بن صعصعة وبنى حنيفة أهل اليمامة . ياقوت والميدانى (٢ : ٣٥٣) .

(٤) الفلج العادى ، ويقال له أيضا فلج الأفلاج : مدينة باليمامة من قرى عامر بن صعصعة . وكان به يومان : الفلج الأول لبنى عامر على بنى حنيفة ، والآخر لبنى حنيفة على بنى عامر . ياقوت والميدانى (٢ : ٢٥٢) . ما عدا ل : « القادى » تحريف . قال ياقوت : « وكان فلج هذا من مساكن عاد القديمة » . وأنشد للقحيف :

وبالفلج العادى قتلى إذا التقت ⁂ عليها ضباع الغيل باتت وظلت

(٥) مضى فى الحاشية السابقة أنهما يومان تبودلت فيها الغلبة . ويعنى بقيس عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان .

(٦) أسواء : جمع سواء ، وسواء الشىء : مثله . وأنشده فى اللسان (سوا) .

(٧) ما عدا ل : « ولن تلين » .

باب فى العى

قال جعفر بن أُخت واصل : كتب رجلٌ إلى صديق له : « بلغنى أنّ فى بستانك أشياءَ تهمُّنى ، فهب لى منه أمراً من أمر الله عظيماً [١] » .

وقال أبو عبد الملك ، وهو الذى كان يقال له عَنَاقٌ : كان عيّاشٌ [٢] وثُمامةُ [٣] حيٌّ يعظّمنى تعظيماً ليس فى الدُّنيا مثلُه .

وقال له عيّاش بن القاسم : بأىّ شىء تزعمون أنّ أبا علىٍّ الأسوارىَّ [٤] أفضلُ من سلاّمٍ أبى المنذر [٥] ؟ قال : [لأنّه] لما مات سلاّمٌ أبو المنذر ذهب أبو علىٍّ فى جنازته ، فلما مات أبو علىٍّ لم يَذْهب سلاّم فى جنازته .

وكان يقول : فيك عَشْرُ خصالٍ من الشرّ . فأمّا الثانية كذا ، والرابعة كذا ، وأما السابعة [كذا] ، والعاشرة كذا .

قال : وقلنا للمقعسىّ : كيف ثناؤك على حمدانَ بنِ حبيب ؟ فقال : هو والله الكذا الكذا .

وقال الخُرداذىّ : آجركم الله وأعظم أجْركم [٦] . فقيل له فى ذلك فقال : هذا

---

(١) ما عدا ل : « عظيم » .

(٢) هو عياش بن القاسم ، كما سيأتى .

(٣) ثمامة بن أشرس ، ترجم فى (١ : ١٠٥) .

(٤) هو أبو على الحسين بن على بن يزيد الأسوارى . ونسبته إلى « أسوارية » بفتح الهمزة وضمها ، وهى قرية من قرى أصبهان . ذكره أبو نعيم الأصفهانى فى أخبار أصفهان (١ : ٢٨١) والسمعانى فى الأنساب ٣٨ .

(٥) هو أبو المنذر سلام بن سليمان . وهو من أصحاب القراءات غير السبع . ابن النديم ٤٥ والمعارف ٢٣٢ . وقد عده ابن النديم فى عداد المجبرة وقال : ويكنى أبا المنذر ، ويلقبه أهل العدل (يعنى المعتزلة) أبا المدبر » . وروى له خبراً فى الإجبار ، أنه أصاب غلاما على جاريته فقال له : ما هذا ويلك ؟ ! قال : كذا قضاء الله . فقال : أنت حر لعلمك بالقضاء والقدر . وزوجه الجارية . ابن النديم ٢٥٦ .

(٦) ما عدا ل : « آجرك الله وعظم أجركم وأجركم » .

كما قال عثمان بن الحكم[١] : بارك الله لكم و بارك عليكم و بارك فيكم . قالوا له : و يلك : [إنّ] هذا لا يشبه ذلك .

وكتب إلى بعض الأمراء : « أبقاك الله ، وأطال بقاءك ، ومدّ فى عمرك » .

وكان أبو إدريسَ السَّمّان يقول : « وأنت فلا صبّحك الله [إلاّ] بالخير » . و يقول : «وأنتم فلا حيّا الله وجهكم[٢] إلاّ بالسلام ، وأنتم فلا بيّتكم الله إلاّ بالخير » .

ومرّ ابن أبى علقمة[٣] ، فصاح به الصِّبيانُ فهرب منهم ، وتلقّاه شيخٌ عليه ضفيرتان ، فقال له : ﴿ يا ذَا القَرْنَينِ إنّ يأجُوجَ ومَأجوجَ مُفْسِدُون فى الأرض ﴾ .

وقال المهلّب لرجل من بنى مِلْكان ، أحد بنى عدىّ : متى أنت ؟ قال : أيّامَ عُتيبةَ بنِ الحارث بن شهاب[٣] . وأقبل على رجلٍ من الأزد فقال : متى أنت ؟ فقال : أكلتُ من حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم عامَين : فقال له المهلّب : أطعمك الله لَحمك !

وأنشدنى المُعيطىّ :

وأنزَلَنى طولُ النّــوى دارَ غربةٍ   إذا شئتُ لاقيتُ الذى لا أشاكلُه[٤]
فحامقْتُه حتَّى يقالُ سجيّــةٌ   ولو كان ذا عقلٍ لكنتُ أعاقلُه

قالوا : وخطب عتّابُ بن ورقاء[٥] فحثّ على الجهاد ، فقال : هذا كما قال الله تبارك وتعالى :

---

(١) هو عثمان بن الحكم بن صخر الثقفى ، أورد له أبو الفرج خبرين فى الأغانى (٩ : ١٧/٢٣ : ١٧) كما روى له الجاحظ خبرا فى الحيوان (١ : ١٠٤) .

(٢) ما عدا ل : «وأنت فلا حيا الله وجهك » .

(٣) سبقت ترجمته فى (١ : ٢١) .

(٤) البيتان أنشدهما ابن قتيبة فى عيون الأخبار (٣ : ٢٤) . والغربة ، بالفتح : البعد.

(٥) عتاب بن ورقاء الرياحى : أحد شجعان العرب وفرسانهم ، وكان يكنى أبا ورقاء ، وكان من سادات الكوفة . وكان الفرخان صاحب الرى قد ارتد، فوجه إليه عتاب فقتله، وولى =

كُتِبَ القتل والقتالُ علينا وعلى الغانيات جرُّ الذُّيولِ (١)

وخَطب والِى اليمامة فقال (٢) : « إن الله لا يُقارُّ عبادَه على المعاصى ، وقد أهلك الله أمّةً عظيمة فى ناقةٍ ما كانت تساوِى مائتى درهم » ، فسمِّىَ مقومَ ناقةِ الله .

وهؤلاء الجُفاةُ والأعراب المُحرَّمون (٣) ، وأصحابُ العَجْرَفية ، ومن قلَّ فقهُه فى الدّين ، إذا خطبوا على المنابر فكأنهم فى طباع أولئك المجانين .

وخطب وكيعُ بن أبى سُودٍ (٤) بخراسان ، فقال : « إنّ اللهَ خلق السّموٰات والأرضَ فى ستّة أشهر » . فقيـل له : إنّها ستّة أيام . قال : وأبيكَ لقد قلتُها وإنّى لأستقلها !

=أصبهان أيام فتنة ابن الزبير ، ثم ولى المدائن وناحيتها ، وبعثه الحجاج فى جيش من الكوفة لقتال الأزارقة ، ثم فى جيش منهم لقتال شبيب الحارجى ، وذلك فى سنة ٧٧ ، فبيته شبيب فتفرق عنه جيشه فقتل . الطبرى (٧ : ٢٤٢) والمعارف ١٨٢ . وقيل فيه لما نعى :

وقائلة هل كان بالمصر حادث نعم قتل عتاب من الحدثان

وابنه خالد بن عتاب له أخبار بخراسان . حواشى الاشتقاق ١٣٦ .

(١) البيت من أبيات قالها عمر بن أبى ربيعة فى شأن عمرة بنت النعمان بن بشير ، وكانت تحت المختار بن أبى عبيد الثقفى ، فأخذها مصعب بعد قتله المختار ، وطلب إليها البراءة منه ، فأبت ، فحفر لها حفيرة وأقيمت فيها فقتلت ، فقال فى ذلك عمر :

إن من أعجب العجائب عندى قتل بيضـاء حرة عطبول
قتلت حرة على غير جرم إن لله درها من قتيـل
كتب القتل والقتال علينا وعلى الغانيات جر الذيول

الأغانى (٨ : ١٣٣) وزهر الآداب (٣ : ٧٦) وعيون الأخبار (٢ : ٤٩) .

(٢) الخبر فى عيون الأخبار (٢ : ٤٥) .

(٣) سبق الكلام على المحرمين فى ص ٢٢٢ . ما عدا ل : « من الجفاة والأعراب المحرمين » .

(٤) هو أبو مطرف وكيع بن حسان بن قيس بن أبى سود الغدانى التميمى ، وكان عبد العزيز بن عبد الله بن عامر قد ولى سجستان ، فغضب عليه وحبسه ، فاحتال لنفسه حتى أفرج عنه ، ثم تحول إلى خراسان فكان رأسا فكتب الحجاج إلى قتيبة يأمره بقتله ، وكان وكيع أبلى معه بلاء حسنا فى مغازيه معه . فعزله قتيبة عن الرآسة فقط ، فلما ملك الوليد وخلع قتيبة بايع الناس وكيعا ، فقتل قتيبة وأخذ رأسه فبعث به إلى سليمان ، ومكث وكيع غالبا على خراسان تسعة أشهر حتى وليها يزيد بن المهلب . المعارف ٨٣ . وانظر الخبر فى عيون الأخبار (٢ : ٤٨) .

وصعد المنبرَ فقال : إن ربيعةَ لم تزَلْ غضاباً على الله مذ بعث الله نبيَّه فى مُضَر ، ألاَ و إنّ ربيعة قومٌ كُشُفٌ(١) ، فإذا رأيتموهم فاطْعنوا الخيل فى مناخرها ، فإنّ فرساً لم يطعن فى منخره إلاّ كان أشدَّ على فارسه من عدُوّه .

وضربت بنو مازن الُحتات بن يزيدَ المُجاشعىَّ(٢) ، فجاءت جماعةٌ منهم ، فيهم غالبٌ أبو الفرزدق ، فقال : يا قوم ، كونوا كما قال الله : لا يعجِز القومُ إذا تعاونوا .

وتزعم بنو تميم أن صَبِرَة بن شَيْمانَ(٣) قال فى حرب مسعودٍ(٤) والأحنف : إنْ جاء حُتَاتٌ جئت ، و إنْ جاء الأحنف جئت ، و إن جاء جاريةُ(٥) جئت ، ١٦
و إن جاءوا جئنا ، و إن لم يجيئوا لم نجئْ .

وهذا باطلٌ ، قد سمِعْنا لصَبِرَةَ كلاماً لا ينبغى أن يكون صاحبُ ذلك الكلام يقول هذا الكلام .

ولمّا سِمع الأحنفُ فتيانَ بنى تميم يضحكون من قول العَرَنْدس(٦) :

لَحَا الله قوماً شوَوْا جارَهُمْ   إذا الشّاةُ بالدِّرهمين الشَّصِبْ(٧)
أرى كلَّ قومٍ رَعَوا جارَهمْ   وجارُ تميم دُخَانٌ ذَهَبْ

---

(١) الكشف : جمع أكشف ، وهو الذى لا يصدق القتال ، وقيل الأكشف : الذى لا ترس معه فى الحرب ، كأنه منكشف غير مستور .

(٢) سبقت ترجمته فى (١ : ٥٩) .

(٣) مضت ترجمته فى (١ : ٣٠٠) .

(٤) هو مسعود بن عمرو العتكى ، المترجم فى ص ٦٨ .

(٥) هو جارية بن قدامة التميمى السعدى ، كان الأحنف بن قيس يدعوه عمه على سبيل التعظيم . الإصابة ١٤٦ . وفى النسخ : « حارثة » تحريف .

(٦) العرندس هذا هو العرندس العوذى ، من الأزد ، بصرى إسلامى . ذكر المرزبانى فى معجمه ٣٠٦ أنه يقول الشعر التالى لبنى تميم حين أحرقوا عامر بن الحضرمى . والعرندس هذا غير العرندس الكلابى .

(٧) ل : « والشاة » . وهذا العجز كتب فى هامش أصل معجم المرزبانى برواية :

* بأخدود فيه الغنا والخشب *

قال : أتضحكون ؟ أمَا والله إنّ فيه لمعنَى سَوء .

قال : وكان قَبيصة[١] يقول : رأيت غُرفةً فوق البيت .

ورأى جرادًا يطير فقال : لا يَهُولنّكم ما ترون ، فإنّ عامّتَها موتى .

وإنه فى أوّل ما جاء الجراد قَبّل[٢] جرادةً ووضعها على عينيه ، على أنها من الباكورة .

وهذه الأشياء ولّدها الهيثم بنُ عديّ ، عند صنيع داود بن يزيد[٣] فى أمر تلك المرأة ما صنع[٤] .

قال أبو الحسن : وتغدّى أبو السّرايا[٥] عند سليمان بن عبد الملك ، وهو يومئذ ولىُّ عهد ، وقدّامه جَدىٌ ، فقال : كل من كُليته فإنّها تزيد فى الدماغ[٦] .

---

(١) هو قبيصة بن المهلب ، كما فى عيون الأخبار (٢ : ٤٥) حيث الخبر مع تاليه .

(٢) ل : « قتل »

(٣) داود بن يزيد بن حاتم الملهبي ، أحد قواد الرشيد . ل : « بن يزيد » تحريف . ولاه الرشيد السند سنة ١٨٤ ومات وهو وال عليها فى زمان المأمون سنة ٢٠٥ . انظر تاريخ الطبرى .

(٤) فى الأغانى (١٨ : ١٠٩) أن الهيثم كان تزوج امرأة من بنى الحارث بن كعب ، فركب محمد بن زياد بن عبيد الله بن عبد المدان الحارثى أخو يحيى بن زياد ، ومعه جماعة من أصحابه الحارثيين إلى الرشيد ، فسألوه أن يفرق بينهما فقال الرشيد : أليس هو الذى يقول فيه الشاعر :

إذا نسبت عديا فى بنى ثعـل   فقدم الدال قبل العين فى النسب

قالوا : بلى يا أمير المؤمنين . فأمر الرشيد داود بن يزيد أن يفرق بينهما . فأخذوه فأدخلوه دارا وضربوه بالعصى حتى طلقها . والبيت من أبيات لأبى نواس . انظرها مع خبرها فى ترجمة الهيثم بن عدى فى وفيات الأعيان .

(٥) أبو السرايا : هذا غير أبى السرايا الخارجى . وقد خرج هذا الأخير فى زمان المأمون ، واسمه السرى بن منصور ، وكان يذكر أنه من ولد هانئ بن قبيصة بن هانئ بن مسعود . خرج بالكوفة مع ابن طباطبا ، وكان هو القيم بأمره فى الحرب وتدبيرها وقيادة الجيش . وكان سبب الخروج ما كان من أمر صرف المأمون طاهر بن الحسين عما كان إليه وتوليته ذلك الحسن بن سهل . وكان ذلك سنة ١٩٩ . وانتهت حروبه بمصرعه سنة ٢٠٠ ، حيث أمر الحسن بن سهل بضرب عنقه . انظر الطبرى فى حوادث هاتين السنتين . وقد ورد الخبر الذى رواه الجاحظ فى عيون الأخبار (٢ : ٤٧) بلفظ : « تغدى رجل عند سليمان » .

(٦) ل : « كليتيه » وأثبت ما فى سائر النسخ وعيون الأخبار . وفيما عدا ل « فإنه يزيد فى الدماغ » .

فقال : لو كان هذا هكذا ، لكان رأسُ الأمير مثلَ رأس البغل .

وقال أبو كعبٍ : كنّا عند عيّاشِ بن القاسم ، ومعنا سَيْفُوَيه القاصّ ، فأوتينا بفالوذَجة حارّة ، فابتلَع منها سَيفويه لقمةً غشِى عليه[١] من شدّة حرّها ، فلما أفاق قال : لقد مات لى ثلاثةُ بنينَ ما دخل جوفى عليهم من الُحرقة ما دخل جوفى من حُرقة هذه اللُّقمة !

سعيد بن أبى مالك[٢] قال : جالسنى رجل ، فَغبَرَ[٣] لا يكلِّمنى ساعةً ، ثم قال : جلستَ قطُّ على رأس تَنُّورٍ فخَرِيتَ فيه آمناً مطمئنّا ؟ قال : قلت : لا قال : فإنّك لم تعرفْ شيئاً من النّعيم قطّ !

قال : وقال هشام بن عبد الملك ذاتَ يوم لجلسائه : أىُّ شىء ألذّ ؟ فقال الأبرش بن حسّان[٤] : هل أصابك جَرَبٌ قطُّ فحككته ؟ قال : مالكَ ! أجْرَبَ الله جِلدك ، ولا فرّج [الله] عنك ! وكان آنسَ الناس به .

***

ومن غرائب الُحمقِ : المذهب الذى ذهب إليه الكميت بن زيد ، فى مديح النبى صلى الله عليه وسلم ، حيث يقول[٥] :

فاعتتب الشّوق من فؤادى والشِّعـرُ إلى من إليـه مُعتتَبُ
إلى السّراج المنيرِ أحمـد لا تَعدِلُنى رَغبـةٌ ولا رهَبُ
عنـه إلى غيره ولو رفع الـنّاس إلىَّ العيونَ وارتقبوا
وقيل أفرطتَ بل قصدتُ ولو عنّفـنِى القائلون أو ثَلَبوا

(١) ما عدا ل : « فغشى عليه » .
(٢) فيما عدا ل : « سعد بن مالك » .
(٣) غبر : بقى ومكث . ما عدا ل : « فقير » تحريف .
(٤) ترجم فى (١ : ٣٤٥) .
(٥) الأبيات أنشدها فى الحيوان (٥ : ١٧٠) .

إليك يا خيرَ مَن تضمّنت الأر ضُ ولو عاب قولِى العُيَبُ
لَجّ بتفضـيلك اللّسان ولو أُكثِر فيك الّلجاجُ واللجَبُ

فمتى[1] رأى شاعراً مدح النبى صلى الله عليه وسلم فاعترض عليه واحدٌ من [جميع] أصناف الناس ، حتّى يزعَم هو أنَّ ناساً يعيبونه و يثلبونه و يعنّفونه ؟ !

ولقد مدح النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، فما زاد على قوله :

وبوركَ قَبْرٌ أنتَ فيه و بوركت به وله أهـلٌ بذلك يثربُ

يعنى قبر النبى صلى الله عليه وسلم . و يثرب ، يعنى المدينة .

لقـد غيّبوا بِرًّا وحزمًا ونائلاً عشيّةَ واراه الصّفيحُ المُنَصَّبُ[2]

وهذا شعر يصلُح فى عامّة الناس .

وكتب مَسـلمة [بن عبد الملك] ، إلى يزيدَ بنِ المهلب : إنك والله ما أنتَ بصاحب هذا الأمر ، صاحبُ هذا الأمرِ مغمورٌ مَوتُور وأنت مشهور غير موتور . فقال له رجلٌ من الأزد يقال له عثمانُ بن المفضّل : قدّم ابنَك مخلداً حتّى يُقتل فتصير موتوراً[3] .

وقال : جاء ابنٌ لُجدَيع بن على[4] وكان ابن خالٍ ليزيد بن المهلّب ، فقال

---

(١) ما عدال : « فمن » .

(٢) روى أيضا : « واراك » . والصفيح : جمع صفيحة ، وهى الحجارة العريضة . والمنصب : الذى نصب بعضه على بعض ، يعنى حجارة القبر . والبيتان فى الحيوان (٥ : ١٧١) .

(٣) الخبر فى عيون الأخبار (٢ : ٤٤) .

(٤) جديع بن على الأزدي المعنى الـكرمانى ، شيخ خراسان وفارسها ، وأحد الرؤساء الدهاة . ولد بكرمان ، وأقام بخراسان إلى أن وليها نصر بن سيار ، فخاف شر الـكرمانى فسجنه ، ثم فر من السجن وأقام زمنا يؤلف الجموع سرا ، ثم خرج من جرجان وتغلب على مرو وفى أثناء ذلك ظهر أبو مسلم الخراسانى فاتفق معه على قتال نصر ، ثم اجتذبه نصر إليه وخادعه بطلب الصلح ، وخرج ليكتب المعاهدة ومعه مائة فارس ، فوجه إليه نصر مائة فارس فقتلوه فى الرحبة . وذلك فى سنة ١٢٩ . الطبرى (٩ : ٩١) . ل : « لجذيع » ما عدا ل : « لحديع » صوابه بالجيم والدال المهملة .

ليزيد : زوِّجْنى بعض وَلدِكَ . فقال له عثمان بن المفضَّل : زوِّجْه ابنَك مخلداً ، فإنه إنما طلبَ بعضَ الولد ولم يستثنِ شيئاً .

ومن الحَمقى [١] كُثيِّر عزّة . ومن حُمقه أنه دخل على عبد العزيز بن مروان ، فمدحه بمديحٍ استجاده ، فقال له : سَلْنى حوائجَك . قال : تجعلنى فى مكان ابن رُمَّانة [٢] . قال : ويلك ، ذاك رجلٌ كاتب وأنت شاعر ! فلما خرج ولم ينل شيئاً قال فى ذلك : ١٨

عجبتُ لأخذى خُطّةَ الغىِّ بعد ما ... تبيَّن من عبد العزيز قَبولُها
فإنْ عادَ لى عبدُ العزيز بمثلها ... وأمكننى منها إذًا لا أُقيلُها

قال أبو الحسن : قال طارق [٣] : قال ابن جابان [٤] : لقى رجلٌ رجلاً ومعه كلبان ، فقال له : هب لى أحدَهما . قال : أيَّهما تريد ؟ قال : الأسود . قال : الأسود أحبُّ إلىَّ من الأبيض ! قال : فهب لى الأبيض . قال : الأبيض أحبُّ إلىَّ من كِلَيهما !

قال : وقال رجلٌ لرجل : بكم تبيع الشاة ؟ قال : أخذتُها بستَّة ، وهى خيرٌ من سبعة ، وقد أُعطيتُ بها ثمانية ، فإنْ كانت حاجتُك بتسعة فزِنْ عشرة .

قال أبو الحسن : قال طارقُ بن المبارك : دخل رجلٌ على بلال فكساه ثوبين ، فقال : كسانى الأمير ثوبين ، فاتّزرتُ بالآخَر ، وارتديتُ بالآخَر .

قال : ومرِض فتًى عندنا فقال له عمُّه : أىَّ شىء تشتهى ؟ قال : رأسَ كبشين . قال : لا يكون ! قال : فرأسَىْ كبش !

---

(١) ما عدا ل : « الحمقاء » تحريف . (٢) ما عدا ل : « ابن زمانة » بالزاى .
(٣) هو طارق بن المبارك ، كما سيأتى .
(٤) ل : « جلبان » وانظر ما مضى فى ص ٢١٩ س ٦ .

طارق قال : وقع بين جارٍ لنا وجارٍ له يُكْنَى أبا عيسى ، كلامٌ ، فقال : اللهمّ خُذْ منّي لأبي عيسى . قيـل[1] : أتدعو الله على نفسك ؟ قال : فخُذْ لأبي عيسى منّي !

أبو زكريّا العَجْلانيّ ، قال : دخل عمرو بن سعيدٍ[2] على معاوية وهو ثقيل ، فقال : كيف أصبحت يا أمير المؤمنـين ؟ قال : أصبحتُ صالحاً . قال : أصبحَتْ عينُك غائرة ، ولونُك كاسفاً ، وأنفُك ذابلاً ، فاعهد عَهْدَك ولا تخْدعَنّ عن نفسك .

قال : وقال عُبيد الله بن زياد بن ظَبْيانَ التيميّ : يرحم الله عمر بن الخطاب ، كان يقول : اللهمّ إني أعوذ بك من الزّانيات ، وأبناء الزانيات ! فقال عُبيد الله ابن زياد بن أبيه : يرحم[3] الله عمرُ كان يقول : لم يُقِمْ جنينٌ فى بطن حمقاء ١٩ تسعة أشهرٍ إلّا خرج مائقا !

وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . يقولون : « كونوا بُلْهًا كالحمام[4] » .

وقال آخر : حماقة صاحبي أشدُّ ضررًا عليّ منها عليه[5] .

وقالوا : شرَدَ بعيرٌ لهبنَّقة القيسيّ[6] — وبجنونه يُضرب المثل — فقال : مَن جاء به فله بعيران . فقيل له : أتجعل فى بعير بعيرين ؟ فقال : إنّكم لا تعرفون فُرحة الوِجدان[7] . واسمه يزيد بن ثَرْوان ، وكنيته أبو نافع .

---

(١) ما عدا ل : « قالو » .
(٢) عمرو بن سعيد الأشدق ، المترجم فى (١ : ٣١٤) .
(٣) ما عدا ل : « رحم » .
(٤) انظر للخبر وتحقيقه ما كتبت فى حواشي الحيوان (٣ : ٨٩) .
(٥) ما عدا ل : « حماقة صاحبي على أشد ضررا منها عليه » .
(٦) سبقت ترجمته فى ص ١٣٢ .
(٧) الفرحة ، بالضم ، ويفتح : المسرة .

وقال الشاعر :

عِشْ بجَدٍّ ولا يضُرُّكَ نُوكٌ إنّما عيشُ مَن تَرَى بالجُدُودِ

عش بجَدٍّ وكن هَبنّقةَ القيْـ ـسِيَّ نَوكاً أو شَيبةَ بنَ الوليدِ [1]

وهَبنّقةُ هو يزيد بن ثَرْوان ، أحد بنى قيس بن ثعلبة .

***

ولما خَلَع قتيبةُ بن مسلم سليمان بن عبد الملك بخراسان [2] ، قام خطيبا فقال : « يا أهل خراسان ، أتدرون مَن وليُّكم ؟ إنّما وليُّكم يزيد بن ثروان » . كناية [3] عن هَبنّقة . وذلك أنّ هبنّقة كان يحسِن إلى السِّمان ويَدَع المهازيل ، ويقول : إنّما أكرم ما أكرم الله وأهين ما أهان [4] . وكذلك كان سليمانُ يعطى الأغنياء ولا يعطى الفقراء ، ويقول : أُصلِح ما أصلح الله ، وأُفسد ما أفسدَ الله .

وقال الفرزدق : ما عييتُ بجواب أحدٍ ما عَييت بجوابِ مجنونٍ بدَير هِزْقِلَ [5] ، دخلتُ إليه فإذا هو مشدودٌ إلى أسطوانة ، فقلت : بلغنى أنك حاسب .

---

(١) البيتان رويا فى عيون الأخبار (١ : ٢٤٢ — ٢٤٣) برواية « خالد بن الوليد » وهما مع قرين ثالث فى أمثال الميدانى واللسان (هبنق) :

رب ذى إربة مقل من الما ل وذى عنجهية مجدود

ورابع فى اللسان (هبنق) ، وهو :

شيب يا شيب ياسخيف بنى القع قاع ما أنت بالحليم الرشيد

وذكر الميدانى أن « شيبة بن الوليد » هذا رجل من رجالات العرب .

(٢) انظر لخبر الخلع ص ١٣٢ حيث ساق الجاحظ خطبة قتيبة .

(٣) ما عدا ل : « كنى به » .

(٤) ما عدا ل : « من » بدل « ما » فى الموضعين .

(٥) دير هزقل : دير مشهور بين البصرة وعسكر مكرم ، يقال هو المراد بقوله تعالى : ﴿ أو كالذى مر على قرية ﴾ . وهو بكسر الهاء وسكون الزاى وكسر القاف ، أصله حزقيل ثم نقل إلى هزقل ، كما ذكر ياقوت . وفى الأصل : « هرقل » تحريف . وجاء فى قول دعبل :

فكأنه من دير هزقل مفلت حرد يجر سلاسل الأقياد

قال : ألقِ علىّ ما شئت . قلت : أمسك معك خمسة وجُلِدْتَها[١] . قال : نعم . قلت : وأمسِكْ أربعةً وجُلِدْتَها[١] . قال : نعم . قلت : كم معك ؟ قال : تسعة وجُلِدتها مرّتين .

وكان زُرَيْق الفزارىّ يمرُّ باللّيل وهو شارب ، فيشتُمُ أهلَ المجلس ، فإذا كان بالغداة عاتبوه[٢] ، قال : نعم ، زَنَيْت أمهاتِكم فماذا عليكم ؟

قالوا : وخطب يوماً عَتَّاب بن ورقاء[٣] فقال : هذا كما قال الله تبارك وتعالى : « إنّما يتفاضل النّاس بأعمالهم ، وكل ما هو آتٍ قريب » . قالوا له : إنّ هذا ليس فى كتاب الله ! قال : ما ظننتُ إلاّ أنه فى كتاب الله[٤] .

قال : وخطب عدىّ بن وَتَّاد[٥] الإيادى فقال : أقول كما قال العبدُ الصالح : ﴿ ما أُرِيكُمْ إلاّ ما أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إلاّ سَبِيلَ الرَّشاد ﴾ . قالوا [له] : ليس [هذا] من قول عبدٍ صالح ، إنّما هو من قول فرعون . قال : ومن قاله فقد أحسن!

وقال أعرابىّ :

خلقَ السَّماء وأهلَها فى جُمْعةٍ   وأبوكَ يمدُر حوضَه فى عَامِ[٦]

* * *

قالوا : وكان عبدُ الملك بنُ مرْوان أوّلَ خليفةٍ من بنى أميّة منع النّاسَ من الكلام عند الخلفاء ، وتقدَّم فيه وتوعَّد عليه ، وقال : إنّ جامِعةَ عمرو بن سعيد ابن العاصِي عِندى[٧] ، وإنى والله لا يقولُ أحدٌ[٨] هكذا إلاّ قلت به هكذا .

---

(١) هكذا ورد ضبطه فى ل .   (٢) ما عدا ل : « فلما أن كان » .

(٣) سبقت ترجمته قريبا فى ص ٢٣٥ .

(٤) ما عدا ل : « من كتاب الله » .

(٥) كذ ورد مضبوطا فى ل . وفيما عداها « زياد » .

(٦) مدر الحوض : سد خصاص حجارته بالمدر ، وهو قطع الطين اليابس .

(٧) ماعدا ل : « العاص » . والجامعة : الغل ؛ لأنها تجمع اليدين إلى العنق .

(٨) ماعدا ل : « أحدكم » .

وفى خطبَة له أخرى : إنّى والله ما أنا بالخليفة المستضعَف (وهو يعنى عثمان ابن عفّان رحمه الله) ، ولا أنا بالخليفة المُداهِن (يعنى معاوية) ، ولا أنا بالخليفة المأبون (يعنى يزيد بن معاوية) .

قال أبو إسحاق[١] : والله لولا نسبُك من هـذا المستضعف ، وسببُك من هذا المُداهِن ، لـكنتَ منها أبعد من العَيُّوق[٢] . والله ما أخذتَها من جهة الميراث ولا من جهة السّابقة ، ولا من جهة القرابة ، ولا تدّعى شُورَى ولا وصيةً .

***

قال أبو الحسن : دخل كَرْدَم السّدوسى ، على بلال [بن أبى بُردة] فدعاه إلى الغَداء فقال : قد أكلت . قال : وما أكلت ؟ قال : قليل أرز فأكثرتُ منه[٣] .

ودخـل كَردمٌ الذّراعُ أرضَ قومٍ يَذرعُها ، فلما انتهى إلى زَنقَةٍ[٤] لم يحسن يذرّعها[٥] ، قال : هذه ليست لـكم ! قالوا : هى لنا ميراثٌ وما ينازعنا فيها إنسان قطُّ . قال : لا والله ما هى لـكم . قالوا : فحصّلْ لنا حسابَ ما لا تَشُك

---

(١) أى أبو إسحاق إبراهيم بن سيار النظام ، قال ذلك تعليقاً على ما سبق من الخطبة .

(٢) العيوق : كوكب أحمر مضىء فى طرف المجرة الأيمن بحيال الثريا فى ناحية الشمال ، يعوق الدبران عن لقاء الثريا .

(٣) الخبر بعبارة أخرى فى عيون الأخبار (٢ : ٥٣) .

(٤) الزنقة ، بالتحريك : السكة الضيقة فيها التواء . ذكرت فى اللسان وليست فى القاموس.

(٥) التذريع : التقدير بالذراع . وقد حذف « أن » قبل الفعل ، وذلك قليل ، وقد سمع ، فقال البصريون : إنه شاذ . وذهب الـكوفيون وبعض البصريين إلى القياس عليه . وأجازه الأخفش بشرط رفع الفعل . انظر همع الهوامع (٢ : ١٧) والإنصاف لابن الأنبارى ٢٣٢ — ٢٣٥ والتصريح بشرح التوضيح (٢ : ٢٤٥) واللسان (ريث) والمغنى (٢ : ١٧٢) والرسالة للشافعى ١٦٧ ، ٧٣١ ، ١٧٣٢ والخزانة (٣ : ٦٢٣) . وقد ورد نحو هذا التعبير فى الحيوان (٦ : ٤٦٥) : « وإن كان لا يحسن يبنى » . وانظر كذلك (٥ : ٢٢٥) . فيما عدا ل : « لم يحسن تذريعها » .

فيه . قال : عشرون فى عشرين مائتان ، قالوا : من أجل هذا الحساب صارت الزَّنقة ليست لنا .

قالوا : ودخل عُكابة بن نُميلة النُّميرىّ دارَ بلال بن أبى بردة ، فرأى ثوراً مُجلَّلاً ، فقال : ما أفرهَهُ من بَغلٍ لولا أنّ حوافره مشقوقة .

* * *

ومن النَّوكَى ، وممن ربما عدُّوه من المجانين : ابن قنَان الأزدىّ(٢) ، ٢١

وضَرب به المثل ابنُ ضَبٍّ العَتَكىُّ ، فى قوله لُجَديع بن علىٍّ(٣) ، خالِ يزيدَ ابنِ المهلَّب حيث يقول :

لولا المهلَّبُ يا جُدَيْعُ وَرُسْلُه تغدُو عليك لكنت كابن قنَانِ(٤)
أنت المرَدَّد فى الجيادِ وإنَّما تأتى سُكَيتاً كلَّ يوم رِهَانِ(٥)

وقال آخر يهجو إمرأةً بأنَّها مِضياعٌ خرقاء :

وإنّ بلائى من رَزِينة كُلَّما رجوتُ انتعاشًا أدركتنى بعاثِرِ(٦)
تبرِّدُ ماء الشُّعْن فى ليلة الصَّبَا وتستعمل الكرْكُورَ فى شهر ناجرِ(٧)

---

(١) ما عدا ل : « عشرين فى عشرين مائتين » .

(٢) ما عدا ل : « ابن فنان الأذرى » . وانظر ما سبق فى ص ٢٢٦ .

(٣) سبقت ترجمته فى ص ٢٤٠ .

(٤) ما عدا ل : « كابن فنان » .

(٥) السكيت ، بضم ففتح ، وقد تشدد الكاف : آخر خيل الحلبة .

(٦) ما عدا ل : « من درينة » .

(٧) السعن ، بالفتح ، وبالضم : شبه دلو يتخذ من أدم يبرد فيه الماء . والكركور : واد بعيد القعر . وناجر ، من شهور الصيف . وقد أنشد هذا البيت فى اللسان (نجر) منسوبا إلى عركة الأسدى برواية :

تبرد ماء الشن فى ليلة الصبا وتسقينى الكركور فى حر آجر

وذكر قبله : « وشهرا ناجر وآجر أشد ما يكون من الحر . ويزعم قوم أنهما حزيران وتموز . قال : وهذا غلط ، إنما هو وقت طلوع نجمين من نجوم القيظ » .

وفى خطأ العلماء

قال أبو الحسن : قال الشَّعْبِيّ : سايرت أبا سَلَمَةَ بن عبد الرحمن بن عوف[١] وكان بينى و بين أبى الزِّناد[٢] ، فقال : بينكما عالم أهل المدينة . فسألته امرأةٌ عن مسألةٍ فأخطأ فيها .

وقال طرفة يهجو قابوس بن هندٍ الملكَ :

لعمركَ إنّ قابوسَ بنَ هندٍ ليخلطُ مُلكَهُ نوكٌ كثيرُ[٣]
قَسَمتَ الدَّهرَ فى زمنٍ رخىٍّ كذاكَ الحُكمُ يَقصِدُ أو يجورُ[٤]
لنا يومٌ وللكِرْوانِ يومٌ تطيرُ البائساتُ وما نطيرُ[٥]
فأمّا يومُنا فنظلُّ رَكْبًا وقوفًا ما نحُلُّ وما نَسيرُ
وأمّا يومُهُنَّ فيومُ بُؤْسٍ يطارِدُهُنَّ بالحدَبِ الصُّقورُ[٦]

---

(١) أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف الزهرى المدنى . قيل اسمه عبد الله وقيل إسماعيل ، وقيل اسمه كنيته . كان ثقة فقيها كثير الحديث ، وكان من سادات قريش توفى سنة ١٠٤ . تهذيب التهذيب (١٢ : ١١٥) .

(٢) هو أبو الزناد عبد الله بن ذكوان القرشى المدنى ، تابعى ثقة فقيه صالح الحديث ، وكان فصيحا بصيرا بالعربية ، توفى سنة ١٣٠ . تهذيب التهذيب .

(٣) الأبيات فى ديوان طرفة ٦ — ٧ والخزانة (١ : ٤١٢) وهى من قصيدة له يهجو بها عمرو بن المنذر بن امرئ القيس ، وأخاه قابوس بن المنذر . وأمهما هند بنت الحارث ابن حجر الكندى .

(٤) قسمت ، التفات إلى عمرو بن هند المذكور فى الشعر قبل ، وكان له كما ذكروا يومان . فنى يوم خروجه للصيد يقتل أول من يلقى . وفى يوم نعيمه يقف الناس ببابه فيأذن لمن شاء منهم ، ومن لم يأذن له ظل بالباب واقفا .

(٥) الكروان ، بالكسر : جمع كروان بالتحريك ، ومثله ورشان وورشان ، وشقذان وشقذان . والبائسات يروى أيضا بالنصب بالقطع على معنى الترحم . ويروى أيضا : « ولا نطير » ، وهى رواية الديوان .

(٦) ويروى : « فيوم سوء » . والحدب ، بالتحريك : ما ارتفع من الأرض وغلظ . وفى الشعر إشارة إلى أنه كان يستعمل الصقر فى الصيد .

الفَلُوشكيّ قال : قلتُ لأعرابيّ : أيَّ شيء تقرأ فى صلاتك ؟ قال : أمّ الكتاب ، ونسبة الرّبّ ، وهِجاء أبى لهب .

وكان الفَلُوشكى البكراوِىّ [(١)] أجنّ الناس وأعيا الخلقِ لسانًا ، وكان شديد القِمارِ ، شديد اللعب بالوَدَع [(٢)] . قال ابنُ عمٍّ له : وقفت على بقيّةِ تمرٍ ٣٢ فى بَيدرٍ لى ، فأردتُ أن أعرِفهُ بالحزْر ، ومَعَنا قومٌ يُجيدون الخَرْص [(٣)] ، وقد قالوا فيها واختلفوا ، فهجم علينا الفَلُوشكى فقلت له : كم تحزُرُ هذا التّمر ؟ قال : أنا لا أعرف الأكرار وحسابَ القُفْزَان [(٤)] ، ولكنْ عندى مِرْجَلٌ أطبخ فيه تمرَ نبيذِى ، وهو يسع مَكَوكين [(٥)] ، وهذا التّمر يكون فيه مائتين وستِّين مِرْجلا . قال : فلا واللهِ إنْ أخطأ بقفيز واحد .

قالوا : وقال المهلّب يومًا والأزد حوله : أرأيتم قول الشاعر :

إذا غُزُر المَحَالِب أتأقتهُ ... يمجُّ على مناكِبهِ الثُّمالا [(٦)]

وإلى جنب غَيلان بن خَرَشة [(٧)] شيخٌ من الأزد ، فقال له : قل هو لبَن الفحل [(٨)] . فقالها . فقال المهلّب : ويلكم ، أما جالستم النّاس ؟!

---

(١) البكراوى : إما نسبة إلى بكراباذ ، وهى ضاحية جرجان ، ينسب إليها بكراوى وبكراباذى ، وإما نسبة إلى أبى بكرة الثقفى الصحابى ، وهو صحابى نزل البصرة . انظر السمعانى ٨٨ . ما عدا ل : « البكرادى » تحريف .

(٢) الودع بالفتح والتحريك : خرز بيض جوف فى بطونها شق كشق النواة ، وفى جوفها دويبة كالحلمة . وكانت تستعمل فى القمار . وجاء فى وصية عثمان الخياط للصوص : « والودع رأس مال كبير ، وأول منابعه الحذف باللقف » . الحيوان (٢ : ٣٦٧) .

(٣) الخرص : الحزر ، وهو تقدير الشىء بالظن .

(٤) الأكرار : جمع كر ، بالضم ، وهو مكيال لأهل العراق ، وهو ستون قفيزاً أو أربعون أردبا . والقفزان : جمع قفيز ، وهو مكيال يسع ثمانية مكاكيك .

(٥) المكوك ، كتنور : مكيال يسع صاعا ونصف ، أو هو نصف الويبة .

(٦) الغزر : جمع غزيرة . ل : « غر » ، ما عدا ل : « غرز » ، والوجه ما أثبت . أتأقته : ملأته كله . والثمال ، بالضم : رغوة اللبن .

(٧) سبقت ترجمته فى (١ : ٣٤١ ، ٣٩٤) .

(٨) كذا فهم غيلان أو أراد أن يفهم . وإنما عنى الشاعر وطب اللبن أو نحوه .

وأنشد بعضُ أصحابنا :

أَلِكْنى إلى مَولى أُكَيْمَةَ وانْهَهُ ... وهل ينتهى عن أوّل الزجر أحمَقُ(١)

وزعم الهيثم بن عدىٍّ عن رجاله ، أن أهل يَبْرِينَ(٢) أخفُّ بنى تميم أحلاماً ، وأقلُّهم عقولا .

***

قال الهيثم : ومن النَّوكى : عُبيد الله بن الحُر(٣) ، وكنيته أبو الأشوس(٤) .

قال الهيثم : خطب قبيصَة(٥) ، وهو خليفة أبيه على خراسان وأتاه كتابُه ، فقال : هذا كتابُ الأمير ، وهو والله أهلٌ لأن أطيعَه ، وهو أبى وأكبر منّى .

وكان فيما زعموا ابنٌ لسَعيدٍ الجوهرىّ(٦) يقول : صلى الله تبارك وتعالى على محمد صلّى الله عليه وسلم .

قال أبو الحسن : صعِد عدىُّ بن أرطاةَ على المنبر ، فلما رأى جماعةَ الناس حَصِرَ فقال : الحمدُ لله الذى يُطعم هؤلاء ويسقيهم !

وصعِد رَوح بن حاتم المنبر ، فلما رآهم قد شَفَنوا أبصارهم(٧) ، وفتحوا آسماعَهم نحوه ، قال : « نكِّسوا رءوسكم ، وغُضّوا أبصارَكم ؛ فإنّ المنبر مركَبٌ صعب ، وإذا يسَّر الله فتح قُفلٍ تَيسَّر » .

---

(١) ألا كه يليكه : تحمل ألوكته ، وهى الرسالة .

(٢) يبرين ، ويقال لها أبرين بالهمز : قرية كثيرة النخل بحذاء الأحساء من بلاد بنى سعد بالبحرين . وفى مقدمة معجم البكرى : « ونفذت بنو سعد بن زيد مناة بن تميم إلى يبرين . وتلك الرمال ، حتى خالطوا بنى عامر بن عبد القيس فى بلادهم قطر ، ووقعت طائفة منهم إلى عمان وصارت قبائل منهم بين أطراف البحرين إلى ما يلى البصرة ، ونزلوا هنالك إلى منازل ومناهل كانت لإياد بن نزار ، فرفضتها إياد وساروا عنها إلى العراق » .

(٣) سبقت ترجمته فى (١ : ٢١) .

(٤) ما عدا ل : « أبو الأبرش » .

(٥) قبيصة بن المهلب بن أبى صفرة .

(٦) ما عدا ل : « ابن السعيد الجوهرى » .

(٧) الشفن : أن يرفع طرفه ناظرا إلى الشىء كالمتعجب . ل : « شقت » تحريف .

٢٣ قالوا : وصعد عثمان بن عفان ، رحمه الله ، المنبرَ فأُرتِج عليه فقال : «إنّ أبا بكر وعمر كانا يُعِدّان لهذا المقام مقالاً ، وأنتم إلى إمامٍ عادلٍ أحوجُ منكم إلى إمام خطيب » .

قال : وقالوا لزيادِ الأعجم : لم لا تهجو جريرا ؟ قال : أليس الذى يقول :

كأنّ بنى طُهَيّةَ رهطَ سَلْمَى حجارة خارئٍ يرمى الـكِلابَا[1]

قالوا : بَلَى . قال : ليس بينى و بين هذا عمل .

قال أبو الحسن : خطب مُصعب بن حيّان أخو مقاتل بن حيان ، خطبةَ نكاح ، فحَصِرَ فقال : لقِّنُوا موتاكم قول لا إله إلا الله . فقالت أمُّ الجارية : عجّل الله موتَك ألهذا دعوناك ؟ !

وخطب أمير المؤمنين المُوالى[2] — وهكذا لقبه — خطبةَ نكاح ، فحَصِر فقال : اللهم إنّا نحمدك ونستعينك ، ونشرِك بك[3] .

وقال مولًى لخالد بن صفوان : زوّجْنى أَمَتَك فلانة . قال : قد زوّجْتُـكها ، قال : أفأُدخِل الحىّ حتّى يحضُروا الخطبة ؟ قال : أدخلْهم . فابتدأ خالد فقال : أمّا بعـد فإنّ الله أجلُّ وأعزُّ من أن يُذكَر فى نكاحِ هذين الـكلبين ، وقد زوّجتُ[4] هذه الفاعلةَ من هذا ابنِ الفَاعلةِ .

وقال إبراهيم النّخَعى لمنصور بن المعتمر : سل مسألةَ الحمقى ، واحفَظْ حِفظ الـكَيْسَى[5] .

---

(١) ديوان جرير ٦٦ وما عدا ل : « يرمى كلابا » . وسلمى : امرأة من طهية هى بنت عم أبى البلاد الطهوى الشاعر ، وكان قد خطبها فاعتل عليه أبوها وزوجها رجلا آخر فلما علم بذلك قصد إليها فقتلها . فعير جرير بنى طهية بذلك . وبعد البيت :

رأين سواده فدنون منه فيرميهن أخطأ أو أصابا

(٢) كذا ضبط فى ل بضم الميم .

(٣) ما عدا ل : « ولا نشرك بك » .

(٤) ما عدا ل : « زوجنا » .

(٥) ما عدا ل : « الأكياس » .

قال : ودخَل كُثيِّر عزَّة — وكان محمَّقاً ، ويُكنَى أبا صخر — على يزيدَ ابنِ عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين : ما يعنى الشَّمَّاخُ بن ضِرارٍ بقوله :

إذا الأرْطَى توسَّدَ أبرَدَيهِ خُدُودُ جوازِئٍ بالرَّمل عِينِ[(١)]

قال يزيد : وما يضر أمير المؤمنين ألا يعرف ما عَنَى هذا الأعرابىُّ الجِلفُ ؟ فاستحمقه وأخرجه .

قالوا : وكان عامر بن كُرَيز[(٢)] يحمَّقُ . قال عَوانةُ[(٣)] : قال عامرٌ لأمِّه : مَسِسْتُ اليومَ بُرْدَ العاص بن وائلٍ السهمى . قال : ثكِلتك أمُّك ، رجلٌ بين عبد المطلب بن هاشم و بين عبد شمس بن عبد مناف ، يفرَحُ أن تصيب يَدُه بُرْدَ رجل من بنى سهمٍ ؟

ولمّا حَصِر عبدُ الله بن عامر على مِنبر البصرة ، فشق ذلكْ عليه قال له ٢٤
زياد : أيُها الأمير ، إنك إن أقمتَ عامّة مَن تَرى أصابه أكثرُ مما أصابك .

وقيل لرجلٍ من الوجوه : قمْ فاصعد المنبر وتكلّمْ . فلما صعِدَ حصِر وقال : الحمد لله الذى يرزُق هؤلاء ! و بقى ساكتاً ، فأنزلوه .

وصعِد آخر فلما استوى قائماً وقابل بوجهه وجوهَ الناس وقعت عينُه على صَلَعة رجُل[(٤)] فقال : اللّهم العَن هذه الصَّلَعة !

وقيل لوازعٍ اليشكُرىّ : قم فاصعد المنبر وتكلم . فلما رأى جَمْع الناس قال : لولا أنّ امرأتى حملتنى على إتيان الجمعةِ اليوم ما جَمَّعتُ[(٥)] ، وأنا أُشهِدكم أنها [منّى] طالقٌ ثلاثا !

---

(١) ديوان الشماخ ٩٤ . الأبردان : الغداة والعشى . والجوازئ : بقر الوحش .
(٢) هو والد عبد الله بن عامر بن كريز ، المترجم فى (١ : ٣١٨) .
(٣) عوانة بن الحكم الكلبى الأخبارى ، المترجم فى (١ : ٣١٦) .
(٤) الصلعة بالتحريك ، وبالضم : موضع الصلع .
(٥) جمع الرجل ، بتشديد الميم : صلى الجمعة . وفى الحديث : «أول جمعة جمعت بالمدينة» .

ولذلك قال الشاعر :

وما ضرَّنى أن لا أقوم بخطبة　　　وما رغْبتِى فى ذا الذى قال وَازِعُ

قال : ودخلتُ على أنس بن أبى شيخ[(١)] ، وإذا رأسه على مِرفقةٍ ، والحجَّام يأخذ من شعره ، فقلت له : ما يحملك على هذا ؟ قال : الكسل . قال : قلت : فإن لقمان قال لابنه : إيّاك والكسل ، وإيّاك والضَّجَر ؛ فإنّك إذا كَسِلْتَ لم تؤدِّ حَقًّا[(٢)] ، وإذا ضجِرت لم تصبرْ على حَقّ . قال : ذاك والله أنّه لم يعرف لذَّةَ الفُسُولة[(٣)] .

قال : وقيل لبحر بن الأحنف : ما يمنعك أن تكون مثل أبيك ؟ قال : الكسل[(٤)] .

وقال الآخر :

أطال الله كيس بنى رَزِين　　　وحُمْقِى أنْ شَرَيتُ لهم بِدَيْنِ[(٥)]
أأكتب إبْلَهمْ شاء وفيها　　　برِيع فِصَالها بِنتَا لَبُونِ[(٦)]
فما خُلِقوا بكَيسهم دُهَاةً　　　ولا مُلَجَاء بَعدُ فيعجبونى[(٧)]

وذكر الآخر الكَيْس ، فى معاتبته[(٨)] لبنى أخيه ، حين يقول :

---

(١) كان أنس بن أبى شيخ من البلغاء الفضلاء ، وكان كاتباً للبرامكة ، وقتله الرشيد على الزندقة سنة سبع وثمانين ومائة ، وهى سنة نكبة البرامكة ، صبح الليلة التى قتل فيها يحيى . انظر لسان الميزان والطبرى (١٠ : ٨٥) والبداية لابن كثير (١٠ : ١٩٠ — ١٩١) .

(٢) ل : « لم ترج حقاً » .

(٣) الفسولة : الرذالة والنذالة . ما عدا ل : « الكسولة » تحريف .

(٤) الخبر فى عيون الأخبار (٢ : ٥٩) .

(٥) فى البيت سناد . شرى بمعنى باع . ما عدا ل : « شربت لهم » تحريف .

(٦) الريع : الزيادة . والفصيل : ولد الناقة . وبنت اللبون : التى أتى عليها سنتان ودخلت فى الثالثة ، فصارت أمها لبونا ، أى ذات لبن ، لوضعها أخرى .

(٧) الملجاء ، بالجيم . جمع مليج ، وهو الرجل الجليل . ل : « ملحاء » : جمع مليح .

(٨) ما عدا ل : « معاتبة » .

عفاريتاً علىَّ وأكْلَ مالى   وعجزاً عن أناسٍ آخرينا[١]
فهلاَّ غير عَمِّكم ظلمتمُ   إذا ما كنتمُ متظلِّمينا
فلو كنتم لِكَيِّسَةٍ أكاسَتْ   وكَيْسُ الأم أكيسُ للبنينا

وقال بعضهم : عيادة النَّوكى الجلوس فوق القَدْر ، والمجىء فى غير وقت .

وعاد رجلٌ رقبةَ بن الحرّ ، فنعى رجالا اعتلُّوا من علَّته ، فنعى بذلك إليه نفسه ، فقال له رقبة ، إذا دخلتَ على المرضى فلا تَنْعَ إليهم الموتى ، و إذا خرجت من عندنا فلا تعُدْ إلينا .

وسأل معاوية ابن الكوّاء[٢] عن أهل الكوفة ، فقال : أبحثُ الناس عن صغيرة ، وأتركهُ لِكبيرة .

وسئل شريكٌ[٣] عن أبى حنيفة فقال : أعلم الناس بما لا يكون ، وأجهل الناس بما يكون[٤] .

وسأل معاوية دَغفلاً النسَّابة عن اليمن ، فقال : سيِّدٌ وأنوَكُ .

وذُكِرَ عُيَينة بن حِصْن[٥] ، عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال : « الأحمق المطاع » .

---

(١) سبقت الأبيات والكلام على نسبتها إلى رافع بن هريم فى (١ : ١٨٥) .

(٢) ابن الكواء ، هو عبد الله بن عمرو ، من بنى يشكر ، كان ناسباً عالماً من شيعة على . وفيه يقول مسكين الدارمى :

هلم إلى بنى الكواء تقضوا   بحكمهم بأنساب الرجال

ابن النديم ١٣٣ والمعارف ٢٣٣ . وفى الاشتقاق ٢٠٥ : « وكان خارجياً وكان كثير المساءلة لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه ، كان يسأله تعنتاً » . وفى الأغانى (١٣ : ٥٢) أنه كان مع الشراة الذى حاربهم المهلب .

(٣) هو شريك بن عبد الله بن أبى شريك النخعى الكوفى القاضى . ولد ببخارى سنة ٩٠ ومات سنة ١٧٧ ، وولى القضاء بواسط سنة ١٥٥ . تهذيب التهذيب والمعارف ٢٢٢ .

(٤) ورد هذا الخبر فى الحيوان (١ : ١٩:٣/٣٤٧) والمسئول فيه « حفص بن غياث » لا « شريك » .

(٥) ماعدا ل : « عتبة بن حصين » تحريف . والخبر رواه ابن حجر فى الإصابة ٦١٤٦ =

وجُنَّ أعرابيٌّ من أعراب المِرْبَد ، ورماه الصِّبيان ، فرَجَم ، فقالوا له : أما كنت وقوراً حليما ؟ فقال : بلى بأبى أنتم وأمى ، والله ما استحمقت إلا قريباً . وكان أول جنونه من عبث الناس به .

ورمى إنساناً فشجَّه ، فتعلّق به ، وهو لايعرفه [وضمّه إلى الوالى] فقال له الوالى : لم رميْتَ هذا وشجَجته ؟ فقال : أنا لم أرْمِه ، هو دخل تحت رَمْيتى .

وكان وَكيعُ بن الدَّورقيَّة[1] يحمَّق ، قال الوليد بن هشام القحذمىّ أبو عبد الرحمن[2] ، قال : أخبرنى أبى ، قال : لمَّا قَدِمَ أميَّةُ[3] خُراسان قيل له : لم لا تُدْخل وكيع بن الدَّورقيَّة فى صِحَابتك ؟ قال : هو أحمق . فركب يوماً وسايره فقال : ما أعظم رأسَ بِرذَونك ! قال : قد كفاكَ الله حَمْله . ثمّ سايره قليلا فقال : أصلحك الله ، أرأيتَ يومَ لقيتَ أبا فُديكٍ[4] مامنَعك أن تكون قد قدَّمتَ رِجْلاً وأخّرتَ رجْلا ، وداعَسْت بالرمح حتى يفتحَ الله عليك ؟ قال : اغرُب قَبَحك الله ! وأمَرَ به فنُحّى .

وساير سعيدُ بن سَلْمٍ[5] موسى أمير المؤمنين[6] ، والحربةُ فى يد عبد الله بن

=عند ترجمة عيينة . وهو أبو مالك عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزارى . كان من المؤلفة قلوبهم ، أسلم قبل الفتح ، وشهدها وشهد حنيناً والطائف ، ثم ارتد فى عهد أبى بكر ومال إلى طلحة وبايعه ، ثم عاد إلى الإسلام . وكان فيه جفاء أهل البوادى ، جاء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وعنده عائشة ، فقال : من هذه — وذلك قبل أن ينزل الحجاب — فقال : هذه عائشة . فقال : ألا أنزل لك عن خير منها ؟ ! فغضبت عائشة فقالت : من هذا ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « هذا الأحمق المطاع » ، أى فى قومه . وانظر (١ : ٣١٧) .

(١) هو وكيع بن عميرة القريعى السعدى ، المعروف بابن الدورقية ، وهى أمه ، كانت من سبى دورق بلد بخوزستان ، يقال لها دورق الفرس . ووكيع هذا هو الذى تولى قتل عبد الله بن خازم السلمى الخارج على عبد الملك سنة ٧٢ . انظر الطبرى (٧ : ١٩٦) وكامل المبرد ٢٧٦ ليبسك .

(٢) ترجمة الوليد بن هشام فى (١ : ٦١ ، ٢٤٣) .

(٣) هو أمية بن عبد الله بن أسيد ، أحد ولاة خراسان .

(٤) سبقت ترجمته فى ص ٢٠٤ . (٥) ترجم فى ص ٤٠ .

(٦) هو موسى الهادى بن محمد المهدى ، أخو الرشيد هارون بن المهدى .

٢٦ مالك[١]، وكانت الرِّيح تَسْفِي التُّراب الذى تثيره دابّة عبد الله بن مالك فى وجه موسى، وعبدالله لايشعر بذلك، وموسى يَحيد عن سَنَن التُّرابِ، وعبد الله فيما بين ذلك يلحظ موضعَ مسيرِ موسى، فيتكلّف أن يسير على محاذاته، و إذا حاذاه ناله ذلك التُّراب، فلمّا طال ذلك عليه أقبل على سعيد بن سَلْم فقال: ألا تَرَى ما نلقى من هذا الحائن[٢] فى مسيرنا هذا؟ قال: والله يا أمير المؤمنين ما قصَّر فى الاجتهاد، ولكنه حُرِمَ التوفيق.

وسايَرَ البِطريق الذى خَرَج إلى المعتصم من سور عَمُّوريَّةَ[٣]، محمَّدَ بنَ عبدالملك، والأفْشِينَ بنَ كاوُس، فساوم كلَّ واحدٍ منهما ببرذونه، وذكر أنه يرغّبهما أو يُرْبحهما[٤]. فإذا كان هـذا أدبَ البِطريق، مع محلِّه من المُلك والملـكة، فما ظنُّك بمن [هو] دونه منهم!

ولما استجلس المعتصمُ بِطْريق خَرْشَنة، تربّع ثم مدّ رجله[٥].

٢٧ وقال زياد: ما قرأتُ مثلَ كتُبِ الرّبيع بن زياد الحارثىّ، ما كَتَبَ إلىّ إلاّ فى اجتـلاب منفعة[٦]، أو دفع مَضَرّةٍ، وما كان فى مَوكِبى[٧] قط فتقـدم عِنانُ دابّته عِنانَ دابّتى، ولا مسَّت ركبتُهُ ركبتى، ولا شاورْتُ النَّاسَ فى أمرٍ قطّ إلا سَبقهم إلى الرّأى [فيه].

---

(١) كان عبد الله بن مالك من قواد موسى الهادى، وكان ممن طلبوا إلى الهادى أن يخلع هارون ويبايع جعفراً ابنه. وقد أوقع به الفضل بن سهل فى خطبة ذكرها الجهشيارى، وضربه المأمون فى تهمة ساقها إليه الفضل. انظر الجهشيارى ١٧٤، ٣١٤ — ٣١٦.

(٢) الحائن: الهالك. ما عدا ل: «الخائن» تحريف.

(٣) عمورية: بلد من بلاد الروم، غزاه المعتصم سنة ٢٢٣ بسبب أسر العـلوية واستصراخها، وكان فتح عمورية من أعظم فتوح الإسلام.

(٤) ل: «ويربحهما».

(٥) ما عدا ل: «ومد رجليه».

(٦) ما عدا ل: «اجترار منفعة».

(٧) ل: «من مراكبى» تحريف.

وكان على شُرَط زيادٍ ، عبدُ الله بن حصن التغلبي (١) ، صاحب مقبرة بنى حصن (٢) ، والجعد بن قيس [النَّمرىّ] صاحب طاق الجعد ، وكانا يتعاقبان مجلسَ صاحب الشُّرطة ، فإذا كان يومُ حَمْلِ الحربةِ سارا بين يديه مَعًا ، فجرى بينهما كلامٌ وهما يسيران بين يديه ، فكان صوتُ الجعد أرفعَ وصوتُ عبدِ الله أخفض . فقال زياد لصاحب حربته (٣) : تناولِ الحربةَ من يد الجعد ، ومُرْه بالانصراف إلى منزله .

وعَدَا رجلٌ من أهل العسكر بين يدى المأمون ، فلما انقضى كلامُه قال له بعضُ مَن يسير بقربه : يقول لك أمير المؤمنين : اركبْ . قال : قال المأمون : لا يقال لمثل هذا اركبْ ، إنّما يقال لمثل هذا انصرفْ .

وكان الفضل بن الربيع يقول : مسألة الملوك عن حالهم مِن تحيّة النَّوكَى . فإذا أردتَ أن تقول : كيف أصبح الأمير فقل : صبّح الله الأمير بالكرامة والنَّعمة ! ° وإذا أردتَ أن تقول : كيف يجد الأمير نفسه فقل : أنزل الله على ٢٧ الأمير الشّفاء والرحمة ! والمسألة توجِب الجواب ، فإنْ لم يجبْك اشتدّ عليك ، وإن أجابك اشتدّ عليه .

وقال محمّد بن الجهم : دخلت على المأمون فقال لى : ما زال أمير المؤمنين إليك مشتاقاً ! فلم أدرِ جوابَ هذه الكلمةِ بعينها ، وأخذتُ لا أقصّر فيما قدَرت عليه من الدُّعاء .

قال أبو الحسن : قال ابن جابان : قال المهدىّ : كان شبيب بن شيبة (٤) يسايرُنِى فى طريق خراسان ، فيتقدّمُنى بصدر دابّته فقال لى يوما : «ينبغى لمن سايرَ

(١) ما عدا ل : « ابن الحصين التغلبى » .
(٢) ما عدا ل : « بنى حصين » .
(٣) ل : « حرسه » صوابه مما عدا ل .
(٤) ترجم فى (١ : ٢٤) .

خليفةً أن يكون بالموضع الذى إذا أراد الخليفةُ أن يسأله عن شىء لا يلتفتُ إليه ، ويكونَ من ناحيةٍ إن التفت لم تستقبلْه الشمس » . قال : فبينا نحن كذلك انتهينا إلى مَخاضَةٍ ، فأقحمْت دابّتى ، ولم يقفْ واتّبعنى ، فملأ ثيابى ماءً وطيناً . قال : فقلت : يا أبا معمر ، ليس هذا فى الكتاب ؟

قال الهيثمُ بن عدىّ : كنت قائماً إلى جنب حُميد بن قَحطَبة (١) وهو على برذون ، فتفاجَّ البِرذونُ ليبول ، فقال [لى] : تنحَّ لايهرِقْ عليك البرذون الماء .

وجاء رجل إلى محمد بن حرب الهلالىّ (٢) بقومٍ فقال : إنّ هؤلاء الفُسّاقَ ما زالوا فى مَسيس هذه الفاجرة . قال : ماظننت أنه بلغ من حُرمة الفواجر ماينبغى أن يُكْنَى عن الفجور بهنّ .

وقلت لرجل من الحُسّاب : كيف صار البِرذون المتحصِّن (٣) ، على البغلة أحرصَ منه على الرَّمَكة (٤) ، والرَّمكة أشكل بطبعه ؟ قال : بلغنى أنّ البغلة أطيبُ خلوة .

وقال صديقٌ لنا : بعث رجلٌ وكيلَه إلى رجلٍ من الوجوه يقتضيه مالا له

---

(١) كان حميد بن قحطبة من ولاة الدولة العباسية وقوادها ، ولى إمرة مصر سنة ١٤٢ ووجهه المنصور لقتال محمد بن عبد الله بن الحسن عند خروجه بالمدينة سنة ١٤٥ ، ولغزو أرمينية سنة ١٤٨ ، وكابل سنة ١٥٢ . وولاه المنصور خراسان سنة ١٥٢ ، وكان المنصور ينفس عليه نفوذه وجاهه ، ففكر فى التخلص منه ، فكتب له كتاباً إلى زفر بن عاصم والى حلب ، وأمره بأن يسير إليه ويسلمه الكتاب ، وكان فيه : « إذا قدم عليك حميد فاضرب عنقه » فارتاب فى ذلك ، حتى إذا كان ببعض الطريق فض الكتاب وعرفه ، فعدل عن طريقه وعاد إلى العراق . وتوفى حميد وهو عامل المهدى على خراسان سنة ١٥٩ . الطبرى وابن الأثير فى حوادث ١٤٢ — ١٥٩ والمعارف ١٦٥ .

(٢) ذكر أبو الفرج فى الأغانى (١٧ : ٨٨) أنه كان على شرطة محمد بن سليمان العباسى .

(٣) يتحصن : تبدو منه أمارات الذكورة . وفى القاموس : « وتحصن : صار حصاناً بين التحصن » . وقد استعمل الجاحظ هذه الكلمة فى الحيوان (٢ : ١٤١ / ٤ : ٤٠٢) .

(٤) الرمكة : الفرس والبرذونة التى تتخذ للنسل ، فارسى معرب . والبراذين من الخيل : ما كان من غير نتاج العراب .

عليه ، فرجع إليه مضروبا ، فقال : مالك ويلك[١] ؟ قال : سبّك فسببته فضربنى . قال : وبأىّ شىء سبّنى ؟ قال : هَنُ الحمار فى حِرِ أمِّ مَن أرسلك . قال : دعنى من افترائه علىّ ، أنت كيف جعلتَ لأير الحمار من الحُرمة ما لم تجعله لحِرِ أمّى ؟ فهلاّ قلت أير الحمار فى هن أمّ مَن أرسلك ؟ !

٢٨ أبو الحسن قال : كان رجلٌ من ولد عبد الرحمن بن سَمُرة[٢] ، أراد الوثوبَ بالشام ، فحُمِل إلى المهدىّ ، فخلّى سبيلَه وأكرمَه وقرّب مجلسَه ، فقال له يوماً : أنشدنى قصيدةَ زهير ، التى أوّلها :

لِمَن الدّيارُ بِقُنّةِ الحِجْرِ   أقوَيْنَ من حِجَجٍ ومن شَهرِ

فأنشده فقال المهدى : ذهب والله من يقول مثل هذا . قال السَّمُرىّ : وذَهَب واللهِ مَن يقال فيه مثل هذا . فغضِب المهدىُّ واستجهلَه ونحّاه ولم يعاقبه ، واستحمقَه الناس .

ولما دخل خالد بن طَلِيقٍ[٣] على المهدىّ مع خصومه ، أنشد قول شاعرهم :

---

(١) ما عدا ل : « ما بالك ويلك » .

(٢) عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس ، أحد الصحابة الذين أسلموا يوم الفتح وكان اسمه عبد كلال ، فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن . سكن البصرة وافتتح سجستان ، وكابل ، وغيرها ، ورجع إلى البصرة فمات بها سنة خمسين . الإصابة ٥١٢٥ وتهذيب التهذيب .

(٣) خالد بن طليق بن محمد بن عمران بن حصين الخزاعى ، ذكر ابن النديم فى الفهرست ١٣٩ أنه كان أخباريا نسابة ، وكان معجباً تياها ، ولاه المهدى قضاء البصرة بعد أن عزل عبيد الله بن الحسن بن الحر العنبرى . وذكر أبو الفرج فى الأغانى أنه ولى قضاء البصرة على حين ولى عيسى بن سليمان الإمارة بها ، فقال ابن مناذر يهجوهما :

الحمد لله على ما أرى   خالد القاضى وعيسى أمير
لكن عيسى نوكه ساعة   ونوك هذا منجنون يدور

الأغانى (١٧ : ٢٧) . وفيه يقول ابن مناذر (الأغانى ١٧ : ٢٤) :

أصبح الحاكم بالنا   س من آل طليق
جالساً يحكم فى النا   س بحكم الجاثليق

وانظر لسان الميزان (٢ : ٣٧٩) .

إذا القرشيُّ لم يَضرِب بعرقٍ   خزاعيٍّ فليس من الصميمِ

فغضب المهديّ فقال : أحمق . فأنشد خالد فقال :

إذا كنتَ فى دارٍ فحاولت رِحلةً   فدَعْها وفيها إن أردتَ مَعادُ

فسكن عند ذلك المهديُّ .

وقال بشّار :

خليلىَّ إنّ العُسرَ سوف يفيقُ   وإنّ يساراً من غدٍ لخليـقُ

وما كنتُ إلا كالزّمانِ إذا صحا   صحوتُ وإن ماقَ الزّمان أموقُ

* * *

قالوا : ومن النّوكى : أبو الرّبيع العامرىّ[(١)] ، واسمُه عبدالله ، وكان وَلِىَ بعض منابر اليمامة . وفيه يقول الشاعر :

شهدتُ بأنّ الله حقٌّ لقاؤه   وأنّ الرّبيعَ العامرىّ رَقيعُ

أقاد لنا كلباً بكلب ولم يَدَعْ   دماء كلابِ المسلمين تَضيعُ

قالوا : ومن النّوكى : ربيعةُ بن عِسْلٍ[(٢)] ، أحد بنى عمرو بن يربوع ، وأخوه صَبِيغ بن عِسْلٍ[(٣)] . وفد ربيعةُ على معاوية فقال له معاوية : ماحاجتُك ؟ ٢٩

---

(١) كذا فى النسخ ، وهو ما يقتضيه الكلام بعد ، أن اسمه « عبد الله » . لكن الشعر وما ورد فى عيون الأخبار (٢ : ٤٩) يشعر بأن اسمه « الربيع » لا « أبو الربيع » .

(٢) عسل ، بكسر العين ، كما فى الاشتقاق ١٣٩ . قال : « ومنهم ربيعة أخو صبيغ ، وكان مع عائشة رضى الله عنها يوم الجمل . فأتى به علىّ أسيراً ، فمن عليه على رضى الله عنه ولحق بمعاوية » .

(٣) صبيغ ، بفتح الصاد المهملة وآخره غين معجمة . قال ابن دريد : « كان يحمق فوفد على معاوية ... ... وكان صبيغ هذا أتى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال له : خبرنى عن الذاريات ذروا . فقال : الحص عن رأسك . فإذا له ضفيرتان فقال : لو كان محلوقا ماشككت فيك . يريد أنه من الخوارج . ثم كتب إلى أمير البصرة ألا يكلموه . فلم يزل بشرٍّ حتى قتل فى بعض الفتن » . وقد ذكره ابن حجر فيمن له إدراك من الصحابة ٤١١٨ . فيما عدا ل : « ضبيع » تحريف .

قال : زوِّجْنى ابنتك . قال : اسقوا ابن عِسْلٍ عسَلاً . فأعاد عليه فأعاد [عليه] العسَل ثلاثاً ، فتركه وقد كاد يَنقدُّ بطنه (١) . قال : فاستعمِلْنى على خراسان . قال: زيادٌ أعلمُ بثُغوره . قال : فاستعمِلنى على شُرطة البَصرة . قال : زيادٌ أعلم بشُرْطته (٢) . قال : فاكسُنى قطيفةً ، أو قال : هَبْ لى مائةَ ألفِ جِذْعٍ لدارى . قال : فدارك فى البصرة أو البصرةُ فى دارك ؟ !

قال عوَانة : استعمل معاوية رجلاً من كلبٍ فذكر يوماً المجوس وعنده الناس ، فقال : لعنَ الله المجوسَ يَنكِحُون أمَّهاتِهم ، والله لو أُعطِيتُ مائة ألفِ درهم ما نكحتُ أُمِّى ! فبلغ ذلك معاويةَ فقال : قاتله الله أترَوْنَه لو زادوه على مائة ألفٍ فَعَل ! فعزَله .

[أبو الحسن : وفد ربيعة بن عِسْل (٣) على معاوية — وهو من بنى عمرو ابن يربوع — فقال لمعاوية : أعِنّى بعشرة آلاف جذعٍ فى بناء دارى بالبصرة . فقال له معاوية : كم دارك ؟ قال : فرسخان فى فرسخين . قال معاوية : هى فى البصرة أم البصرة فيها ؟ قال : بل هى فى البصرة . قال معاوية : فإن البصرة لا تكون هذا (٤)] .

وقال أبو الأحوص الرياحىّ (٥) :

ليس بيربوع إلى العقل حاجةٌ   سوى دَنَسٍ تسودُّ منه ثيابها

(١) ينقد : ينقطع . ما عدا ل : « تنقد » تحريف . والبطن مذكر .
(٢) ما عدا ل : « أعرف بشرطته » .
(٣) سبقت ترجمته فى ص ٢٥٩ .
(٤) هذه مما عدا ل .
(٥) ما عدا ل : « الرياهى » تحريف . على أن النسخ جميعها اتفقت فى الخطأ فى اسم الشاعر ، فالصواب أنه « الأخوص الرياحى » . والأخوص ، بالخاء المعجمة لقب له ، واسمه زيد ابن عمرو بن قيس بن عتاب بن هرمى بن رياح بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم . وهو شاعر إسلامى ، كما ذكر البغدادى فى الخزانة (٢ : ١٤٢ — ١٤٣) .

فكيف بنو كَى مالك إن كفرتمُ   لهمْ هذه أم كيف بعدُ خِطابُها ؟
مشائيم ليسوا مصلحين عشيرةً   ولا ناعبٍ إلا بِبَينٍ غُرابُها (١)

الهيثم ، عن الضَّحاك بن زِمْلٍ (٢) قال : بينا معاوية بن مروانَ (٣) واقفٌ بدمشق ينتظر عبد الملك على باب طحانٍ وحمارٌ له يدور بالرَّحى وفى عنقه جُلجل إذ قال للطحان : لِمَ جعلت فى عنق هذا الحمارِ هذا الجلجل ؟ قال : ربَّما أدركتْنى سآمةٌ أو نعْسة ، فإذا لم أسمعْ صوت الُجلجلِ علمتُ أنه قد قام فصحت به . قال معاوية : أفرأيت إن قامَ ثم قال برأسه هكذا وهكذا — وجعل يحرِّك رأسه يَمنةً ويسرة — ما يُدْريك أنت أنه قائم ؟ فقال الطحّان : ومَن لى بحمارٍ يَعقِلُ مثلَ عَقْل الأمير (٤) ؟

ومعاوية بن مروان هذا هو الذى قال لأبى امرأته : ملأَتْنا ابنتُك البارحةَ بالدَّم ! قال إنّها من نسوةٍ يَخبأْنَ ذلك لأزواجهنّ . ٣٠

وصعد يوسفُ بنُ عمرَ المِنبر ، فحمد اللهَ وأثنى عليه ، ثم قال : قد قتل الله زيداً ونصْرَ بن سيّار — يريد نصر بن خُزيمة .

وقال على الأُسوارىّ : عمر بن الخطّاب معلّقٌ بشعرةٍ ! قلت : وما صيَّرهُ إلى ذلك ؟ قال : لِمَا صَنَع بنصر بن سيّار — يريد نصر بن الحجّاج بن عِلاط

أحبَّ الرشيد أن ينظر إلى أبى شُعيبٍ القلّال كيف يعمل القِلال ، فأدخلوه القصر وأتوْه بكلِّ ما يحتاج إليه من آلة العمل ، فبينا هو يعمل إذا هو بالرّشيد

---

(١) البيت من شواهد الرضى فى الخزانة (٢ : ١٤٠) ، وسيبويه (١ : ١٥٤ ، ٤١٨) . يستشهد به على أن « ناعب » معطوف بالجر على مصلحين لتوهم دخول الباء عليه .

(٢) ب : « رمل » مع وضع ضمة على الراء . حـ : « رمل » التيمورية : « زئل » .

(٣) هو معاوية بن مروان بن الحكم ، أخو عبد الملك بن مروان . وهذا الخبر رواه ابن قتيبة فى المعارف ١٥٥ وعيون الأخبار (٢ : ٤٢) .

(٤) فى المعارف : « ومن له بمثل عقل الأمير » . وفى عيون الأخبار : « ومن لحمارى بمثل عقل الأمير » .

قائمٌ فوقَ رأسه ، فلما رآه نهضَ قائماً ، فقال له الرشيد : دُونَك ما دُعيتَ له ؛ فإنى لم آتِكَ لتقومَ إلىّ ، وإنما اتيتُك لتعمَلَ بين يدىّ . قال : وأنا لم آتِكَ ليَسُوءَ أدبى ، و إنما أتيتك لأزداد بك فى كثرة صوابى . قال له الرّشيد : إنما تعرّضْتَ لى حين كسدت صنعتك[1] . فقال أبو شُعيب : يا سيِّد الناس ، وما كساد عملى فى جَلَالِ وجهك ؟ ! فضحك الرّشيد حتى غطّى وجهَه ثم قال : واللهِ ما رأيتُ أنطقَ منه أوّلاً ، ولا أعيا منه آخِراً ، ينبغى لهذا أن يكون أعقل الناس أو أجنّ الناس .

عبد الله بن شدّاد[2] قال : أرى داعى الموت لا يُقلع ، وأرى مَن مضى لا يرجع ، ومَن بقِىَ فإليه ينزِع . لا تزهدَنّ فى معروف ، فإنّ الدّهرَ ذو صروف فكم من راغب[3] قد كان مرغوبا إليه ، وطالبٍ قد كان مطلوباً مالديه . والزّمانُ ذو ألوان ، ومَن يصحبِ الزّمانَ يرى الهوان .

الفَرَج بن فَضَالةَ[4] ، عن يحيى بن سعيد[5] ، عن محمد بن على[6] ، عن أبيه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إذا فعلَتْ أمّتى خمْسَ عشْرةَ خصلةً

---

(١) ماعدا ل : « سوقك » .
(٢) سبقت ترجمته فى ١١٣ حيث سلفت الخطبة له .
(٣) ل : « كم راغبا » .
(٤) فرج بن فضالة بن النعمان التنوخى ، روى عن يحيى بن سعيد ، ومسافر ، وهشام ابن عروة ، وروى عنه ابنه محمد ، وشعبة ، ووكيع ، والنضر بن شميل وغيرهم . سكن بغداد وكان على بيت المال بها . ولمولده سنة ٨٨ حديث فى تاريخ بغداد ٦٨٥٦ ، ومات ببغداد سنة ١٧٦ . وانظر تهذيب التهذيب (٨ : ٢٦٠) .
(٥) هو أبوسعيد يحيى بن سعيد بن قيس بن عمروالأنصارى المدنى ، سمع أنس بن مالك وسعيد بن المسيب وغيرهما ، وروى عنه مالك بن أنس وابن جريج ، وشعبة . وهو تابعى ثقة فقيه ، ولى القضاء بالأنبار وبغداد فى عهد المنصور . وتوفى سنة ١٤٤ . تاريخ بغداد ٧٤٤٦ وتهذيب التهذيب .
(٦) هو محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب الهاشمى ، أبو جعفر الباقر . وهو من التابعين فقهاء أهل المدينة . ولد سنة ٥٦ وتوفى سنة ١٢٨ . تهذيب التهذيب .

حلَّ بها البلاء : إذا أكلوا الأموال دُوَلاً ، واتَّخذوا الأمانة مَغنَماً ، والزَّكاة مَغرَمًا ، وأطاع الرجل زوجته وعقَّ أُمَّه ، وبرَّ صديقه وجفا أخاه ، وارتفعت الأصواتُ فى المساجد ، وأُكرِمَ الرَّجُلُ مخافةَ شرِّه ، وكان زعيمَ القوم أرذلُهم ، وإذا لُبِسَ الحريرُ وشُرِبت الخمور ، واتُّخِذت القِيانُ والمَعازف ، ولعن آخرُ هذه الأمَّةِ أوّلَها ، فليترقَّبُوا بعد ذلك ثلاثَ خِصَال: ريحاً حمراء ، ومسخاً ، وخَسْفا .

٣١ الهيثم قال أخبرنا الكلبيُّ قال : كانت قُريشٌ تعُدُّ أهلَ الجزالة فى الرأى العباسَ بن عبد المطّلب ، وأبا سفيان و بنيهما[١] ، وأميَّة بن خَلَف .

قال : وقال ابنُ عبّاس : لم يكن فى العرب أمردُ ولا أشيب أشدَّ عقلاً من السائب بن الأقرع[٢] .

قال : وحدّثنى الشَّعبيُّ أنّ السائب شهد فتح مِهْرَجان قُذَق[٣] ، ودخل منزل الهُرمُزان وفى داره ألفُ بيت ، فطاف فيه ، فإذا ظبىٌ من جِصٍّ فى بيتٍ منها مادٌّ يدَه ، فقال: أقسم بالله أنّ هذا الظَّبىَ يُشِيرُ إلى شىء[٤] ! انظروا . فنظروا فاستخرجُوا سَفَط كَنزِ الهُرمُزان فإذا فيه ياقوتٌ وزبرجد ، فكتب فيه السائب إلى عُمَر ، وأخذ منه فصًّا أخضرَ ، وكتب إلى عمر : إنْ رأى أميرُ المؤمنين أن يَهبَه لى فليفعلْ . فلما عرض عمر السَّفَط على الهُرمُزان قال : فأين الفصُّ الصغير؟ قال : سألَنِيهِ صاحبُنا فوهبتُه له . قال : إنّ صاحبك بالجوهرِ لَعالِم .

قال : أخبرنا مُجالدٌ[٥] عن الشَّعبى قال : قال السائب لجَميل بن بَصْبَهَرِى[٦] :

(١) ل : « و نُبَيهما » بهذا الضبط .

(٢) السائب بن الأقرع بن عوف بن جابر ، صحابى جليل ، استعمله عمر على المدائن . ترجم فى الإصابة ٣٠٥٠ .

(٣) مهرجان قذق ، بكسر الميم وبفتح القاف وضمها أيضا ، قال ياقوت : كورة حسنة واسعة قرب الصيمرة ، من نواحى الجبال ، عن يمين القاصد من حلوان العراق إلى همذان .

(٤) ما عدا ل : « إنه يشير إلى شىء » . وانظر نص الخبر فى الإصابة .

(٥) مجالد بن سعيد ، مضت ترجمته فى (١ : ٢٤٢) .

(٦) كذا ورد مع هذا الضبط فى ل . وفيما عدا ل : « يصبهرى » .

أخبرنى عن مكانٍ من القُرَية[١] لا يَخرب حتّى أستقطع[٢] ذلك المكان . قال : [ما] بينَ الماء إلى دار الإمارة . قال : فاختطّ لثقيفٍ فى ذلك الموضع . قال الهيثم : بِتُّ عندهم ليلةً ، فإذا ليلهم مثلُ النّهار[٣] .

أبو الحسن قال : قال عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بن المُغيرة ، لمعاوية : أما والله لو كُنّا على السَّـوَاء بمكّة لعلمت ! قال معاوية : إذاً كنتُ أكون معاويةَ بن أبى سفيان منزلى الأبطحُ[٤] ينشقُّ عنى سيله ، وكنت أنت عبدَ الرحمن ابن خالد منزلُك أجيادٌ[٥] ، أعلاه مَدَرَة وأسفله عَذِرَةٌ . قال سُهيل بن عمرٍو : « أشبه امرؤٌ بعضَ بَزِّه » . فصار مثلاً .

وقال مُحْرِز بن علقمة :

لقد وارى المقابرُ من شَرِيكٍ ... كثيرَ تحلّمٍ وقليلَ عابِ[٦]

صموتًا فى المجالس غيرَ عَيٍّ ... جديراً حين ينطق بالصّوابِ

٣٢ *وقال ابن الرقاع[٧] :

---

(١) القرية ، بهيئة تصغير القرية ، قال ياقوت : محلتان ببغداد ، إحداهما فى حريم دار الخلافة ، وهى كبيرة فيها محال وسوق كبير . والقرية أيضا محلة كبيرة جدا كالمدينة من الجانب الغربى من بغداد مقابل مشرعة سوق المدرسة النظامية .

(٢) ما عدا ل : « اقتطع » .

(٣) عنى أنهم يصلون الليل بالنهار فى العمل والتجارة وغير ذلك .

(٤) الأبطح والبطحاء : رمل منبسط يضاف إلى مكة حينا وإلى منى آخر .

(٥) أجياد : موضع بمكة يلى الصفا ، وكانت منزلا لبنى مخزوم .

(٦) العاب : العيب . وشريك هذا هو شريك بن عبد الله النخعى الكوفى القاضى ، ولى القضاء بواسط سنة ١٥٥ ثم بالكوفة ومات بها سنة ١٨٨ . تذكرة الحفاظ (١ : ٢١٤) وتهذيب التهذيب .

(٧) هو عدى بن زيد بن مالك بن عدى بن الرقاع العاملى . كان شاعرا مقدما عند بنى أمية مداحا لهم ، خاصا بالوليد بن عبد الملك . وكان منزله بدمشق ، وهو من حاضرة الشعراء لا من باديتهم . وقد تعرض لجرير وناقضه فى مجلس الوليد ، ثم لم تتم بينهما مهاجاة إلا أن جريرا قد هجاه تعريضا فى قوله :

* حى الهدملة من ذات المواعيس * =

أمْ تداخلت الحتوفُ عليهمُ أبوابَهُمْ فكشَفْن كلَّ غِطاء
فإذا الذى فى حصنِهِ متحرِّزٌ منهم كآخر مُصْحِرٍ بفضاء
والمرءُ يورث مجدَه أبناءَه ويموت آخرُ وهو فى الأحياء
والقوم أشباهٌ و بين حلومهم بَوْنٌ كذاك تفاضُلُ الأشياء

وقال بعضهم :

بيضاء ناصعة البياض كأنها قمرٌ توسّط جُنح ليلٍ مُبْردِ
موسومةٌ بالحسن ذاتُ حواسدٍ إنّ الحِسَانَ مَظِنَّةٌ للحُسَّدِ
وترى مآقيها تُقلِّبُ مُقْلَةً حوراء ترغب عن سواد الإثمدِ
خَوْدٌ إذا كثُر الحديث تعوَّذَتْ بحِمَى الحياء و إن تكلَّمَ تقصد (١)

وقال آخر :

لسانُك خيرٌ وحدَه من قبيلة وما عُدَّ بَعْدُ فى الفتى أنتَ فاعِلُه
سِوى طَبع الأخلاقِ والفُحْشِ والخَنَا أبتْ ذاكُمُ أخلاقُه وشمائلُه

وقال الآخر :

على امرئٍ هَدَّ عرشَ الحىّ مصرعُه كأنه مِن ذَوِى الأحلامِ من عادِ

وقال النابغة :

أحلامُ عادٍ وأجسادٌ مطهّرةٌ من المَعَقّةِ والآفات والأثمِ (٢)

وقالت الخنساء :

= ولم يصرح ، لأن الوليد حلف إن هو هجاه أسرجه وألجمه وحمله على ظهره . فلم يصرح بهجائه . الأغانى (٨ : ١٨٢ — ١٧٧) .

(١) القصد : التوسط . وقبل هذا البيت فيما عدا ل : « وقال الآخر » .

(٢) المعقة : العقوق . ولم أهتد إلى ضبط « الأثم » ها هنا ، فإن المعاجم لم تذكر إلا « الإثم » بالكسر ، و « الأنام » كسحاب وكتاب . وقبل البيت فى ديوانه ٧٤ :

هم الملوك وأبناء الملوك لهم فضل على الناس فى اللأواء والنعم

خَطَّابُ مُعضِلةٍ فرّاجُ مُظلمةٍ   إنْ جاءَ معضلةٌ هيَّا لها بابا (١)

وعدّد الأصمعيُّ خصال مَعَدٍّ فقال : ٣٣

كانوا أديمًا ماعِزًا شاتَه   أخلصَ فيه القرظَ الآهِبُ (٢)،

أو مرقئُ عِرْقَ دمٍ مُفْرَجٍ   أو سائلٌ فى لزْبةٍ زاعِبُ (٣)،

أو ذمّةٌ يوفى بها عاقدٌ   أو عُقدةٌ يُحكمُها آرِبُ (٤)،

أو خابطٌ من غيرِ لا نِعمةٍ   أو رَحِمٍ مَتَّ بها جانبُ (٥)،

أو خُطّةٌ بَزْلاءُ مفصولةٌ   يرضَى بها الشاهدُ والغائب (٦)

وقال ابن نوفل (٧) :

وأنت كساقطٍ بين الحشـايا   يَصيرُ إلى الخبيثِ من المَصيرِ (٨)

---

(١) ل : « إن داء معضلة » .

(٢) الأديم : الجلد . والقرظ : شجر عظام يدبغ بورقه وثمره . والآهب : كلمة لم تذكرها المعاجم . ولعل المراد به صاحب الإهاب ، وهو الجلد .

(٣) أرقأ الدم : حقنه . والمفرج : القتيل يكون فى القوم من غيرهم ، فيحق عليهم أن يعقلوا عنه . واللزبة : السنة الشديدة . يقول : هم فى اللزبات سيل زاعب يزعب الوادى يملؤه . ل : « راغب » وليس بشىء .

(٤) أرب العقدة : شدها وعقدها .

(٥) الخابط : الذى يعطى غيره من غير معرفة بينهما . قال علقمة :

وفى كل حى قد خبطت بنعمة   فحق لشأس من نداك ذنوب

ما عدا ل : « حابط » تحريف . والرحم : القرابة . مت بها : توسل . والجانب : الغريب .

(٦) خطة بزلاء : تفصل بين الحق والباطل . والبزلاء : الرأى الجيد والعقل . وفى جميع النسخ : « أو خطبة » تحريف . انظر اللسان (بزل) .

(٧) ل : « أبو نوفل » . وهو يحيى بن نوفل ، كان شاعراً من شعراء الدولة الأموية معاصرا للحكم بن عبدل الأسدى ، وله معه خبر فى الأغانى (٢ : ١٤٤) . والشعر التالى فى الحيوان (٤ : ٦/٣٢٢ : ٧/٣٩٠ : ٢٠) من قصيدة يهجو بها خالد بن عبد الله القسرى .

(٨) جعله ممن يلازم الفراش ويقعد عما تقتضيه الشجاعة والرجولية . وجاء فى حديث على : « من يعذرني من هؤلاء الضياطرة ، يتخلف أحدهم يتقلب على حشاياه » . وقال عمرو ابن العاص : « ليس أخو الحرب من يضع خور الحشايا عن يمينه وشماله » .

ومثـــلُ نعامةٍ تَدْعَى بعيراً   تَعاظُمها إذا ما قيلَ طِيرِى[(١)]
وإنْ قيـلَ احمِلِى قالتْ فإنّى   مِنَ الطّيرِ المُربّةِ بالوُكورِ[(٢)]
وكنت لدى المُغيرةِ عيرَ سَوْء   يبول من المخـافة للزّئير[(٣)]
لأعلاجٍ ثمانيةٍ وشـيخٍ   كبيرِ السِّنِّ ذى بصرٍ ضَرِيرِ[(٤)]
تقول لِما أصابَكَ : أطعمونى   شراباً ثم بُلْتَ على السريرِ[(٥)]

وقال عبد يغوث[(٦)]:

ألا لا تَلوماِنى كفَى اللّومَ ما بيَا   فما لكما فى اللّوْم خيرٌ ولا ليَا
ألم تعلما أنّ الملامَةَ نفعُها   قليلٌ، وما لومى أخى من شِماليا[(٧)]

---

(١) تعاظمها : ادعاؤها العظمة والفوق على الطيور . ورويت هذه الكلمة بهذا اللفظ أيضا فى أصل عيون الأخبار (٢ : ٨٦) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٩٨) . وعند الدميرى « تعاصينا » . وفى اللسان (نعم) : « تعاظمه » أى هى تعاظم البعير .

(٢) أرب الطائر بوكره : لزمه ولم يفارقه .

(٣) المغيرة هذا ، هو المغيرة بن سعد ، صاحب فرقة المغيرية . وهو متنبئ خرج فى إمارة خالد بن عبد الله القسرى . وكان يقول بالإلهية على وتكفير أبى بكر وعمر وسائر الصحابة إلا من ثبت مع على . وظفر به خالد بن عبد الله آخر الأمر ، فأحرقه وأحرق أصحابه سنة ١١٩ . والعير : الحمار الوحشى . جعله عند ملاقاته للمغيرة كالعير ، إذا سمع زئير الأسد حمله الذعر والفزع أن يهاجم هو الأسد ، مما طار من صوابه وضاع من رشده . وذا معروف من طباع العير . ما عدا ل : « تبول » بالتاء .

(٤) يشير إلى المغيرة وكبار أتباعه . والعلج : الرجل من كفار العجم . ونقد المرزبانى هذا البيت فى الموشح ٢٣٥ حيث ظاهره يوهم التناقض؛ فإن ذا البصر لايكون ضريرا . وأقول إنه أراد بالبصر العين ثم وصف ذلك البصر بأنه ضرير .

(٥) كان خالد قد اضطرب عند عيان المغيرة بن سعيد وقال : « أطعمونى ماء » لشدة ذهوله . انظر الحيوان (٢ : ٢٦٧/٦ : ٣٩٠) والبيان (١ : ١٢٢) .

(٦) هو عبد يغوث بن وقاص الحارثى . شاعر جاهلى فارس ، كان قائد قومه بنى الحارث ابن كعب يوم الكلاب الثانى . وفى ذلك اليوم أسر ، ثم قتل بعد ذلك اليوم . ويروون أنه قال قصيدته هذه حين جهز للقتل . انظر النقائض ١٤٩ — ١٥٦ والأغانى (١٥ : ٦٩ — ٧٥) وكامل ابن الأثير والعقد فى (يوم الكلاب الثانى) والمفضليات (١ : ١٥٣ — ١٥٦) وأمالى القالى (٣ : ١٢٢) .

(٧) الشمال ، بالكسر : واحد الشمائل ، وهى الأخلاق والطباع .

فيارا كبًا إمّا عَرضْتَ فبلِّغَن — ندامایَ من نَجْران أن لاتلاقِيا [١]

أبا كربٍ والأيهَمين كليهما — وقيساً بأعلى حَضْرَمَوْتَ اليمانيا [٢]

جزى الله قومی بالكُلابِ مَلامةً — صريحَهُمُ والآخرينَ المواليا [٣] ٣٤

أقول وقد شدُّوا لسانی بِنِسْعةٍ — أمَعشَرَ تيمٍ أطلقوا من لسانيا [٤]

وتَضحكُ منِّی شيخةٌ عبشميَّة — كأنْ لم تَرَیْ قبلی أسيراً يمانيا [٥]

[قال أبو عثمان] : وليس فی الأرض أعجبُ من طرفةَ بنِ العبد وعبدِ يغوث ، وذلك أنّا إذا قِسنا جودةَ أشعارهما فی وقت إحاطة الموت بهما لم يكن دون سائر أشعارهما فی حال الأمْن والرّفاهية [٦] .

أبو عبيدةَ [٧] قال : حدثنی أبو عبد الله الفزاریّ ، عن مالك بن دينار [٨] قال : ما رأيت أحداً أبينَ من الحجّاج ، إنْ كان لَيرقَى المِنبر فيذكُرُ إحسانَه إلى

---

(١) عرضت : أتيت العروض ، بفتح العين ، وهی مكة والمدينة وما حولها .

(٢) أبو كرب ، هو بشر بن علقمة بن الحارث . والأيهمان ، هما الأسود بن علقمة ابن الحارث ، والعاقب ، وهو عبد المسيح بن الأبيض . انظر ابن الأثير . وقيس ، هو ابن معد يكرب ، وهو والد الأشعث بن قيس .

(٣) الكلاب ، بالضم : يوم الكلاب الثانی كلاب أهل اليمن وتميم ، وفيه أسر عبديغوث. صريحهم : خالصهم ومحضهم فی النسب . والموالی : الحلفاء ها هنا .

(٤) النسعة ، بكسر النون : القطعة من النسع ، وهو سير يضفر من جلد . ومما يروى أنهم بعد أسره شدوا لسانه بنسعة ليمنعوه الكلام . وقيل أراد أنهم فعلوا به ما منع لسانه من أن ينطق بمدحهم .

(٥) عبشمية : نسبة إلى عبد شمس . والذی أسر عبد يغوث فتى من بنی عمير بن عبدشمس وكان أهوج ، فانطلق به إلى أهله فقالت أمه لعبد يغوث ، ورأته عظيما جميلا : من أنت ؟ قال أنا سيد القوم . فضحكت وقالت : قبحك الله من سيد قوم حين أسرك هذا الأهوج ! فعن ذلك قول عبد يغوث : « وتضحك منی » . ما عدا ل : « لم ترأ » وهی رواية نصوا عليها ، جعل الهمزة بدلا من الياء ، وفی الكلام التفات .

(٦) مثل هذا الكلام فی الحيوان (٧ : ١٥٧) وزاد هناك هدبة العذری .

(٧) ل : « أبو عبيد » .

(٨) ترجم فی (١ : ١٢٠) .

أهل العراق ، وصَفحَه عنهم وإساءتهم إليه ، حتّى أقولَ فى نفسى : لأحسبه صادقاً ، وإنى لأظنُّهم ظالمين له .

قال : وكانت العرب تخطُب على رواحلها . وكذلك روى النبىُّ صلى الله عليه وسلم عن قُسّ بن ساعِدة[1] .

قال : وأخبرنى عبدُ الرحمن بن مهدىّ[2] ، عن مالك بن أنس قال : الوقوف على ظهر الدّوابّ بعرفةَ سنّة ، والقيام على الأقدام رُخْصة .

وجاء فى الأثر : لا تجعلوا ظُهورَ دوابِّكم مجالس .

ووقف الهيثم بن مُطهَّر الفأفاء ، على ظهر دابّته على باب الخَيزُران[3] ، ينتظر بعضَ من يخرج من عندها ، فلمّا طال وقوفُه بعث إليه عُمَر الكَلْواذىّ فقال له : انزلْ عن ظهر دابّتك . فلم يَرُدَّ عليه شيئا ، فكرَّ الرّسولُ إليه ، فقال : إنى رجلٌ أعرج ، وإن خرج صاحبى من عند الخيزُران فى مَوكِبه خِفتُ ألاّ أدركَه . فبعث إليه : إنْ لم تنزل أنزلْناك . فبعث إليه قال : هوَ حبْسٌ[4] فى سبيل الله إن أنزلتَنى عنه إن أقضمتُه شهراً . فانظر أيُّما خيرٌ له أراحةُ ساعة أم جوع شهر ؟ قالوا [له : هذا] الهيثم بن مطهَّر . قال : هذا شيطان[5] .

---

(١) إذ يقول صلى الله عليه وسلم : « كأنى أنظر إليه بسوق عكاظ على جمل له أورق وهو يتكلم بكلام عليه حلاوة ، ما أجدنى أحفظه » . الأغانى (١٤ : ٤٠) والخزانة (١ : ٢٦٨) . وانظر ما سبق فى (١ : ٥٢ س ١٠ — ١٥) .

(٢) هو أبو سعيد عبد الرحمن بن مهدى بن حسان العنبرى البصرى ، الحافظ . شهد له كثير من الأئمة أنه كان أعلم الناس بالحديث ، مع ورع كان فيه وزهد . توفى سنة ١٩٨ وهو ابن ثلاث وستين سنة . تذكرة الحفاظ (١ : ٣٠١) وتهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٤ : ٢) .

(٣) الخيزران هى أم موسى الهادى وهارون الرشيد ، وهى أم ولد يقال لها الخيزران ابنة عطاء . وكانت ذات نفوذ كبير عند زوجها المهدي وولديها موسى وهارون ، وهى التى دبرت المؤامرة لاغتيال موسى ١٧٠ . وتوفيت سنة ١٧٤ فى خلافة الرشيد . تاريخ الطبرى .

(٤) ما عدا ل : « حبيس » .

(٥) أقضمته : علفته القضيم ، وهو الشعير . و « إن » قبله نافية .

(٥) فى عيون الأخبار (١ : ١٦٠) : « هذا شيطان ، اتركوه » .

وقال أبو علقمة النحوى : يا آسى[1] ، إنى رجعت إلى المنزل وأنا سَنِقٌ لَقِسٌ[2] فأتيت بشِنْشِنةٍ من لِوِيّةٍ ولَكِيك[3] ، وقِطَعِ أقْرَنَ[4] قد غَدَرْنَ هناك من سَمْنٍ[5] ، ورُقَاقٍ شرشصان[6] وسَقِيط عُطْعُط[7] ، ثم تناولت عليها ٣٥
كأساً . قال له الطبيب : خُذْ خَرْفقا وسَفْلقا وجَرْفقا[8] . قال : وَيْلَكَ أىُّ شىء هذا ؟ قال : وأى شىء ما قلت ؟

قال الزِّبرِقان : أحبُّ صبياننا إلىَّ العريض الورِك ، السَّبِط الغُرّة ، الطويل الغُرلةِ ، الأبله الغَفُول . وأبغضُ صبياننا إلىَّ : الأُقَيعِصُ الذَّكَر ، الذى كأنما ينظر من جُحْر ، وإذا سأله القوم عن أبيه هَرّ فى وجوههم .

قال الهيثم : قال الأشعث : إذا كان الغلام سائل الغُرّة ، طويل الغُرْلةِ ملتاث الإزْرَةِ[9] كأنّ به لُوثَة[10] فما يُشكّ فى سُؤدده .

---

(١) الآسى : الطبيب . والخبر برواية أخرى فى عيون الأخبار (٢ : ١٦٢) والعقد (٢ : ٤٨٩) ، وإرشاد الأريب (١٢ : ٢٠٩) .

(٢) السنق : الشبعان كالمتخم . واللقس : ذو الغثيان .

(٣) الشنشنة : القطعة . واللوية : ما يخبأ للضيف أو يدخره الرجل لنفسه . واللكيك : الصلب المكتنز من اللحم .

(٤) الأقرن : الكبش الكبير القرنين .

(٥) غدر من باب سمع وضرب : شرب . حـ : « قد عذرنا » التيمورية : « غذرون » وليس لهما وجه من الصواب .

(٦) ماعدا ل : « سرشصان » ، ولم أهتد إلى تحقيقها .

(٧) العطمط : الجدى .

(٨) كذا وردت هذه الألفاظ فى الأصول وليس أحدها صحيحاً . وبدل الأول فى العقد : « خربقا » وهو نبت كالسم يغشى على آكله . وبدل الكلمة الثانية فى العقد : « سلفقا » . وفى إرشاد الأديب « سلفقا » وفى العيون « شلفقا » وكلاها لا وجه له . وبدل الكلمة الثالثة فى العقد وعيون الأخبار « شبرقا » ، وهو نبت من جنس الشوك إذا كان رطبا فهو شبرق ، فإذا يبس فهو الضريع .

(٩) الملتاث : المختلط . والإزرة بالكسر : هيئة الائتزار .

(١٠) اللوثة ، بالضم والفتح : الحمق .

قال أبو المِخَشّ[١] : « كان المخشُ أشدق خُرطُمانيًا ، سائلاً لعابه ، كأنما ينظر من قَلْتَين ، كأنّ تَرْقُوتَه بُوانٌ أو خالِفَةٌ ، وكأنّ كاهلَه كِرْكِرةُ جمل . فقأ الله عينىّ إنْ كنتُ رأيتُ قبلَه ولا بعدَه مثله » . قال : وكان زيادٌ حوّل المنبرَ و بيوتَ المال والدّواوينَ إلى الأزد ، وصلّى بهم ، وخطب فى مسجد الحُدّان فقال عمرو بن العرندس :

فأصبح فى الحُدّانِ يخطبُ آمنا ... وللأزد عزٌّ لا يزالُ تِلادُ

وقال الأعرج[٢] :

وكنّا نُستِطبّ إذا مَرِضْنا ... فصار سَقامُنا بيد الطّبيبِ

فكيف نُجيز غُصّتَنا بشىء ... ونحن نَغَصُّ بالماء الشّريبِ

وقال أيضا[٣] :

والقائلين فلا يُعابُ خطيبُهم ... يومَ المَقامةِ بالكلام الفاصلِ

وقال ابن مُفرّغ :

ومتى تقمْ يوم اجتماع عشيرة ... خُطباؤُنا بين العشيرة تَفْصِلِ

وقال أيضا :

فيارُبّ خَصم قد كُفيتُ دِفاعَهُ ... وقوّمْتُ منه درْأَه فتنكّبا[٤]

وقال آخر :

وحامِلِ ضَبِّ ضِغنٍ لم يضرنى ... بعيدِ قلبُه حُلوِ اللّسانِ[٥]

---

(١) سبق الخبر فى (١ : ١٢١) .

(٢) هاتان الكلمتان والبيتان بعدهما من ل فقط .

(٣) ما عدا ل : « وقال الأعرج » .

(٤) الدرء : الميل . وتنكب : مال .

(٥) الضب : الحقد . وانظر ما فى « بعيد قلبه » من جمال وقوة .

ولو أنى أشاء نقَمتُ منه بشَغْبٍ من لسانٍ تَيَّحَانِ (١)

وقال : ٣٦

عهدُت بها هِنْدًا وهندٌ غَريرةٌ عن الفُحْشِ بلهاء العِشَاء نؤومُ
رَدَاح الضُّحى ميَّالةٌ بَخْتَرِيَّةٌ لها منطقٌ يُصبِى الحليمَ رخيمُ (٢)

وقال :

وخَصْمٍ يَركبُ العوصاء طاطٍ عن المُثْلى قُصَاراه القِراعُ (٣)
وملمـــومٍ جوانبُها رَدَاحٍ تُزَجَّى بالرِّماح لها شُعَاعُ (٤)

وقال مُحلِّمُ بن فِراسٍ ، يرثى منصوراً وهمّامًا ابنى المِسْجَاح :

كم فيهم لو تملَّينا حياتَهـــمُ مِن فارسٍ يومَ رَوْعِ الحىِّ مِقدَامِ (٥)
ومن فتًى يملأُ الشِّيزَى مَكَلَّلَةً شحمَ السَّديفِ نَدِىِّ الحمدِ مِطْعَامِ (٦)
ومِن خطيبٍ غداةَ الحفلِ مُرْتجِلٍ ثَبْتِ المَقام أريبٍ غير مفحامِ

وقال خالدٌ للقعقاع (٧) : أُنافرك علي (٨) أيُّنا أطعن بالرِّماح ، وأطعم للسِّحاح (٩)

---

(١) التيحان ، بفتح الياء المشدودة وكسرها : الذى يتعرض لكل أمر .
(٢) الرداح ، هنا : التى لا تنبعث . والبخترية : ذات التبختر . والمنطق : الحديث .
(٣) الشعر لربيعة بن مقروم الضبي من قصيدة فى المفضليات (١ : ١٨٤ — ١٨٧). وأنشد هذا البيت فى اللسان (طيط) شاهدا على أن « الطاط » بمعنى المتكبر . والمثلى : خير الأمور . ما عدا ل : « على المثل » . والقراع ، هى فى المفضليات « القذاع » أى المقاذعة والمسابة .
(٤) عنى بالملموم جوانبها الكتيبة . والرداح : الثقيلة الجرارة . تزجى : تساق وتدفع . لها شعاع من كثرة بياض الحديد وصفائه .
(٥) أى لو تمتعنا بحياتهم . وفى اللسان (متع) : « ومتعه : ملاه إياه » . ما عدا ل : « تمتعنا حياتهم » . و فيما عدا ل أيضاً : « يوم روح الحى » تحريف .
(٦) الشيزى : لجفنة تعمل من خشب الشيزى ، وهو الذى يقال له « الآبنوس » . والسديف : السنام . ل : « بدي الحمد » ولا وجه له ، فإن البدى الأول .
(٧) ترجمة خالد بن صفوان فى (١ : ٢٤) والقعقاع بن شور فى (١ : ٤٧) .
(٨) ل : « عن » .
(٩) السحاح ، بكسر السين و ضمها : جمع ساح ، يقال جزور ساحة وساح . أى انتهت سمنا . ل : « للشحاح » ما عدا ل : « للسجاح » صوابهما ما أثبت .

وأنزَلُ بالبَراح . قال : لا ، بل عن أيّنا أفضلُ أباً وجدًّا وعمًّا ، وقديماً وحديثاً . قال خالد : أعطيتُ يومًا مَن سأل ، وأطعمتُ حولاً مَن أكل ، وطعنت فارسًا طعنةً شككت فخذَيه بجنب الفرس . قال القعقاع وأخرج نعلين فقال : رَبَع عليهما أبى أربعين مِرباعا[1] لم تشكل فيهنّ تميميّةٌ ولداً .

كان مالك بن الأخطل التغلبى — وبه كان يكنى — أتى العراق وسمع شعر جرير والفرزدق ، فلمّا قدِم على أبيه سأله عن شِعرهما ، فقال : وجدت جريراً يغرف من بحر ، ووجدت الفرزدق ينحت من صخر . فقال الأخطل : الذى يَغرِف من بحرٍ أشعرُهما .

وقال بعضهم :

وما خيرُ مَن لا ينفع الأهلَ عَيشُه   وإن ماتَ لم تجزع عليه أقاربُه
كَهامٌ على الأقصى كليلٌ لسانُه   وفى بَشَر الأدنى حِدادٌ مخالبُه[2]

وقال العُمانىّ :

إذا مَشَى لكلّ قِرنٍ مُقْرَنِ   ثم مشى القِــرنُ له كالأرْعَنِ
بصارمٍ يفرى صفيحَ الجوشَنِ[3]   مُقرطَنٌ زافَ إلى مُقَــرطَنِ[4] ٣٧
يفضي إلى أمّ الفِراخ الــكُمَّنِ[5]   حيث تقول الهامةُ اسقنى اسقنى[6]

(١) المرباع : ما كان يأخذه الرئيس ، وهو ربع الغنيمة . وقد ربعهم .
(٢) الكهام أصله فى السيف الذى لايقطع . والبشر : جمع بشرة ، وهى ظاهر الجلد .
(٣) يفرى : يقطع . والجوشن : الحديد الذى يلبس من السلاح .
(٤) المقرطن : لم أجده فى المعاجم . ولعله أراد به الفحل المشدود عليه القرطان — ويقال له أيضا القرطاط — وهو كالبرذعة لذوات الحافر . عنى أنه هو وقرنه كلان يزيف أحدهما إلى الآخر . يقال زاف البعير يزيف : تبختر فى مشيته .
(٥) أم الفراخ ، عنى بها الرأس المشتمل على الدماغ . والدماغ : حشو الرأس . وفى اللسان : « وفرخ الرأس : الدماغ ، على التشبيه ، كما قيل له العصفور . قال :
ونحن كشفنا عن معاوية التى   هى الأم تغشى كل فرخ منقنق »
(٦) الهامة : الرأس. قال الأصمعى : العرب تقول العطش فى الرأس . وقال غيره : =

* كم لأبى محمد من مَوطنٍ [١] *

وقال العُمانىُّ :

وِمِقْــوَلٍ نِعمَ لِزازُ الخَصمِ [٢]   ألدَّ يشتقُّ لأهل العِــلْمْ [٣]

بباطلٍ يدحَض حقَّ الخصمِ   حتى يصيروا كسَحاب البُكْمِ [٤]

وقال أبو عبيدٍ فى حديث علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه حين رأى فلانا [٥] يخطب فقال : « هذا الخطيب الشَحْشَح » . قال : هو الماهر الماضى .

وقال الطِرِمَّاح :

كأنّ المطايا ليلةَ الخِمس عُلِّقتْ   بوثّابَة تَنْضو الرّواسم شَحْشَحِ [٦]

وقال ذو الرمة :

لدُنْ غُدوةٌ حتى إذا امتدّت الضُّحى   وحَثَّ القطينَ الشَّحشحانُ المكلَّفُ [٧]

= يقال إن الرجل إذا قتل فلم يدرك بثأره خرجت هامة من قبره فلا تزال تصيح : اسقونى ! اسقونى ! حتى يقتل قاتله .

(١) أى موطن صالح مشهور . والموطن : المشهد من مشاهد الحرب ، قال الله : (لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة) . وقال طرفة :

على موطن يخشى الفتى عنـده الردى   متى تعترك فيه الفرائص ترعد

(٢) المقول : اللسان ، والرجل الكثير الكلام البليغ . يقال هو لزاز الخصم وملزه ، أى يلزمه ويوكل به ويقدر عليه .

(٣) الألد : الخصم الجدل . واشتقاق الكلام : الأخذ فيه يمينا وشمالا .

(٤) الخصم يقال للواحد والجمع . والبكم ، أراد به الغيوم التى لا صـوت لها فهى لا تسمح بماء .

(٥) فى اللسان (٣ : ٣٢٧) : « رأى رجلا يخطب » .

(٦) الخمس : أن ترد الإبل يوما ثم لا ترد ثلاثة أيام ثم ترد اليوم الخـامس . علقت بها ، أى علقتها وأولعت بها . وعنى بالوثابة القطاة السريعة . تنضو : تسبق . والرواسم : جمع راسم وراسمة ، وهى الإبل تسير الرسيم ، وهو ضرب من سيرها . والشحشح : الجاد الماضى ، يكون للذكر والأنثى . والبيت فى ديوان الطرماح ١٣٦ واللسان (شحح) وأساس البلاغة (علق) .

(٧) تقرأ « غدوة » فى هذا التعبير بالأوجه الثلاثة : الرفع بتقدير : كانت غدوة ؛ والنصب بتقـدير : كان الوقت غدوة ؛ والجر بتقدير الإضافة . والضحى مؤنثة وقد تذكر . والقطين : المقيمون والمكلف : اللهج بالأمر . والبيت فى ديوان ذى الرمة ٣٧٤ واللسان (شحح) .

يعنى الحادى .

قال : وكان أسدُ بن كُرْزٍ[١] يقال له « خطيب الشّيطان » فلما استعمل خالدٌ ابنُه[٢] على العراق قيل له « خطيب الله » فجَرَتْ إلى اليوم .

وقال أبو المُثلِّم الهُذَلىّ[٣] :

أصَخْرَ بنَ عبد الله إنْ كنتَ شاعراً ... فإنّك لا تُهدِى القريضَ لمُفحَمِ[٤]

وقاله بلعاء بن قيس[٥] :

أبيتُ لنفسى الخسفَ لما رَضُوا به ... وولّيتُهم سَمْعى وما كنتُ مُفحَمَا

وقال عبد الله بن مصعب : وقف معاويةُ على امرأة من كنانة ، فقال لها : هل من قِرًى ؟ قالت : نعم . قال : وما قِراكِ ؟ قالت : عندى خبزٌ خميرٌ ، ولبن فطيرٌ[٦] ، وماء نميرٌ .

وقال أحيحةُ :

والصّمت خيرٌ للفتى ... مالم يكن عىٌّ يَشِينُه[٧]

---

(١) هو أسد بن كرز بن عامر البجلى ثم القسرى ، وهو جد خالد بن عبد الله بن يزيد ابن أسد القسرى . كان يدعى فى الجاهلية « رب بجيلة » ، وكان ممن حرم الخمر فى الجاهلية تنزها عنها ، وكان شاعراً فاتكا مغواراً . وأدرك الإسلام وأسلم ، وأهدى إلى الرسول صلى الله عليه وسلم قوسا . الإصابة ١٠٣ والأغانى (١٩ : ٥٣ — ٥٥) .

(٢) كلمة « خالد » من ل فقط . وقد أراد بكلمة « ابنه » ابن حفيده .

(٣) أبو المثلم الهذلى : ذكره صاحب المؤتلف ١٧٢ والأغانى (٢٠ : ٢٠ — ٢١) . ما عدا ل : « أبو السلم » تحريف . وقصيدته فى شرح السكرى للهذليين ٢٢ ونسخة الشنقيطى ٩١ .

(٤) صخر هذا هو الملقب بصخر الغى ، لخلاعته وشدة بأسه وكثرة شره . وكان بينه وبين أبى المثلم مناقضات ذكرت فى أشعار الهذليين . وكان صخر يخشى بأس أبى المثلم ، فلما صرع صخر فى غزاة له رثاه أبو المثلم بأبيات أولها :

لو كان للدهر مال كان يتلده ... لكان للدهر صخر مال قنيان

الأغانى (٢٠ : ٢٠) والمؤتلف ١٨٢ . لمفحم ، يقول : لست مفحما .

(٥) كان بلعاء بن قيس رأس بنى كنانة فى أكثر حروبهم ومغازيهم . وهو شاعر محسن ، وقد قال فى كل فن أشعارا جيادا . المؤتلف ١٠٦ . ومات قبل يوم الحريرة ، وهو اليوم الخامس من أيام الفجار الآخر . انظر العقد .

(٦) الفطير : اللبن ساعة يحلب . (٧) ما عدا ل : « والصمت أكرم بالفتى » .

والقول ذو خطَلٍ إذا ما لم يكن لبٌّ يُعينه

وقال أبو ثمامة الضبىّ : ٣٨

ومنا حصينٌ كان فى كل خطبةٍ يقولُ ألا مِن ناطقٍ متكلِّمِ

وقال عبيد بن أميّة الضبىّ ، واستبَّ هو والحارث بن بَبَّبة المُجاشعى[1] عند نُعمان ، فقال :

تُرى بيوتٌ وتُرى رِماحُ ونَعَمٌ مزنَّمٌ سِحاحُ[2]

ومنطقٌ ليس له نجاحُ يا قَصَبًا طار به الرِّياحُ[3]

* وأذرعاً ليست لها ألواحُ[4] *

وقال قيس بن الخطيم :

و بعض القول ليس له حصاةٌ كمَخْضِ الماء ليس له إتاء[5]

وهذا شبيه بقوله[6] :

كُسالَى إذا لاقيتَهم غيرَ منطقٍ يُلهَّى به المتبول وهو عناءُ

وقال أبو ثُمامة :

أخاصِمُهم مرّةً قائماً وأجثو إذا ما جثَوْا للرُّكَبْ[7]

إذا منطقٌ قاله صاحبى تعقّبت آخرَ ذا مُعتقَبْ

---

(١) فى النسخ : « الحارث بن شيبة » تحريف ، صوابه من الاشتقاق ١٤٧ . قال : « والببة : المثعب الذى ينصب منه الماء إذا أفرغ من الدلو فى الحوض » .

(٢) المزنم : صغار الإبل . والسحاح بالكسر والضم : السمان .

(٣) جعلهم كالقصب الأجوف الخوار .

(٤) الألواح من الجسد كل عظم فيه عرض .

(٥) الحصاة : العقل والرأى . والإتاء هنا : الزبد . والبيت فى ديوانه ٢٧ واللسان (أتى) .

(٦) سبق البيت فى (١ : ٩) منسوبا للمكعبر الضبى برواية أخرى .

(٧) البيتان من أبيات اختارها أبو تمام فى الحماسة (١ : ٢٢٥) . المخاصمة : المنازعة والمغالبة . والمجاثاة فى القتال من اساليبهم .

وقال الشماخ :

وَمرتبةٍ لا تُستطاع ، بها الرَّدى   تركت بها الشَّكَّ الذى هو عاجزُ [١]

[ويروى : تلافى بها حلمى عن الجهل حاجز] .

(١) ما عدا ل : « لا يستطاع » والبيت ملفق من بيتين في ديوانه ٤٣ . وهما :

ومرتبة لا يستقال بها الردى   تلافى بها حلمى عن الجهل حاجز

وعوجاء مجذام وأمر صريمة   تركت بها الشك الذى هو عاجز

باب

من الكلام المحذوف

ثم نرجع بعد ذلك إلى الكلام الأوّل :

هُشَيم [١] ، عن يونُس ، عن الحسن يرفعه ، أنّ المهاجرين قالوا : يارسول الله إنّ الأنصار قد فَضَلُونا بأنّهم آوَوْنا ونصرونا [٢] ، وفعلُوا بنا وفعلوا . قال النبي عليه السلام : أتعرفون ذلك لهم ؟ قالوا : نعم . قال : « فإنّ ذلك [٣] » . ليس فى الحديث غيرهذا . يريد : إنّ ذلكم [٣] شكرٌ ومكافأة .

قال : وكلّم رجلٌ من قيسٍ عمرَ بنَ عبد العزيز فى حاجةٍ ، وجعل يمتُّ بقرابةٍ ، فقال عمر : «فإنّ ذاك» . ثم ذكر حاجتَه فقال : «لعلّ ذاك» . لم يزدْه ٣٩
على أن قال : فإنّ ذاك ، ولعل ذاك . أى إنّ ذلك كما قلت ، ولعلّ حاجتك تُقضَى [٤] .

وقال عَبْدُ الله بن قيس [٥] :

---

(١) سبقت ترجمته وترجمة شيخه فى ص ٢٢٠ من هذا الجزء .

(٢) ما عدا ل « أووا ونصروا » كما حذفت كلمة « بنا » التالية . وما فى اللسان (١٨ : ١٧٦) يوافق مافى ل .

(٣) ما عدا ل : « ذاك » . (٤) ما عدا ل : « أن تقضى » .

(٥) التزم الجاحظ أن يذكره باسم «عبد الله» . وكان لقيس ولدان ، عبدالله وعبيد الله واختلفوا فى الشاعر منهما . فقال ابن قتيبة والمبرد «فى الكامل» : هو عبدالله . وقال المرزبانى فى « معجمه » : هو عبيد الله ، بالتصغير . قال : ومن الرواة من يقول الشاعر عبد الله ، وهو خطأ . وقال ابن السيد فيما كتب على الكامل : ذكر المبرد أن اسمه عبد الله بن قيس . وكذلك قال فيه ابن سلام والجاحظ وابن قتيبة . وقال غيرهم : هو عبيد الله . حكاه أبو عبيد عن الأصمعى وغيره ، ومنهم الكلبى . وكذلك قال المصعب الزبيرى فى أنساب قريش . هذا ما كتبه البغدادى فى تحقيق الاسم . وأضيف إليه أن أبا الفرج رواه بالتصغير ، وكتب ترجمة مسهبة له فى الأغانى (٤ : ١٥٤ — ١٦٦) . وأما البغدادى فقد ترجم له وكتب تحقيقاً مسهباً فيمن لقبه « الرقيات » أهو الشاعر أم أبوه ، كما ذكر سبب هذا اللقب . انظر الخزانة (٣ : ٢٦٦ — ٢٦٩) وكذا ابن قتيبة فى الشعراء . وكان ابن قيس الرقيات زبيرى الهوى خرج مع مصعب على عبد الملك ، وظل عبد الملك يطلبه حتى قبض عليه ، ثم آمنه .

بَكَرتْ علىَّ عواذلى يَلحَيْنَنى وألُومُهُنَّهْ[١]
ويَقُلْن شيبٌ قد علا كَ وقد كبرت فقلت إنَّهْ

وقال الأسدىّ[٢] لعبد الله بن الزُّبير : لا حَمِلتْ ناقةٌ حملتنى إليكْ! قال ابن الزبير : « إنّ وراكبها[٣] » .

عبد الرحمن بن مهدى ، عن سفيان ، عن أبى هاشم القاسم بن كثير[٤] ، عن قيس الخارفى[٥] أنه سمع عليًّا يقول : « سبق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلَّى أبو بكر ، وثلَّث عمر[٦] ، وخَبَطتنا فتنةٌ فما شاء الله » . ليس فى الحديث أكثر من هذا .

ولما كتب أبو عبيدةَ إلى عمرَ جوابَ كتابِ عمر[٧] فى أمر الطّاعون ، فقرأ عمرُ الكتابَ واسترجَع ، فقال له المسلمون : مات أبو عبيدة . قال : « لا وكأنْ قَد » .

---

(١) البيتان فى ديوانه ١٤١ — ١٤٢ والخزانة (٤ : ٤٨٥) واللسان (١٦ : ١٧٢) .

(٢) هو فضالة بن شريك الأسدى ، مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام . أو ابنه عبد الله ابن فضالة . انظر الإصابة ٧٠٢١ واللسان (١٦ : ١٧٢) .

(٣) إن هنا حرف جواب بمعنى « نعم » . ونص الخبر فى اللسان : « أنه لقى ابن الزبير فقال : إن ناقتى قد نقب خفها فاحملنى . فقال : ارقعها بجلد ، واخصفها بهلب ، وسر بها البردين . فقال فضالة : إنما أتيتك مستحملا لا مستوصفاً . لا حمل الله ناقة حملتنى إليك ! فقال ابن الزبير : إن وراكبها » .

(٤) هو أبو هاشم القاسم بن كثير الخارفى الهمدانى ، أحد الثقات ، روى عن قيس الخارفى ، وأبى البخترى الطائى ، وعنه سفيان الثورى ومطرف بن طريف . تهذيب التهذيب . والخارفى : نسبة إلى خارف ، وهو لقب مالك بن عبد الله ، والد قبيلة من همدان . القاموس (خرف) .

(٥) سبق الكلام على هذه النسبة فى الترجمة السالفة . وفيما عدا ل : « الخارجى » وهو قيس بن سعد الخارفى ، تابعى ، روى عن على ، وعنه أبو القاسم بن كثير . تهذيب التهذيب .

(٦) صلى : أتى مصلياً ، والمصلى فى الحلبة : الذى يلى السابق .

(٧) هاتان الكلمتان من ل فقط .

وقال النابغة :

أَزِفَ التَّرَحُّلُ غيرَ أنّ ركابنا　　　لمَّا تَزُلْ برحالنا وكأن قَدِ

وأنشد ابنُ الأعرابى :

إذا قيل أعمَى قلت إنّ ، وربَّما　　　أكونُ ، وإنِّى من فتًى لبَصيرُ

إذا أبصر القلبُ المروءةَ والتقَى　　　فإن عمى العينين ليس يَضيرُ

وإنّ العمى أجرٌ وذُخرٌ وعِصْمَةٌ　　　وإنّى إلى هذى الثّلاثِ فقيرُ

ابن أبى الزِّناد[١] قال : كنتُ كاتباً لعمر بن عبد العزيز ، فكان يكتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطّاب فى المظالم فيُراجعه ، فكتب إليه : « إنه يُخيَّلُ إلىّ أنى لو كتبت إليك أن تعطىَ رجُلاً شاةً لكتبتَ إلىّ : أضأنٌ أم ماعزٌ ؟ وإنْ كتبتُ إليكَ بأحدِهما كتبت إلىّ : أذكَرٌ أم أنثى ؟ وإن كتبت إليك بأحدِهما كتبت إلىّ : أصغيرٌ أم كبير ؟ فإذا أتاك كتابى فى مَظْلِمةٍ فلا تُراجعْنى . والسلام » .

* وقال عمر بن الخطاب رحمه الله : « إنى لأستعينُ بالرّجل الذى فيه »[٢] ٤٠
ليس فى الحديث غير هذا . ثمّ ابتدأ الكلام فقال : « ثمّ أكون على قَفّانِه[٣] إذا كان أقوى من المؤمن الضعيف » . وأرادَ هو قول الأسدىّ :

سُوَيدٌ فيه ، فابغُونا سواه　　　أبَيْناه وإنْ بَهّاهُ تاجُ[٤]

---

(١) هو عبد الرحمن بن أبى الزناد عبد الله بن ذكوان ، سبقت ترجمة والده عبد الله فى ص ٢٤٧ . وأما هو فكان كثير التحديث ، حدث بالمدينة وبغداد ، وولى خراج المدينة فكان يستعين بأهل الخير والورع . ولد سنة ١٠٠ وتوفى فى بغداد ١٧٤ . تهذيب التهذيب وتاريخ بغداد ٥٣٠٩ .

(٢) فى اللسان (قفف) : «وفى حديث عمر أن حذيفة — رضى الله عنهما — قال له : إنك تستعين بالرجل الفاجر ! فقال : إنى لأستعين بالرجل لقوته ثم أكون على قفانه » .

(٣) ب ، ج : « على قفانه » صوابه فى ل ، والتيمورية واللسان . أى أكون على تتبع أمره حتى استقصى علمه وأعرفه . فكفايته لى تنفعنى ، ومراقبتى له تمنعه من الخيانة .

(٤) بغاه الشىء : طلبه له .

ولم يقُل : فيه كذا وفيه كذا . وقال الرّاجز [١] :

بِتْنا بحسّانَ ومِعْزاهُ تئطّْ [٢] في سَمَنٍ جَمٍّ وتمرٍ وأَقِطْ [٣]
حتَّى إذا كاد الظلام ينكَشِطْ جاء بِمَذْقٍ هل رأيتَ الذِّئبَ قطْ [٤]

وقيل للمنتجِع بن نَبْهان [٥] ، أولأبى مهديَّة [٦] : ما النَّضْنَاضُ ؟ فأخرج طرَفَ لسانِه وحرّكه .

وقيل له : ما الدَّلَنْظَى ؟ فزحَر وتقاعَسَ وفرّق ما بين مَنْكِبَيه .

ومن الكلام كلامٌ يذهب السامع منه إلى معانى أهلِه ، وإلى قَصْد صاحبه ، كقول الله تبارك وتعالى : ﴿ وتَرَى النَّاسَ سُكارَى وما هُمْ بِسُكارَى ﴾ . وقال : ﴿ لا يمُوتُ فيها ولا يَحْيَا ﴾ . وقال : ﴿ ويَأْتِيهِ الموْتُ مِنْ كلِّ مَكانٍ وما هُوَ بميِّتٍ ﴾ . وسئل عن قوله ﴿ لهُمْ رِزْقُهُمْ فيها بُكْرَةً وعَشِيًّا ﴾ فقال : ليس فيها بكرةٌ ولا عشيٌّ . وقال لنبيِّه صلى الله عليه وسلم : ﴿ فإنْ كُنْتَ فى شَكٍّ ممَّا أنزَلْنَا إليْكَ فَسَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ [٧] ﴾ . قالوا لم يشُكَّ ولم يَسَلْ [٨] .

---

(١) ذكر البغدادى فى الخزانة (١ : ٢٧٧) أن هذا الرجز لم ينسبه أحد من الرواة وقيل : قائله العجاج . وانظر الكامل ٥١٨ ليبسك وشرح شواهد المغنى للسيوطى ٢١٤ وأمالى ابن الشجرى (٢ : ١٤٩) .

(٢) بحسان ، أى عند حسان . تئط : تصوت أجوافها من الجوع .

(٣) السمن ، بسكون الميم ، وفتحها هنا للضرورة . والجم : الكثير . والأقط : اللبن المخيض يطبخ ثم يترك حتى يمصل . يقول : هو مع وفرة ما عنده بخيل شحيح .

(٤) يروى أيضا : « جاءوا » . والمذق : بالفتح : اللبن الممزوج بالماء .

(٥) المنتجع بن نبهان ، أحد الأعراب الذين روى عنهم الأصمعى . انظر الحيوان (٢ : ٣٤١) .

(٦) أبومهدية الأعرابى — ويقال أبومهدى — أحد فصحاء الأعراب الذين روي عنهم البصريون ، واختار له الأصمعى قصيدة فى الأصمعيات ٢٧ ليبسك . قال ابن النديم ٦٩ : « وكان يهيج به المرة فى كل سنة مديدة » .

(٧) من الآية ٩٤ من يونس . وقراءة « فسل » هى قراءة ابن كثير والكسائى وخلف . وقرأ الجمهور : « فاسأل » . إتحاف فضلاء البشر ٢٥٤ .

(٨) ما عدا ل : « ولم يسأل » .

وقال عمر بن الخطاب رحمه الله في جواب كلامٍ قد تقدّم وقولٍ قد سلف منه : « مُتْعتَانِ كانتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أنهى عنهما وأضرب عليهما »(١) . وهذا مِثل قائلٍ لو قال : أتضربُنا على الكلام في الصَّلاة ، وعلى التطبيق إذا ركعنا(٢) ، فيقول نعم أشدّ الضرب . إذا كان قد تقدّم منه إعلامه إياهم بحال الناسخ والمنسوخ(٣) .

وقد سأل رجل بلالاً مولى أبي بكر رحمه الله(٤) وقد أقبل من جهة الحَلْبة ، ٤١
فقال له : من سَبَقَ ؟ قال : سبقَ المُقرَّبون . قال : إنّما أسألك عن الخيل . قال : وأنا أجيبُك عن الخيْر . فترك بلالٌ جواب لفظه إلي خبَرٍ هو أنفعُ له .

حدثني عبدُ الملك بن شَيبان ، قال : حدثني يعقوب بن الفضل الهاشميّ ، قال : كتب أبو جعفر إلى سَلْمٍ(٥) يأمره بهدْمِ دُور مَن خرج مع إبراهيم ، وعَقْرِ

---

(١) الحديث في الحيوان (٤ : ٢٧٦) . والمتعتان هما متعة النساء ومتعة الحج ، كما جاء هذا الخبر مفصلا في كتاب العباسية من رسائل الجاحظ ٣٠٢ الرحمانية . أما متعة النساء فهي ما يسميه الفقهاء نكاح المتعة ، وهو الزواج بأجل مسمى في العقد ، كيوم ، أو شهر ، أو سنة ، أوسنوات . وكان ذلك مباحا في أول الإسلام . وفيه نزل قول الله : « فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة » ، ثم نسخ ذلك بنهي الرسول . وأما متعة الحج فهو ما يعرف بالتمتع . وعنى عمر تحريمها على سكان مكة ، إذ قيل في حديث آخر : « ليس لأهل مكة تمتع ولا قران » . وقد عني الجاحظ أن كلام عمر ليس على ظاهره ، بل المراد أنهما كانتا على عهد رسول الله ، وحرمتا أيضا في عهد رسول الله . وكذلك قوله « أنا أنهى عنهما » فالمراد : أنا أنهى عنهما كما نهى الرسول .

(٢) التطبيق : أن يجمع بين أصابع يديه ويجعلهما بين ركبتيه في الركوع والتشهد . وقد كان ذلك من فعل المسلمين في أول ما أمروا بالصلاة ، ثم أمروا بإلقام الكفين رأس الركبتين . انظر اللسان (طبق) .

(٣) انظر الحيوان (٤ : ٢٧٧) .

(٤) بلال هنا ، هو بلال المؤذن ، واسمه بلال بن رباح الحبشي ، ويقال أيضا بلال بن حمامة ، وحمامة أمه . اشتراه أبو بكر من المشركين إنقاذا له من التعذيب ، ثم أعتقه ، فلزم النبي صلى الله عليه وسلم وأذن له ، وشهد جميع المشاهد ، وآخى الرسول بينه وبين أبي عبيدة الجراح . توفي في طاعون عمواس سنة ١٨ . الإصابة ٧٣٢ .

(٥) هو سلم بن قتيبة المترجم في (١ : ١٧٤) .

نخلِهم . [قال :] فكتب إليه سَلْم : بأيِّ ذلك نبدأ ؟ بالدُّور أم بالنَّخْل ؟ قال : فكتب إليه أبو جعفر : « أمّا بعدُ فإنّي لو كتبتُ إليك بإفساد تَمرِهم لكتبت إلى تستأذِننى بأيّةٍ نبدأ بالبَرْنىّ أم بالشِّهريز(١) ؟ » . وعزله وولّى محمدَ بنَ سليمان .

وقال ابن مسعود : « إنّ طول الصّلاةِ وقِصَر الخُطبة مَئِنّةٌ مِن فِقه الرّجُل » . مَئِنّة : مَخلقةٌ ومَجدرة ومَحْراة . قال الأصمعىّ : مئنّة : علامة .

وقال عبد الله : « عليكم بالعلم ؛ فإنّ أحدكم لا يدرى متى يُختَلُ إليه(٢) » .

ولما أقدم عمرُ بنُ الخطاب عَمرو بنَ العاص عليه من مصر قال له عُمَر : « لقد سِرْتَ سَيْرَ عاشق » . قال عمرو : إنّى والله ما تأبّطتْنِى الإماء ، ولا حَملَتْنى البغايا فى غُبّرات المآلى(٣) » . قال له عُمَر : « والله ما هذا بجواب الكلام الذى سألتُك عنه ، وإنّ الدّجاجة لتفحَصُ فى الرّماد فتضعُ لغير الفحْلِ والبيضةُ منسوبةٌ إلى طَرْقِها(٤) » . وقام عمر فدخل وقام عمرو فقال : لقد أفحَشَ أميرُ المؤمنين علينا .

وجاء فى الأثر : « لا يُمنع فضلُ الماء ليُمنَع به فَضل الكلأ(٥) » .

قال أعرابى : اللهم لا تُنْزِلْنى ماءَ سَوْء فأكون امرأ سوْء(٦) .

---

(١) البرنى : ضرب من التمر أصفر مدور ، وهو أجود التمر : قال أبو حنيفة : أصله فارسى ، إنما هو البارنى . فالبار الحمل ، و« نى » تعظيم ومبالغة . والشهريز : ضرب من التمر ، معرب أيضاً ، وهو بكسر الشين وضمها ، وأنكر بعضهم الضم . ويقال كذلك سهريز بكسر السين المهملة .

(٢) ل : « متى يحتل إليه » تحريف .

(٣) المآلى : جمع مئلاة ، وهى خرقة الحائض . وغبراتها : بقاياها .

(٤) الطرق ، بالفتح : الفحل . ب ، ج : «طرفها» التيمورية : « ظرفها » تحريف . والخبر منثور فى اللسان (غبر ، ألى ، طرق) .

(٥) معناه أن البئر تكون فى البادية ، ويكون قريباً منها كلأ ، فإذا ورد عليها وارد فغلب على مائها ومنع من يأتى بعده من الاستقاء منها ، فهو بمنعه الماء مانع من الكلأ ؛ لأنه متى ورد رجل بإبله فأرعاها ذلك الكلأ ثم لم يسقها قتلها العطش . فالذى يمنع ماء البئر يمنع النبات القريب منه . انظر اللسان (كلأ) .

(٦) سبق الخبر فى (١ : ٤٠٥) .

وقال بلعاء بن قيس (١) :

وكم كان فى آل الملوَّح من فتى … مُنادَى مفدًّى حين تُبلَى سرائرُه

وكم كان فى آل الملوَّح من فتىً … يُجيب خطيباً لا يُخاف عوائرُه

وقال الآخر :

ومُخَاصِمٍ قاومت فى كَبَدٍ … مثلِ الرِّهان فصار لى العذرُ (٢)

وقال آخر :

وجهٌ قبيحٌ ولسان أبكمُ … ومِشفرٌ لا يتوارى أضْجَمُ (٣)

ولما رأى الفرزدق دُرُسْتَ بن رِبَاطٍ الفُقيمىَّ (٤) على المنبر — وكان أسود ٤٢
دميماً قصيراً — قال :

بكى المِنبرُ الشرقىُّ إذْ قام فوقَه … أميرٌ فُقَيمىٌّ قصيرُ الدَّوَارجِ (٥)

وقال :

بكى المنبر الشرقىُّ والناس إذ رأوْا … عليه فُقَيميًا قصـير القوائمِ

وإنما كان يعادى بنى فُقَيم لأنّهم قتلوا أباه غالبا .

قال أبو عبيدة : قال رجل ليونس بن حبيب (٦) : إذا أخذتم فى مذاكرة

---

(١) ترجم فى ١٥٨ .

(٢) الـكبد : الشدة والمشقة . ومنه : (لقد خلقنا الإنسان فى كبد) . والرهان : المسابقة على الخيل .

(٣) أضجم : مائل . ما عدا ل : « أضخم » تحريف .

(٤) ذكر فى القاموس أنه كان شاعراً . وفى ديوان الفرزدق ١٤٢ أن الشعر يقوله لمحمد ابن رباط الفقيمى واستعمله ابن هبيرة على البصرة ، فلما صعد المنبر قال : يا بنى تميم ، اتقوا الله وكونوا كما قال الله فى كتابه : انصر أخاك ظالما أو مظلوماً . فقال له بعض أصحابه : ليس هذا قول الله ، إنما هذا شعر . قال : اسكت ، فمن قاله فقد أحسن وأجمل !

(٥) الدوارج : جمع دارجة ، وهى الأرجل . وفى اللسان (درج) : « أن قام فوقه خطيب » .

(٦) ترجم فى (١ : ١٧٤) .

الحديث وقع علىّ النعاس . قال : فاعلم أنك حمارٌ فى مِسلاخ إنسان[١] .

قال : ودخل عبدالله بن خازم[٢] على عُبيدالله بن زيادٍ وهو يَخْطِر فى مِشيته ، فقال للمنذر بن الجارود : حرِّكه . فقال : يا ابن خازم ، إنّك لتجرُّ ثوبَك كما تجرُّ البَغِيُّ ذيلَها . قال : أمَا والله إنّى مع ذلك لأنْفُذ بالسَّرِيّة ، وأضرِبُ هامة البطل لمُشِيح[٣] ، ولو كنتَ وراء هذا الحائط لوضَعْت أكثَرَك شَعراً[٤] .

وقد كان قبض عطاءً فصبَّه بين أيديهم ثم قال : لعنكِ الله من دراهم ، ما تَقُومين بمَؤُونة خيلنا !

وقال علىُّ بن أبى طالب رضى الله عنه : خذ الحكمة أنّى أتتك ؛ فإنّ الحكمة تكون فى صدر المنافق فتتلجلج فى صدره حتّى تخرجَ فتسكنَ إلى صواحبها .

وقال عمرو بن العاص لأهل الشام يوم صِفِّين[٥] : « أقيمُوا صفوفكم مثلَ قصِّ الشارب ، وأعيرونا جماجمكم ساعةً من النَّهار ، فقد بلغ الحقُّ مَقْطَعَه ، وإنّما هو ظالمٌ أو مظلوم » .

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه يومئذ[٦] : « عَضوا على النّواجذ من الأضراس[٧] ، فإنّه أنْبَى للسُّيوف عن الهام » .

وقال رجل : طِد رجلك إذا اعتصيت بالسَّيف والعصا[٨] ، وأنت مخيّرٌ فى ساعة المسالمة والموادعة .

---

(١) المسلاخ : الجلد . والخبر فى عيون الأخبار (٢ : ١٢٠) .

(٢) ترجم فى ص ١٠٨ . (٣) المشيح : الحازم الحذر .

(٤) يعنى بذلك رأسه .

(٥) الخطبة فى وقعة صفين لنصر بن مزاحم ٢٥١ .

(٦) الخطبة فى وقعة صفين ص ٢٦٤ — ٢٦٥ .

(٧) النواجذ : أقصى الأضراس ، وهى ضروس الحلم .

(٨) وطد رجله يطدها : أثبتها وثقلها . واعتصى بالسيف : أخذه أخذ العصا ، وضرب به ضربه بها .

ولما أقاموا ابن قميئة[1] بين العُقابين قال له أبوه : طِد رجليك بالأرض[2] ، وأصِرَّ إصرارَ الفرَس ، واذكر أحاديث غدٍ ، وإيّاكَ وذكرَ الله فى هذا الموضع ، فإنّه من الفشل .

٤٣ قال : وقيل للحجاج : مَن أخطب الناس ؟ قال : صاحب العمامة السوداء بين أخصاص البَصْرة[3] . يعنى الحسن .

وقال الأحنف : قال عُمر : تفقَّهوا قبل أن تُسَوَّدُوا . وقال عمر : احْذَرْ من فلَتات الشّباب كُلَّ ما أورثك النَّبَز وأعْلقَك اللَّقَب[4] ؛ فإنه إنْ يعظمْ بعدها شأنُك يَشتدَّ على ذلك ندمك .

ولما بنى عُتبةُ بن غزوان وأصحابُه بالبصرة بناء اللَّبِن ، كتب إليهم عُمر : « قد كنت أكره لكم ذلك[5] فإذْ فعلتم ما فعلتم فعرِّضوا الحِيطان وارفعوا السَّمْكَ ، وقاربوا بين الخُشُب » . ولما بلغه أنَّهم قد اتخذوا الضِّياع وعَمَّروا الأرض ، كتب إليهم : « لا تَنْهَكُوا وجه الأرض ، فإنّ شحمتَها فيه » .

وقال عُمر : « بِع الحيوان أحسن ما يكون فى عينك » : وقال : « فرِّقوا بين المنايا ، واجعلوا الرأس رأسين » .

وقال : « امِلكُوا العجينَ فإنّه أحدُ الرَّيْعَين[6] » .

وقال : « إذا اشتريت بعيراً فاجعله ضَخْماً ؛ فإنّه إنْ أخطأك خُبرٌ لم يخطئك سُوق » .

---

(١) ابن قميئة هذا ليس هو عمرو بن قميئة ، ولعل فى اسمه تحريفاً .

(٢) ما عدا ل : « الأرض » تحريف .

(٣) الأخصاص : جمع خص ، بالضم ، وهو بيت من شجر أو قصب ، أو بيت يسقف عليه بخشبة على هيئة الأزج .

(٤) النبز ، بالتحريك : اللقب ، ويكثر النبز فيما يكون ذماً .

(٥) بعده سقط فى التيمورية ينتهى إلى منتصف صفحة ٤٥ من الأصل .

(٦) ملك العجين يملكه ملكا بالفتح ، إذا شدد عجنه . والريع : الزيادة .

وقال عمر : « العمائم تيجان العرب » وقال : « نعم المُسْتَنَد الاحتباء » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الناس كالإبل ، ترى المائة لا تجد فيها راحلة[(١)] » .

وأنشدوا :

وكأنّ من زهرِ الخُزامى والنّدَى والأُقحُوانِ عليه رَيطةَ بُرنُسِ[(٢)]
فإذا ترنَّمَ حـــولَه ذِبّانُه أصغى تَسَمُّعَ خائفٍ مُتوَجِّسِ
خرجت عليه من الضِّراءِ دواجِنٌ تَحتثُّ نحو مَلاذِ وانٍ أشـوَسِ[(٣)]
يسعى ويَمثُل والصَّـفِيرُ كلامُهُ وتَحِي يداه لهُنَّ وَحْيَ الأخرسِ[(٤)]

وقال الراعى :

أبا خالدٍ لا تَنبِذنَّ نَصَــاحةً كوَحىِ الصَّفا خُطَّت لكم فى فؤاديا[(٥)]

وقال الشاعر :

رُبَّ طَرْفٍ مُصرِّحٍ عن ضَمِيرٍ بما هَجَسْ

وقال آخر :

---

(١) الراحلة من الإبل : القوى على الأسفار والأحمال ، التى يختارها الرجل على النجابة وتمام الخلق وحسن المنظر . ويروى : « تجدون الناس بعدى كإبل مائة ، ليس فيها راحلة » .

(٢) الريطة : الملاءة إذا كانت قطعة واحدة . والبرنس : كل ثوب رأسه منه ملتزق به . والأبيات فى صفة ثور . يقول : ذلك الثور المتوارى بين ذلك الزهر وقد تساقط الندى عليه كأنما ليس برنسا موشيا .

(٣) الضراء : جمع ضرو بالكسر ، وهو الضارى من السباع والكلاب . والدواجن ذوات الإلف ، عنى بها كلاب الصيد . تحتث : تسرع ، وهو مطاوع استحثه واحتثه . والملاذ : الملجأ . والأشوس : الذى ينظر بمؤخر العين تكبرا أو غيظا . ل : « نحو ملاوسى » تحريف .

(٤) يمثل : يقف . يقول : هو يداول بين السعى والانتظار . يعنى الصائد . ب : « يسعى يمثل » ح : « يسعى بمثل » . وحى يحى : أشار يشير .

(٥) النصاحة ، بفتح النون : النصح والإخلاص . ما عدا ل : « لا تنبذنا فصاحة » تحريف . الوحى : الكتابة ، هاهنا . أى كتلك الكتابة الثابتة فى ذاك الحجر .

* بلحنِ القولِ والطَّرْفِ الفصيحِ *

٤٤ وقال المثقِّبُ العبدى ، فى استماع الثور وتوجُّسِهِ وجَمْعِ بالِهِ إذا أحسَّ بشىء من أسباب القانص ، وذَكَرَ ناقةً :

كأنَّها أسْــفَعُ ذو جُــدَّةٍ　　　يضُمُّه القَفْرُ وليل سَــدِ (١)

كأنَّما ينظرُ من بُرْقعٍ　　　من تحت رَوْقٍ سَلِبٍ مِذْوَدِ (٢)

يُصيخ للنَّبْأة أسمــاعُه　　　إصاخةَ الناشِدِ للمُنْشِدِ (٣)

ويُوجِس السَّمعَ لنَكرائِه　　　من خشية القانص والمُؤْسِدِ (٤)

وقال بعض العبيد شعراً يقع فى ذكر الخطباء ، وفى ذكر أشداقهم وتشادُقهم :

أغرَّكَ منِّى أنَّ مولاى مَزْيداً　　　سريعٌ إلى داعى الطعام سَرُوطُ

غلامٌ أتاه الذُّلُّ مِن نحو شِدْقِهِ　　　له نَسَبٌ فى الواغِلِينَ بسيطُ (٥)

له نحو دَوْرِ الكاس إمَّا دعوتَه　　　لسانٌ كذَلْقِ الزَّاعبىِّ سليطُ (٦)

وقال الأوَّل :

* إنَّ سَليطاً كاسمه سليطُ *

---

(١) الأسفع : الثور الوحشى الذى فى خديه سواد يضرب إلى الحمرة قليلا . والجدة ، بالضم ، بالضم : الخطة فى ظهره تخالف لونه . والسدى : ذو السدى ، وهو الندى . والبيت فى اللسان (سفع ، سدا) .

(٢) شبه السفعة فى وجه الثور ببرقع أسود . والروق : القرن . والسلب : الطويل . والمذود . الكثير الذود والمدافعة .

(٣) الناشد : الذى يطلب الضالة ويسأل عنها . والمنشد : المرشد إلى الضالة . ماعدا ل : « تصيخ » .

(٤) النكراء : الدهاء والفطنة . والمؤسد : الكلاب الذى يشلى كلابه للصد ؛ يقال آسد الكلب وأوسده : أغراه بالصيد .

(٥) ل : « أتاه الدل » بالدال المهملة . والواغل : الذى يدخل على القوم فى طعامهم وشرابهم من غير أن يدعوه . والبسيط : المنبسط الممتد .

(٦) ذلق الشىء : حده . والزاعبى من الرماح : الذى إذا هز تدافع كله .

وقال بعض العبيد فى بعض العبيد :

وقد كان مفتوقَ اللَّهاةِ وشاعراً   وأشدَقَ يَفرِى حين لا أحدٌ يَفرِى

وقال مَوْرَقٌ العبدُ يتوعّد مولاه[1] :

لولا عجوز قَحمَةٌ ودَرْدَقُ   وصاحِبٌ جَمُّ الحديثِ مُونِقُ
كيف الفوات والطلوب مَوْرَقُ   شيخٌ مَغيظ وسِنانٌ يَبرقُ
وحنجرٌ رَحبٌ وصوت مِصْلَقُ   وشدقُ ضرغامٍ وناب يَحْرُقُ

وسأل رجلٌ عمر بن عبد العزيز عن الجمل وصفّين فقال : « تلك دماء كفَّ الله يدِى عنها ، فلا أحبُّ أن أغمس لسانى فيها » .

ويقع فى باب التطبيق :

لأنتمْ ببيع اللَّحْمِ أعلمُ منكمُ   بضَرب السُّيوفِ المرهَفات القَواطِعِ ٤٥

وقال عمرو بن هُدّاب : « إنما كنّا نعرف سُؤدد سَلْم بن قُتيبة[2] أنه كان يركب وحدَه ويرجع فى خمسين » .

قال الأصمعىّ : دخل حَبيب بن شَوْذَب الأسدىّ على جعفر بن سليمانَ بالمدينة ، فقال : « أصلَحَ الله الأمير ، حبيب بن شَوذبٍ وادُّ الصَّدر ، جميل الذِّكْر ، يكره الزيارة المُمِلّة ، والقَعدة المُنْسِيَة[3] » .

وفى الحديث : « زُرْ غِبًّا تزْدد حُبًّا » .

وقال بعضهم : عن الثّورى ، عن محمد بن عَجلان[4] ، عن عِياض بن

---

(١) سبق إنشاد الأبيات التالية فى ١٥٢ .
(٢) سبقت ترجمته فى (١ : ١٧٤) .
(٣) يعنى الطويلة . والخبر فى عيون الأخبار (٣ : ٢٤) مع خلاف .
(٤) هو أبو عبد الله بن عجلان المدنى القرشى ، كان ثقة كثير الحديث له حلقة كبيرة فى مسجد رسول الله ، قدم مصر وصار إلى الإسكندرية ، وتوفى بالمدينة سنة ١٤٨ . تهذيب التهذيب وتذكرة الحفاظ (١ : ١٥٦) .

عبد الله[١] قال : « إنّ الدِّينَ مجمعٌ لكلِّ همٍّ ، همٌّ بالليل وذُلٌّ بالنّهار ، وراية الله فى أرضه ، فإذا أراد الله أن يُذلَّ عبداً جعله طَوْقاً فى عُنقِه[٢] » .

عمر بن ذَرّ[٣] قال : الحمد لله الذى جعلنا من أُمَّةٍ تُغفر لهم السيِّئات ، ولا تُقبل من غيرهم الحسنات .

ابن أبى الزِّناد[٤] قال : كنا لا نكتُبُ إلاّ سُنَّةً ، وكان الزهرى يكتب كلَّ شيء ، فلما احتيج إليه عَرفتُ أنه أوعى الناس .

قال : قال فيروزُ حُصَيْنٍ[٥] : إذا أراد الله أن يُزيل عن عبد[٦] نعمة كان أوّلُ ما يغيِّر منه عقلَهُ .

وقيل لمحمّد بن كعب القُرَظىّ[٧] : ما علامة الخِذْلان ؟ قال : أن يستقبح الرّجلُ ما كان حسناً ، ويستحسن ما كان قبيحاً .

وقال محمد بن حفص[٨] : كُنْ إلى الاستماع أسرعَ منك إلى القول ، ومن خطإ القولِ أشدَّ حذراً من خطإ السُّكوت .

وقال الحسن : إذا جالستَ العلماء فكُن على أن تسمع أحرصَ منك على

---

(١) هو عياض بن عبد الله بن سعد بن أبى سرح القرشى المكى ، روى عن ابن عمر وأبى هريرة ، وروى عنه زيد بن أسلم ، ومحمد بن عجلان ، وسعيد المقبرى . ولد بمكة ثم قدم مصر مع أبيه ثم رجع إلى مكة ، فلم يزل بها حتى مات على رأس المائة . تهذيب التهذيب ، والتقريب .

(٢) فى عيون الأخبار (١ : ٢٥٤) : « جعلها طوقا » أى الراية . وهو الأوفق .

(٣) ترجم فى (١ : ٢٦٠) .

(٤) سبقت ترجمة أبى الزناد عبد الله بن ذكوان فى ٢٤٧ . وأما ابنه الذى عرف بهذه الكنية فهو عبد الرحمن ، كان من ثقات المحدثين ، ولى خراج المدينة ، وقدم بغداد ومات بها سنة ١٧٤ وهو ابن أربع وسبعين سنة . تهذيب التهذيب ، وتاريخ بغداد ٥٣٥٩ .

(٥) سبقت ترجمته فى ٤٣ من هذا الجزء .

(٦) إلى هنا ينتهى سقط التيمورية الذى بدأ فى ص ٢٨٦ س ١٠ .

(٧) مضت ترجمته فى ص ٣٤ .

(٨) هو أبو عبد الرحمن محمد بن حفص القطان البصرى ، من ثقات أهل الحديث ، حدث عن ابن عيينة ويحيى القطان ، وعنه يعقوب بن سفيان وابن أبى الدنيا . تهذيب التهذيب .

أن تقول ، وتعلّمْ حسن الاستماع كما تتعلّم حُسنَ القول ، ولا تقطع على أحدٍ حديثَه .

سفيان بن عُيينة ، قال : كان يقال : العالِم مثل السِّراج ، من مرَّ به اقتبس منه .

وقال الشاعر أبو دُهْمانَ الغَلاّبيّ[١] :

لئن مصر فاتتنى بما كنتُ أرتجى … وأخلفنى منها الذى كنتُ آمُلُ
فما كُلُّ ما يخشى الفتى بمصيبِهِ … ولا كُلُّ ما يرجو الفتَى هو نائل
فما كان بينى لو لقيتُك سالمًا … وبين الغِنَى إلا ليالٍ قلائِلُ[٢] ٤٦

وقال الآخر :

وإن كلام المرء فى غير كُنْهِهِ … لكالنَّبل تهوِى ليس فيها نصالُها[٣]

وقال كعبُ الأحبار : قرأت فى بعض ما أنزل الله على أنبيائه عليهم السلام : « الهديَّةُ تفقأ عين الحكيم ، وتُسَفِّه عقل الحليم » .

قال : زَحَم رجُلٌ سالم بن عبد الله[٤] فزحم سالمٌ الذى يليه ، فقال له : يا شيخ ما حسبتك إلا شيخَ سَوء ! قال سالم : ما أحسِبك أبعَدْتَ[٥] .

---

(١) سبقت ترجمته فى ص ٢٠٠ من هذا الجزء .

(٢) البيتان الأولان من هذه المقطوعة ، مما من أصوات الأغانى (١٩ : ١٥١) . على أن البيت الأخير من قصيدة للحطيئة فى ديوانه ٩٨ يذكر فيها علقمة بن علاثة .

(٣) أنشده فى اللسان (كنه) على أن الكنه بمعنى الوجه .

(٤) هو سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوى المدنى ، فاق أهل المدينة علما وتقى وعبادة وورعا ، وكان يشبه أباه فى السمت والهدى ، وأمه من سبى فارس من بنات يزدجرد . توفى سنة ١٠٦ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٢ : ٥٠) والمعارف ٩٣ .

(٥) الخبر أورده ابن الجوزى فى صفة الصفوة (٢ : ٥١) . وأوله هناك : « زحم سالم ابن عبد الله بن عمر رجل فقال له سالم : بعض هذا رحمك الله ! فقال له الرجل : ما أراك إلا رجل سوء » .

قال : سأل رجل محمّد بن عمير بن عُطارد(١) وعَتّاب بن ورقاء(٢) فى عشر دياتٍ فقال محمد : علىّ دِيَةٌ . فقال عتّاب : الباقى علىّ . فقال محمّد : نعم العون على المروءة اليَسارُ .

وقال الأحنف :

فلو مُدَّ سَرْوِى بمالٍ كثيرٍ   لَجُدتُ وكنتُ له باذِلا
فإن المــروءةَ لا تُستطاع   إذا لم يكن مالُها فَاضِلا

وقال يزيد بن حُجَيَّة ، حين بلغه أن زياد بن خَصَفَة تركه ولم يلحق به :

أبلغ زياداً أننى قـــد كفيتُه   أمورى وخليتُ الذى هو غالبُه
وبابِ شـديدٍ داؤُه قد فتحتُه   عليكَ وقد أعيت عليك مذاهبُه
هُبِلتَ فما تَرجُو غَنائِى ومَشْهدى   إذا كان يومٌ لا توارَى كَوا كبُه

[وقال آخر :

* ومنطقٍ خُرِّق بالعواسلِ(٣) *]

قال : تجرّدت الحضرميّــة(٤) لزوجها ثمّ قالت : هل ترَى فى خلق الرَّحْمن مِن تفاوُت ؟ قال : أرى فُطُوراً .

وقال آخر : راوَدَت امرأةٌ شيخاً واستهدفتْ له ، وأبطأ عليه الانتشارُ فلامته ، فقال لها : إنّك تفتحين بيتاً وأنا أنشرُ مَيْتاً .

* * *

علىّ بن محمد(٥) ، عن عمر بن مُجَاشعٍ(٦) ، أنّ عُمر كتب إلى أبى موسى

(١) كان محمد بن عمير من أجواد أهل الكوفة وأشرافهم ، وكان من أمراء على بصفين وله أخبار مع الحجاج . وفيه يقول القائل :

علمت معد والقبائل كلها   أن الجواد محمد بن عطارد

انظر لسان الميزان والإصابة ٨٥٢٧ .

(٢) سبقت ترجمته فى ص ٢٣٥ .   (٣) سبق البيت فى (١ : ٣٤٩) .

(٤) ما عدا ل : «حضرمية» .   (٥) هو على بن محمد المدائنى ، المترجم فى ص ٢٨٠ .

(٦) هو عمر بن مجاشع المدائنى ، ذكره ابن حبان فى الثقات . وترجم له ابن حجر فى لسان الميزان (٤ : ٢٢٤) .

الأشعرىّ : « أمّا بعد ، فإنّ للناس نُفْرَةً عن سُلطانهم ، فأعوذ بالله أن تدرِكَنى
٤٧ وإيّاكَ عمياءُ مجهولةٌ ، وضغائنُ محمولة ، وأهواءٌ مُتّبَعةٌ ، ودُنْيا مُؤْثَرة . فأقِمِ الحدودَ ولو ساعةً من نهار ، وإذا عرَضَ لك أمرانِ أحدُهما لله والآخرُ للدُّنيا ، فآثِرْ نصيبَكَ من الآخرة على نصيبِك من الدُّنيا ؛ فإنّ الدنيـا تَنفَدُ ، والآخرة تَبقَى . وكُن مِن خَشية الله على وَجلٍ ، وأخِفِ الفُسّاقَ واجعلْهم يداً يداً ، ورِجلاً رِجلا . وإذا كانت بين القبائل نائرةٌ[1] وتَداعَوْا : يالَ فلانٍ يالَ فلانٍ ، فإنّما تلك دعْوَى الشيطان[2] ، فاضربْهم بالسَّيف حتى يَفيئوا إلى أمرِ الله ، وتكونَ دعواهم إلى الله وإلى الإمام . وقد بلغ أميرَ المؤمنين أنّ ضَبّةَ تَدْعُو : يالَ ضَبَّةَ ! وإنِّى والله ما أعلمُ أنّ ضَبّةَ ساقَ اللهُ بها خيراً قطّ ، ولا مَنَع بها من سوءٍ قطّ . فإذا جاءكَ كتابى هذا فانْهَكْهُم عقوبةً حتَّى يفرَقُوا إن لم يَفقَهُوا[3] . وألْصِقْ بغيلانَ بن خَرَشَة من بينهم[4] ، وعُدْ مرضى المسلمين ، واشهَدْ جنائزَهم ، وافتحْ بابَك ، وباشِرْ أمرهم بنفسِك ، فإنّما أنت رجلٌ منهم ، غيرَ أنّ الله جعَلكَ أثقلَهم حِمْلاً . وقد بلغ أميرَ المؤمنين أنه قد فشا لك ولأهل بيتك هيئةٌ فى لباسك ومَطعمك ومركبك ، ليس للمسلمين مثلُها . فإيّاكَ يا عبدَ الله أن تكون بمنزلة البهيمة التى مرّت بوادٍ خِصْبٍ ، فلم يكن لها هِمّةٌ إلاّ السِّمَن ، وإنّما حتفُها فى السِّمَن . واعلم أنّ للعامل مردًّا إلى الله ، فإذا زاغ العاملُ زاغت رعيّتُه . وإنّ أشقَى الناس مَن شقِيَتْ به رعيّتُه . والسلام » .

عَوانة[5] ، قال : قدم علينا أعرابى من كَلْبٍ ، وكان يحدِّثنا الحديث فلا

---

(١) النائرة ، بالنون : العداوة والشحناء والفتنة . ل : « ثائرة » تحريف .
(٢) ما عدا ل : « نجو الشيطان » تحريف .
(٣) فرق يفرق ، من باب تعب : خاف . والفقه : الفهم والعلم .
(٤) ترجم غيلان بن خرشة الضبى فى (١ : ٣٤١ ، ٣٩٤) . وألصق ، من قولهم ألصق فلان بعرقوب بعيره ، إذا عقره .
(٥) مضت ترجمته فى (١ : ٣١٦) .

يكاد يقطعُه ، فقال له رجل : أمَا لحديثك هذا آخِر ؟ قال : إذا عجز وصلْناه .

قال معاويةُ ليونس بن سعيد الثقفى (١) : اتّقِ أن أطيرَ بك طَيرةً بطيئاً وقوعُها . قال : أليس لِى ولك المرجعُ بَعدُ إلى الله ؟ قال : بلى ، فأستغفِرُ الله .

رقَبة بن مَصْقَلة قال : ما سمعتُ عمر بن ذرّ (٢) يتكلّم إلاّ ذكرت النّفخَ فى الصُّور ، ولا سمعت أحداً يحكيه إلاّ تمنّيت أن يُجلَد ثمانين .

قال : وتكلّم عمرُ بن ذرّ فَصَاح بعض الزّفّانِين صَيْحَةً (٣) ، فلَطَمه رَجُلٌ فقال عمرُ بن ذرّ : ما رأيتُ ظُلْماً قطّ أوفقَ لى من هذا .

قال طاوس : كنتُ عند محمد بن يوسف (٤) ، فأبلغه رجلٌ عن بعض ٤٨
أعدائه كلاماً ، فقال رجلٌ من القوم : سبحان الله ! فقال طاوس : ما ظننت أنّ قولَ سبحانَ الله معصيةٌ لله حتّى كان اليومَ . كأنّه عنده إنما سَبّح ليُظهِر استعظامَ الذى كان من الرّجُل ، ليو قِعَ به (٥) .

وقال الراجز :

لو كان عَاداكَ البطىءُ المُسهَمُ (٦) ... إذاً بَدَا منك الذى لا يُكتَمُ
وجهٌ قبيحٌ ولسانٌ أبكمُ ... ومِشْفرٌ لا يتوارَى أضجَمُ

وقال آخر :

يقعِّرُ القولَ لكيما تحسبَهْ (٧) ... من الرّجال الفُصَحاءِ المُعرِبَهْ

---

(١) ما عدا ل : « ليونس الثقفى » .
(٢) ترجمة عمر بن ذر فى (١ : ٢٦٠) .
(٣) الزفانون : الذين يزفنون ، أى يرقصون .
(٤) هو محمد بن يوسف الثقفى ، أخو الحجاج بن يوسف . ولاه عبد الملك اليمن ، فلم يزل واليا عليها حتى مات . المعارف ١٧٣ .
(٥) سبق الخبر فى (١ : ٣٩٥) .
(٦) المسهم : الذى ذهب جسمه أو عقله . التيمورية : « عاداك » ب ، حـ : « عدوك » . وانظر ما سبق فى ٢٨٤ .
(٧) ل : « يقصر » صوابه فى سائر النسخ .

وهو ، إذا نسبته ، مِن كَرَبَه ٠(١) من نخلةٍ نابتـــــةٍ فى خَرِبَه

***

قالت امرأةُ الحطيئة للحطيئة ، حين تحوّل عن بنى رِيَاحٍ إلى بنى كلب : « بئس ما استبدلْتَ من بنى رياحٍ بعْرُ الـكَبْش » ؛ لأنّهم متفرّقون ، وكذلك بعر الـكبش يقع متفرّقا .

علىّ بن محمد ، عن مَسلمة بنِ محارب ، عن داود بن أبى هند ، عن أبى حرب ابن أبى الأسود عن أبيه قال : بعثنى وعِمرانَ بنَ حُصَين(٢) عثمانُ بن حُنيفٍ(٣) إلى عائشة فقال : يا أُمَّ المؤمنين ، أخبرينا عن مَسيرِك ، أهذا عَهدٌ عَهِدَه(٤) رسول الله صلى الله عليه وسلم أمْ رأىٌ رأيتِه ؟ قالت : « بلى رأىٌ رأيتُه حينَ قُتِل عثمان ، إنّا نقَمنا عليه ضَرْبَةَ السَّوطِ(٥) ، وموقِع السَّحابة المُحماةِ(٦) ، وإمرةَ سعيدٍ والوليد(٧) ، فعدوتم عليه فاستحللتم منه الحُرَمَ الثّلاث : حُرْمَةَ البلد ، وحرمة

---

(١) الـكرب : أصول السعف .

(٢) هو عمران بن حصين بن عبيد بن خلف ، أسلم هو وأبو هريرة عام خيبر . استقضاه عبد الله بن عامر على البصرة ثم استعفاه ، ومات بها سنة ٥٢ . الإصابة ٦٠٠٥ ، وتهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (١ : ٢٨٣) .

(٣) عثمان بن حنيف الأنصارى ، شهد بدرا ، وولاه عمر السواد مع حذيفة بن اليمان . وكان على قد استعمله على البصرة قبل أن يقدم عليها . ومات فى خلافة معاوية . الإصابة ٥٤٢٧ وتهذيب التهذيب .

(٤) ما عدا ل : « مسيرك هذا ، أعهد » .

(٥) ما عدا ل : « ضربة بالسيف » .

(٦) فى هامش التيمورية : « قولها موقع السحابة المحماة ، يعنى موضعاً أمطره السحاب لحمى من الرعى . فعل ذلك عثمان ، وكذلك فعـل عمر ، إلا أنه كان يرعى فيه إبل الصدقة ، فكان ذلك مما نقم على عثمان » .

(٧) سعيد هذا ، هو سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية القرشى . ولى الـكوفة لعثمان بعـد الوليد بن عقبة فشكا منه أهل الـكوفة فعزله . وكان حليما وقورا ، وكان يقال له « عكة العسل » . مات فى قصره بالعقيق سنة ٥٣ ، وأما الوليد فهو الوليد بن عقبة ابن أبى معيط ، وكان قبل إسلامه شديد الأذى للمسلمين ، وكان ممن أسر يوم بدر ، ونشأ فى كنف عثمان إلى أن استخلف فولاه الـكوفة بعد عزل سعد بن أبى وقاص ، فاستعظم الناس=

الخِلافة ، وحرمةَ الشهر الحرام ، بعد أن مُصْناه كما يُماصُ الإناء فاستَنْقَى[1] ، فركِبْتم هـذه منه ظالمين ؛ فغضبنا لـكم من سوطِ عثمان ، ولا نغضب لعثمان من سيفكم؟» . قلت : وما أنتِ وسيفنا وسوط عثمان ، وأنتِ حبيسُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أمَرَكِ أن تقرّى فى بيتك فجئتِ تَضْرِبينَ الناسَ بعضَهم ببعض . قالت : وهل أحدٌ يقاتلنى أو يقول غير هذا ؟ قلنا : نعم . قالت : ومن يفعل ذلك أزَنيمُ بنى عامر[2] ؟ ثم قالت : هل أنتَ مبلغٌ عنِّى ياعِمران ؟ قال : لا ، لست مُبْلِغاً عنكِ خيراً ولا شرًا ، فقلت : لـكنِّى مبلغ عنكِ فهاتى ما شئت . فقالت ٤٩ اللهمَّ اقتلْ مذمَّماً قِصاصاً بعثمان — تعنِي محمّدَ بنَ أبى بكر — وارمِ الأشتر بسهم من سهامك لا يُشْوِى ، وأدرِكْ عمّارًا بحفرته فى عثمان[3] .

حدثنا يزيدُ بن هارون ، قال : أخبرنا هشام بن حسان ، عن الحسن ، أنّ زياداً بعث الحـكم بن عمرو[4] على خراسان ، فأصابَ مغنماً ، فـكتب إليه زياد :

= ذلك ، وكان الوليد من شجعان قريش وسرواتهم وأجوادهم ، ولـكنه كان يشرب الخمر ، فصلى بالناس الصبح أربعا وهو سكران ، فعزله عثمان عن الـكوفة بعد أن جلده . ولما قتل عثمان اعتزل الفتنة ولـكنه كان يحرض على قتال على بكتبه وشعره ، ومات فى خلافة معاوية . الإصابة ٩١٤٨ .

(١) ماص الإناء يموصه : غسله : أرادت أنهم استتابوه عما نقموا منه ، فلما أعطاهم ما طلبوا قتلوه .

(٢) الزنيم : الدعى فى النسب . تعنى به عمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس ابن الحصين بن الوذيم ، من بنى ثعلبـة بن حارثة بن عامر . وأمه سمية بنت خباط ، كانت أمة لأبى حذيفة بن المغيرة المخزومى ثم زوجها ياسرا فولدت له عمارا . الإصابة ٥٦٩٩ والمعارف ١١١ — ١١٢ ووقعة صفين ٢٢٤ .

(٣) أدرك ، كذا وردت فى جميع الأصول ، ولها وجه . والـكلام إشارة إلى ما كان من عمار بن ياسر ، إذ كان عثمان قد أرسل رجالا إلى الأمصار ليقفوا على بواطن الأمور ، وكان ممن أرسلهم عمار بن ياسر أرسله إلى مصر ، فرجع الرجال جميعا إلا عمارا ، إذ استماله أهل مصر الناقمون إلى جانبهم . انظر الطبرى فى حوادث سنة ٣٥ .

(٤) هو الحـكم بن عمرو بن مجدع ، أبو عمرو الغفارى ، صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مات ، ثم نزل البصرة وولاه زياد خراسان فمات بها سنة ٥٠ . تهذيب التهذيب والإصابة ١٧٧٩ .

« إن أمير المؤمنين معاويةَ كتب إلىّ يأمرُنى أن أصطفِىَ له كلَّ صفراءَ وبيضاء ، فإذا أتاك كتابى هذا فانظرْ ما كان من ذهب وفضّة فلا تَقسِمْه واقسِمْ ما سوى ذلك » . فكتب إليه الحكمُ : « إنى وجدت كتابَ الله قبلَ كتاب أمير المؤمنين ووالله لو أنّ السّمٰوات والأرضَ كانتا رتقاً على عبدٍ فاتّقى الله لجعَل الله له منها مخرجا . والسلام » . ثم أمر المنادى فنادى فى الناس : أن أغدُوا على غنائمكم . فقَسَمها بينهم .

قال : وقال خالدُ بن صفوان : ما رأينا أرضاً مثل الأُبُلّة أقربَ مسافةً ، ولا أطيبَ نُطْفةً[1] ، ولا أوطأ مطيّةً ، ولا أربحَ للتّاجر ، ولا أخفى لعابد » .

قال الكِسائىّ : لقِيتُ أعرابيًّا فجعلتُ أسألُه عن الحرف بعد الحرف ، والشىء بعد الشىء أقرِنهُ بغيره فقال : تالله ما رأيتُ رجلاً أقدرَ على كلمةٍ إلى جنب كلمة أشبه شىء بها وأبعدَ شىء منها منك .

ووصف أعرابىٌّ رجلا فقال : ذاك والله ممن ينفع سِلمُه ، ويتَواصَف حلمُه ، ولا يُستَمرأُ ظُلمه .

وقال آخر لخصمه : لئن هَمْلجتَ إلى الباطل إنّك لقَطوفٌ إلى الحقّ[2] .

قال : ورأى رقبةُ بن مَصْقلةَ العبدىُّ[3] جاريةً عند العطّار ، فقال له : ما تصنع هذه عندك ؟ قال : أكيل لها حِنّاء . قال : أظنُّك والله تكيل لها كيلاً لا يأجُرُك اللهُ عليه .

---

(١) النطفة : الماء الصافى ، أو الكثير .

(٢) الهملجة : حسن سير الدابة فى سرعة . والقطاف ، بالكسر : تقارب الخطو فى بطء .

(٣) هو أبو عبد الله رقبة بن مصقلة بن عبد الله العبدى الكوفى ، كان مفوها معدودا فى رجالات العرب . قال الدارقطنى : ثقة إلا أنه كانت فيه دعابة . وذكر ابن الأثير وفاته سنة ١٢٩ . تهذيب التهذيب .

محمد بن سعيد ، عن إبراهيم بن حُويطب[١] ، قال : قال عمرو بن العاص لعبد الله بن عباس : إنّ هذا الأمر الذى نحنُ وأنتم فيه ليس بأوّلِ أمرٍ قاده البلاء ، وقد بلَغَ الأمرُ منّا ومنكم ما ترى ، وما أبقت لنا هذه الحربُ حياءً ولا صبراً ، ولسنا نقول ليتَ الحربَ عادت ، ولكنا نقول ليتها لم تكنْ كانت . ٥٠ فانظر فيما بقى بغير ما مضى ؛ فإنّك رأسُ هذا الأمر بعدَ علىّ ، وإنما هو أميرٌ مطاع ، ومأمور مطيع ، ومشاوَرٌ مأمون ، وأنت هو .

وقال عيسى بن طلحة ، لعروة بن الزبير حين ابتُلى فى رجله[٢] فقطعَها : يا أبا عبد الله ، ذهبَ أهوَنُك علينا ، وبقى أكثرك لنا[٣] .

وقالت عائشة : لا سَمَرَ إلاّ لثلاثة : لمسافر ، أو مُصَلٍّ ، أو عروس[٤] .

قال أبو الحسن : خطب الحجّاج يوم جُمعة فأطال الخطبة ، فقال رجل : « إنّ الوقت لا ينتظرك ، وإنّ الربَّ لا يعذِرُك » . فحبسه ، فأتاهُ أهلُ الرجل وكلّموه وقالوا : إنّه مجنون . قال : إنْ أقرَّ بالجنون خلّيتُ سبيلَه . فقيل له : أقِرَّ بالجنون . قال : لا والله لا أزعُم أنّه ابتَلانى وقد عافانى .

قالت أمُّ هشامٍ السَّلولية : ما ذَكر النّاسُ مذكوراً خيراً من الأبلِ : أحناه على أحدٍ بخير ، إنْ حمَلَت أثقلت ، وإنْ مشت أبعدت ، وإن نُحِرت أشبعَت ، وإن حُلِبت أروَت .

حدّثنى سليمانُ بن أحمد الخَرْشَنى[٥] ، قال : حدّثنى عبد الله بن محمد بن

---

(١) ما عدا ل : « خويطب » بالخاء المعجمة .

(٢) ما عدا ل : « برجله » .

(٣) كان عروة بن الزبير قد أصابته الأكلة فى رجله بالشام ، وهو عند الوليد ابن عبد الملك ، فقطعت رجله والوليد حاضر ، فلم يتحرك ولم يشعر الوليد أنها تقطع ، حتى كويت فوجد رائحة الكى . وبقى بعد ذلك ثمان سنين . المعارف ٩٨ .

(٤) هذا الخبر فى ل فقط .

(٥) ما عدا ل : « الحرشى » .

حبيب ، قال : طلب زيادٌ رجلا كان فى الأمان الذى سأله[1] الحسن بن على لأصحابه ، فكتب فيه الحسنُ إلى زياد : « من الحسن بن على إلى زياد . أمّا بعد فقد علمت ما كُنّا أخذْنا لأصحابنا ، وقد ذَكَرلى فلانٌ أنك عَرَضْتَ له ، فأُحِبُّ أن لا تعرض له إلاّ بخير » . فلمّا أتاه الكتابُ ولم ينسبه الحسنُ إلى أبى سفيان غَضِب فكتب : « من زيادِ بن أبى سفيانَ إلى الحسن . أمّا بعد فقد أتانى كتابك فى فاسقٍ يؤويه الفُسّاق من شيعتك وشيعة أبيك ، وايْمُ الله لأطلبنّهم ولو بين جِلدِك ولحمك . وإنّ أحبَّ الناس إلىَّ لحماً أنْ آكُلَه[2] للحمٌ أنت منه » فلما وصل الكتابُ إلى الحسنِ وجّه به إلى معاوية ، فلما قرأه معاويةُ غضب وكتب : « مِن معاويةَ بنِ أبى سفيان إلى زيادِ بن أبى سفيان . أمّا بعدُ فإنّ لك رأيين : رأياً من أبى سفيان ورأياً من سُميّة . فأمّا رأيك من أبى سفيان فحِلْم وحَزْم ، وأمّا رأيك من سُميّة فكما يكون رأىُ مِثْلِها . وقد كتَبَ إلىَّ الحسنُ بنُ علىٍّ أنّك عَرَضت لصاحبه ، فلا تَعرِضْ له ؛ فإنّى لم أجعل لك إليه سبيلا ، وإن الحسنَ بن علىٍّ ممن لا يُرْمى به الرَّجَوان[3] . والعجبُ مِن كتابك إليه لا تنسبُه إلى أبيه ، أفإلى أمّه وكَلْتَه ، وهو ابن فاطمةَ بنتِ محمّد عليه السلام ؟ فالآن حينَ اخْترتَ له . والسّلام » .

***

وقدِم مُصعبُ بنُ الزُّبير العراقَ[4] فصعِد المنبرَ ثم قال :

بسم الله الرحمن الرحيم . ﴿ طسم . تلك آيات الكتابِ المبين . نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبإِ مُوسَى وفِرْعَوْنَ بالحقّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ . إنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فى الأَرْضِ

---

(١) ما عدا ل : « سأل له » تحريف .

(٢) ما عدا ل : « وإن أحب لحم إلى آكله » .

(٣) أى ممن لا يستهان به . والرجوان : مثنى رجا ، وهو الناحية من كل شىء .

(٤) وذلك إذ أرسله أخوه عبد الله واليا على البصرة سنة ٦٧ .

وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ . وأشار بيده نحوَ الشام . ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ . وأشار نحو الحجاز . ﴿ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ . وأشار بيده نحو العراق[١] .

قال : كتب محمد بن كعب القُرَظيّ[٢] فقيل له : والأنصاريّ . فقال : أكره أن أمُنَّ على الله بما لم أفعل .

المدائنى[٣] قال : قام عمرُو بن العاص بالموسم ، فأطرَى معاوية ، وبنى أميّة ، وتناوَلَ بنى هاشم ، وذكر مشاهدَه بصِفِّين ، فقال له ابنُ عبّاس : يا عمرو ، إنّك بعتَ دينَك من معاوية فأعطيته ما فى يدك ، ومنّاك ما فى يد غيره ، فكان الذى أخذ منك فوقَ ما أعطاك ، وكان الذى أخَذْتَ منه ، دونَ ما أعطيته ، وكلٌّ راضٍ بما أخَذ وأعطى ، فلمّا صارت مصرُ فى يدك تتبّعكَ فيها بالعزل والتنقيص[٤] حتى لو أنَّ نفسَك فيها ألقيتَها إليه ، وذكرت مَشاهِدك بصِفِّين فما ثقُلت علينا يومئذٍ وطأتُك[٥] ، ولا نكتَتْنا فيها حربُك[٦] . وإنْ كنت فيها لطويلَ اللِّسان ، قصير

---

(١) انظر الخطبة أيضا فى تاريخ الطبرى (٧ : ١٤٦) فى حوادث سنة ٦٧ والعقد الفريد (٤ : ١٢٥ — ١٣٦) طبع لجنة التأليف وقد عنى بأهل الشام عبد الملك بن مروان والأمويين ، وبأهل الحجاز أخاه عبد الله بن الزبير ومن معه من شيعته ، وبأهل العراق المختار ابن أبى عبيد الثقفى وأنصاره .

(٢) هو محمد بن كعب بن سليم بن أسد القرظى المدنى ، وكان أبوه من سبى قريظة ، سكن الكوفة ثم المدينة ، وروى عن العباس بن عبدالمطلب ، وعلى بن أبى طالب ، وابن مسعود وعمرو بن العاص . قالوا : وفيه جاء الحديث : « يخرج من أحد الكاهنين رجل يدرس القرآن دراسة لا يدرسها أحديكون بعده » . والكاهنان : قريظة والنضير . توفى سنة ١٠٨ . الإصابة ٨٥٣٠ وتهذيب التهذيب .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من ب ، حـ . (٤) ما عدا ل : « والتنقص » .

(٥) فى الأصل : « فأثقلت علينا وطأتك » صوابه فى سائر النسخ .

(٦) نكاه ينكيه نكاية : أصاب منه .

السِّنان . آخِرُ الحرب إذا أقبلَتَ ، وَأوّلُها إذا أدبرَتْ . لك يدان : يدٌ لا تبسطها إلى خير ، ويدٌ لا تقبضها عن شرّ . ووجهان : وجهٌ مؤنِسٌ ، ووجه مُوحِشٌ . ولَعَمرى إنّ مَن باع دينه بدُنيا غيرِه لحرِىٌّ أن يطول حزنُه على ما بَاعَ واشترى . لك بيانٌ وفيك خَطَلٌ ، ولك رأىٌ وفيك نَكَدٌ ، ولك قدرٌ وفيك حَسَدٌ . فأصغرُ عيبٍ فيك أكبر عيبٍ فى غيرك[١] .

٥٢ فقال عمرو : أمَا والله ما فى قريش أحدٌ أثقلُ وطأةً علىّ منك ، ولا لأحدٍ من قريش قدرٌ مثلُ قدرك .

***

قال : ورأى عمرو بنُ عتبةَ[٢] بنِ أبى سفيانَ رجلاً يشتم رجلا ، وآخرَ يستمع له ، فقال للمستمع : نَزِّهْ سمعَك عن استماع الخنا ، كما تُنزِّه لسانَك عن القول به ؛ فإن السّامع شريكُ القائل ، وإنما نظَر إلى شرّ ما فى وعائه [فأفرغَه فى وعائك] ، ولو رُدَّت كلمةُ جاهلٍ فى فيه لسَعِدَ رادُّها ، كما شَقِىَ قائلُها .

***

عَوانة قال : اختصم إلى زيادٍ رجلانِ فى حقٍ كان لأحدهما على الآخر ، فقال المُدَّعَى عليه : أيُّها الأمير ، إنّه ليسطو علىّ بخاصّة ذَكر أنها له منك . قال زياد : صَدَقَ ؛ وسأخبِرُك بمنفعتها له : إنْ يكن الحقّ عليك أخذتُكَ به ، وإن يكن لك عليه حكمتُ عليه ثمّ قضيتُ عنه .

***

---

(١) ما عدا ل : « أعظم عيب فى غيرك » .

(٢) عمرو بن عتبة بن أبى سفيان ، هو ابن أخى معاوية بن أبى سفيان . وكان عمر ممن خرج مع ابن الأشعث على الحجاج ، وقتل فى تلك الحروب . المعارف ١٥١ . وكان خروج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بين سنتى ٨١ و ٨٣ .

قال : ولما تُوُفِّىَ أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ رحمه الله ، قامت عائشةُ على قبره فقالت[(١)] : نَضَّرَ الله وجْهَك ، وشَكَرَ لك صالحَ سَعيك ، فقد كنتَ للدُّنيا مُذِلاً بإدبارك عنها ، وللآخرة مُعِزًّا بإقبالك عليها . وإنْ كان لأجَلَّ الأرزاء بعدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم رُزْؤُك ، ولأكبرُ المصائبِ فقدُك . وإنَّ كتابَ الله ليَعِدُ بجميل العزاءِ عنك حُسْنَ العِوَض منك . فأنْتَجِزُ[(٢)] من الله موعوده فيك بالصَّبر عنك واستخلصه بالاستغفار لك[(٣)] .

***

وقامت فَرغانة بنت أوسِ بن حَجَرٍ على قبر الأحنف [بن قيس] وهى على راحلةٍ ، فقالت : إنَّا لله وإنا إليه راجعون . رحمك الله أبا بحرٍ مِن مُجَنٍّ فى جَنَنٍ[(٤)] ، ومُدْرَجٍ فى كفَنٍ ؛ فو الذى ابتلانا بفقدك ، وأَبلغَنا[(٥)] يومَ موتِك ، لقد عِشْتَ حميداً ، ومُتَّ فقيدا ، ولقد كنتَ عظيمَ الحِلم ، فاضِلَ السِّلْم ، رفيعَ العِماد ، وارِىَ الزِّناد ، منيعَ الحريم ، سليمَ الأديم ، وإنْ كنتَ فى المحافل لَشريفا ، وعلى الأرامل لعَطوفا ، ومن الناس لقريبا ، وفيهم لغريبا . وإنْ كُنتَ لمسوَّدًا ، وإلى الخلفاء لَمُوفَدا ، وإن كانوا لقولك لمستمِعين ، ولرأيك لَمتَّبِعين . ثم انصرفَتْ .

***

أبو الحسن قال : قال عمرُو بن العاصِ : ما رأيتُ معاويةَ قطُّ متَّكِئًا على يساره ، واضعاً إحدى رجلَيه على الأخرى ، كاسراً إحدى عينيه ، يقول

---

(١) الخطبة فى العقد (٣ : ٢٤) وزهر الآداب (١ : ٣٢) ونهاية الأرب (٥ : ١٦٧) .

(٢) كذا وردت فى الأصل والعقد بتقديم النون على التاء . والمعروف فى كلامهم « أتنجز » بتقديم التاء ، و « استنجز » .

(٣) فى زهر الآداب : « وأستقضيه » ، وفى العقد ونهاية والأرب : « وأستعيضه » .

(٤) أجنه فى الجنن ، أى وضعه فى القبر . أجنّه : ستره .

(٥) ما عدا ل : « وبلغنا » .

للذى يكلِّمه : يا هَناه[١] ، إلاّ رحمتُ الذى يكلِّمه .

٥٣ *وقال عمرُ بنُ الخطّاب رحمه الله كونوا أوعية الكِتَاب[٢] ، وينابيعَ العلم ، وسَلُوا الله رزقَ يوم بيوم ، ولا يضيرُكُم ألاّ يُكثِرَ لكم .

وكتب مُعاويةُ إلى عائشة : أن اكتُبى إلىّ بشىء سمعتِه من أبى القاسم صلى الله عليه وسلم . فكتبتْ إليه : « سمعتُ أبا القاسم صلى الله عليه وسلم يقول : مَن عمِل بما يُسْخِطَ الله عاد حاسدُه من الناس ذامًّا » .

أوصَى بعضُ العلماءِ ابنَه فقال : أُوصيك بتقوى الله ، وليَسَعْكَ بيتُك . وامْلِكْ عليك لسانَك ، وابْكِ من خطيئتِك[٣] .

بكر بن أبى بكرٍ القُرَشى قال : قال أعرابىّ : ما غُبِنْتُ قطُّ حتّى يُغْبَنَ قومى . قيل : وكيف ؟ قال : لا أفعل شيئًا حتى أشاوِرهم .

قيل لرجلٍ من عَبْس : ما أكثر صوابَكم ! قال : نحنُ ألفُ رجلٍ ، وفينا حازمٌ ونحن نُطيعُه ، فكأنّا ألفُ حازم .

* * *

قال أبو الحسن[٤] : أوّلُ مَن أجْرَى فى البحر السُّفُنَ المقيَّرة المسمَّرة ، غيرَ المخرَّزة المدهونة[٥] ، وغيرِ ذوات الجآجِى[٦] ، وكان أوّلَ من عمل المَحامِلَ[٧] ، الحجّاج . وقال بعضُ رُجّاز الأكرياء[٨] :

---

(١) ياهناه ، كناية عن قولهم يا رجل . وأصلها ياهن ، زيد فيها الألف وهاء السكت .

(٢) كونوا أوعية له ، أى احفظوه فى صدوركم .

(٣) ما عدا ل : « على خطيئتك » .

(٤) هذا الكلام على السفن والمحامل تجده بعينه فى الحيوان (١ : ٨٢) .

(٥) المخرزة : التى فيها نمنمة وتحبير شبيه بالخرز .

(٦) جؤجؤ السفينة والطائر : صدرها . والجمع جآجئ .

(٧) فى اللسان : « والمحمل : واحد محامل الحجاج ... قال ابن سيدة : المحمل شقان على البعير يحمل فيهما العديلان » . وضبطه كمجلس ومنبر .

(٨) الأكرياء : جمع كرى بوزن صبى ، وهوالذى يكرى دابته بالكراء ، أى الأجر . ل : « بعض الرجاز الأكرياء » وأثبت ما فى الحيوان وسائر النسخ .

أوّلُ عبدٍ عَمِلَ المَحاملا (١) أخزاهُ ربّى عاجلا وآجلا

وقال آخر :

شيَّب أصداغى فهُنَّ بِيضُ محاملٌ لقِدّها نَقيضُ (٢)

***

قال الأصمعىّ : سمعتُ أعرابيا يقول : لو تَنَخَّل (٣) رجلٌ أخاً شقيقاً لم يأملْ أن يبدوَ منه ما يبدو من الثَّوب ذى الحرَقِ (٤) ، فرحم الله رجلاً أغضى عن الأقذاء (٥) واستمتع بالظّاهر .

قال الأصمعىّ : سمعتُ أعرابيًّا يقول : مَن وَلَّد الخيرَ أنتج له فِراخاً تطيرُ بالسرور ، ومَن وَلَّد الشرَّ أنبت له نباتاً مُرًّا مذاقُه ، قُضبانُه الغَيظ ، وثمرهُ النَّدم .

وأنشد النَّضر بن شُمَيل (٦) :

يحبُّ بَقائى المشفقُون ومُدَّتى إلى أجلٍ ، لو تعلمون ، قريبُ

وما أرَبى فى أرْذَلِ العُمْر بعدما لبِستُ شبابى قَبْلَهَ ومشيبى (٧)

---

(١) وكذا روايته فى اللسان (حمل) . وفى الحيوان : « أول خلق » .

(٢) القد ، بالكسر : سيور تقد من جلد فطير غير مدبوغ فتشد بها الأقتاب والمحامل . والنقيض والإنقاض : الصوت .

(٣) التنخل : الاختيار . ما عدا ل : « تنحل » بالمهملة ، تحريف .

(٤) الحرق ، بالتحريك : النقب فى الثوب من دق القصار ، كأنه احترق بالنار . ماعدا ل : « الخرق » تحريف .

(٥) أغضى عن القذى : صرف بصره عنه . والقذى : الأذى . وأغضى على القذى : صبر عليه وسكت . ما عدا ل : « على الأقذاء » .

(٦) هو النضر بن شميل بن خرشة بن يزيد بن كلثوم ، التميمى المازنى ، النحوى اللغوى . ولد بمرو ونشأ بالبصرة ، وأخذ عن الخليل ، وأقام بالبادية زمانا طويلا ، فأخذ عن فصحاء الأعراب . ويذكرون أنه لما ضاقت عليه الأسباب فى البصرة عزم على الخروج إلى خراسان ، فشيعه من أهل البصرة نحو ثلاثة آلاف من المحدثين والفقهاء واللغويين . وروى له ياقوت محاورات مسهبة مع المأمون . توفى سنة ٢٠٤ . إرشاد الأريب (١٩ : ٢٣٨ — ٢٤٣) ووفيات الأعيان ، وبغية الوعاة .

(٧) أرذل العمر ، أى آخره ، فى حال الكبر والعجز ، والأرذل من كل شىء : الردىء منه .

٥٤ * وأنشد ابنُ الأعرابيّ :

يا ابنَ الزُّبيرِ جـزاكَ اللهُ لائمةً … هَلاَّ أُنتهيتمْ وفى الأقوال تعتيبُ،(١)

تنزُو لتدركَ من كعب غطارفةً … لاتستوى بُسْرَةُ العُرجون والطيبُ،(٢)

كما ترى فرخ عُشٍّ لا حَراكَ به … وفوقَه من نُسال الرِّيش تزغيبُ

ما فيكمُ قد علِمنا مِن محافظةٍ … يوم الحِفَاظِ ولا خيرٌ لمنكوبُ(٣)

وأنتمُ تحت أرواق البيوت إذا … هبَّت شآميةٌ دُرْنٌ طحاريبُ،(٤)

أنتم مُناخ الخَنَى قبحاً لخُلْقِكم … فكلُّكم يا بنى البلقاء مقشوبُ(٥)

فى ذِمّتى أن تَضِجّوا من مصادمتى … كما تضجّ من الحرِّ الجناديبُ،(٦)

ما بين أدبسَ نثَّاجٍ له ذَفَرٌ … ومُقْصَدِ القلب ذى سِتِّين مَعْصُوبِ(٧)

---

(١) التعتيب : الإبطاء . عتب الرجل : أبطأ . قال ابن سيدة : « وأرى الباء بدلا من ميم عتّم » . ومن فسرها بالعتاب فقد أخطأ .

(٢) النزو : الوثب . والغطريف : السيد الشريف السخى . والبسر : مالون ولم ينضج من التمر . والطيب ، بالكسر ، هو من كل شىء أفضله . فى الأصل : « قسوة العرجون » ، صوابه فى سائر النسخ .

(٣) الحفاظ والمحافظة : الذب عن المحارم والمنع لها عند الحروب .

(٤) الأرواق : جمع روق ، وهو مقدم البيت . شآمية : ريح تأتى من قبل الشام ، وهى ريح الشمال ، وهذه معها الجدب . درن : جمع أدرن ، والدرن : الوسخ . وقد أراد درن طباعهم . والطحاريب ، وقد زاد فيه الياء : جمع طحرب ، بكسر الطاء والراء ، وهو الغثاء من يابس النبت ونحوه .

(٥) قبحا ، يقال بضم القاف وفتحها ، أى إبعاداً لكم من كل خير . والمقشوب : الملطخ بالعيب ، والممزوج الحسب باللؤم . فى الأصل : « منشوب » صوابه فى سائر النسخ .

(٦) المصادمة : المقارعة . فى الأصل : « مصارمتى » وأثبت ما فى سائر النسخ .

(٧) الأدبس : ما لونه بين السواد والحمرة . ل : « أدنس » ولم أجد هذا الوصف . والنثاج : الذى يسلح كثيرا ، ومثله المنثج . ل : « نثاث » وفيما عداها : « نتاج » والوجه ما أثبت . عنى به صبيانهم . يقول : أنتم بين صبى هـذه صفته وبين شيخ مقصد القلب ، أى ضعيف القلب كأنه رمى بسهم فلم يخطئه . والمعصوب : الذى عصب حاجباه من الكبر ، وهما يسترخيان عند الشيخوخة . ل : « ذى شتين مغضوب » تحريف . وفى البيت إقواء .

خالى سَماعةُ فاعــــلم ، لاخفاء به   لقد هَوَى بك يا دِقّينُ شُنْخُوبُ[(١)]
صَعبٌ مناكبُه تَهوِى الكُماةُ به   خوفاً وتصطادهمْ منــه كلاليبُ[(٢)]

وأنشد ابن المُعذَّل[(٣)] :

تواعدَ للبــين الخليطُ لينْبتُّوا   وقالوا لراعِى الظَّهْر موعدُك السبتُ
ففاجأنى بَغتاً ولم أخشَ بَيْنَهـــم   وأَقْطَعُ شىء حين يفجؤكَ البغتُ
مَضى لسُــليمَى منذُ ما لم أُلاقِها   سِــنُونَ توالَتْ بيننا خَمسٌ أو سِتُّ
وفى النَّفسِ حاجاتٌ إليكم كثيرةٌ   رُبُابّنها فى الحىِّ لو أُخِّرَ الوقتُ[(٥)]
تأيّمتُ حــتَّى لامنى كلُّ صاحبٍ   رجاءَ لسَلْمَى أن تَئيمَ كما إمْتُ[(٦)]
[لِئِن بعت حظِّى منكِ يوماً بغيره   لَبِئسَ إذاً يومَ التغابُنِ ما بعتُ[(٧)]
تمنّى رجالٌ أن أموتَ وعهــدُهم   بأن يتمنَّوا لو حَييتُ إذا مِتُّ]
وقد علموا عنـــد الحقائق أنّنِى   أخو ثقةٍ ما إنْ ونيتُ ولا إنْتُ[(٨)] ٥٥

(١) دقين ، كذا ورد فى التيمورية . وفى حواشيها : « دقين : اسم رجل » . ل : « وثيق » ب ، ج . « دفين » بالفاء . والشنخوب : رأس الجبل .
(٢) ما عدا ل : « تعيي الكماة » من الإعياء .
(٣) هو أحمد بن المعذل ، كما سيأتى . وهو أخو عبد الصمد بن المعذل ، كلاهما كان شاعراً . وكان أحمد عفيفا ذا مروءة ودين وتقدم فى المعتزلة ، وجاه واسع فى بلده وعند سلطانه ، لا يقاربه عبد الصمد فيه ، فكان يحسده ويهجوه ، فيحلم عنه . وعبد الصمد أشعرهما . الأغانى (١٢ : ٥٤) .
(٤) الخليط : القوم الذين أمرهم واحد . انبتوا : تفرقوا وانقطع بعضهم من بعض . الظهر ، بالفتح : الإبل التى يحمل عليها ويركب .
(٥) ربانها ، أى بجميعها ، أو بحدثانها وطراءتها وجدتها .
(٦) تأيم : مكث زماناً لا يتزوج ، وقد استشهد بالبيت فى اللسان (أيم) .
(٧) هذا البيت وتاليه ساقطان من الأصل . التغابن : أن يغبن القوم بعضهم بعضا .
(٨) الحقائق : جمع حقيقة ، وهى ما يحق على المرء أن يحميه . وإنت ، بكسر الهمزة من آن يئين أينا ، إذا أعيا . وبكسر الهمزة من آن يؤون ، إذا اتدع ولم يعجل .

وأنَّى قد سَــيَّرْت نَبْلِي وأنَّنى   كأنى وقد وقَّعتُ أنصالَها رِشتُ[١]

وقال أحمد بن المعذَّل : أنشدنى أعرابىٌّ من طيّئٍ :

ولستُ بميّالٍ إلى جانب الغنى   إذا كانت العَلْياء فى جانب الفقرْ[٢]

وإنى لَصــبّارٌ على ما ينوبُنى   وحسبُكَ أنَّ اللهَ أثنى على الصَّبرِ

[خطبة الحجاج]

حدثنا محمّد بن يحيى بن على بن عبد الحميد[٣] ، عن عبد الله بن أبى عبيدة ابن محمد بن عمّار بن ياسر ، قال[٤] :

خرج الحجّاج يريد العراق واليًا عليها ، فى اثنَىْ عشر راكبا على النّجائب ، حتّى دخل الكوفة فَجأةً حين انتشرَ النّهار ، وقد كان بشرُ بنُ مروانَ بعث المهلَّب إلى الحَرُوريّة[٥] ، فبدأ الحجّاج بالمسجد فدخَلَه ، ثم صعِدَ المنبرَ وهو

---

(١) النبل : السهام العربية لا واحد لها من لفظها ، وواحدها سهم . وقال بعضهم : واحدتها نبلة . وسير السهام : جعل فيها خطوطا . ل : « يسرت قبلى » صوابه فى سائر النسخ . والأنصال : جمع نصل . والتوقيع : التحديد . وراش السهم : جعل له الريش . ل : « كأنى إذا » .

(٢) فى الأغانى (١٢ : ٥٥) أن البيتين للمعذل بن غيلان ، والد أحمد وعبد الصمد . والبيتان فى عيون الأخبار (١ : ٢٤٧) .

(٣) هو محمد بن يحيى بن على بن عبد الحميد بن عبيد الكنانى المدنى ، روى عن مالك ابن أنس ، وابن عيينة . قال عمر بن شبة : كان كاتبا وأبوه كاتبا وجداه كاتبين ، وكان أحد الثقات المشاهير ، يحمل الحديث والأدب والتفسير . تهذيب التهذيب . ما عدا ل : « عن عبد الحميد » تحريف .

(٤) الخطبة فى الكامل ٢١٥ ليبسك والعقد (٤ : ١١٩) والطبرى (٧ : ٢١٠) وصبح الأعشى (١ : ٢١٨) وعيون الأخبار (٢ : ٢٤٣) وابن الأثير (٤ : ١٥٦) .

(٥) الحرورية بفتح الحاء والراء ، ويقال بفتح الحاء وضم الراء : نسبة إلى حروراء ، بالمد والقصر ، وهى قرية بظاهر الكوفة ، وقيل موضع على ميلين منها . والحرورية هم أصل الخوارج . كانوا مع على عليه السلام ثم خالفوه بعد تحكيم الحكمين بينه وبين معاوية وأهل الشام وقالوا : لا حكم إلا لله ، وكفروه وتبرءوا منه وأمروا عليهم ذا الثدية — وهو حرقوص ابن زهير — فخرج على فحاربهم بالنهروان ، فقاتلهم وقتل ذا الثدية ، فسموا الحرورية لوقعة حروراء . معجم الفرق الإسلامية .

ملثَّمٌ[1] بعمامةِ خزٍّ حمراء ، فقال : علىَّ بالناس ! فحسبوه وأصحابَه خوارج ، فهمُّوا به ، حتَّى إذا اجتمع النَّاسُ فى المسجد قام فكشَفَ عن وجهه ، ثم قال :

أنا ابنُ جَلاَ وطَلاَّعُ الثَّنايا　　مَتَى أضَعِ العمامةَ تعرفونى[2]

أمَا واللهِ إنى لأحتملُ الشرَّ بحِمْله ، وأحذوه بنَعله ، وأجزيه بمثله ، وإنى لأَرَى رءوسًا قد أينعتْ وحان قِطافُها ، وإنى لَصاحِبُها ، وإنى لأنظرُ إلى الدِّماء ترَقْرَقُ بين العمائم واللِّحَى .

* قد شمَّرت عن ساقها فشمِّرًا[3] *

ثم قال :

هذا أوانُ الشَّدِّ فاشتدِّى زِيَمْ[4]　　قد لَفَّها الليلُ بسَوَّاقٍ حُطَمْ[5]

ليسَ براعِى إبلٍ ولا غَنَمْ　　ولا بجزَّارٍ على ظَهرِ وَضَمْ[6]

وقال أيضاً :

قد لفَّها الليـــلُ بعَصْلبِىّ[7]　　أرْوَعَ خرَّاجٍ من الدَّوِّىِّ[8]

---

(١) ما عدا ل : « مثلثم » .

(٢) من قصيدة لسحيم بن وثيل الرياحى ، رواها الأصمعى فى الأصمعيات ٧٣ ليبسك .

(٣) فى العقد : « فشمرى » .

(٤) الرجز لرويشد (أورشيد) بن رميض العنبرى ، كما فى حواشى الكامل ، واللسان (حطم) والأغانى (١٤ : ٤٤) يقوله فى الحطم القيسى ، واسمه شريح بن ضبيعة ، وكان شريح قد غزا اليمن ، فغنم وسبى ، ثم أخذ على طريق مفازة فضل بهم دليلهم ثم هرب منهم ، وهلك منهم ناس كثير بالعطش ، وجعل الحطم يسوق بأصحابه سوقا عنيفا حتى نجوا ووردوا الماء . فقال فيه رشيد الرجز مادحا ، فلقب « الحطم » بما فى الرجز . وقد أدرك الحطم الإسلام فأسلم ثم ارتد بعد وفاة الرسول . الأغانى . وزيم : اسم ناقته أو فرسه .

(٥) الضمير فى « لفها » للإبل . أى جمعها الليل بسائق شديد . عنى نفسه والرعية .

(٦) الوضم : كل ما قطع عليه اللحم .

(٧) الرجز فى اللسان (عصلب) . والعصلبى : الشديد الباقى على المشى والعمل .

(٨) الأروع : الكريم ذو الجسم والجهارة والفضل والسودد ، وقيل هو الجميل الذى يروعك حسنه . والدوى : المفازة . وهى الدو أيضا ، وزيد الياء فيها كما قيل أحمر : أحمرى .

* مهاجر ليس بأعرابى *

٥٦ إنِّى والله يا أهلَ العراق ، والشِّقاق والنِّفاق ، ومساوى الأخلاق ، ما أُغْمَزُ تَغمازَ التِّين ، ولا يُقعقَع لى بالشِّنان (١) ، ولقد فُرِرت عن ذَكاء (٢) ، وفُتِّشت عن تَجْربة ، وجَرَيْتُ مِن الغاية (٣) . إنّ أميرَ المؤمنين كبَّ كِنانته ثم عَجَم عيدانَها (٤) ، فوجدنى أمرَّها عوداً ، وأصلبَها عموداً ، فوجَّهنِى إليكم ؛ فإنَّكم طالما أوضعتُم فى الفِتَن (٥) ، [واضطجعتم فى مراقد الضَّلال] ، وسننتم سُنَنَ الغَىِّ . أما والله لألحونَّكم لَحوَ العصا ، ولأَعصِبَنَّكم عَصْبَ السَّلَمَة (٦) ، ولأضرِبنّكم ضَرْبَ غرائب الإبل (٧) ؛ [فإنكم لكأهل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كُلِّ مكانٍ فكَفَرت بأنعُم الله فأذاقها الله لباسَ الجوع والخوف بما كانوا يصنعون] . إنِّى والله لا أعِدُ إلاَّ وفَيت ، ولا [أَهُمُّ إلاَّ أمضيت ، ولا] أخلُقُ إلا فريت (٨) . فإيَّاىَ وهذه الجماعاتِ وقالاً وقيلا ، وما تقولون (٩) ؟ وفيم أنتم وذاك ؟

---

(١) الشنان : جمع شن ، بالفتح ، وهو القربة البالية ، وكانوا يحركونها إذا استحثوا الإبل للسير ؛ لتفزع فتسرع .

(٢) فر الدابة : كشف عن أسنانه ليعرف بذلك عمره . والذكاء : نهاية الشباب وتمام السن . وهو فى ذوات الحافر أن يجاوز القروح بسنة ، وإنما يقرح حينما يستتم الخامسة ويدخل فى السادسة .

(٣) كأنه عنى أنه جاوز الغاية . والغاية : قصبة تنصب فى الموضع الذى تكون المسابقة إليه ليأخذها السابق . وفى العقد : « وأجريت إلى الغاية القصوى » .

(٤) فى بعض المراجع : « نثر كنانته » . وعجم العود : عضه ليعرف صلابته .

(٥) الإيضاع : السير بين القوم . وفى الكتاب : « ولأوضعوا خلالكم » .

(٦) السلمة : واحدة السلم ، وهو شجر ذو شوك يدبغ بورقه وقشره . والسلم يعسر خرط ورقه لكثرة شوكه ، فتعصب أغصانه ويشد بعضها ببعض بحبل ، ثم يهصرها الخابط إليه ويخبطها بعصاه ، فيتناثر ورقها للماشية .

(٧) ذاك إن الإبل إذا وردت الماء فدخل عليها غريبة من غيرها ضربت وطردت حتى تخرج عنها .

(٨) خلق الأديم : قدره لما يريد قبل القطع وقاسه ليقطع منه . والفرى : القطع .

(٩) ما عدا ل : « وما تقول » .

أمَا والله لتستقيمُنَّ على طريق الحقِّ أو لَأدَعَنَّ لـكلِّ رجلٍ منكم شُغُلاً فى جَسَده . مَن وجدتُ بعد ثالثةٍ[١] مِن بعَث المهلَّب سفـكتُ دمه ، وانتهبْتُ ماله . ثم دخل منزله .

***

أبو الحسن قال : كتب الحجّاجُ بن يوسف إلى قَطَرىّ بن الفُجاءةِ . « سلامٌ عليك . أمّا بعدُ فإنّك مَرَقت من الدِّين مُروقَ السّهم من الرَّمِيّة ، وقد علمتَ حيث تجرثمتَ[٢] ، ذاكَ أنكَ عاصٍ لله ولِوُلاةِ أمرِه ، غير أنّكَ أعرابىٌّ جِلفٌ أُمّىّ ، تستطعم الـكِسرةَ وتستشفى بالتَّمرةِ[٣] ، والأمور عليك حَسْرَة ، خرجتَ لتَنَالَ شُبْعةً[٤] فلحِقَ بك طَغَامٌ صَلُوا بما صَلِيتَ به من العيش ، فهم يهزُّون الرِّماح ، ويستنشئون الرِّياح[٥] ، على خوفٍ وجهْدٍ من أمورهم . وما أصبحوا ينتظرون أعظمُ ممّا جَهلوا معرفته ، ثمّ أهلـكهم اللهُ بتَرْحَتَين . والسَّلام » .

فأجابه قطرى

« من قطرىِّ بن الفُجاءةِ إلى الحجّاج بن يوسف . سلام على الهداة من الوُلاةِ ، الذين يَرعَون حريمَ الله ويَرهبون نِقَمه . فالحمدُ لله على ما أظهرَ من دِينه ، وأظْلَعَ به أهل السِّفَال[٦] ، وهدَى به من الضَّلال[٧] ، ونصرَ به ، عند استخفافك

(١) ما عدا ل : « بعد ثلاثة » .

(٢) تجرثم : سقط من علو إلى أسفل .

(٣) استطعمه : سأله أن يطعمه . استشفى : طلب الشفاء ، أو ناله .

(٤) الشبعة ، بالضم : مقدار ما يشبع به مرة من الطعام . ما عدا ل : « لتناول شبعة » .

(٥) الاستنشاء : أن يشم الريح ، عنى أنهم يتنسمون ريح الطعام .

(٦) أظلع ، من الظلع ، وهو الغمز فى المشى . ولم أجد هذا الفعل فى معجم . والسفال بالـكسر : سفول الخلق .

(٧) ما عدا ل : « من الضلالة » .

بحقِّه . كتبتَ إليَّ تذكرُ أنِّى أعرابىٌّ جِلفٌ أُمِّىٌّ ، أستطعم الكِسْرة ، وأستشفى بالتَّمرة . ولعمرى يا ابنَ أمِّ الحجّاج (١) إنك لُمتيَّه فى جِبِلّتك (٢) ، مطلخِمٌ فى طريقتك (٣) ، واهٍ فى وثيقتك (٤) ، لا تعرف الله ولا تجزَع من خطيئتك ، يئست واستيأستَ من ربِّك ، فالشَّيطانُ قرينُك ، لا تجاذبه وَثاقَك ، ولا تنازعُه خِناقك (٥) . فالحمدُ لله الذى لو شاء أبرز لى صفحتك ، وأوضحَ لى صَلَعتك (٦) . فوالذى نَفْسُ قطرىٍّ بيده ، لعرفْتَ أنَّ مقارعةَ الأبطال ، ليس كتصدير المقال (٧) . مع أنِّى أرجو أن يدحَضَ اللهُ حُجّتَك ، وأن يمنحنى مُهجتَك (٨) » . ٥٧

***

خالد بن يزيدَ الطائىّ ، قال : كتب معاويةُ إلى عدىِّ بن حاتم : « حاجَتُك ما لا يُنسَى » يعنى قتل عثمان . فذهب عدىٌّ بالكتاب إلى علىّ فقال : « إنّ المرأة لا تنسى قاتل بِكرِها ، ولا أبا عُذْرِها » . فكتب إليه عدىٌّ : « إن ذلك منى كليلةِ شَيباءَ (٩) » .

وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله : « يا غلام ، ارفع ذلك الثَّيل (١٠) » ، يعنى روثاً . وقيل له : أين خرج هذا الجِبنُ ؟ قال : تحت مَنكِبى (١١) .

---

(١) نسبه إلى أمه طاعناً فى نسبه .
(٢) المتيه : المضلل . والجبلة : الطبيعة والسجية .
(٣) المطلخم : المظلم ، والمتكبر أيضاً .
(٤) الوثيقة : الثقة . يقال أخذ بالوثيقة فى أمره .
(٥) الخناق ، بالكسر ، الحبل الذى يخنق به .
(٦) الصلعة ، بالتحريك وبالضم : موضع الصلع فى الرأس .
(٧) تصدير المقال : تقديمه . (٨) المهجة : الروح ودم القلب .
(٩) كانت العرب تقول للبكر إذا زفت إلى زوجها فدخل بها ولم يفترعها ليلة زفافها : باتت بليلة حرة . وإن افترعها تلك الليلة قالوا : باتت بليلة شيباء .
(١٠) فى اللسان (ثل) : « ومنه حديث ابن عبد العزيز ، أنه دخل داراً فيها روث فقال : ألا كنستم هذا الثيل ؟! وكان لا يسمى قبيحا بقبيح » .
(١١) أى ولم يقل : « فى إبطى » .

وقيل لقتيبة[١]: أين خرج بك هذا الخُرَاج[٢] قال: بين الرانفة والصَّفَن[٣].

قال: وقيل لرقبة[٤]: ما بال القُرَّاء أشدّ النّاس نَهْمةً وغُلْمةً؟ قال: أمَّا الغُلمة فأنَّهم لا يَزْنُون. وأمَّا النَّهْمة فلأنَّهم يصومون.

وعرض عليه رجلٌ الغَدَاء، فقال: يا هذا، إنْ أقسمتَ علىّ، وإلاّ فدَعْنى.

وقال مُوَرِّق العِجلىّ[٥]: ما تكلّمتُ بكلمةٍ فى الغضب أندَمُ عليها فى الرِّضَا. وقد سألتُ الله حاجةً منذ أربعين سنةً فما أجابنى ولا يئست منها: ألاَّ أتكلّمَ فيما لا يعنينى[٦].

قال: مكتوب فى حكمة داود: على العاقل أن يكون عالماً بأهل زمانه، مالكا للسانِه، مُقبلاً على شانه.

قال: ولمّا قدِم الفرزدقُ الشّامَ قال له جريرٌ — وكان هنالك[٧] — ماظننت أنك تَقْدَمَ بلدًا أنا فيه! فقال الفرزدق: إنِّى طالما خالفتُ رأى العَجَزة.

وقال يونُس بنُ حبيب: إذا قالوا غُلِّب الشاعر فهو الغالب، وإذا قالوا ٥٨
مغلَّب فهو المغلوب. وقال امرؤ القيس:

وإنَّك لم يفخَرْ عليك كفاخرٍ ضعيفٍ ولم يَغْلِبْكَ مثلُ مُغَلَّبِ[٨]

---

(١) هو قتيبة بن مسلم، المترجم فى ٤٢.
(٢) الخراج، كغراب: مايخرج فى البدن من القروح. والحبن، بالكسر: الدمل.
(٣) الرانفة: أسفل الألية. والصفن، بالتحريك: وعاء الخصية. ماعدا ل: «والصفنة» وهى صحيحة أيضاً، بالتحريك، وبالفتح.
(٤) هو رقبة بن مصقلة بن عبدالله العبدى، ويقال فى أبيه أيضاً «مسقلة» بالسين، كما وقع فى صحيح مسلم. كان ثقة مأموناً يعد فى رجالات العرب، وكانت فيه دعابة. أرخ ابن الأثير وفاته سنة ١٢٩. تهذيب التهذيب.
(٥) ترجم فى (١: ٣٥٣).
(٦) ما عدا ل: «ألا أتكلم إلا فيما يعنينى». وهما سيان.
(٧) ما عدا ل: «هناك»
(٨) ديوان امرئ القيس ٧٧ واللسان (غلب). وانظر ما سيأتى فى ص ٩١ من أرقام الأصل.

وقال بعضهم :

إنِّى امرؤٌ ينفع قومى مَشهدِى أذبُّ عنهم بلسانى ويَدى

وقال قتيبةُ بن مُسْلم[١] : إذا غزوتم فأطيلوا الأظفار ، وقصِّروا الشُّعور .

ونظر مخنَّثٌ إلى شيخٍ قبيحِ الوجه فى الطَّريق فقال له : ألم يَنْهَكُمْ سليمانُ ابن داودَ عن الخروج بالنّهار ؟

قال : وعزَّى أعرابىٌّ ناساً فقال : يرحم الله فلاناً ، قد كان كثير الإهالة دَسِمَ الأشداق .

وقال الشاعر :

ترى وَدَكَ السَّديف على لحاهُمْ كلون الرَّاء لبَّدَهُ الصقيعُ[٢]

وقال أعرابىٌّ « رحم اللهُ فُلاَنًا ، إنْ كان لضخمَ الكاهل » . ثم جلس وسكت . وقال آخر : « كان والله نقىَّ الأظفار ، قليل الأسرار[٣] » .

وقال صديقٌ لنا : رأيتُ سكراناً وقد ركب رَدْعه[٤] ، ثم إنه استقلَّ فقال : أنا السَّديف المسرْهَدُ[٥] .

وسَارَّ رجلٌ أعرابيًّا بحديثٍ فقال له : أفهمت ؟ قال : بل نسيت !

قال واثلةُ بن خليفةَ السَّدوسىّ ، يهجو عبد الملك بنَ المهلَّب :

لقد صَبَرَتْ للذُّلِّ أعوادُ مِنبرٍ تقوم عليها فى يديك قضيبُ

---

(١) ترجم فى ٤٢ . ل : « قتيبة بن سلم » تحريف .

(٢) السديف : لحم السنام . والراء : شجر سهلى له ثمر أبيض . وقال أبوالهيثم : الراء : زبد البحر . اللسان (روأ) .

(٣) ل والتيمورية : « الأشرار » صوابه فى ب ، حـ .

(٤) فى الأصل : « درعه » تحريف . يقال : ركب ردعه ، أى خر صريعاً لوجهه فكلما هم بالنهوض ركب مقاديمه . وأصل الردع العنق .

(٥) استقل ، أى نهض . المسرهد : المقطع قطعاً . وهذا الخبر فى ل فقط .

بكى المِنبرُ الغربىُّ إذ قُمتَ فوقَه ... وكادت مساميرُ الحـديدِ تذوبُ
رأيتك لمَّا شِبْتَ أدركك الذى ... يُصيب سَراةَ الأزدِ حين تشيبُ
سفاهةُ أحلامٍ وبُخـلٌ بنائل ... وفيك لمن عاب المَزُونَ عيوب[1] ٥٩
وقد أوحَشَتْ منكم رساتيقُ فارسٍ ... وبالمصر دُورٌ جَمَّـةٌ ودُروب[2]
إذا عُصْبَةٌ ضَجَّتْ من الخَرْجِ ناسبت ... مَزُونيَّةً إن النَّسيب نسيب[3]

وقال بشّارٌ الأعمى، فى عمرَ بنِ حفص[4]:

ما بالُ عينِك دمعُها مسكوبُ ... حُرِبَتْ فأنتَ بنومها محروبُ
وكذاكَ مَن صحِبَ الحوادثَ لم تزَلْ ... تأتى عليه سَـلامَةٌ ونُـكوبُ
يا أرضُ ويحكِ أكرِميهِ فإنّه ... لم يبق للعَتَكىِّ فيك ضريبُ
أبهى على خُشُبِ المنابر قائماً ... يوماً وأحزمُ إذ تُشَبُّ حُرُوب[5]
إنّ الرَّزِيَّةَ لا رَزِيَّةَ مثلها ... يومَ ابنُ حفص فى الدِّيار خضيبُ
لا يستجيبُ ولا يُحِير لسانُه ... ولقد يُحِير لسـانُه ويُجيبُ
غُلِب العزاءُ على ابن حفصٍ والأسى ... إنّ العزاء بمثله مغـلوبُ
إذْ قيل أصبح فى المقابر ثاوياً ... عُمَرٌ وشُقَّ لواؤه المنصـــوب
فظَلِلْتُ أندبُ سيفَ آلِ مُحَمَّدٍ ... عُمَراً وعَزَّ هنالك المنـدوبُ

---

(١) الكلام بعد هـذه إلى كلمة « القاس » من ص ٣١٧ س ١٢ ، ساقط من التيمورية . والمزون ، بفتح الميم وضمها : اسم من أسماء عمان وأهلها من الأزد ، وهم رهط المهلب بن أبى صفرة . وذلك أن جدهم الأعلى مازن بن الأزد . اللسان (مزن) ومعجم البلدان (المزون) والحيوان (٦ : ١٥٧) . وانظر ما سبق فى (١ : ٢٩٢) .

(٢) الرساتيق : جمع رستاق ، ورساتيق فارس : سوادها ، أى قراها . ورستاق : معرب « روستا » الفارسية ، وهى بمعنى القرية . استينجاس ٥٩٤ .

(٣) الخرج : الخراج ، وهو ماتؤديه الرعية إلى الولاة . ب ، حـ : « من الجرح » .

(٤) هو عمر هزارمرد ، سبقت ترجمته مع الأبيات التالية فى (١ : ٢٩٤) .

(٥) ماعدا ل : « إن تشب حروب » . وإلى هنا ينتهى الإنشاد فيما سبق .

فعليك يا عُمَرُ السّلامُ فإنّنا   باكوكَ ما هَبَّتْ صَبًا وجَنُوبُ

قال إسماعيل بن غزْوان : الأصوات الحسنةُ والعقولُ الِحسان كثيرة ، والبيان الجيّد والجمال البارع قليل .

وذكر أبو الحارث ، صاحبَ مسجد ابن رُغْبانَ(١) ، فقال إنْ حدّثته سبقَك إلى ذلك الحديث ، وإنْ سكتّ عنه أخذ فى التُّرَّهات .

وقال ابن وهب(٢) : أنا أستثقل الكلامْ كما يستثقل حُرَيْثٌ السكوت . كما ٦٠

قال ابن شُبْرُمة(٣) لإياسِ بن معاوية : شكلى وشكلُك لا يتّفقان ، أنت لا تشتهى أن تسكت ، وأنا لا أشتهى أن أسمع .

وقال أبو عَقيل بن دُرُسْتَ(٤) : إذا لم يكن المستمعُ أحرصَ على الاستماع من القائل على القول ، لم يبلُغ القائلُ فى منطقه ، وكان النُّقصان الداخلُ على قوله بقدْر الْخَلّة بالاستماع منه .

وقال ابن بَشّار البَرْقىّ : كان عندنا واحدٌ يتكلّم فى البلاغة ، فسمعته يقول : لو كنت ليس أنا ، وأنا ابنُ من أنا منه ، لكنت أنا أنا وأنا ابن من أنا منه . فكيف وأنا أنا وابن من أنا منه .

وقالوا : ثلاث يُسرع إليهن الَخلَفُ : الحريق ، والتّزويج ، والحجّ .

وقال المهلّب : « ليس أَنْمَى من بقيّة السّيف(٥) » . فوجد الناس تَصْديق

---

(١) مسجد ابن رغبان ، كان فى غربى بغداد ، كما ذكر ياقوت . واسمه محمد بن رغبان كما فى الحيوان (٢ : ١٤٦) . وفى المعارف لابن قتيبة ٢٦٦ : « ابن رغبان الذى ينسب إليه المسجد ببغداد ، وهو مولى حبيب بن مسلمة ، وكان حبيب عظيم القدر ، يلى الولايات زمن عثمان ومعاوية » .

(٢) ما عدا ل : « أبو وهب » .

(٣) هو عبد الله بن شبرمة المترجم فى (١ : ٩٨) ، حيث سبق الخبر .

(٤) ما عدا ل : « أبو مقبل » تحريف ، وقد مضى على الصواب فى مواضع متعددة . وانظر الحيوان (٥ : ٧/٢٧٨ : ١٥٢ ، ٢٠٣) .

(٥) فى الأصل : « من سيف » صوابه من ب ، ج .

قوله فيما نال ولدَه من السيف وصار فيهم من النَّماء[1] .

وقال عليُّ بن أبى طالب رحمه الله : « بقيَّة السَّيف أنمى عَدَداً ، وأ كرمُ ولداً » . ووجد الناسُ ذلك بالعِيان ، الذى صار إليه ولدُه من نَهْك السَّيف ، وكَثْرة الذّرْء ، وكرم النَّجْل .

قال الله عزّ وجلّ : ﴿ وَلَكُمْ فى القِصاصِ حَياةٌ يا أُولِى الألْباب ﴾ .

وقال بعضُ الحكماء : « قَتْل البعض إحياءٌ للجميع » .

وقال همّام الرقاشى :

أبلغْ أبا مِسْمَعٍ عنِّى مُغَلْغَلَةً ... وفى العِتاب حياةٌ بينَ أقوامِ[2]
قدَّمتَ قبلى رِجالاً لم يكن لهمُ ... فى الحقِّ أن يَلِجُوا الأبوابَ قُدّامِى
لو عُدّ قبرٌ وقبرٌ كنتَ أ كرمَهُم ... قبراً وأبعدَهم من منزل الذّامِ[3]
فقد جعلتُ إذا ماحاجةٌ عرضَتْ ... ببابِ قصرِك أدلُوها بأقوامِ[4]

* * *

وقال الحجّاج لامرأةٍ من الخوارج : « والله لأعُدّنَّكم عَدًّا ، ولأحْصُدَنَّكم حَصداً » . قالت : أنت تحصُدُ ، والله يزرع ، فانظرْ أينَ قدرةُ المخلوق من قُدرة الخالق .

ولم يظهر من عدد القتلى مثلُ الذى ظهر فى آل أبى طالب ، وآل الزبير، ٦١
وآل المهلّب . وقال الشاعر فى آل الزُّبَير :

---

(١) فى المعارف ١٧٥ : « ويقال إنه وقع إلى الأرض من صلب المهلب ثلاثمائة ولد » .

(٢) المغلغلة : الرسالة تحمل من بلد إلى بلد . وأنشد البيت فى اللسان (غلل) بدون نسبة .

(٣) الذام : العيب . عنى أنه كريم الآباء والإسلاف .

(٤) يقال دلوت بفلان إليك ، أى استشفعت به إليك .

آلُ الزبير بنـو حُـرَّةٍ مَرَوْا بالسُّيوف صُدُوراً حِنَاقا[١]
يموتون والقتل من دأبهم ويَغشَون يوم السِّباقِ السِّباقا[٢]
إذا فرَّج القتـل عن عِيصِهمْ أبى ذلك العِيصُ إلاّ اتّفاقا[٣]

* * *

قال : احترقت دارُ ثُمامة[٤] ، فقالوا له : ما أسرعَ خَلَفَ الحريق ؟ قال : فأنا أستحرقُ الله .

وقال ثمامة : سمعت قاصًّا بعَبَّادانَ[٥] يقول فى دعائه : اللهم ارزُقْنا الشهادةَ وجميعَ المسلمين[٦] .

قال : وتساقط الذِّبَّانُ على وجهه فقال : الله أكبر ، كثّر الله بكم القبور[٧] .

قال : وسمع أعرابىٌّ رجلاً يقرأ سورة براءة فقال : ينبغى أن يكون هذا آخِرَ القرآن . قيل له : ولِمَ ؟ قال : رأيت عهوداً تُنبَذ .

وقال عبد العزيز الغزّال القاصُّ[٨] ، فى قَصَصه : ليت الله لم يكن خلقنى وأنا

---

(١) المرى : الاستخراج . عنى أنهم بقتالهم قد شفوا صدور أعدائهم . وأنشد فى اللسان :
* مروا بالسيوف المرهفات دماءهم *
والحناق : جمع حنيق ، وهو ذو الحنق ، بالتحريك ، أى الغيظ .

(٢) ما عدا ل : « يغيثون يوم السباق » تحريف .

(٣) العيص ، بالكسر : الآباء والأعمام والأخوال . وأصله منبت خيار الشجر .

(٤) ثمامة بن أشرس . وقد ترجم فى (١ : ١٠٥) .

(٥) عبادان : موضع تحت البصرة قرب البحر ، وهى منسوبة إلى عباد بن الحصين الحبطى . قال ياقوت : « وأما إلحاق الألف والنون فهو لغة مستعملة فى البصرة ونواحيها . إنهم إذا سموا موضعاً أو نسبوه إلى رجل أو صفة يزيدون فى آخره ألفاً ونونا ، كقولهم فى قرية عندهم منسوبة إلى زياد بن أبيه : زيادان . وأخرى إلى عبد الله : عبد اللیان . وأخرى إلى بلال ابن أبى بردة : بلالان » . قلت : هذا مأخوذ من الفارسية ، فإنهم يزيدون « آنه » فى آخر الاسم المنسوب ، كقولهم فى مهد : مردانه ، وفى سر : سرانه .

(٦) الخبر فى الحيوان (٣ : ٣٢٤) . (٧) فى الحيوان : « بكن القبور » .

(٨) إلى هنا ينتهى سقط التيمورية الذى بدأ فى صفحة ٣١٤ . وفى النسخ « أبو عبد العزيز الغزال القاص » صوابه من الحيوان (٣ : ٥/٣٤ : ١٦٨) حيث ورد الخبر .

الساعةَ أعورُ . فحكَيتُ ذلك لأبى عتَّاب الجرَّار[١] . فقال أبو عتَّاب : بئس ما قال ، وددتُ والله الذى لا إله إلا هو أنّ الله لم يكن خلَقنى وأنا الساعة أعمى مقطوعُ اليدين والرِّجلين .

قال : ولمّا استعدى الزِّبرقانُ على الحطيئة فأمر عمرُ بقطْع لسانِه ، قال الزِّبرقان : نَشَدتُك اللهَ يا أمير المؤمنين أنْ تقطعَه[٢] ، فإنْ كنتَ لا بدَّ فاعلاً فلا تقطعْه فى بيت الزِّبرِقان . فقيل له : إنه لم يذهب هنالك ، إنما أراد أن يقطع لسانَه عنك برغْبةٍ أو رهبة .

وتقول العرب : « قتلَت أرضٌ جاهلَها ، وقتَل أرضاً عالمُها » . وتقول : « ذَبحَنِى العطَش » و « المِسْك الذّبيح » و « ركب بنو فلانٍ الفلاةَ فقطع العطشُ أعناقَهم » .

وتقول : فلانٌ لسان القوم ونابُهم الذى يفترُّونَ عنه ، وهؤلاء أنْفُ القوم وخراطيمهم . وبَيْسَانُ[٣] لسان الأرضِ يومَ القيامة . وفلانٌ أُصطُمّةُ الوادى[٤] ٦٢
وعينُ البلد .

وقال الأصمعىّ : قال رجلٌ لأبى عمرو بن العلاء : أكرمك الله ! قال : مُحْدَثَةٌ .
قال : وكان ابنُ عونٍ[٥] يقول : كيف أنت أصلحك الله .

وكان الأصمعىُّ يقول : قولهم جُعِلتُ فداكَ ، وجعلنى الله فداك ، مُحدَثٌ .

وقد روى علماء البَصريِّين أنّ الحسن لمّا سمع صراخا فى جِنازة أمّ عبد الأعلى

---

(١) ما عدا ل : « الجزار » تحريف .

(٢) نشدتك الله : استحلفتك به . وقد حذف النافى بعد « أن » كما فى قول الله : « يبين الله لكم أن تضلوا » .

(٣) بيسان ، بالفتح : مدينة بالأردن ، بين حوران وفلسطين ، وإليها ينسب القاضى الفاضل أبو على عبد الرحيم بن على البيسانى . قال ياقوت : « ويقال هى لسان الأرض » .

(٤) أسطمه الشىء وأستمته واصطمته : وسطه ومجتمعه .

(٥) عبدالله بن عون ، ترجم فى هذا الجزء ص ٩١ .

ابن عبد الله بن عامر(١) فالتفت ، قال له عبد الأعلى : جُعِلتُ فداك ، لا والله ما أمرتُ ، ولا شَعرتُ رلا شَعرتُ(٢) .

وقال الأصمعى : صلّى أعرابىٌّ فأطال الصلاة ، وإلى جانبه ناسٌ ، فقالوا : ما أحسنَ صلاتَه ! فقال : وأنا مع ذلك صائم(٣) .

[قال الشاعر :

صلّى فأعجبنى وصام فرابنى عدِّ القلوصَ عن المصلِّى القائم]

وقال طاهرُ بن الحسين(٤) لأبى عبد الله المرْوَزىّ : منذ كم صِرتَ إلى العراق يا أبا عبد الله ؟ قال : دخلتُ العراق منذ عشرين سنة وأنا أصوم الدهر منذ ثلاثين سنة . قال : يا أبا عبد الله ، سألناك عن مسألة فأجبتنا عن مسألتين(٥) .

---

(١) سبقت ترجمته فى (١ : ٣٤٤)

(٢) كذا بالتكرار فى الأصل فقط .

(٣) ماعدا ل : « وأنا مع هذا صائم » .

(٤) هو طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعي ، من كبار الوزراء العباسيين . كان أديباً حكيما شجاعا ، وهو الذى وطد الملك للمأمون العباسى ، وهو الذى قتل الأمين وعقد البيعة للمأمون فولاه شرطة بغداد ، ثم جعله والياً على خراسان ، فحدثته نفسه بالاستقلال بها ، وحالت دون ذلك منيته . وسمى « ذا اليمينين » لأنه ضرب شخصاً فى وقعته مع على بن ماهان بالسيف فقده نصفين ؛ وكانت الضربة بيساره . ولد سنة ١٥٩ وتوفى سنة ٢٠٧ . وفيات الأعيان وثمار القلوب ٢٠٧ .

(٥) القصة فى الحيوان (٣ : ٨ — ٩).

بسم الله الرحمن الرحيم

قال عوانة : قال زياد بن أبيه : مِن سعادة الرجل أن يطولَ عمرُه ، ويرى فى عدوِّه ما يسرُّه .

وقال الباهلىّ : قيل لأعرابىّ : ما بالُ المراثى أجودَ أشعاركم ؟ قال : لأنّا نقول وأكبادُنا تحترق .

قال أبو الحسن : كانت بنو أميّةَ لا تقبل الرّاوِيةَ إلا أنْ يكون راويةَ للمراثى . قيل : ولم ذاك ؟ قيل [1] : لأنّها تدل على مكارم الأخلاق .

وقال عمر بن الخطّاب رحمه الله : مِن خير صناعات العرب الأبياتُ يقدّمُها الرّجلُ بين يدَىْ حاجته يَسْتَنْزِلُ بها الكريم [2] ، ويستعطف بها اللئيم .

وقال شعبة [3] : كان سِمَاك بن حَرْب [4] إذا كانت له إلى الوالى حاجة قال فيه أبياتًا ثم يسألُه حاجتَه .

قال أبو الحسن : كان شِظَاظٌ [5] لصًّا ، فأغار على قوم من العرب فاطَّرَدَ

---

(١) كذا فى جميع النسخ .

(٢) يستنزله : يطلب منه النزل ، وهو بضم وبضمتين : قرى الضيف ، وهذا الفعل بمعنى المعنى مما لم يرد فى المعاجم .

(٣) سبقت ترجمة شعبة بن الحجاج فى (١ : ٣٦٩) .

(٤) سماك بن حرب بن أوس الذهلى البكرى الكوفى ، كان فصيحاً عالما بالشعر وأيام الناس ، وأدرك ثمانين من الصحابة ، وتوفى سنة ١٢٣ . تهذيب التهذيب . وسماك هذا ، بكسر السين وفتح الميم الخفيفة . تقريب التهذيب .

(٥) شظاظ ، بالكسر : لص من بنى ضبة ، كان قريناً لمالك بن الريب وأبى حردبة الاصين . وقد صلبه الحجاج . وهو الذى يقال فيه : « ألص من شظاظ » . وفيه وفى مالك يقول القائل :

الله نجاك من القصيم ومن شظاظ فاتح المكوم
ومالك وسيفه المسموم

الأغانى (١٩ : ١٦٣ — ١٦٩) واللسان (شظظ) .

٦٣ نعمَهم (١) فساقها ليلتَه حتّى أصبح ، فقال رجل من أصحابه : لقد أصبحنا على قَصْدٍ من طريقنا . فقال : « إن المُحْسِنَ مُعَان » .

وقال أبو الحسن : أربى غلامٌ من بنى علىٍّ (٢) ، على عبدِ الملك ، وعبدُ الملك يومئذ غلام ، فقال له كهلٌ من كهولهم لما رآه مُمْسِكا عن جواب المربِى عليه : لو شكوتَه إلى عمّه انتقم [لك] منه . قال : أمسِكْ يا كهلُ ؛ فإنى لا أَعُدُّ انتقامَ غيرى انتقاما .

قال أبو الحسن : خاضَ جُلساه عبدِ الملك يوماً فى قتل عثمان ، فقال رجلٌ منهم : يا أمير المؤمنين ، فى أىِّ سِنِيك (٣) كنت يومئذ ؟ قال : كنت دون المُحْتَلَم ، قال : فما بلغَ من حُزنِك عليه ؟ قال : شغلنى الغضبُ له عن الحُزنِ عليه .

وكان عمر بن الخطاب ، رحمه الله ، إذا اشترى رقيقاً قال : اللهمَّ ارزُقْنى أنصحَهم جَيبًا (٤) ، وأطولَهم عُمْراً .

وكان إذا استعمل رجلاً قال : إن العمل كِيرٌ (٥) ، فانظرْ كيف تخرجُ منه .

قال : ومضى أبو عبد الله الكرخىُّ (٦) إلى الرَّبَض (٧) ، فجلس على بابه ونَفَش

(١) ما عدا ل : « فطارد نعمهم » . والطرد والاطراد : الشل . قال طريح :

أمست تصفقها الجنوب وأصبحت ... زرقاء تطرد القذى بحباب

(٢) أربى عليه ، أى زاد عليه فى الكلام والجدال . وبنو على هؤلاء ، هم بنو على ابن بكر بن وائل .

(٣) فيما عدا ل : « فى أى سنك » .

(٤) ناصح الجيب ، أى نقى الصدر خالص القلب لا غش فيه . وأصل الجيب جيب القميص والدرع ، وهو شقه الذى يدخل منه الرأس .

(٥) أراد أنه مجلبة للمكر . ل : « كبير » .

(٦) هو أبو عبد الله الكرخى اللحيانى ، من معاصرى الجاحظ ، وكان ممن يدعى الفقه والعلم . الحيوان (٣ : ٧ — ٨) .

(٧) الربض : ما حول المدينة من خارج . وقد أراد ربض حرب . قال ياقوت : « هى المحلة المعروفة اليوم بالحربية » . والحربية : محلة كبيرة مشهورة ببغداد ، عند باب حرب ، تنسب إلى حرب بن عبد الله البلخى الراوندى ، أحد قواد المنصور .

لحيتَه وادَّعى الفِقه ، فوقف عليه رجل فقال له : إنِّى أدخلتُ إصبَعى فى أنفى فخرج عليها دمٌ . قال : احتجمْ . قال : جلستَ طبيباً أو فقيهاً[١] ؟ !

قالوا : بينا الشّعبىُّ جالسٌ فى مجلسه وأصحابُه يناظرونَه فى الفقه ، إذا شيخٌ بقَرْبِهِ قد أقبل عليه بعد أن طال جلوسُه ، فقال : إنِّى أجدُ فى قفاى حِكَّةً أفترَى لى أن أحتجم ؟ قال الشّعبىّ : الحمد لله الذى حوَّلنا من الفقه إلى الحِجامة .

قال : وذكر ناسٌ رجلاً بكثْرة الصَّوم وطُول الصلاة وشِدّة الاجتهاد ، فقال أعرابىٌّ كان شاهداً لكلامهم : بئس الرجل هذا ، يظنُّ أنّ الله لا يرحمه حتَّى يعذِّب نفسَه هذا التعذيب .

وقال ابن عَون : أدركت ثلاثةً يتشدَّدون فى السَّماع ، وثلاثة يتساهلون فى المغانى[٢] . فأمَّا الذين يتساهلون فالحسن ، والشَّعبىُّ[٣] ، والنَّخَعى[٤] ، وأمَّا الذين يتشدَّدون فمحمد بن سِيرين[٥] ، والقاسم بن محمد[٦] ، ورَجاء بن حَيْوة[٧] . ٦٤

قال رجل من أصحاب ابن لَهِيعة[٨] : ما رأيت أحسن أدبا من عبد الله بن

(١) فى الحيوان : « قعدت طبيبا أو قعدت فقيها » .

(٢) جمع مغنى ، مصدر ميمى من غنى يغنى . ل والتيمورية : « المعانى » بالمهملة ، تحريف . وانظر تفصيل القول فى إباحة السماع ، عند ابن عبد ربه فى العقد الفريد .

(٣) هو عامر بن شراحيل المترجم فى (١ : ١٩٤) .

(٤) هو إبراهيم بن يزيد النخعى المترجم فى (١ : ١٩٢) .

(٥) هو أبو بكر محمد بن سيرين الأنصارى البصرى ، كان مولى لأنس بن مالك وروى عنه ، وكان ثقة صدوقا ورعا ، وكان يعبر الرؤيا . قال ابن عون : ثلاثة لم أر مثلهم كأنهم التقوا فتواصوا : ابن سيرين بالعراق ، والقاسم بن محمد بالحجاز ، ورجاء بن حيوة بالشام . ولد قبل مقتل عثمان بسنتين ، وتوفى سنة ١١٠ . تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٣ : ١٦٤) ووفيات الأعيان .

(٦) هو القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق . احتضنته عائشة بعد مقتل أبيه ، وكان أشبه ولد أبى بكر به ، وكان فقيها إماما كثير الحديث ، وكان ابن سيرين يأمر من يحج أن ينظر إلى هدى القاسم فيقتدى به . وكان القاسم أحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، توفى سنة ١٠٧ . تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٢ : ٤٩) ووفيات الأعيان ، ونكت الهميان ٢٣٠

(٧) ترجم فى (١ : ٣٩٧) .

(٨) هو عبد الله بن عقبة بن لهيعة ، المترجم فى (١ : ٣٦٢) .

المبارك[١] ، والمعافى بن عمران[٢] .

وقال أبو الحسن : حدَّثنى عبدُ الأعلى[٣] قال : رأيت الطِرِمَّاحَ مؤدِّبا بالرَّىِّ فلم أر [أحداً] آخَذَ لعقول الرِّجال ، ولا أجْذَبَ لأسماعهم إلى حديثه منه ، ولقد رأيت الصِّبْيانَ يخرُجون مِن عنده وكأنَّهم قد جالَسُوا العلماء .

قال : كان رجلٌ يبلغه كلامُ الحسن البَصرىّ ، فبينا الرجل يطوف بالبيت إذْ سمع رجلاً يقول : « عجباً لقومٍ أُمِرُوا بالزَّاد ونُودِىَ فيهم بالرَّحيل ، وحُبِس أولُهم على آخرهم ، فليت شعرى ما الذى ينتظرون[٤] ». قال : فقلت فى نفسى : هذا الحسَن .

قال : وأربعةٌ من قريش كانوا رواةَ النّاس للأشعار ، وعلماءهم بالأنساب والأخبار : مَخْرَمةُ بن نوفلِ بن وُهَيب[٥] بن عبد مناف بن زُهْرة ، وأبو الجهم ابن حذيفة بن غانم بن عامر بن عبد الله بن عوف[٦] ، وحويطب بن عبد العُزَّى[٧] ،

---

(١) ترجم فى ص ٢٤ من من هذا الجزء .

(٢) هو أبو مسعود المعافى بن عمران بن نفيل الأزدى الفهمى ، وكان ممن رحل فى طلب العلم إلى الآفاق وجالس العلماء ولزم الثورى ، وكان زاهداً فاضلا شريفا ، مع صدق لهجة وعظم قدر . توفى سنة ٢٠٤ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٤ : ١٥١) .

(٣) هو عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر ، المترجم فى (١ : ٣٤٤) .

(٤) هذه العبارة من ل فقط .

(٥) ل : « وهب » . وأثبت ما فى سائر النسخ ؛ إذ فى السيرة ٤٢٧ ، والإصابة ٧٨٣٤ ونكت الهميان ٢٨٧ : « أهيب » . والواو والهمزة يتعاورها الإبدال . وقد أسلم مخرمة يوم الفتح ، وكف بصره فى زمن عثمان . وتوفى سنة ٥٤ وله مائة وخمس عشرة سنة .

(٦) ترجم له فى الإصابة ٢٠٦ فى باب الكنى . ويقال إن اسمه « عامر » أو « عبيد » . كان أبو الجهم من مسلمة الفتح كذلك ، وكان من معمرى قريش ومشيختهم . حضر بناء الكعبة مرتين ، حين بنتها قريش ، وحين بناها ابن الزبير . ومات فى آخر خلافة معاوية . وذلك فى سنة ٦٠ .

(٧) وأما حويطب بن عبد العزى ، فكان أيضاً ممن أسلم عام الفتح ، وكان من المؤلفة قلوبهم ، عمر مائة وعشرين سنة ، ومات فى خلافة معاوية سنة ٥٤ . الإصابة ١٧٧٨ .

وعَقِيل بن أبي طالب[١]. وكان عَقِيلٌ أكثرهم ذكراً لمثالب النّاس[٢]، فعادَوْه لذلك، وقالوا فيه وحمّقوه. وسمِعَتْ ذلك العامّةُ منهم، فلا تزال تسمع الرّجلَ يقول: قد سمِعتُ الرّجُلَ يحمِّقه. حتَّى ألّف بعضُ الأعداء فيه الأحاديثَ[٣]. فمنها قولهم: ثلاثة حمقى كانوا إخوةَ ثلاثةٍ عقلاء، والأمُّ واحدة. علىٌّ وعَقِيل وأمُّهما فاطمةُ بنت أسد بن هاشم، وعتبةُ ومعاوية ابنا أبي سفيان وأمُّهما هندُ بنت عتبةَ بن ربيعة، وعبد الملك ومعاوية ابنا مروان وأمُّهما عائشة بنت معاوية ابن المغيرة بن أبي العاص. فكيف وجعدةُ بن هُبيرةَ يقول:

أبِي من بني مخزومَ إنْ كنتَ سائلاً ... ومِن هاشمٍ أمِّى، لخيرِ قَبيلِ
فمن ذا الذى يبْأى علىٌّ بخالِه ... وخالى علىٌّ ذو الندى وعَقيلُ[٤]

وَقال قُدامة بن موسى بن عُمَر بن قُدامة بن مظعون: ٦٥

وخالى بُغاةُ الخيرِ تَعلم أنّهُ ... جديرٌ بقول الحق لا يتوعَّرُ[٥]

---

(١) وعقيل هذا هو أخو على وجعفر ابنى أبى طالب، تأخر إسلامه إلى عام الفتح. وكان عالما بأنساب قريش ومآثرها ومثالبها، وكان الناس يأخذون عنه ذلك بمسجد المدينة، كانت له طنفسة تطرح فى المسجد يصلى عليها ويجتمع إليه فى علم النسب وأيام العرب، وكان قد فارق عليا ووفد إلى معاوية فى دين لحقه. قال ابن عباس: «كان فى قريش أربعة يتحاكم الناس إليهم فى المنافرات: عقيل، ومخرمة، وحويطب، وأبو الجهم. وكان عقيل يعد المساوى، فمن كانت مساويه أكثر ينفر صاحبه عليه. وكان الثلاثة يعدون المحاسن، فمن كانت محاسنه أكثر ينفره على صاحبه». مات فى خلافة معاوية. وكان أسن من أخيه جعفر بعشر سنين، وجعفر أسن من على بعشر سنين. الإصابة ٥٦٢٢ ونكت الهميان ٢٠٠.

(٢) انظر الحاشية السابقة.

(٣) زاد الصفدى: «وكان مما أعانهم عليه فى ذلك مغاضبته لأخيه على، وخروجه إلى معاوية». وروى الصفدى أيضاً أن الرسول قال له: «يا أبا يزيد، إنى أحبك حبين: حبا لقرابتك منى، وحبا لما كنت أعلم من حب عمى إياك».

(٤) يبأى، من البأو، وهو الفخر والكبر.

(٥) كذا فى التيمورية بالعين المهملة. يتوعر: يتعسر. وفى سائر النسخ: «يتوغر» تحريف.

وجدّى علىٌّ ذو التقى وابنُ أمّهِ … عَقيلٌ وخالى ذو الجناحين جَعفرُ (١)

فنحن ولاةُ الخير فى كلِّ موطنٍ … إذا ما ونَى عنه رجالٌ فقصَّرُوا

وقال حسّان بن ثابت (٢) :

إن خالى خطيبُ جابيةِ الجو … لانِ عند النُّعمان حين يقومُ (٣)

وهو الصَّقْرُ عند باب ابن سَلْمَى … يومَ نُعمانُ فى الكَبْول مُقِيمُ (٤)

وسَطَتْ نسبتى الذَّوائبَ منهم … كلُّ دارٍ فيها أبٌ لى عظيمُ

وأبى فى سُمَيحةَ القائلُ الفا … صِلُ يومَ التفَّت عليه الخصومُ (٥)

يفصل القولَ بالبيان وذو الرأ … يِ من القوم ظالعٌ مكعومُ (٦)

تلك أفعاله وفعـــلُ الزِّبَعْرَى … خاملٌ فى صديقه مذمومُ (٧)

ربَّ حِلمٍ أضاعه عدم المـا … لِ وجهلٍ غطّى عليه النَّعيمُ

---

(١) كان جعفر يلقب بذى الجناحين ، وبالطيار أيضاً . انظر حواشى (١ : ٣١٢) .

(٢) من قصيدة له فى ديوانه ٣٧٦ — ٣٨٠ والسيرة ٦٢٥ يعدد فيها أصحاب اللواء يوم أحد . مطلعها :

منع النوم بالعشاء الهموم … وخيال إذا تغور النجوم

وفى السيرة أن حسان قال هذه القصيدة ليلا ، فدعا قومه فقال لهم : خشيت أن يدركنى أجلى قبل أن أصبح فلا ترووها عنى .

(٣) خاله ، هو مسلمة بن مخلد بن الصامت . والجابية : قرية من أعمال دمشق قرب الجولان ، وأراد بالنعمان بنى جفنة الغساسنة .

(٤) ابن سلمى ، هو النعمان بن المنذر اللخمى ، وسلمى أمه ، أبوها يهودى من أنباط الشام . الحيوان (٤ : ٣٧٧) . ونعمان هـذا ، هو نعمان بن مالك بن نوفل ، كان النعمان ابن المنذر قد حبسـه ، فوفد فيه وفى غيره حسان ، فأطلقوا لأجله . فصواب رواية البيت : « وأنا الصقر » كما فى الديوان والسيرة .

(٥) سميحة : بئر بالمدينة تحاكمت عندها الأوس والخزرج فى حروبهم إلى ثابت بن المنذر والد حسان ، أو إلى جده المنذر .

(٦) هذا البيت ساقط من الديوان والسيرة . والظالع : من به الظلع ، وهو غمز شبيه بالعرج . والمكعوم : الذى شد فوه بالكعام .

(٧) الزبعرى ، والد عبد الله بن الزبعرى ، وكان بين حسان وعبد الله مهاجاة .

وَلِىَ البَأْسَ منكمُ إذ أبيتم   أُسرةٌ من بنى قُصَىٍّ صميمُ(١)

وقريشٌ تجول منا لِوَاذًا   أن يُقيموا وخَفَّ منها الحلومُ(٢)

لم تطق حَمْله العواتقُ منهم   إنّما يحمل اللواءَ النُّجومُ(٣)

وكان عَقِيلٌ [رجلاً] قد كُفَّ بصرُه ، وله بعدُ لسانُه وأدبُه ونسبُه وجوابه ، فلما فَضَلَ نُظَراءَه من العلماء بهذه الخصال ، صار لسانُه بها أطولَ . وغاضب عليًّا وأقام بالشّام ، وكان ذلك مما أطلَقَ لسانَ ْ الباغى(٤) والحاسد فيه . وزعموا ٦٦ أنّ قال له معاوية : هذا أبو يزيد(٥) ، لولا أنه علم أنّى خيرٌ له من أخيه لما أقام عندنا وتركه . قال [له] عقيل : « أخِى خيرٌ لى فى دينى ، وأنت خيرٌ لى فى دنياى » .

وقال له مرة بصِفّين : أنت معنا يا أبا يزيدَ الليلة(٦) . قال : ويوم بدرٍ قد كنتُ معكم .

وقال معاويةُ يوما : يا أهلَ الشام ، هل سمعتم قول الله تبارك وتعالى فى كتابه : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ ؟ قالوا : نعم . قال: فإنّ أبا لهب عمّه . فقال عَقيل : فهل سمعتم قول الله جلّ وعزّ : ﴿ وامرأتُه حَمَّالَةُ الحَطَبِ(٧) ﴾ ؟ قالوا :

---

(١) ولى ، من الولاية . والبأس : الحرب . صميم : خالصة النسب .

(٢) الديوان : « تلوذ منا لواذاً » . السيرة : « تفر منا لواذا » . لواذاً : استتارا . والحلوم : العقول .

(٣) الضمير فى « حمله » يرجع إلى « اللواء » فى بيت لم يروه الجاحظ ، وموقعه بعد بيت « ولى البأس » . وهو :

تسعة تحمل اللواء وطارت   فى رعاع من القنا مخزوم

والعواتق : جمع عاتق ، وهو ما بين الكتف والعنق . والنجوم : الأشراف المشهورون .

(٤) ما عدا ل : وكان ذلك أيضا أطلق للسان الباغى » .

(٥) أبو يزيد ، كنية عقيل بن أبى طالب .

(٦) هذه الكلمة من ل فقط .

(٧) قراءة الجمهور بالرفع . وقرأ الحسن وزيد بن على والأعرج ، وأبو حيوة وابن أبى عبلة وابن محيصن وعاصم : «حمالة » بالنصب على الذم . إتحاف فضلاء البشر وتفسير أبى حيان . وحمالة الحطب هذه هى أم جميل بنت حرب ، أخت أبى سفيان ، فهى عمة معاوية .

نعم . قال : فإنها عَمَّتُه . قال معاوية : حسبُنا ما لقِينا من أخيك .

وذكروا أنّ امرأة عَقيلٍ ، وهى فاطمةُ ابنة عتبة بن ربيعة قالت : يا بنى هاشم ، لا يحُبّكم قلبى أبداً ! أين أبى ، أين عمِّى ، أين أخى ، كأنّ أعناقَهم أباريقُ الفِضّة ، تردُ آنفُهم قبلَ شِفاهِهِم[١] . قال لها عَقيل : إذا دَخلتِ جهنّمَ فخذى على شِمالك .

وقيل لعمَر رحمه الله : فلان لا يعرف الشَّرّ . قال : ذلك أجدَرُ أن يَقعَ فيه[٢] .

قال : وسمِع أعرابىٌّ رجلاً يقرأ : ﴿ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ . تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ[٣] ﴾ قالها بفتح الكاف ، فقال الأعرابىّ : لا يكون . فقرأها عليه بضم الكاف وكسر الفاء ، فقال الأعرابىّ : يكون .

---

(١) كان العرب يتمادحون بطول الأنف ، ويتهاجون بقصرها .

(٢) انظر الحيوان (٧ : ٢٥٩) .

(٣) من كان كفر ، أى نوح عليه السلام ، إذ كان هو نعمة أهداها الله إلى قومه فكفروا بها وجحدوا نبوته . وقراءة البناء للفاعل : « كفر » صحيحة أيضاً ، قرأها زيد بن رومان ، وقتادة ، وعيسى . أى جزاء لقومه على كفرهم . فالجزاء فى الأولى بمعنى الثواب ، وفى الثانية بمعنى العقاب . انظر تفسير أبى حيان (٨ : ١٧٨) .

باب

من الشعر فيه تشبيه الشىء بالشىء

قال الشاعر :

سَرَى البرقُ مِن نحو الحجازِ فشاقَنى ... وكلُّ حِجازىٍّ له البرقُ شائِقُ
سَرَى مِثلَ نبضِ العِرقِ واللَّيلُ دونَه ... وأعلام أُبلَى كلُّها والأسالق[1]

٦٧

* وقال آخر :

أرِقتُ لبرقٍ آخرَ اللَّيلِ يلمعُ ... سَرَى دائماً حيناً يَهُبُّ ويهجعُ
سَرَى كاحتساءِ الطَّيرِ والليلُ ضاربٌ ... بأرواقِهِ والصُّبحُ قد كاد يسطعُ[2]

***

حدثنى إبراهيم بن السِّندىّ[3] عن أبيه قال : دخل شابٌّ من بنى هاشم على المنصور ، فسأله عن وفاة أبيه فقال : مَرِض أبى رضى الله عنه يوم كذا ، ومات رضى الله عنه يوم كذا ، وترك رضى الله عنه من المال كذا ، ومن الولد كذا . فانتهره الرَّبيعُ[4] وقال : بين يدَىْ أميرِ المؤمنين تُوالِى بالدُّعاء لأبيك ؟ فقال

---

(١) أبلى ، بالضم والقصر : جبال بين مكة والمدينة . والأسالق : جمع من جموع السلق ، بالتحريك ، وهو القاع المطمئن المستوى لا شجر فيه .

(٢) فى اللسان (قذى) بيت يشبه هذا ، منسوب إلى حميد بن ثور . وهو :

خفى كاقتذاء الطير والليل واضع ... بأرواقه والصبح قد كاد يلمع

(٣) سبقت ترجمته فى (١ : ٣٦٧) .

(٤) هو أبو الفضل الربيع بن يونس بن محمد بن أبى فروة كيسان ، حاجب المنصور . وكان ابن عياش المنتوف يطعن فى نسب الربيع طعنا قبيحا ويقول للربيع : فيك شبه من المسيح ! يخدعه بذلك ، فكان يكرمه لذلك ، حتى أخبر المنصور بما قاله له ، فقال : إنه يقول : لا أب لك . فتنكر له بعد ذلك . وكان أبو فروة كيسان مولى للحارث الحفار مولى عثمان بن عفان . ففى الربيع وجده يقول الحارث بن الديلمى :

=

فما علمنا أنَّ المنصور ضحك فى مجلسه ضحكا قطُّ فافترَّ عن نواجذِهِ إلا يومئذ .

وحدثنى إبراهيم بن السِّندىّ عن أبيه قال : دخل شابٌّ من بنى هاشم [(١)] على المنصور ، فاستجلسه ذاتَ يومٍ ودعا بغَدَائه ، فقال للفتى : أُدنُهْ ، قال الفتى : قد تغدَّيتُ يا أمير المؤمنين . فـكفَّ عنه الربيع حتى ظننتُ [(٢)] أنه لم يَفطِنْ لخطابه ، فلمَّا نَهَض إلى الخروج أمهلَه ، فلمّا كان من وراء السِّتر دفع فى قفاه ، فلما رأى ذلك الحُجَّابُ منه دفعوا فى قفاه حتَّى أخرجوه من الدّار ، فدخل رجالٌ من عُمومة الفتى فشكَوا الرَّبيعَ إلى المنصور ، فقال المنصور : إنَّ الربيع لا يُقدِم على مثل هذا إلا وفى يده حُجَّة ، فإن شئتمْ أغضَيتم على ما فيها ، وإن شئتمْ سألتُه وأنتم تسمعون . قالوا : فاسأله . فدعا الرَّبيعَ وقصُّوا قِصَّته ، فقال الربيع : هذا الفتى كان يسلِّم من بعيدٍ وينصرف ، فاستدناه أمير المؤمنين حتى سلَّم عليه من قريب ثم أمره بالجلوس ، ثم تبذَّل بين يديه وأكل ، ثم دعاه إلى طعامه معه [(٣)] من مائدته ، فبلغ من جهله [(٤)] بفضيلة المرتبة التى صَيَّرَه فيها أن قال [(٥)] حين دعاه إلى غَدَائه : قد تغدّيت ! فإذا ليس عندَه لمن تَغدَّى مع أمير المؤمنين إلا سَدُّ خَلَّة الجوع ، ومثل هذا لا يقوِّمُهْ القولُ دون الفعل . ٦٨

وحدثنا إبراهيمُ بن السِّندىِّ عن أبيه قال : والله إنى لَواقفٌ على رأس

= شهدت بإذن الله أن محمدا رسول من الرحمن غير مكذب
وأن ولا كيسان للحارث الذى ولى زمنا حفر القبور بيثرب

وقد انتقل الربيع من حجابة المنصور إلى الوزارة له ، ثم حجب المهدى . وهو الذى بايع المهدى وخلع عيسى بن موسى . وابنه الفضل حجب هارون ومحمداً المخلوع . وابنه العباس بن الفضل حجب الأمين . ومات فى أول ١٧٠ . تاريخ بغداد ٤٥٢١ .

(١) فى المحاسن والمساوى للبيهقى (١ : ١٢٣) أنه محمد بن عيسى بن على .

(٢) ما عدا ل : « ظننا » .

(٣) ما عدا ل : « إلى طعام ليأكل معه » .

(٤) ما عدا ل : « فبلغ به الجهل » .

(٥) ما عدا ل : « إلى أن قال » .

الرشيد ، والفَضْلُ بن الربيع واقف فى الجانب الآخر[1] والحسَنُ اللُّؤلؤىُّ[2] يحدِّثُه ويسائله عن أمور ، وكان آخر ما سأله عن بيع أُمَّهات الأولاد ، فلولا أنِّى ذكرتُ أنَّ سلطان ما وراء السِّتر للحاجب ، وسلطانَ الدَّارِ لصاحب الحَرَس ، وأنَّ سلطانى إنما هو على من خرج من حُدود الدَّار ، لقد كنت أخذتُ بضَبْعه[3] وأقمته ، فلمَّا صِرْنا وراءَ السِّتْر قلت له والفضل يسمع : أمَا والله لو كان هذا منك فى مسايرةٍ أو موقفٍ لعلمتُ أن للخلافة رجالا يصونونها عن مجلسك .

وحدَّثنى إبراهيم بن السندى قال : بينا الحسنُ اللؤلؤى فى بعض الليالى بالرَّقَّة يحدِّث المأمون والمأمون يومئذ أمير ، إذْ نعَس المأمون ، فقال له اللؤلؤىّ : نمتَ أيُّها الأمير ؟ ففتح المأمونُ عينيه وقال : سوقىٌّ والله ، خُذْ يا غلامُ بيده .

قال : وكُنَّا يومئذ عند زياد بن محمد بن منصور بن زياد ، وقد هيَّأ لنا الفضلُ ابن محمد طعاما ، ومعنا فى المجلس خادم كان لأبيهم[4] ، فجاء رسول الفضل إلى زيادٍ فقال : يقول لك أخوك : قد أدرك طعامُنا فتحوَّلوا . ومعنا فى المجلس إبراهيم النَّظَّام ، وأحمدُ بن يوسف ، وقُطربٌ النحوى ، فى رجالٍ من أُدَباء الناس وعلمائهم ، فما مِنَّا أحدٌ فطِنَ لخطأ الرسول . فأقبل عليه ميسَّر الخادم[5] ، فقال : يا ابن اللَّخْناء ، تقِفُ على رأس سيِّدك فتستفتح الكلام كما تستفتحه لرجلٍ من عُرْض الناس[6] . ألا تقول : يا سيدى ، يقول لك أخوك : ترى أن تصيرَ إلينا بإخوانك فقد تهيَّأ أمرُنا ؟

---

(١) ما عدا ل : « واقف فى الأيسر » .

(٢) هو أبو على الحسن بن زياد اللؤلؤى ، مولى الأنصار ، وأحد أصحاب أبى حنيفة والرواة عنه . كوفى نزل بغداد ، وولى القضاء بعد حفص بن غياث سنة ١٩٤ . ويروى عنه أنه كان يكسو مماليكه كما كان يكسو نفسه . وكان يضعف فى حديثه . لسان الميزان (٢ : ٢٠٨) وتاريخ بغداد ٣٨٢٧ .

(٣) الضبع ، بفتح الضاد وسكون الباء : العضد ، أو وسطه .

(٤) ما عدا ل : « وكان لابيهم » . (٥) ما عدا ل : « مبشر الخادم » .

(٦) من عرض الناس ، بالضم ، أى من أوساطهم وجمهورهم .

وابتعت خادماً كان قد خدم أهل الثروة [واليسار] وأشباهَ الملوك ، فمرَّ به خادم من معارفه ممن قد خلق الملوك فقال له : إن الأديب و إن لم يكن ملكا فقد يجب على الخادم أن يخدُمه خِدمةَ الملوك ، فانظر أن تخدُمه خِدمةً تامة . قلت
٦٩ * له : وما الخدمة التامة ؟ قال : الخدمة التامة أن تقوم فى دارك لبعض الأمر و بينك و بين نعلك[١] تمشَى خمسَ خُطًى فلا يدعَك أن تمشىَ إليها ، ولكن يأخذها و يُدنيها منك . ومَن كان يضع النَّعْلَ اليُسرَى قُدّامَ الرِّجل اليمنى فلا ينبغى لمثل هـذا أن يدخلَ على دار مَلِكٍ ولا أديب . ومن الخدمة التّامّة أن يكون إذا رأى مُتّكَأً يحتاج إلى مِخَدّةٍ ألاّ ينتظر أمرَك . و يتعاهدَ لِيقةَ الدّواة قبل أن تأمرَه أن يصبَّ فيه ماءً أو سواداً ، و ينفُضَ عنها الغُبارَ قبل أنْ يأتيَك بها . و إنْ رأى بين يديك قِرطاساً على طَيِّهِ قطع رأسَه ووضعه بين يديك على كَسْرِه . وأشباهُ ذلك .

* * *

قال : ولمّا كلّم عُروة بن مسعودٍ الثّقفى[٢] ، رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، كان فى ذلك ربّما مَسَّ لحيةَ النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقال له المغيرةُ بن شُعبة[٣] : نحِّ يدَك عن لحية رسول الله عليه السلام قبل ألاّ ترجع إليك يدُك . فقال عروة : يا غُدَرُ[٤] ، هل غَسلتُ رأسَك من غَدْرتِك إلاّ بالأمس[٥] ؟

---

(١) ما عدا ل : « وبين النعل » .

(٢) هو عروة بن مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف ابن ثقيف الثقفى . وهو عم والد المغيرة بن شعبة . وفيه نزل قول الله : « على رجل من القريتين عظيم » . قدم على الرسول سنة تسع . وقتله رجل من ثقيف . الإصابة ٥٥١٨ .

(٣) سبقت ترجمته فى (١ : ٣٢٧) .

(٤) ياغدر ، أى يا كثير الغدر ، يقال للذكر غدر ، وللأنثى غدار كقطام ، وهما مختصان بالنداء فى الغالب .

(٥) غسلت ، كذا ضبطت على الصواب بضم التاء فى اللسان (غدر) . وفيه : =

قال : ونادى رجالٌ من وفد بنى تميمٍ [١] النبىَّ صلى الله عليه وسلم باسمه من وراء الحجرات ، فأنزل الله تبارك وتعالى فى ذلك : ﴿ إِنَّ الذين يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ ﴾ . وقال الله جلَّ ذِكرُه : ﴿ لاَ تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُم كدُعاءِ بَعْضِكُم بَعْضاً ﴾ .

وقال ابن هَرْمَةَ أو غيره [٢] :

لله درُّ سَمَيْـدعٍ فَجَعَتْ به ... يومَ البَقيع حوادثُ الأيّامِ [٣]

هشٌّ إذا نزل الوفودُ ببـابه ... سهلُ الحجابِ مؤدَّبُ الْخُدّام

فإذا رأيتَ صـديقَه وشقيقَه ... لم تدرِ أيُّهما أخو الأرحام

***

قال أبو الحسن : بينا هشامٌ يسير ومعه أعرابىٌّ إذ انتهى إلى مِيلٍ عليـه كتاب ، فقال للأعرابى : انظرْ أىُّ ميلٍ هذا ؟ فنظر ثم رجع إليه ، فقال : عليه مِحْجنٌ وحَلْقَةٌ ، وثلاثة كأطباءِ الـكَلْبة ، ورأسٌ كأنه رأس قطاةٍ . فعرفه ٧٠ هشام بصورة الهجاء ولم يعرفه الأعرابىُّ ، وكان عليه « خَمْسَة » .

= « وهل غسلت غدرتك إلا بالأمس » . وقد فسر ابن هشام هذا فى السيرة ٧٤٤ جوتنجن بقوله : « أراد عروة بقوله هذا أن المغيرة بن شعبة قبل إسـلامه قتل ثلاثة عشر رجلا من بنى مالك ، من ثقيف ، فتهايج الحيان من ثقيف ، بنو مالك رهط المقتولين ، والأحلاف رهط المغيرة ، فودى عروة المقتولين ثلاث عشرة دية ، وأصلح ذلك الأمر » .

(١) كان قدوم وفد بنى تميم إلى الرسول الـكريم سنة تسع ، وكانت تلك السنة تسمى سنة الوفود . وكان رأس وفد تميم عطارد بن حاجب بن زرارة ، وفى الوفد من أشراف تميم الأقرع بن حابس ، والزبرقان بن بدر ، وعمرو بن الأهتم ، والحتات بن يزيد . فلما دخلوا المسجد نادوا رسول الله من وراء حجراته : أن اخرج إلينا يا محمد .

(٢) تروى الأبيات التالية لمحمد بن بشير الخارجى ، انظر حماسة أبى تمام (١ : ٣٣٤) فى باب المراثى ، وقد أنشد البيهقى هذه الأبيات فى المحاسن (١ : ١٢٤) بدون نسبة .

(٣) البقيع ، ويقال له بقيع الغرقد ، هو مقبرة أهل المدينة ، وهى داخل المدينة .

نوادر الأعراب

استشهدوا أعرابيًا على رجلٍ وامرأة، فقال: رأيته قد تَقَمَّصها، يحفزُها بمؤخَّره، ويجذبها بمقدَّمه، وخفِيَ عليَّ المسلك.

وقال آخر: رأيتُـه قد تبطَّنَها، ورأيتُ خلخالاً شائلاً [1]، وسمعت نفساً عالياً، ولا عِلم لى بشىء بَعْدُ.

***

وقال أعرابىٌّ: رأيت هذا قد تناوَلَ حَجراً فالتفَّ بهذا، وحجَزَ النَّاسُ بينهما، وإذا هذا يستدمِى.

***

وقال بعضهم: الشَّيب نذِيرِ الآخرة.

وقال قيس بن عاصم: الشَّيب خِطام المنيَّة.

وقال آخر: الشّيب توْأم الموت.

وقال الحـكيم: شيب الشَّعَر موتُ الشَّعَر، وموت الشَّعَر عِلَّة موت البَشَر.

وقال المعتمِر بن سُليمان: الشّيب أوّلُ مراحل الموت.

وقال السَّهمِىّ: الشّيب تمهيد الِحمَام.

وقال العَتَّابىّ: الشيب تاريخ الـكِتاب [2].

وقال النَّمرىّ: الشيب عنوان الـكِبَر.

وقال عدىُّ بن زيدٍ العِبادىُّ:

وابيضاضُ السَّوَاد من نُذُرِ المَوْ تِ وهل مثلُه لحيٍّ نذيرُ [3]

---

(١) ما عدا ل: «خلخالها شائلا». والشائل: المرتفع.

(٢) أى كتاريخ الـكتاب، إنما يكون فى آخره.

(٣) ما عدا ل: «من نذر الشر».

وقال الآخر :

أصبح الشَّيب فى المفارق شاعا   واكتسى الرَّأسُ من بياضٍ قِناعا[1]

وتولَّى الشبابُ إلاَّ قليلاً   ثم يأبى القليلُ إلاَّ نِزَاعا[2]

قال : وقال رجلٌ لأشعبَ[3] : ما شكرتَ معروفى [عندك] . قال : لأنَّ معروفَك جاء من عند غير مُحْتَسِبٍ ، فوقع إلى غيرِ شاكر . ٧١

وخفَّفَ أشعبُ الصلاةَ مرّةً فقال له بعض أهل المسجد : خَفَّفْتَ صلاتَك جِدًّا . قال : لأنه لم يخالِطْها رياء .

---

(١) البيتان فى الحيوان (٣ : ١١١) .

(٢) فى الحيوان وما عدا ل : « ثم ولى الشباب » .

(٣) هو أشعب بن جبير ، الذى يضرب به المثل فى الطمع . نشأ أشعب بالمدينة وتولت تربيته عائشة بنت عثمان بن عفان . وفى ذلك يقول : نشأت أنا وأبو الزناد فى حجر عائشة بنت عثمان ، فلم يزل يعلو وأسفل حتى بلغنا هذه المنزلة . انظر أخباره وطرائفه فى الأغانى (١٧ : ٨٣ — ١٠٥) .

كلام بعض المتكلمين من الخطباء

الحمدُ لله كما هو أهلُه، والسلام على أنبيائه الطيِّبين . أخى لا تغترَّنَّ بطول السلامة مع تضييع الشُّكر، ولا تُعمِلنَّ نعمةَ الله فى معصيته، فإنَّ أقلَّ ما يجب لمُهْديها ألاَّ تجعلَها ذريعةً فى مخالفته . واعلم أن النِّعم نَوافِر، ولقلّما أقشَعَتْ[(١)] نافرةٌ فرجعَتْ فى نصابِها، فاستدعِ شاردَها بالتَّوْبة، واستدِمِ الرّاهِنَ منها بكرَم الجِوار، واستفتِحْ بابَ المزيد بحُسْن التوكُّل، ولا تحسَبْ أنَّ سُبوغَ سِتْر نِعَمِ الله عليك غيرُ متقلِّصٍ عمّا قريب إن لم ترْجُ لله وَقاراً[(٢)] . وإنى لأخشى أن يأتيك أمرُ الله بغتةً أو لإملاء[(٣)]، فهو أَوْبأ مغبَّة[(٤)]، وأثبت فى الحجَّة، فلأن تعمل ولا تعلَم[(٥)] خير من أن تعلَم ولا تعمل . إنَّ الجاهل لم يُؤتَ من سُوء نِيَّةٍ ولا استخفاف برُبُوبيّةٍ، وليس كمن قهرته الُحجَّة وأعرب له الحقُّ مفصِحاً عن نفسِه، فآثَرَ الغفلة، والخسيسَ من الشَّهوة، على الله عزَّ وجلَّ، فأسمَحَتْ نفسُه عن الجنّة[(٦)]، وأسلَمَها لأبدِ العقوبة[(٧)] . فاستشِرْ عقلَك، وراجِعْ نفسَك، وادرُسْ نِعَمَ الله عندك، وتذكَّرْ إحسانَه إليك؛ فإنه مَجْلَبةٌ للحياء، ومَردعةٌ للشهوة، ومَشْحَذَةٌ على الطاعة؛ فقد أظلَّ البلاء أو كانْ قَدْ،

---

(١) أقشعت : أقلعت وانكشفت .

(٢) اقتباس من قول الله تعالى : « ما لكم لا ترجون لله وقارا »، أى لا تخافون لله عظمة » .

(٣) الإملاء : الإمهال والتأخير .

(٤) المغبة : العاقبة . أوبأ : أوخم . ما عدا ل : « أولى » تحريف .

(٥) ما عدا ل : « فلأن لا تعلم ولا تعمل » .

(٦) أى انقادت إلى غير ما يدخلها الجنة .

(٧) الآبد : الخالد المقيم .

فكفكِفْ عنك غَرْبَ شؤبوبه(١) ، وجوائحَ سَطْوته ، بسرعة النُّزُوع ، وطول التضرُّع . ثلاثٌ هى أسرَعُ فى العقل من النار فى يبيس العَرْفَج : إهمال الفكرة ، وطولُ التَّمنِّى ، والاستغرابُ فى الضَّحِك . إنَّ اللهَ لم يخلُق النارَ عبثاً ، ولا الجنةَ هَمَلاً ، ولا الإنسانَ سُدًى . فاعترِفْ رقَّ العُبوديَّة ، وعجزَ البَشرِيَّة ، فكلُّ زائدٍ ناقصٌ ، وكلُّ قرينٍ مفارقٌ قرينَه ، وكلُّ غنِيٍّ محتاجٌ ، وإنْ عصفتْ به الْخُيَلاء وأبطَرَه العُجْب ، وَصَالَ على الأقران ؛ فإنه مُذَالٌ مدبَّر ، ومقهور مُيَسَّر . ٧٢ إنْ جاع سَخِط المِحْنة ، وإنْ شَبِع بَطِرَ النِّعمة . تُرضِيه اللَّمحةُ فيستشرِى مَرَحًا ، وتُغْضِبه الكلمةُ فيستطير شِقَقا(٢) ، حتى تنفسخ لذلك مُنَّتُه(٣) ، وتنتقض مَرِيرتُه(٤) ، وتضطرب فريصته(٥) ، وتنتشِر عليه حُجَّتُه .

ولَلعجَبُ من لبيبٍ توبِقه الحياطة ، ويَسلَم مع الإضاعة ، ويُؤتَى من الثِّقة ، ولا يشعُر بالعاقبة . إن أهمَلَ عَمِى ، وإن عَلِم نَسى . كيف لم يتَّخذ الحقَّ مَعقِلاً يُنجيه ، والتَّوكُّلَ ذائداً يحميه . أعَمِيَ عن الدَّلالة(٦) ، وعند وُضوح الحجَّة ، أم آثَرَ العاجلَ الخسيس ، على الآجِل النَّفيس ؟ وكيف توجَد هذه الصِّفة مع صِحَّة العُقْدة(٧) ، واعتدال الفِطرة ؟ وكيف يُشيرُ رائدُ العقل ، بإيثار القليل الفانى على الكثير الباقى . وما أظنُّ الذى أقعدَكَ عن تناوُل الحظِّ ، مع قُرْب

---

(١) الغرب : الحد . وشؤبوب كل شىء : دفعته وحده .

(٢) الشقق : جمع شقة بالكسر ، وهى القطعة وفى اللسان : « ومنه حديث عائشة رضى الله عنها : فطارت شقة منها فى السماء وشقة فى الأرض . هو مبالغة فى الغضب والغيظ » .

(٣) المنة بالضم : القوة .

(٤) تنتقض : تنحل وتنتكس . والمريرة ، هى من الحبال ما لطف وطال واشتد فتله . والمراد بالمريرة هنا : الشكيمة والعزة .

(٥) الفريصة : لحمة بين الجنب والكتف ، ترتعد عند الفزع .

(٦) ما عدا ل : « عن الدلائل » .

(٧) العقدة بالضم : العقيدة والرأى . وفى الحديث : « أن رجلا كان يبايع وفى عقدته ضعف » أى فى رأيه ونظره فى مصالح نفسه .

مَجْناه ، حتى صار لا يَثْنيك زجرُ الوَعيد ، ولا يكدح فى عَزَماتك فوتُ الجَنَّة[١] ، وحتى ثقُلتْ على سمعك الموعظة ، ونبَتْ عن قلبك العِبْرَة[٢] إلا طُولُ مجاوَرةِ التقصير ، واعتيادُ الراحة ، والأُنْس بالهُوَينى ، وإيثارُ الأخفِّ ، وإلفُ قَرينِ السَّوْء . فاذكر الموتَ وأدِمِ الفِكرةَ فيه ؛ فإنّ من لم يعتبر بما يرى لم يَعتبر بما لا يرى . وإن كان ما يوجد بالعِيان من مواقع العِبرة لا يكشفُ لك عن قبيح ما أنت عليه ، وهُجْنة ما أصبحتَ فيه ، من إيثار باطلك على حقِّ الله ، واختيار الوَهْن على القوَّة ، والتفريطِ على الحَزْم ، والإسفاف إلى الدُّون[٣] ، واصطناعِ العار ، والتعرُّضِ المقْت ، وبسطِ لسان العائب — فمستنبَطاتُ الغيب[٤] أحرَى بالعجْز عن تحريكك ، ونَقْلِك عن سُوء العادة التى آثرْتَها على ربِّك . فاستَحْيِ لِلُبِّك ، واستبقِ ما أفضلَ الخِذْلانُ من قوّتك ، قبل أن يستولِيَ عليك الطبَع ، ويشتدّ بك العجْز[٥] . أوَ ما علمتَ أنّ المعصية تُثمِر الذِّلّة ، وتَفُلّ غَرْبَ اللِّسان ، مع السَّلاطة . بل ما علمتَ أن المستشعِرَ بذُلِّ الخطيئة ،

٧٣ المخرجَ نفسَه من كَنَف العِصمة ، المتحلِّيَ بدنَس الفاحشة ، نَطِفُ الثَّناء[٦] ، زَمِرُ المروءة[٧] ، قَصِيُّ المجلس ، لا يُشاوَر وهو ذو بَزْلاء[٨] ، ولا يُصدَّر وهو جميل الرُّواء[٩] ؛ يُسالم مَن كان يسطو عليه ، ويَضرَع لمن كان يرغَبُ إليه . يَجْذَلُ

---

(١) يكدح : يؤثر . ما عدا ل : « يقدح » وهما بمعنى .

(٢) نبت عنه : زايلته وتجافت عنه . ما عدا ل : « نئت » ولعل هذه « نأت » .

(٣) أسف إلى الدون : نزل إليه . ما عدا ل : « والإشفاق على الدون » ، تحريف جره توهم السياق المزاوجة إلى هنا .

(٤) مستنبطات الغيب : مستخرجاته وما يظهر منه .

(٥) ما عدا ل : « ويشتد عليه العجز » .

(٦) النطف : الملطخ المتهم . والثناء : ماتصف به الإنسان من مدح أو ذم . وخص بعضهم به المدح .

(٧) زمر المروءة : قليلها .

(٨) البزلاء : الرأى الجيد ، والعقل .

(٩) يصدر : يجعل فى الصدر والمقدم . والرواء ، بالضم : المنظر ، ومادته (رأى) .

بحاله المبغِضُ الشانئُ(١)، ويُثلَب بقربه القريب الدانى(٢)، غامض الشَّخْص(٣) ضئيل الصوت، نَزْرُ الكلام متلجلج الحُجَّة، يتوقَّع الإسكاتَ عند كلّ كلمةٍ(٤)، وهو يَرَى فضلَ مزِيّته وصريحَ لُبّه، وحُسن فضيلتِه، ولكنْ قطعَهُ سوءُ ما جنى على نفسه، و[لو] لم تطَّلع عليه عيون الخليقة لهجست العقولُ بإدْهانه(٥). وكيف يمتنع من سقوط القَدْر وظنِّ المتفرِّس، مَن عرِىَ عن حِلْية التقوى، وسُلِبَ طابعَ الهُدَى. ولو لم يَتغشَّه ثوبُ سريرته، وقبيحُ ما احتجن إليه من مخالفته ربَّه(٦)، لأضرعَتْه الحجَّة(٧). ولفسخَه وهْنُ الخطيئة، ولقطعه العِلمُ بقبيح ما قارف(٨)، عن اقتدارِ ذوى الطَّهارة فى الكلام، وإدلالِ أهل البَراءة فى النديّ(٩). هذه حالُ الخاطئ فى عاجل الدُّنيا؛ فإذا كان يومُ الجزاء الأكبرِ فهو عانٍ لا يُفَكّ(١٠)، وأسيرٌ لا يُفادَى، وعاريّةٌ لا تؤدَّى. فاحْذَرْ عادةَ العجز وإلف الفكاهة(١١)، وحبَّ الكفاية، وقلَّة الاكتراث للخطيئة، والتأسُّفَ على الفائت منها، وضعفَ النَّدمِ فى أعقابها.

أخى، أنعَى إليك القاسىَ(١٢)، فإنه ميِّت وإن كان متحرِّكا، وأعمَى وإن

---

(١) يجذل: يشتد سروره، وذلك شماتة به.

(٢) يثلب: يعاب وينتقص.

(٣) فى الأصل: «الشقص»، صوابه من سائر النسخ.

(٤) الإسكات: السكوت. قال أوس بن حجر:

لنا طرقة ثم إسكاتة كما طرقت بنفاس بكر

(٥) الإدهان: الغش والمصانعة. ما عدا ل: «بأذهانه».

(٦) احتجن الشيء إليه: ضمه وأمسكه. ما عدا ل: «من مخالفة ربه».

(٧) أضرعته: أخضعته وأذلته.

(٨) قارف الذنب: قاربه. ل فقط: «قارب».

(٩) الندى والنادى: مجلس القوم.

(١٠) العانى: الأسير، سمى بذلك لخضوعه.

(١١) الفكاهة، بالفتح مصدر، وبالضم الاسم، وهى المزاح وطيب النفس.

(١٢) ما عدا ل: «العانى».

كان رائياً . واحذر القَسْوَةَ فإنها رأسُ الخطايا ، وأمارة الطَّبَع [١] . وهى الشَّوهاء العاقر ، والداهيةُ العُقام . وأراكَ ترتكض فى حبائلها [٢] ، وتستقبس من شَرَرها . ولا بأس أن يعظ المُقصِّرُ مالم يكن هازلاً . ولن يَهلِكَ امرؤٌ عَرف قَدْرَه . ورُبَّ حامِلِ عِلمٍ إلى مَن هو أعلم منه . علَّمنا الله و إياكم ما فيه نجاتُنا ، وأعاننا و إياكم على تأدية ما كُلِّفْنا . [والسَّلام]

* * *

قال : قلت لِحُبَاب [٣] : إنكَ لتكْذِب فى الحديث . قال : وما عليك إذا كان الذى أزيدُ فيه أحسنَ منه . واللهِ ما ينفعُك صدقُه ولا يضرُّك كذبُه . وما يدور الأمرُ إلاَّ على لفظٍ جيِّد ومعنًى حسن . ولكنَّك والله لو [أردتَ]
٧٤ ذلك لتتلجلج لسانُك ، ولذهَب كلامك .

وقال أبو الحسن : سَمِع أعرابىٌّ مؤذِّناً يقول : « أشهد أنَّ محمداً رسولَ اللهِ » . قال : يفعل ماذا ؟

قال : وكان يقال : أوّل العِلمِ الصَّمت ، والثانى الاستماع ، والثالث التحفظ ، والرابع العمل به ، والخامس نشْرُه .

أبو الحسن قال : قرأ رجلٌ فى زمن عمر [بن الخطاب] رحمه الله : فإن زَلَلْتم من بعد ما جاءتكم البيِّناتُ فاعلموا أنَّ الله غفورٌ رحيم [٤] . فقال أعرابىٌّ : لا يكون .

قال : ودخل على المهدىِّ صالحُ بن عبد الجليل ، فسأله أن يأذن له فى

---

(١) الطبع ، بالتحريك : تلطخ القلب بالأدناس .

(٢) ركض الطائر وارتكض : اضطرب . ما عدا ل : « تركض » .

(٣) هو حباب بن جبلة الدقاق ، متهم بالكذب ، وهو ممن روى عن مالك بن أنس . توفى سنة ٢٢٨ . لسان الميزان (٢ : ١٦٤) وتاريخ بغداد ٤٣٨٢ .

(٤) الآية ٢٠٩ من سورة البقرة . والتلاوة : « فاعلموا أن الله عزيز حكيم » .

الكلام ، فقال : تكلم . فقال : إنّا لمّـا سهُلَ علينا ما توعَّر على غيرنا من الوصول إليك قمنا مَقام الأداء عنهم وعن رسول الله صلى الله عليـه وسلم ، بإظهار ما فى أعناقنا من فريضة الأمر والنهى ، عند انقطاع عُذْر الكتمان فى التَّقيَّة ، ولا سيَّما حين اتَّسَمْتَ بميسم التواضُـع ، ووَعَدْتَ اللهَ وحَمَلَةَ كتابه إيثارَ الحقّ على ما سواه . فجمعنا و إياك مَشهدٌ من مشاهد التمحيص ، ليتمّ مُؤَدِّينا على موعود الأداء عنهم ، وقابلنا على موعود القَبول ، أو يُردَّنا تمحيصُ الله إيّانا فى اختلاف السِّرِّ والعـلانية ، ويحلِّينا حليةَ الكاذبين[١] ؛ فقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون : مَن حجب الله عنه العِلم عذَّبه على الجهل ، وأشدُّ منه عذاباً مَن أقبل عليه العلمُ وأدبَرَ عنه . ومَن أهدى الله إليه علماً فلم يَعمل به فقد رغِب عن هديّة الله وقصَّرَ بها . فاقبَلْ ما أهدى الله إليك على ألسنتنا[٢] قبولَ تحقيقٍ وعمل ، لا قَبولاً فيـه سُمْعةٌ ورِياء[٣] ؛ فإنه لا يُعْدِمُك منَّا إعلامٌ بما تجهل[٤] ، ومُواطأة على ما تعلم ، أو تذكيرٌ لك من غفلةٍ . فقد وطّنَ الله جلّ وعزّ ، نبيَّه عليه السـلام على نزولها تعزيةً عمّا فات ، وتحصيناً من التّمادِى ، ودلالةً على المخرج ، فقال : ﴿ و إمّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّـيْطانِ نَزْغٌ فاستَعِذْ باللهِ إنّهُ هُوَ السَّميع العليم[٥] ﴾ . فأطْلِـعِ اللهَ على قلبك بما يُنوِّرُ به القـلوب ، من إيثار الحقّ ومنابذة الأهواء ؛ فإنّك إن لم تفعل ذلك يُرَ أثرك وأثرُ الله عليك فيه . ٧٥
ولا حولَ ولا قوّةَ إلا بالله .

---

(١) ما عدا ل : « بحلية الكاذبين » .

(٢) ما عدا ل : « من ألسنتنا » .

(٣) السمعة ، بالضم : ما سُمِّع به رياء ليسمع . يقال : فعل ذلك رياء وسمعة ، أى ليراه الناس ويسمعوا به .

(٤) يقال أعدمه الشىء ، إذا لم يجده . ما عدا ل : « لا يخلفك منا إعلام لما تجهل » .

(٥) الآية ٣٦ من سورة فصلت . والنزغ: الإغراء والوسوسة . وفى سورة الأعراف ٢٠٠ : « وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم » .

قال : ودخَل رجلٌ على معاوية ، وقد سقطت أسنانُه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّ الأعضاء يرِثُ بعضها بعضاً . والحمد لله[١] الذى جعلك وارثَها ولم يجعلْها وارثتَك .

* * *

وحدّثنا إسماعيلُ بن عُلَيَّة قال : حدّثنا زياد بن أبى حسان ، أنه شهد عُمَرَ بن عبد العزيز رحمه الله حين دفن ابنَه عبد الملك ، فلما سُوِّىَ عليه قبرُه بالأرض — وجعلوا فى قبره خشبتَين من زيتونٍ ، إحداهما عند رأسه ، والأخرى عند رجليه ، ثم جعل قبره بينه و بين القبلة — واستوى قائماً وأحاط به الناس فقال :

رحمك الله يا بُنَىَّ ، فلقد كنتَ بَرًّا بأبيك ، وما زلتُ مُذْ وهبك الله لى بك مسروراً . ولا والله ما كنتُ قطُّ أشدَّ بك سروراً ، ولا أرْجَى لحظِّى من الله فيك ، منِّى مُذْ وضعتُك فى هذا الموضع الذى صيَّرك الله إليه . فغفر اللهُ ذنبَك ، وجزَاك بأحسنِ عمَلِك[٢] ، وتجاوَزَ عن سيِّئتك[٣] ورحم اللهُ كلَّ شافعٍ يشفع لك بخيرٍ من شاهدٍ أوْ غائب . رَضِينا بقضاء اللهِ ، وسلَّمْنا لأمره . فالحمدُ للهِ ربِّ العالمين . ثمّ انصرف .

* * *

حدّثنى محمد بن عُبيد الله بن عمرو[٤] قال أخبرنى طارق بن المبارك عن أبيه

---

(١) ما عدا ل : « فالحمد لله » .

(٢) ما عدا ل : « وجازاك بأحسن عملك » .

(٣) ما عدا ل : « عن سيئاتك » .

(٤) ما عدا ل : « بن عمر » . وفى الأغانى (٤ : ٩٤) : « محمد بن عبد الله ابن عمرو » .

قال : قال لى عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة(١) : جاءت هذه الدَّولةُ وأنا حديثُ السِّنِّ ، كثيرُ العِيال ، منتشِر الأموال ، فكنتُ لا أكونُ فى قبيلةٍ إلا شُهِرَ أمرى ، فلمَّا رأيتُ ذلك عزمتُ على أن أفدِىَ حُرَمِى بنفسى . قال المبارك : فأرسَلَ إلىَّ(٢) : أن وافِنى عند باب الأمير سليمان(٣) . قال : فأتيته فإذا عليه طيلسانٌ أبيضُ مُطْبَقٌ(٤) ، وسراويلُ وشيٍ مسدولة . قال : فقلت : سبحان الله ، ما تَصنع الحداثةُ بأهلها(٥) ، إن هذا ليس لباسَ هذا اليوم . قال : لا والله ، ولكن ليس عندى ثوبٌ إلاَّ أشهرَ مما ترى(٦) . قال : فأعطيتُه طيلَسانى وأخذتُ طيلسانَه ، ولويتُ سراويلَه إلى رُكبَتَيه . قال : فدخل ثم خرجَ إلىَّ مسروراً .

٧٦ قال : قلت : حدِّثنا ماجرى بينك وبينَ الأمير . قال : دخلتُ عليه ولم يرَنى قبلَ ذلك ، فقلت : أصلح الله الأمير ، لفظتنى البِلادُ إليك(٧) ، ودلَّنى فضلُك

---

(١) فى الأغانى : « جاءنى رسول عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة فقال لى : يقول لك عمرو » .

(٢) بدل هاتين الكلمتين فى الأغانى : « وأنا صائر إلى باب الأمير سليمان بن على ، فصر إلى » . مع حذف الجملة التى بعدهما .

(٣) هو سليمان بن على بن عبد الله بن العباس ، من عمومة أبى العباس السفاح . ولى سليمان البصرة وعمان والبحرين لأبى جعفر . وتوفى بالبصرة سنة ١٤٢ . المعارف ١٦٤ .

(٤) الطيلسان والطيلس : ضرب من الأكسية ، فارسى معرب . وقيده فى التكملة بأنه أسود ، واستدل بقول المرار :

فرفعت رأسى للخيال فما أرى   غير المطى وظلمة كالطيلس

وقد فسره فى المعيار بأنه « ثوب يلبس على الكتف » أو « ثوب يحيط بالبدن ينسج للبس ، خال عن التفصيل والخياطة » . وأما أدى شير ففسره بأنه « كساء مدور أخضر لا أسفل له لحمته أو سداه من صوف ، يلبسه الخواص من العلماء والمشايخ . وهو من لباس العجم » . قلت : هو فى الفارسية : « تالسان » أو « تالشان » بكسر اللام فيهما . وقد فسره استينجاس ٢٦٧ أنه غطاء للرأس يحيط به ويتدلى منه طرف إلى أسفل . وقد ذكر أيضا فى ٨٢٤ « طيلسان » مشيرا إلى أنه مأخوذ من العربية ، وذكر من بين معانيه « العباءة » أو « الرداء » أو « غطاء للكتف » : Tippet . فكأن اللفظ أخذ من الفارسية ثم عاد إليها بمعنى آخر .

(٥) أى حداثة السن .

(٦) ما عدا ل : « أشهى » تحريف .

(٧) فى الأصول : « لفظنى البلاء إليك » ، والوجه ما أثبت فى الأغانى .

عليك ، فإمّا قبلتَنى غانماً و إمّا رددتَنى سالما . قال : ومَن أنتَ أعرفك[١] . قال : فانتسبت له ، فقال : اقعدْ فتكلَّمْ غانماً سالما . ثم أقبَلَ علىَّ فقال : حاجتَك يا ابنَ أخى[٢] قال : قلتُ : إن الحُرَم اللاتى أنت أقربُ الناس إليهنَّ معنا ، وأولى الناس بهنَّ بعدنا ، قد خِفْنَ بخوْفِنا . ومَن خاف خِيف عليه . قال : فوالله ما أجابنى إلا بدموعه على خدَّيه . قال : يا ابن أخى ، يُحْقَن واللهِ دمُك[٣] ، وتُحفَظ حرمُك ، و يُوفَّر عليك مالُك ، ولو أمكننى ذلك فى جميع قومك لفعلت . قال : فقلتُ : أ كون مُتوارياً أو ظاهراً ؟ قال : كن متوارياً كظاهر[٤] . فكنت واللهِ أ كتبُ إليه كما يكتب الرَّجُل إلى أبيه وعمِّه . قال : فلما فرغ من الحديث رددتُ إليه طيلسانَه ، فقال : مهلاً ، إنَّ ثيابَنا إذا فارقَتْنا لم تَرْجِعْ إلينا .

---

(١) فى الأغانى : « ما أعرفك » .

(٢) ل : « يا ابن أختى » فى هذا الموضع وتاليه .

(٣) فى الأغانى وما عدا ل : « يحقن الله دمك » .

(٤) زاد بعده فى الأغانى : « وآمنا كخائف ، ولتأتنى رقاعك » .

ومن أحاديث النوكى

حديث أبى سعيد الرفاعى[1] : سُئل عن الدُّنيا والدائسة[2] ، فقال : أمّا الدُّنيا فهذه التى أنتم فيها ، وأما الدَّائسة فهى دارٌ أخرى بائنةٌ من هذه الدَّار ، لم يَسمع أهلُها بهذه الدَّار ولا بشىء من أمرها ، وكذلك نحنُ لم نسمع بشىء من أمرها[3] ، إلاّ أنّه قد صحّ عندنا أن بيوتهم من قِثّاء ، وسقوفهم من قِثّاء وأنعامَهم من قِثّاء ، وخيلَهم من قِثّاء ، وهم فى أنفسهم من قِثّاء ، وقِثّاؤهم أيضاً من قِثّاء . قالوا له : يا أبا سعيد ، زعمتَ أنّ أهلَ تلك الدّار لم يَسمَعوا بهذه الدار ولا بشىء من أمرها ، وكذلك نحن لهم ، وأراك تُخبرنا عنهم بأخبارٍ كثيرة . قال : فمن ثَمَّ أعجَبُ زيادةً .

قالوا : ذَمَّ رجلٌ عند الأحنف الـكَمْأةَ بالسَّمن ، فقال الأحنف : « رُبَّ مَلومٍ لا ذنبَ له[4] » .

عبد الله بنُ مسلم ، عن شَبَّةَ بن عِقالٍ[5] ، أنّ رجلاً قال فى مجلس عُبيد الله 77
ابن زياد : ما أطيبُ الأشياء ؟ فقال رجلٌ : ما شَىءٌ أطيبَ من تمْرةٍ نِرْسِيانٍ[6] كأنها من آذان النَّوكى[7] ، عَلَيْتَها بزُبدة .

---

(١) ما عدا ل : « حديث عن أبى سعيد الرفاعى أنه » .

(٢) كلمة « الدائسة » لا أصل لها . وإنما تندر سائله بهذه اللفظة ليستخرج منه ما يضحك .

(٣) من « وكذلك » إلى هنا ساقط مما عدا ل .

(٤) فى الحيوان (١ : ٢٤) : « رب مذموم » .

(٥) هو شبة بن عقال المجاشعى ، من مجاشع رهط الفرزدق . وكان شبة شاعراً وخطيباً . سبقت ترجمته فى (١ : ١٢٧) . ما عدا ل : « شيبة بن عقال » تحريف .

(٦) النرسيان ، بكسر النون : ضرب من التمر يكون أجوده . وأهل العراق يضربون الزبد بالنرسيان مثلا لما يستطاب . ما عدا ل : « برسيان » تحريف . ويقال تمرة نرسيان ، بالإضافة . وابن قتيبة يقول تمرة نرسيان بالتنوين ، يجعلها صفة أو بدلا .

(٧) أى مفرطة فى الصغر . قال فليمون الحكيم فى كتاب الفراسة ٢٩ : «اعلم أن=

وقال أوس بن جابر[١] لابن عامر[٢] :

ظَلّت عُقَابُ النُّوكِ تخفِقُ فوقَه   رِخْوٌ طَفاطِفُه قديمُ الملعبِ[٣]

قد ظَلّ يُوعِدنى وعينُ وَزيرِه   خضراء خاسفة كعين العقربِ[٤]

يعنى بوزيره عبد الله بن عُمير الليثى[٥] ، وكان أخاه لأمّه ، أُمُّهما دَجاجة بنت أسماء السُّلَمِيَّةُ .

وقال ابن مُناذِر[٦] ، فى خالد بن عبد الله بن طَلِيقٍ الخُزَاعىّ[٧] ، وكان المهدىُّ استقضاه وعَزَل عُبيدَ الله بن الحسن العنبرىّ[٨] :

= إفراط صغر الأذنين من آيات الحمق وسوء الفهم وقلة العلم ، وأنه قلما يعدم صغير الأذنين الغدر وكثرة الشر . وأن عظم الأذنين من أعلام الحرص وصغر الهمة والدناءة . وأن أحسن الآذان أذنا وخلقة المرتفعة غير العظيمة ولا الصغيرة ، فإن رأيتها كذلك فاعلم أن هناك فطنة وعقلا وعلما ، وأن صاحبها خليق للشدة والصرامة » .

(١) ما عدا ل : « أوس بن جار » .

(٢) هو عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة ، المترجم فى (١ : ٣١٧) . ولد على عهد الرسول . وأمه دجاجه بنت أسماء بن الصلت السلمية . وكانت عند عمير بن قتادة الليثى يوم الفتح خمس نسوة فقال له الرسول : فارق إحداهن . ففارق دجاجة فتزوجها عامر فولدت له عبد الله ، الإصابة ٦١٨٥ .

(٣) النوك ، بالضم والفتح : الحمق . والعقاب ، هاهنا : الراية . عنى أنه مشهور الحمق . والطفاطف : جمع طفطفة بكسر الطاءين ، وهى مارق من الجلد من طرف الكبد . وكل لحم مضطرب طفطفة .

(٤) عنى بخضرة عينيه شدة عداوته . والعرب تجعل زرقة العين وخضرتها مثلا للعداوة وذلك لأن أعداء العرب الروم وكانوا زرق العيون . وفى اللسان : « الزرقة خضرة فى سواد العين » . خاسفة : غائرة . ما عدا ل : « خاشعة » تحريف .

(٥) هو عبد الله بن عمير بن قتادة الليثى . ذكره ابن حجر فى الإصابة ٦٦١٧ والصفدى فى نكت الهميان ١٨٤ وقال : « وهو صحابى يعد فى أهل المدينة . وكان أعمى يؤم قومه بنى خطمة . وجاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أعمى » .

(٦) هو محمد بن مناذر ، المترجم فى (١ : ١٨) .

(٧) هو خالد بن طليق ، الذى مضت ترجمته فى ص ٥٨ من هذا الجزء . ولعل « عبد الله » مقحم فى نسبه .

(٨) ترجم فى (١ : ١٢٠) .

أتَى دهرُنا والدّهرُ ليس بمُعْتِبِ   بآبدةٍ والدّهرُ جمٌّ الأوابدِ (١)

بعزْلِ عُبيــدِ الله عنّا فيا لهُ   خلافاً وباستعمال ذى النَّوكِ خالدِ

بحَـيْرانَ عن قصْد الطريق تَرُدُّه   خيانةُ سَــلّامٍ ولحية فايدِ (٢)

[أذلك من ريب الزّمان وصَرفِهِ   وأحداثه أم نحن فى حُلم راقد]

وقال أيضاً :

قُلْ لأمير المؤمنيــن الذى   مِن هاشمٍ فى سِرِّها واللُّبابْ

إنْ كنت للسَّخْطةِ عاقبتنا   بخالدٍ فهْوَ أشدُّ العذابْ

أصمُّ أعمَى عن سبيل الهُدَى   قد ضَرَبَ الجهلُ عليه حجاب

يا عجباً مِن خالدٍ كيف لا   يُخطئُ فينا مَرةً بالصَّوابْ

وقال :

خالدٌ يحكم فى النّا   سِ بحكم الجاثَليقِ (٣)

يا أبا الهيْثمِ ما كنْــت لهذا بخليــقِ

٧٨ أىُّ قاضٍ أنت للظُّلْــمِ وتعطيلِ الحُقوقِ (٤)

لا ولا أنتَ لما   حُمِّلتَ منه بمطيقِ (٥)

وقال :

يَقطع كَفَّ القاذف المفترِى   ويجلد اللِّصَّ ثمانينا

---

(١) يقال أعتبه ، أى أرضاه . كأنه أزال عتبه . والأوابد : الدواهى .

(٢) قصد السبيل : استقامته . ترده ، أى عن الاستقامة . ما عدا ل : « تصده » .

(٣) فى الأغانى (١٧ : ٢٤) :

أصبح الحاكم بالنا   س من آل طليق

جالسا يحكم فى النا   س بحكم الجاثليق

والجاثليق ، بفتح الثاء : رئيس من رؤساء النصارى يكون تحته المطران ، ثم الأسقف ، ثم القسيس ، ثم الشماس .

(٤) هذا البيت لم يروه أبو الفرج .

(٥) فى الأغانى وما عدا ل : « ولا كنت لما » .

[سَقياً ورَعياً لكَ من حاكمٍ   يُحيى لنا السُّنَّةَ والدِّينا]

وقال زُهرَةُ الأهوازىّ :

ياقوم مَن دَلّ على عالمٍ   يعلمُ ماحَدُّ حِرٍ سارقِ

وقال آخر :

وإنّى لمَضّاءٌ على الهول واحداً   ولو ظلّ ينهانى أخيفشُ شاحجُ
تُشَبَّهُ للنوكى أمورٌ كثيرةٌ   وفيها لأكياس الرِّجال مَخارجُ

وقال آخر :

ولا يعرِفون الشَّرَّ حتى يصيبَهُمْ   ولا يعرِفون الأمرَ إلاّ تدبُّرا [١]

وقال آخر :

إذا ظَعَنوا عن دارِ ضيمٍ تَعاذَلُوا   عليها وردُّوا وفدهم يستقيلُها

وقال النابغة :

ولا يحسِبون الخيرَ لا شرَّ بعدَه   ولا يحسبون الشرَّ ضربةَ لازبِ [٢]

والعرب تقول : « أخزَى اللهُ الرّأى الدَّبَرِىَّ [٣] »

وقالوا : وجَّه الحجاج إلى مطهَّر بن عمّار بن ياسرٍ ، عبدَ الرحمن بن سُلَيم الكلبى ، فلما كان بحُلوانَ أتبعه الحجّاجُ مَدَداً ، وعَجّل عليه بالكتاب مع تُخَيتِ الغَلَطِ [٤] — وإنّما قيل له ذلك لكثرة غلطه — فمرّ تُخَيتٌ بالمَدَد وهم

---

(١) البيت لجرير فى ديوانه ٢٤٦ واللسان (دبر) برواية :

فلا تتقون الشر حتى يصيبكم   ولا تعرفون الأمر إلا تدبرا

يقال عرف الأمر تدبرا ، أى بأخرة ، بعد فوات وقته .

(٢) ديوان النابغة ٩ . وصفهم بالاعتدال ، فإذا أصابهم خير لم يثقوا بدوامه فيبطروا ، وإذا أصابهم شر لم يرهقهم وأيقنوا أنه لا يدوم عليهم .

(٣) الرأى الدبرى : الذى لا يكون بعد فوات الأمر ، وهو بفتح الدال والباء .

(٤) ماعدا ل : « تحيت » بالحاء المهملة ، فى هذا الموضع وتاليه .

يُعْرَضُون بخانِقين[1] فلما قدم على عبدالرحمن قال له : أين تركتَ مَدَدَنا ؟ قال : تركتهم يُخْنَقُون بعارِضِين . قال : أو يُعْرَضُون بخانقين . قال : نعَم ، اللّهمَّ لاتُخانِقْ فى بارِكين !

ولما ذهب يجلس ضَرَطَ ، وكان عبدالرحمن أراد أن يقول له : ألا تَغَدَّى ؟ فقال : ألا تَضْرِط . قال : قد فعلتُ أصلحك الله . قال : ماهذا أردتُ . قال : صدقت ولكن الأمير غلط كما غلطنا ° [فقال : أنا غلطت من فمى ، وغلط ٧٩
هو من استه] .

(١) خانقين ، بكسر النون والقاف : بلدة من نواحى السواد فى طريق همذان من بغداد .

باب[١]

من البَلَهِ الذى يعترى من قِبَلِ العبادة وترك التمرُّض للتجارب

وهو كما قال أبو وائل : أسمعكم تقولون : الدَّانق والقِيراط ، فأيُّما أكثر ؟ قالوا : وكان عامرُ بن عبد الله بن الزُّبير[٢] فى المسجد ، وكان قد أخذ عطاءه فقام إلى منزله ونسِيَه ، فلمّا صار فى منزله وذكرَهُ بعث رسولاً ليأتيه به ، فقيل له : وأينَ تجدُ ذلك المال ؟ فقال : سبحان الله ، أوَ يأخذ أحدٌ ما ليس له .

أبو الحسن قال : قال سَعيد بنُ عبدِ الرحمن الزُّبيرى[٣] ، قال : سُرِقتْ نعلُ عامر بن عبد الله الزُّبيرى فلم يتَّخِذْ نعلاً حتَّى مات ، وقال : أكره أن أتَّخِذ نعلاً فلعلَّ رجلاً يسرقُها فيأثَم .

وقالوا : إنَّ الخلفاء والأئمّة أفضلُ من الرعيّة ، وعامّة الحكّام أفضلُ من المحكوم عليهم ولهم ؛ لأنَّهم أفقَه فى الدِّين وأقْوَم بالحقوق ، وأردُّ عَنِ المسلمين[٤] وعِلْمهم بهذا أفضلُ من عبادة العُبَّاد ؛ لأنَّ نفعَ ذلك لايعدو قِمَمَ رءوسهم ، ونفعَ هؤلاء يَخُصُّ ويعمّ .

والعِبادةُ لا تُدَلِّه ولا تورثُ البَلَه إلاّ لمن آثرَ الوحدة ، وتَرَكَ معاملة

---

(١) ما عدا ل : « باب » فقط

(٢) هو عامر بن عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدى ، أحد ثقات الحديث ، من التابعين ، وكان عابدا فاضلا ، وله أحاديث يسيرة . توفى سنة ١٢١ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٢ : ٨٤) .

(٣) هو أبو شيبة سعيد بن عبدالرحمن بن عبد الله الزبيرى الزبيدى الكوفى ، قاضى الرى روى عن مجاهد ، وابن جبير ، والنخعى ، وعنه الثورى ، وعبد الواحد بن زياد . توفى سنة ١٥٦ . تهذيب التهذيب .

(٤) ما عدا ل : « على المسلمين » .

النّاس ، ومُجالَسَةَ أهلِ المعرفة . فمن هنالك صاروا بُلْهاً[١] ، حتّى صار لا يجىء مِن أعْبَدِهِم حاكمٌ ولا إمام .

وما أحسَنَ ما قال أيّوبُ السِّخْتِيانىّ[٢] ، حيث يقول : « فى أصحابى مَن أرجو دعوتَه ولا أقبل شهادته » . فإذا لم يُجزْ فى الشَّهادة كانَ مِن أن يكون حاكماً أبعد .

وقال الشاعر :

وعاجزُ الرّأيِ مِضياعٌ لفُرصته ... حتّى إذا فات أمرٌ عاتب القدَرا[٣]

ومِن غير هذا الباب قولُه :

إذا ما الشَّيخُ عُوتب زاد شرًّا ... ويُعتِب بعد صَبْوته الوليدُ[٤]

وقال علىُّ بنُ أبى طالب رضى الله عنه : « مِن أفضل العبادة الصَّمتُ وانتظار الفرَج » . وقال الشاعر :

إذا تضايقَ أمرٌ فانتظِرْ فرجًا ... فأضيقُ الأمرِ أدناهُ من الفرَجِ[٥] ٨٠

وقال الفرزدق :

أبى وسَعداً كالحُوارِ وأمِّه ... إذا وطئته لم يَضِرْهُ اعتمادُها[٦]

وقال أعرابىٌّ :

تُبَصِّرُنى بالعَيش عِرسى كأنّما ... تُبصِّرنى الأمرَ الذى أنا جاهلُه

يعيش الفتى بالفقر يومًا وبالغنى ... وكُلٌّ كأنْ لم يَلْقَ حين يزايلُه

---

(١) البله : جمع أبله . ما عدا ل : « بلهاء » تحريف .

(٢) هو أيوب بن أبى تميمة السختيانى ، المترجم فى (١ : ١٩٢) .

(٣) أنشده ابن قتيبة فى عيون الأخبار (١ : ٣٤/٢ : ١٤١) .

(٤) يعتب : يرضى ؛ أعتبه : أرضاه . والصبوة : الميل إلى الجهل واللهو .

(٥) أنشده ابن قتيبة فى عيون الأخبار (٢ : ٢٨٧) .

(٦) اعتمادها ، أى اتكاؤها عليه . والبيت أثبته جامع ديوان الفرزدق ص ٢١٦ نقلا عن الجاحظ .

وقال آخر :

شهدتُ وبيتِ الله أنكَ بارد الـثَّـنايا لذيذٌ لَثْمُها حين تُلْثَمُ

وقال آخر (١) :

اللهُ يعـــلمُ يا مغيرةُ أنَّنى ... قد دُسْتُها دَوْسَ الحصانِ الْهَيْكلِ (٢)

وأخذتها أخْـــذَ المقصِّبِ شاتَه ... عَجْـلانَ يَشْوِيها لقومٍ نُزَّلِ (٣)

وقال آخر :

شَهِدْتُ وبيتِ الله أنّك بارد الـثّـنايا وأن الـكَشْحَ منك لطيفُ (٤)

وأنّك مشبوحُ الذّراعين خلجمٌ ... وأنّك إذ تخلو بهنَّ عنيفُ (٥)

وقال آخر :

فهـلاّ من وزانٍ أو حُصينٍ ... حميتمْ فَرْجَ حاصنةٍ كَعَابِ (٦)

(١) هو العجاج ، كما فى اللسان (فتح) . وكانت زوجه الدهناء بنت مسحل قد رفعته إلى المغيرة بن شعبة فقالت له : أصلحك الله ، إنى منه بجمع — أى لم يفتضنى — فقال العجاج هذا الشعر ، فأجابته بقولها :

والله لا تمسكنى بشم ... ولا بتقبيل ولا بضم

إلا برعزاع يسلى همى ... تسقط منه فتخى فى كمى

ومما قاله هو أيضا ، ما أنشده فى اللسان (هكل) :

أظنت الدهنا وظن مسحل ... أن الأمير بالقضاء يعجل

عن كسلاتى والحصان يكسل ... عن السفاد وهو طرف هيكل

(٢) الهيكل : الفرس الطويل الضخم .

(٣) المقصب : القصاب ، وهو يأخذ الشاة بقصبتها ، أى بساقها . والبيتان أنشدهما الجاحظ فى الحيوان (٣ : ٥٦) .

(٤) أنشد الجاحظ هذين البيتين فى الحيوان (٣ : ٥٦) وآخر البيت الأول عنده : « وأن الخصر منك رقيق » ، وآخر البيت الثانى : « إذ تخلو بهن رفيق » . وذلك بعد أن روى قبلهما بيتين نسبا فى تزيين الأسواق ٤٩ إلى قيس لبنى ، وهما :

شهدت وبيت الله أنك غادة ... رداح وأن الوجه منك عتيق

وأنك لا تجزينى بمودة ... ولا أنا للهجران منك مطيق

وقال بعدهما : « فأجابته » . وأنشد البيتين الآخرين .

(٥) المشبوح : العريض . والخلجم : الجسيم العظيم .

(٦) ما عدا ل : « من وزار » .

وأُقسِمُ أنَّهُ قد حَـلَّ منها محلَّ السَّيف من قَعْرِ القِرابِ

وقال آخر :

أتَرجُو أن تَسود ولن تُعَنَّى وكيف يسودُ ذُو الدَّعة البخيلُ

وقال الهذليّ(١) :

وإنّ سِـيادةَ الأقوامِ فاعلمْ لهـا صَعْداءُ مَطْلَعُها طويلُ(٢)

وقال جريرُ بن الخَطَفَى :

تريدينَ أنْ أرضى وأنتِ بخيلةٌ ومن ذا الذى يُرضِى الأخلاّءَ بالبُخلِ(٣)

* وقال إسحاقُ بنُ حسّانَ بن قُوهِيّ(٤) : ٨١

ودونَ النَّـدَى فى كل قلبٍ ثَنِيّةٌ لها مَصعدٌ حزْنٌ ومنحدَرٌ سهلُ(٥)

ووَدَّ الفتى فى كلِّ نَيلٍ يُنيـلُه إذا ما انقضَى لو أنَّ نائلَه جَزْلُ(٦)

وقال آخَرَ(٧) :

عزمتُ على إقامة ذِى صَباحٍ لأمرٍ ما يُسَوَّدُ مَن يَسُـودُ

وقال :

وتَعجبُ أنْ حاولتُ منك تنصُّفاً وأعجبُ منه ما تحاوِلُ مِن ظُلمِى(٨)

---

(١) هو حبيب بن عبد الله الهذلى ، المعروف بالأعلم . انظر مخطوطة الشنقيطى من الهذليين ٦٠ — ٦١ وشرح السكرى للهذليين ٦٣ — ٦٤ .

(٢) روى فى الحيوان (٢ : ٩٥) واللسان (صعد) : « وإن سياسة الأقوام » . وفى عيون الأخبار (١ : ٢٢٦) واللسان (صعد) : « مطالعها طويل » كما هنا . وفى سائر الأصول والمراجع : « مطلبها » بالباء . وقد سبق البيت فى (١ : ٢٧٥) .

(٣) فى ديوان جرير ٤٦٠ : « تريدين أن نرضى » .

(٤) سبقت ترجمته فى (١ : ١١٥) .

(٥) مضى البيتان بدون نسبة فى (١ : ٢٧٤) والحيوان (٢ : ٩٥) .

(٦) أى إن طبيعة الفتيان تعاند طبيعة العامة .

(٧) هو أنس بن مدركة الخثعمي ، كما فى الحيوان (٣ : ٨١) والخزانة (١ : ٤٨٦) وهو من شواهد سيبويه (١ : ١١٦) . وهو شاهد على جواز جر الظروف غير المتمكنة فى لغة خثعم . وقيل إن « ذو » فيه ، زائدة .

(٨) تنصفه : سأله أن ينصفه .

أبا حسنٍ يَكفيكَ ما فيك شاتماً   لِعرضكَ من شَتْمِ الرِّجالِ ومن شتمى (١)

وقال الآخَر :

كما قال الحمارُ لِسهمِ رامٍ   لقد جُمِّعتَ من شتَّى لأمرِ (٢)

أراكَ حديدةً فى رأس قِدْحٍ   ومتنٍ جُلالةٍ مِن ريشِ نَسْرِ (٣)

وقال الآخَر :

إذا ما مات مثلى ماتَ شىءٌ   يموتُ بموته بَشَرٌ كثيرُ

وأشْعَرُ منه عَبْدة بن الطَّبيب (٤) ، حيث يقول فى قيس بن عاصم (٥) :

فما كان قيسٌ هُلْكُهُ هُلْكُ واحدٍ   ولكنّه بُنيانُ قومٍ تهدَّما (٦)

وقال امرؤ القيس فى شبيهٍ بهذا المعنى :

فلو أنها نفسٌ تموتُ سَوِيَّةً   ولكنّها نفسٌ تُساقِطُ أنْفُسا (٧)

وقال الآخر :

وزهَّدَنِى فى صالحِ العيش أنَّنى   رأيتُ يدِى فى صالح العَيش قَلَّتِ

وقال مَعْنُ بنُ أوس :

---

(١) يقول له : لست محتاجا إلى شتم ، فما فيك من عيب ظاهر يكفى شاتمك مؤونة الشتم .

(٢) من شتى ، أى من أشياء شتى مختلفة .

(٣) القدح ، بالكسر : السهم قبل أن يجعل فيه النصل والريش . والجلالة ، بالضم : العظيمة ، عنى بها ريشة النسر . والمتن : الظهر ، وهو الجانب القصير من الريش ، وهو أفضل ما يراش به السهم .

(٤) عبدة هذا بسكون الباء ، ترجم فى (١ : ١٢٢) .

(٥) ترجم فى (١ : ٢١٨) .

(٦) البيت من أبيات رواها أبو تمام فى الحماسة (١ : ٣٢٨) وأبو الفرج فى الأغانى (٩ : ١٢/٩٣ : ١٤٨) .

(٧) البيت فى ديوانه ١٤٢ برواية : « تموت جميعة » . و « تساقط » ينبغى أن تقرأ فى رواية الجاحظ بضم التاء وكسر القاف . ومعناه يموت بموتها بشر كثير . وذلك لتتساوق الشواهد . وهى رواية الوزير أبى بكر . ورواه الأصمعى : « تساقط » بحذف إحدى التاءين ، أى تتساقط . يقول : لو أنى أموت بدفعة ، ولكن نفسى لما بها من المرض تقلع قليلا قليلا ، وتخرج شيئا شيئا . وليست هذه الرواية بمرادة هنا .

ولقد بدا لى أنّ قلبَــكَ ذاهلٌ   عنّى وقلبى لو بدا لك أذهَلُ(١)
كلٌّ يجامِلُ وهو يُخفِى بُغضَــه   إنّ الـكريم عن القِلَى يتجمّلُ

وقال : ٨٢

نُرامِى فنَرمِى نحن مِنهُنّ فى الشَّوَى   ويَرمِين لا يَعدِلْنَ عن كبِدٍ سهما(٢)
إذا ما لبِسْنَ الحلىَ والوشىَ أشرقَتْ   وجوهٌ ولَبَّاتٌ يُسَـلِّبْنَنا الحِلْما(٣)
ولُثْن السُّــبوبَ خِمْرَةً قُرَشِيَّةً   زُبيريّةً يَعلَمْنَ فى لَوثِها عِــلْما(٤)

وقال آخر :

أعلِّل نفسى بما لا يكون   كما يَفعلُ المائقُ الأحمَقُ(٥)

وقال آخر :

تولّتْ بهجة الدُّنيا   فـكلُّ جديدِها خَلَقُ
وخانَ النّاسُ كلُّهمُ   فـما أدرى بمَنْ أثِقُ
رأيتُ معالمَ الخيرا   تِ سُدَّتْ دونَها الطّرُقُ
فلا حَسَبٌ ولا أدبٌ   ولا دينٌ ولا خُلُقُ

وقال أبو الأسود الدؤلىّ(٦) :

---

(١) البيتان لم يرويا فى ديوان معن بن أوس .
(٢) الشوى : الأطراف ، اليدان والرجلان ، وكل ما ليس مقتلا .
(٣) الوشى : ثياب موشية ذات ألوان . والوشي خلط لون بلون . واللبة ، بالفتح : وسط الصدر والمنحر ، وهو موضع القلادة . والحلم ، بالـكسر : الأناة والعقل .
(٤) السبوب : جمع سب ، بالـكسر ، وهو خمار المرأة الذى تغطى به رأسها . ولاثت المرأة السب : أدارته وطوته . ما عدا ل : « ولبن السبوب » تحريف . والخمرة ، بكسر الخاء المعجمة : هيئة الاختمار . وفى جميع النسخ : « حمرة » تحريف . اللوث : الإدارة والطى . ما عدا ل : « فى لونها » تحريف .
(٥) المائق : الشديد الحمق والغباوة .
(٦) ذكر أبو الفرج فى الأغانى (١١ : ١١٢) من سبب هذا الشعر ، أنه كان لأبى الأسود جار فى ظهر داره ، له باب إلى قبيلة أخرى ، وكان بين دار أبى الأسود وبين داره باب مفتوح يخرج منه كل واحد منهما إلى قبيلة صاحبه إذا أرادها ، وكان الرجل ابن عم أبى الأسود =

لنا جِيرةٌ سَدُّوا المجازةَ بيننا ... فإنْ ذَكَّرُوكَ السَّدَّ فالسَّدُّ أكيَسُ[١]
ومِن خير ما ألصقْتَ بالدَّار حائطٌ ... تَزِلُّ به صُقْعُ الخطاطيف أملَسُ[٢]

وقال آخَر :

عَقِمَتْ أمٌّ أتتْنَا بكم ... ليس منكم رَجُلٌ غيرُ دَنِى
وإذا ما الناس عَدُّوا شرفاً ... كنتمُ من ذاكَ فى بالٍ رَخِى[٣]

وقال آخر :

قد بلوناكَ بحمدِ اللّهِ إن أغنى البَلاء[٤]
فإذا كلٌّ مواعيدِك والجحدُ سواء

وقال آخر :

ولقد هززتُكَ بالمديحِ فكنت ذا نفسٍ لكيعَهْ
أنت الرَّقيع بن الرَّقيعِ بنِ الرَّقيع بن الرَّقيعَهْ

= دنية ، وكان شرسا سيء الخلق فأراد سد ذلك الباب فقال له قومه : لا تضر بأبى الأسود وهو شيخ ، وليس عليك فى هذا الباب ضرر ولا مؤنة . فأبى إلا سده ، ثم ندم على ذلك لأنه أضر به ، فكان إذا أراد سلوك الطريق التى كان يسلكها منه بعد عليه ، فعزم على فتحه ، فبلغ ذلك أبا الأسود فمنعه منه وقال :

بليت بصاحب إن أدن شبرا ... يزدنى فى مباعدة ذراعا
وإن أمدد له فى الوصل ذرعى ... يزدنى فوق قيس الذرع باعا
أبت نفسى له إلا اتباعا ... وتأبى نفسه إلا امتناعا
كلانا جاهد أدنو وينأى ... فذلك ما استطعت وما استطاعا

وقال فيه أيضا البيتين الذين رواهما الجاحظ . وفى ذلك يقول أيضا :

أعصيت أمر أولى النهى ... وأطعت أمر ذوى الجهاله
أخطأت حين صرمتنى ... والمرء يعجز لا المحاله
والعبد يقرع بالعصا ... والحر تكفيه المقاله

(١) الجار يجمع على أجوار وجيرة وجيران ، ولا نظير له إلا قاع وأقواع وقيعة وقيعان . والمجازة : الموضع يجاز ، أى يسلك .

(٢) تزل . تزلق وتسقط . والصقع : جمع أصقع ، وهو من الطير ما كان على رأسه بياض . وفى الأغانى : « سفع » جمع أسفع ، وهو الأسود .

(٣) يقال : هو فى بال رخى ، أى فى سعة وخصب وأمن ، لا يكترث لشىء .

(٤) البيتان فى الحيوان (٧ : ١٥٣) وعيون الأخبار (٣ : ١٤٥) .

وقال : ٨٣

لـكلِّ أُناسٍ سُلَّمٌ يُرتَقَى به وليس إلينا فى السَّلالِمِ مَطلعُ(١)

وغايتُنا القُصـوَى حِجازٌ لمن به وكلُّ حجازٍ إن هبطناه بلقعُ(٢)

ويَنفِرِ منّا كلُّ وحشٍ وينتمى إلى وَحْشِنا وحْشُ البلادِ فيرتَعُ(٣)

وقال آخر(٤) :

لو جَرَتْ خيلٌ نُـكوصاً لجرت خيـلُ ذُفَافَه(٥)

هى لا خيـلُ رجاء لا ولا خيـلُ مَخَافه

وقال الخُرَيمى(٦) :

---

(١) ما عدا ل : « السلاليم » ، وهو جمع سلم . وقد أنشد فى اللسان قول ابن مقبل :

لا تحرز المرء أحجاء البلاد ولو يبنى له فى السموات السلاليم

ثم قال : « احتاج فزاد الياء » . وزيادة الياء فى مثله مطرد عند أهل الكوفة .

(٢) الحجاز : الحاجز . يقول : إن أرضنا هذه حجاز حافظ لمن هو فى داخله ، فهو يستعصم به فيأمن ؛ وأما أرض غيرنا فإنها مباحة مقتحمة الحجاز ، ولا سيما إذا هبطناها .

(٣) يقول : نحن لكثرتنا ووفرة حصانا ينفر منا الوحش ، على حين يأنس الوحش إلى بعض ما يلم بأطراننا من وحش ، فهو يرهبنا ولا يرهبه .

(٤) لعله مكنف أبو سلمى ، من ولد زهير بن أبى سلمى ، وكان يهجو ذفافة العبسى الأغانى (١٥ : ١٠٣) .

(٥) ذفافة ، هذا ، هو أبو العباس ذفافة بن عبد العزيز العبسى ، أحد رجال الدولة العباسية . وهو الذى نبا سيفه حين طلب إليه الرشيد أن يضرب أعناق أحد أسرى الروم ، فقيل فى ذلك :

أبقى ذفافة عاراً بعد ضربته عند الإمام لعبس آخر الأبد

الأغانى (١٨ : ٧٣) . وقد رثاه بعد موته أبو سلمى مكنف بقصيدة رائعة قالوا إن أبا تمام سرق أكثرها . ومن تلك القصيدة :

ألا أيها الناعى ذفافة والندى تعست وشلت من أناملك العشر

ومن شعر ذفافة يهجو الربيع بن عبد الله الحارثى وقد أهدى إليه طبق تمر :

بعثت بتمر فى طبيق كأنما بعثت بياقوت توقد كالجمر

فلو أن ما تهدى سنيا قبلته ولكنما أهديت مثلك فى القدر

كأن الذى أهديت من بعد شقة إلينا من الملقى على ضفة الجسر

(٦) هو إسحاق بن حسان المترجم فى (١ : ١١ ، ١١٥) .

اخلَعْ ثيابَك من أبى دُلَفِ   واهرُبْ من الفجفاجة الصَّلِف[١]
لا يُعْجِبَنّك من أبى دُلَفٍ   وجهٌ يضيءُ كدُرّةِ الصَّدَفِ
إنى وجـدت أخى أبا دُلَفِ   عنـد الفعال مُوَلَّدَ الشَّرَفِ

وأنشد ابنُ الأعرابى :

أهلـكَتْنى بفُلانٍ ثِقَتى   وظُنـونٌ بفلانٍ حَسَـنَهْ
ليس يَستوجِب شـكراً رجلٌ   نالتُ خيراً منه مِن بعدِ سَنَهْ
كنتُ كالهادِى من الطَّير رأى   طَمَعًا أدخله فى مَسْجَنَه[٢]
زادنى قربُ صـديقى فاقةً   أورثَتْ من بعد فقر مَسْكَنَه

وأنشدنا[٣] :

إذا المرء أولاكَ الهوانَ فأَوْلِهِ   هواناً و إن كان قريباً أواصِرُهْ[٤]
فإنْ أنتَ لم تقـدِرْ على أن تُهِينَه   فذَرْهُ إلى اليوم الذى أنت قادِرُهْ[٥]
وقارِبْ إذا ما لم تكن بِك قُدْرَةٌ   وصمِّمْ إذا أيقنتَ أنك عاقِرُهْ[٦]

° وقال بعضُ ظرفاء الأعراب : ٨٤

و إذا خشيتَ من الفُؤاد لَجَاجةً   فاضربْ عليه بجُرْعةٍ من رائبِ[٧]

وهذا من شكل قوله :

ذكرتُكِ ذكرةً فاصطدتُ ظبياً   وكنت إذا ذكرتُكِ لا أخيبُ

---

(١) الفجفاجة : الـكثير الـكلام والفخر بما عنده . والمذكور فى المعاجم « الفجفاج » وجعلوا الأنثى « فجفاجة » بالهاء ، فهذا قد جعل الهاء لتأكيد المبالغة . والصلف من الصلف ، وهو الغلو فى الظرف والزيادة على المقدار مع تكبر . وقد عنى المتكبر .

(٢) الهادى : المتقدم ، أراد به أول سرب الطير .

(٣) الشعر لأوس بن حبناء ، رواه أبو تمام فى الحماسة (١ : ٢٦٦) .

(٤) الأواصر : جمع آصرة ، وهى القرابة .

(٥) قادره ، أى قادر فيه .

(٦) ما عدا ل : « لك قدرة » . وفى الحماسة : « لك حيلة » .

(٧) الرائب : اللبن الخاثر ، أو الممخوض .

وقال بعض المُحْدَثين :

ما أشْبهَ الإمْرَةَ بالوصل   وأشبهَ الهجرانَ بالعَزْل [١]

وقالت الْخنساء :

لم تَرَهُ جارة يمشى بساحتها   لريبةٍ حين يُخلى بيتَه الجارُ
مثلُ الرُّدينىِّ لم تَدْنَس عمامتُه   كأنه تحت طىِّ البُرْدِ أسوار [٢]

وقال آخر :

ناديت هَيْذَانَ والأبوابُ مُغْلَقةٌ   ومثلُ هيذانَ سَنَّى فتحةَ الباب [٣]
كالهُنْدُوانىِّ لم تُفْلَل مَضاربُه   وجهٌ جميلٌ وقلبٌ غير وجَّاب

وقال آخر :

أرى كلَّ ريح سوف تسكن مَرَّةً   وكلَّ سماء ذات دَرٍّ سَتُقْلِعُ [٤]
ولستُ بقوّالٍ إذا قام حالبٌ   لك الويلُ لا تَجْهَدْ لعلّكَ تُرضِـع [٥]
ولـكن إذا جادت بما دُونَ حَلْبِها   جَهَدْنا ولم نَمْذُق بما نَتَوسَّع [٦]

وقال آخر :

تَمَنَّى رجال أن أموت وغايتى   إلى أجلٍ لو تعلمونَ قَريبِ [٧]

---

(١) أراد : وأشبه العزل بالهجران ، فقلب مبالغة .

(٢) الرديني : الرمح ، منسـوب إلى « ردينة » زعموا أنها وزوجها « سمهر » كانا يقومان الرماح بخط هجر . والأسوار ، بضم الهمزة وكسرها : واحد الأساورة ، وهم الفرسان المقاتلون من الفرس . وفى ديوان الخنساء ٤٤ : « لم تنفد شبيبته » .

(٣) سبق البيتان فى (١ : ٤١) . وفى العقد (٣ : ٣٩) أن على بن أبي طالب كان يتمثل بهذين البيتين . والرواية فيه محرفة .

(٤) درة السحاب : صبه واندفاقه .

(٥) ترضع ، أى لعلك تحتاج أن ترضع صغارها .

(٦) المذق : خلط اللبن بالماء ، وفعله من باب نصر .

(٧) ما عدا ل : « أقصى مداه قريب »

وما رغبتى فى أرْذَلِ العُمرِ بعد ما … لبِست شبابى كلَّه ومَشِيبى (١)

وأصبحتُ فى قومٍ كأنْ لستُ مِنهمُ … وبادَ قرُونى منهمُ وضُرُوبى (٢)

* وأنشد : ٨٥

رأيت النَّاسَ لمَّا قلَّ مالى … وأكثرتُ الغَرامةَ ودَّعونى (٣)

فلمَّا أن غَنِيتُ وثابَ وَفْرِى … إذا هُمْ لا أبا لكَ راجَعُونى (٤)

وقال الآخر :

وكنَّا نَسْتطِبُّ إذا مرِضْنا … فصار سَقامُنا بيَدِ الطَّبيب

فكيفَ نُجيزُ غُصَّتَنا بشىء … ونحنُ نَغَصُّ بالماء الشَّرِيبِ (٥)

وقال عدىُّ بنُ زيد :

لو بغير الماءِ حلقى شَرِقٌ … كنتُ كالغَصَّانِ بالماء اعتصارى (٦)

وقال اللَّوب اليمانى (٧) :

---

(١) أرذل العمر : آخره ، فى حال الكبر والعجز . ما عدا ل : « فى آخر الدهر » .

(٢) القرون : جمع قرن ، بالفتح ، وهو مثلك فى السن ، تقول : هو على قرنى ، أى على سنى . وأما الأقران لجمع قرن ، بالكسر ، وهو الكفء والنظير فى الشجاعة والحرب . والضروب : جمع ضرب ، بالفتح ، وهو الشبيه .

(٣) الغرامة ، بالفتح : الدين .

(٤) ثاب : رجع . والوفر : الغنى واليسار .

(٥) الغصة : الشرق بالطعام أو بالماء . والشريب : العذب . وانظر ٢٧١ .

(٦) الاعتصار . أن يغص بالطعام فيعتصر بالماء ، وهو أن يشربه قليلا قليلا . والبيت من أبيات رواها أبو الفرج فى (٢ : ٢٤) ، أولها :

أبلـغ النعمان عنى مألـكا … أننى قد طال حبسى وانتظارى

وانظر الحيوان (٥ : ١٣٨ ، ٥٩٣) .

(٧) فيما عدا ل : « وقال التوت اليمانى . ويروى اللوب بالباء ، والتوت هو الصواب وهو المعروف بتويت » . وذكره فى الأغانى (٢٠ : ٧٩) بلفظ « نويب اليمامى » بالنون فى أوله والباء فى آخره ، و« اليمامى » نسبة إلى اليمامة . قال أبو الفرج : « نويب لقب له ، واسمه عبد الملك بن عبد العزيز السلولى ، أحد الشعراء اليماميين من طبقة يحيى بن طالب وبنى أبى حفصة وذويهم . ولم يفد إلى خليفة ، ولا وجدت له مديحاً فى الأكابر والرؤساء ، فأخذ ذلك ذكره . وكان شاعراً فصيحاً ، نشأ باليمامة وتوفى بها » .

على أىِّ بابٍ أطلبُ الإذْنَ بعد ما حُجِبْتُ عن الباب الذى أنا حاجبُه

وقال الآخر :

لا تَضجرَنَّ ولا تَدْخُلْكَ مَعْجَزةٌ فالنُّجحُ يَهلِكُ بين العجز والضَّجَرِ (١)

وقال محمد بن يَسير (٢) :

إنَّ الأمورَ إذا انْسَدَّت مسالكُها فالصَّبر يفتح منها كُلَّ ما ارْتُتِجا (٣)

لا تَيْأَسَنَّ وإن طالتْ مطالبةٌ إذا استعنتَ بصبرٍ أن ترَى فرَجا

أخلِقْ بذى الصبر أن يحظَى بحاجتِه ومُدْمِنِ القرعِ للأبوابِ أن يَلِجا

لا يمنعنَّك يأسٌ من مُطالَبةٍ فضَيِّقُ السَّيلِ يوماً رُبَّما انتهَجا (٤)

وقال بعضُ ظُرفاء الأعراب :

وإنَّ طعاماً ضمَّ كفِّى وكفَّها لعمرك عندى فى الحياةِ مُبارَكُ

فمِن أجْلِها أستوْعِبُ الزّادَ كلَّه ومِن أجْلها تهْوِى يدى فتُدارِكُ (٥)

وقال : ٨٦

كأنّى لمّا مسَّنى السَّوطُ مُقْرَمٌ من العُجْمِ صَعْبٌ أنْ يقاد نَفُورُ (٦)

---

(١) المعجزة ، بفتح الميم : العجز .

(٢) سبقت ترجمته فى (١ : ٦٥) .

(٣) يقال سده يسده سدا ، فانسد واستد . وارتتج بالبناء للمفعول : استغلق . والأبيات من مقطوعة فى الأغانى (١٢ : ١٣٢) ، أولها :

ما ذا يكلفك الروحات والدلجا البر طوراً وطوراً تركب اللججا
كم من فتى قصرت فى الرزق خطوته ألفيته بسهام الرزق قد فلجا

(٤) هذا البيت من ل فقط ، ولم يروه أبو الفرج أيضاً . ولم أجد « انتهج » فى معجم وأراد بالانتهاج السلوك والسير . يقال : نهج فلان الطريق ، أى سلكه .

(٥) الإهواء : التناول باليد . والمداركة : المتابعة

(٦) المقرم : البعير المكرم المودع الذى لا يحمل عليه ولا يذلل . والعجم : جمع أعجم ، وهو ما لا يفصح من الإنسان والحيوان . قال :

يقول الخنا وأبغض العجم ناطقاً إلى ربنا صوت الحمار اليجدع

فكم قد رأينا من لئيمٍ موطّأٍ ... صَبورٍ على مَسِّ السِّياط وَقُورِ[١]
وذى كَرَمٍ فى القوم نَهْدٍ مُشَيَّعٍ ... جَزوعٍ على مسِّ السياط ضَجُورِ[٢]

وقال أُحَيحة بن الجُلَاحِ[٣] :

استغْنِ عن كلِّ ذى قُرْبَى وذى رَحِمٍ ... إنَّ الغَنِىَّ مَن استغنى عن النَّاسِ
والبَسْ عدوَّك فى رِفقٍ وفى دَعَةٍ ... لِباسَ ذى إِرْبَةٍ للدَّهْرِ لبَّاس[٤]
ولا تَغُرَّنْك أضغانٌ مُزَمَّلَةٌ ... قد يُضْرَبُ الدَّبِرُ الدَّامِي بأحْلاس[٥]

وقال أُحَيحةُ أيضاً :

استغْنِ أوْ مُتْ ولا يَغْرُرْك ذو نشَبٍ ... مِن ابن عمٍّ ولا عمٍّ ولا خالِ[٦]
إنى أُكِبُّ على الزَّوْراء أعمُرُها ... إنَّ الكريمَ على الإخوان ذو المال[٧]
يَلوُون ما عندهم من حَقِّ أقرَبِهمْ ... ومن عشيرتهم والمال بالوالى[٨]

---

(١) الموطأ : المذلل . والوقور : الساكن الرزين .

(٢) النهد : الجسيم القوى . والمشيع : الشجاع الذى لا يخذله قلبه ، فكأنه يشيعه .

(٣) هو أحيحة بن الجلاح الأوسى ، كان سيد الأوس فى الجاهلية ، وكانت سلمى أم عبد المطلب بن هاشم تحته ، وكانت لاتنكح الرجال إلا وأمرها بيدها ، فتركته لشىء كرهته منه فتزوجها هاشم فولدت له عبدالمطلب . وكان أحيحة كثير المال شحيحاً عليه يبيع بيع الربا بالمدينة حتى كاد يحيط بأموالهم ، وكان له تسع وتسعون بئراً . وهو إلى ذلك شاعر رقيق الشعر . انظر الأغانى (١٣ : ١١٤ — ١٢٢) والخزانة (٢ : ٢٣ — ٢٤) .

(٤) الأربة ، بضم الهمزة وكسرها : الدهاء والبصر بالأمور ، ومنه الأريب . ولبس الدهر : أن يجعل المرء نفسه وفقاً لزمانه وظروفه .

(٥) الأضغان : الأحقاد . والمزملة : المستورة . والدبر : البعير تصيبه الدبرة ، وهى بالتحريك : القرحة . والأحلاس : جمع حلس ، وهو بالكسر والتحريك : كل شىء ولى ظهر البعير والدابة تحت الرحل والقتب والسرج . يقول : ربما نشأ الضرر من الأمور الخفية التى لاينتبه إليها . وروى فى حماسة البحترى ٩ : « قد يركب الدبر الدامى » .

(٦) النشب : المال والعقار . والأبيات فى الأغانى (١٣ : ١١٤) ، وثانيها فى حماسة البحترى ٣٤٤ . وهى مع أخوات لها فى معجم البلدان (٤ : ٣١٢) .

(٧) الزوراء : أرض كانت لأحيحة بن الجلاح ، سميت ببئر كانت فيها . عن ياقوت . البحترى : « ولن أزال على الزوراء » ، وفى الأغانى والبلدان : « إنى أقيم على الزوراء » . وعند البحترى وياقوت : « إن الحبيب إلى الإخوان » .

(٨) لوى الحق : مطل فى أدائه . و « المال بالوالى » كذا وردت أيضاً فى معجم البلدان . وفى الأغانى : « والحق للوالى » .

وقال آخر :

سأبغيك مالاً بالمدينـــة إننى   أرى عازبَ الأموال قلّت فواضِلُه[١]

وقال آخر :

ولا خيرَ فى وصـلٍ إذا لم يكن له   على طولِ مَرِّ الحـادثاتِ بقاء

وقال العبّاس بن الأحنف :

لم يَصْفُ حُبٌّ لمعشوقَين لم يَذُقَا   وَصْلاً يُمِرُّ على من ذاقَهُ العسلُ[٢]

وقال بعض [سفهاء] الأعراب :

لا خيرَ فى الْحُبِّ أبا السَّنوَّرِ   أو يلتقى أشْعَرُها وأشـعرِى

* وأُطبِقَ الْخُصْيةَ فوق المَبْعَرِ *

87 وقال آخر :

وحظُّكَ زَورةٌ فى كلِّ عامٍ   موافَقَةً على ظهر الطَّرِيقِ[٣]

سلاماً خالياً من كلِّ شىءٍ   يعودُ به الصَّديقُ على الصَّديقِ

وقال عُطارِدِ بن قُرَّان[٤] :

---

(١) أبغاه مالا : أعانه على طلبه . والعازب : الذى يرعى بعيداً عن أهله .

(٢) من ذاقه ، أى ذاق ذلك الوصل . ولم يرد هاذ البيت فى ديوان العباس .

(٣) كذا وردت فى الأصول ، بتقديم الفاء على القاف . وفى اللسان : « تقول : وافقت فلاناً فى موضع كذا ، أى صادفته » .

(٤) ذكره المرزبانى فى معجمه ٣٠٠ وقال : « أحد بنى صدى بن مالك . هجا جريراً عند هجاء جرير للعرار البرجى ، فطلبت بنو صدى بن مالك إلى جرير أن يهبه لهم ، فقال جرير :

وهبت عطارداً لبنى صدى   ولولا غيره علك اللجاما

وحبس بنجران فقال :

لقـد هزئت منى بنجران أن رأت   قيامى فى الـكبلين أم أبان

كأن لم ترى قبلى أسيراً مكبلا   ولا رجـلا يرمى به الرجوان

كأنى جواد ضمه القيد بعد ما   جرى سـابقاً فى حلبة ورهان

خليلى ليس الرأى فى صدر واحد   أشـيرا علىّ اليـوم ما تريان

أأركب صعب الأمر إن ذلوله   بنجران لا يرجى لحين أوان

ولا يَلبَثُ الحبلُ الضَّعيف إذا التوى وجاذَبَه الأعــداءُ أن يتجذَّما(١)
ولا يستوى السَّيفانِ سيفٌ مؤنثٌ وسيفٌ إذا ما عَضَّ بالعظمِ صَمَّما(٢)

وقال طُرَيح بن إسماعيل(٣) ، فى الوليد بن يزيدَ بنِ عبد الملك :

سعيتُ ابتغاء الشُّكر فيما صنعت بى فقصَّرْتُ مَغْلُوبًا وإنى لشاكر
لأنك تعطيـنى الجزيل بُداهةً وأنت لما أُستكثرتُ من ذاك حاقِرُ(٤)
فأرجِعُ مغبوطًا وتَرْجِعُ بالتى لها أوَّلٌ فى المكرُمَاتِ وآخِرُ
وقد قلتُ شعراً فيك لكن تقولُه مكارمُ مما تبتـنِى ومَفاخِرُ
قواصِرُ عنها لم تُحِطْ بصِـفاتها يزادُ بها ضَرْبٌ من الشِّعر آخِرُ

وقال آخَرُ ، مسلم بن الوليد(٥) :

لعـلّ له عُذرًا وأنت تلُومُ وكم لائمٍ قد لامَ وهو مُليمُ

وأنشد أيضا :

فكم مِن مُليمٍ لم يُصَبْ بملَامَةٍ ومتَّبَعٍ بالذنب ليس له ذَنبُ
وكم مِن محبٍّ صَدَّ من غير عِلّةٍ وإن لم يكن فى وصل خُلّته عَتْبُ

= وحبس أيضاً بحجر فقال :

يقودنى الأخشن الحداد مؤتزراً يمشى العرضـنة مختالا بتقييدى
أنى وأخشن فى حجر لمختلفـا حال وما ناعم حالا كمجهود ».

(١) التجذم : التقطع . ب ، حـ : « يتخذما » ، وهى صحيحة أيضاً بمعنى يتقطع .

(٢) المؤنث والأنيث : الذى ليس بقاطع . والمصمم من السيوف : الذى يمضى فى العظام .

(٣) هو طريح بن إسماعيل الثقفى ، نشأ فى دولة بنى أمية ، وجعل شعره فى الوليد بن يزيد وأدرك دولة بنى العباس ، ومات فى أيام المهدى . وكان الوليـد يكرمه ويقدمه لانقطاعه إليه ولخؤولته من ثقيف . الأغانى (٤ : ٧٤ — ٨٢) . والأبيات التالية فى الحماسة (٢ : ٣٦٤) وأولها فى حماسة البحترى ١٦ .

(٤) البداهة ، بضم الباء وفتحها : أول كل شىء وما يفجأ منه . وفى الحماسة : « بديهة » .

(٥) كلمة « مسلم بن الوليد » من ل فقط

كما قال الأحنف : « رُبَّ ملومٍ لا ذنبَ لهُ[1] » .

وقال ابنُ المقفَّع :

فلا تَلُمِ المرء فى شانه فرُبَّ مَلُومٍ ولم يُذنب ٨٨

وقال سعيدُ بنُ عبدِ الرحمن بنِ حسّانَ بن ثابت [الأنصارىّ[2]] :

وإنَّ امرأً أمسَى وأصبَحَ سالمًا من الناس إلاّ ما جَنَى لسَعيدُ[3]

[آخر الجزء الثانى من تجزئة المصنف]

---

(١) انظر ما سبق فى ٣٤٤ س ١٠ — ١١

(٢) وهذه النسبة أيضاً فى الحيوان (٣ : ٥١) . وجاء فى عيون الأخبار (٢ : ١٢) : « وقال حسان : قلت شعراً لم أقل مثله » . وأنشد البيت .

(٣) إلا ما جنى ، أى إلا جزاء ما جنى .

فهرس الأبواب

صفحة

فهرس الأعلام المترجمة

تصحيحات

ص		س	
١١	:	١	مِن أثر
١٤	:	١٢	لا يُعرَف
٢٩	:	١	أدب الله محمدا صلى الله
٤٠	:	٣	وتوجبه
٤٢	:	٦	حلزّة
٤٧	:	٤	إيمانا ورضوانا
٤٨	:	٢٦	عبيد الله
٥٥	:	١٠	رحمكما الله
٧٨	:	٦	لسليمان الأعمش
٧٩	:	٨	مُتْ بداء
٩٣	:	٢	مَسير
١٠٢	:	٩	أحملَها

ص		س	
١١٧	:	٢٤	بن خربوذ المكى
١٢٧	:	١٥	ألستم
١٥٢	:	٢	مورق العبد
١٨٤	:	١٨	أجارة بيتينا
١٨٥	:	٧	الضبي (٦)
٢٠٦	:	٧	دين بني صريم
٢٦٧	:	١٣	المغيرة بن سعيد
٢٧٠	:	٧	الأبله العَقول
٢٧٣	:	١٣	لكل قِرْنٍ
٢٧٥	:	٦	وقال بلهاء
٣٣١	:	٢	خَدَمَ الملوك
٣٤٦	:	١٤	لما حُ * مِّلْت

